استرداد سيناء



تأليف
محمود أمين

محمود أمين

استرداد سيناء

الناشر
مكتبة مصر
٣ ش كامل صدقي - الفجالة
ت: ٢٥٩٠٨٩٢٠

إهــــداء

إلى روح الســـــادات

الذى أعاد سيناء لمصر

بالحــرب والســلام

محمود أمين

بدايات الأزمـــــة

في سنة ١٨٦٧ م زار الكاتب الأمريكي مارك توين فلسطين وكتب عنها فـي كتابه "الأبرياء في الخارج رحلة الحج الجديدة" والذي نشرته مكتبة الأمريكي الجديد في ١٩٨٠م. أنه عندما زار فلسطين لم يجدها أرض اللبن والعسل كما وصــفها الكتــاب المقدس . وقال إن جبالها مجدبة ووديانها صحراوية تحيط بها مزارع خضراء صغيرة انتشرت في أسى ويأس حول هذه الصحراء المجدبة . إنها أرض بلا أمــل وحزينــة وقلبها مليء بالحزن والأسى وكأن اللعنة قد انتشرت في أرضها وامتــصت قواهــا .. والناصرة مجدبة وجركو حلت عليها اللعنة والقدس قرية صغيرة إن فلسطين مجدبة ولا تبعث في النفس الأمل.

هذه هي الأرض التي يتنازع عليها الإسرائليون والفلسطينيون فهمــا بالنــسبة لليهود ERITZ YUSRAEL وبالنسبة للعرب فهي أرض فلسطين. وفلسطين جــزء صغير من البلاد التي كان يسميها العرب بلاد الشام .. وقد كانت فلسطين جزءاً مــن بلاد الشام حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وهي جغرافيا مقاطعة جنوبية من ســوريا ولكن التجزئة التي نُكب بها الشرق العربي قد اقتطعت جزءاً من بلاد الــشام ونحتــت منها كياناً سياسياً مستقلاً. وكما قلت كان المؤرخون العرب يسمون هذه المنطقة بــلاد الشام كما أن هيرودوتس كان يعتبر فلسطين جزءا من ديار الشام شرقا ولم يكن هناك أي عداء بين العرب واليهود. كما أن المؤرخين الصليبيين على تباين طبقــاتهم كــانوا يؤرخون للبلاد المقدسة على أنها جزء من بلاد الشام. وسميت هذه البلاد باسم فلسطين لأن بعض القبائل الأفريقية قدِمت إلى ساحل الشام الجنوبي من جزر بحر إيجه، وعندئذ سمّي هذا الساحل الذي وقع في أيدي هذه القبائل باسم فلستيا.

وأما فلسطين كما حددها الانتداب البريطاني (١٩٢٨ - ١٩٤٨م) هي الأرض التي تحددها في الشمال سلسلة من الجبال جنوب نهر الليطاني، وفي الشرق بواسطة نهر الأردن والبحر الميت وفي الغرب بالبحر المتوسط وشبه جزيرة سيناء وفي الجنوب بخليج العقبة ومساحتها الكلية عبارة عن ٢٦,٣٢٠ ألف كيلو مترا مربعاً أو ١٠١٦٢ ميلا مربعا وحوالي ٥٠% إلى ٦٠% من هذه الأراضي صحراوية مثل صحراء النجف ووادي عربة وبداخل هذه الصحروات عدة واحات صغيرة ومعظم هذه الصحروات غير صالحة للزراعة.

فلسطين أرض جافة وليس بها إلا نهر واحد صغير "نهر الأردن" وهو في الحقيقة يجري على الحدود بين فلسطين وسوريا وهناك جدولان يمتلئان بالماء في الشتاء ويجفان في الصيف. وقد سكن فلسطين الكنعانيون وهم من أهم الشعوب التي أثرت في تاريخها وسميت بأرض كنعان والكنعانيون يمثلون الموجة الثانية التي هاجرت من الجزيرة العربية حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد وقد أقام الكنعانيون بأرض فلسطين وامتدت سلطتهم إلى مدينة حماه وظلت لهم السيادة نحو ١٥٠٠ عام تقريباً وتعترف التوراة أن فلسطين أرض كنعان، ويذكر الطبري أنهم من العرب البائدة وكذلك ذكر ابن خلدون.

وفي العصور القديمة كان عدد السكان يتراوح بين ٧٥٠,٠٠٠ وستة ملايين. كما يذكر جوستن مكارفي في كتابه "سكان فلسطين تاريخ السكان" منذ الحكم العثماني والانتداب البريطاني. إن معظم الباحثين يقدرون عدد السكان بحوالي ٢,٥٠٠ مليون.

وقد تعرضت فلسطين لغزوة يهودية أو عبرانية وقد سموا بهذا لأنهم عبروا نهر الأردن وأقاموا مملكتين إحداهما في مدينة السامرة شمال نابلس ويهوذا في مدينة القدس، وتعرضت البلاد إلى غزوات مستمرة فتعاقب عليها البابليون والأشوريون والإغريق والرومان، وقضي الآشوريون على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ قبل الميلاد

وهدموا عاصمتها وسبَوْا رجالها وأما دولة يهوذا فقد قضي عليها بنو بختنصر البابلي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد فخرب الهيكل وهدم المدينة وسبى معظم السكان وأخذهم عبيداً إلى بابل. وفي بداية القرن العشرين كان عدد سكان فلسطين تحت الحكم العثماني ٢٧٥,٠٠٠ إلى ٣٠٠,٠٠٠ وكان ٩٠% من السكان مسلمين و ٧٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ يهودي وحوالي ٢٠٠٠٠ مسيحي عربي وفي سنة ١٨٨١ م في بداية هجرة اليهود إلى فلسطين كان عدد السكان ٤٥٧,٠٠٠ حوالي ٤٠٠,٠٠٠ مسلماً وحوالي ١٣,٠٠٠ إلى ٢٠,٠٠٠ يهودي و ٤٢,٠٠٠ مسيحي معظمهم من الأرثونكس وكان هناك بعض اليهود المقيمين في فلسطين ولم يكونوا من رعايا الخليفة العثماني. وكان السكان اليهود العائشون يطلق عليهم (Old Yishuv) ومعناها "المستوطنون القدامى" ومعظم هؤلاء المستوطنين فقراء. ويعيش كثير منهم على الصدقات التي كانت تصلهم من اليهود المقيمين في الخارج.

وأما اليهود القادمون من الدول العربية أو شمال أفريقيا يطلق عليهم "سفارديم" ومعظمهم من اليهود الأرثونكس وكانوا يعيشون في القدس وهبرون وصفد وطبرية وحيث أنهم رعايا الدولة العثمانية وكانوا خاضعين لسلطتها. وكانوا على علاقة طيبة بالمسلمين في فلسطين الذين يمثلون أغلبية السكان، ويقضون أيامهم في دراسة التوراة والتلمود، وعمل القليل منهم تجاراً أو أصحاب حوانيت صغيرة وكان منهم بعض الحرفيين وفي الحقيقة كان اليهود أقلية صغيرة ضئيلة الأهمية أما أغلبية السكان من العرب الذين كانوا يمثلون ٧٠% وقد ظل العرب متمسكين بخصائص حياتهم ومجتمعهم ومقوماتهم رغم ما تعرضت له البلاد من غزوات متعاقبة. وقد أعاد الفرس اليهود من أرض بابل وساعدوهم على بناء الهيكل حتى يساعدوهم في خطتهم لغزو مصر. ثم بعد غزوة الفرس توالت غزوات اليونانيين والرومانيين. وفي القرن الرابع قبل

الميلاد هاجر إلى فلسطين شعب عربي يعرف باسم الأنباط وأقام دولة عربية في منطقة متحضرة في الجنوب والشرق من البحر الميت. وكان نفوذهم السياسي يمتد أحيانا إلى جنوب سوريا والعراق واستمرت هذه الدولة ناشطة في الحضارة حتى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد. وقد تم القضاء على اليهود عندما حاصر جيش القائد الروماني الفرس بجيشه. كان فيه فرقة نبطية عربية ودخلها عنوه سنة ٧٠ م. وأجهز على البقية الباقية من اليهود وأحرق الهيكل وهدم المدينة وخلت فلسطين منهم ومُحي كل ذِكر وأثر لهم.

واستمرت فلسطين في يد الروم حتى جاء الإسلام وخرجت جحافلهم وجيوشهم ففتحوا القدس وخرج الروم منها وتم استلام مدينة القدس على يد عمر بن الخطاب وقد أعطي عمر عهداً لسكانها النصارى وقد استجاب لرغبتهم في ألا يساكنهم اليهود بها. وتعتبر هذه الوثيقة ميثاقا دولياً رفيعاً دعت نصوصه لاحترام الشعائر الدينية صيانة للأماكن المقدسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطي عبد الله . عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمانة أعطاهم أمانا لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ألا تسكن كنائسهن ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهــون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيليا معهم أحد من اليهود". وهذا دليــل أن القدس لم تكن يهودية وكذا فلسطين. فمنذ الفتح العربي هاجرت بعض القبائل العربيــة التي اعتنقت الإسلام وفي سنة ٦٩١ ميلادية بني عبد الملك بن مروان المسجد العظــيم في القدس ويزعم اليهود أن مسجد الصخرة قائم على هيكل سليمان وهم يبكــون عنــد حائط المبكي وهو في الجانب الغربي من المسجد.

ثم جاءت الحروب الصليبية (١٠٩٦ – ١٢٩١م) وبعد معارك عنيفة استطاعت القوى الأوروبية أن تبني مملكة صليبية دامت أكثر من دولة اليهــود فــي عهــد داود وسليمان. وما استطاع الصليبيون أن ينتصروا ويقيموا دولة إلا بــسبب أن المــسلمين كانوا مختلفين وهناك صراع بين الأمراء والحكام وتحالف بعض الأمراء المسلمين مع الفرنجة ضد إخوانهم من المسلمين ولكن الله أراد أن يظهر ذلك البطل المسلم صــلاح الدين فحارب الصليبيين وهزمهم وحرر القدس، وأعاد المسجد الأقــصى الــذي كــان الصليبيون قد حولوه إلى كنيسة، ولم يكن تحرير القدس سهلا بل سالت أنهار من دماء المسلمين حتى عادت القدس لهم وسكنتها قبائل عربية وبعد ذلك حارب الظاهر بيبرس خليفة قطز إلى أن تم طرد الصليبيين نهائيا من أرض فلسطين ..

وبعد ذلك جاء العثمانيون الذين غزوا فلسطين ووقعت سوريا وفلسطين تحــت الحكم العثماني منذ ١٥١٦م، وظلت تحت سلطاتهم حتى نهاية حرب ١٩١٨م. ثم بعــد ذلك وقعت تحت حكــم الانتداب البريطاني. وعندما بدأت الحركة الــصهيونية كانــت

فلسطين تحت الحكم العثماني. وكانت الأغلبية العظمى من السكان من العرب لأنهم كما قلنا كانوا يمثلون ٧٠% من السكان.

وقد نشأت الحركة الصهيونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت هذه الحركة ترمي إلى جمع اليهود من الشتات وتجميعهم في فلسطين. وكانت فلسطين في ذلك الوقت تتكون من حوالي ٧٠٠ إلى ٨٠٠ قرية صغيرة ويتراوح سكان كل قرية من ١٠٠ ساكن إلى ١٠٠٠ ساكن، وكانت معظم هذه القرى تقع في الجزء الجبلي من البلاد. وقد تحددت هذه المواقع بوجود الآبار والينابيع واختار السكان مواقع في قمة الجبال ليسهل الدفاع عنها ضد البدو الذين كانوا من آن لآخر يهاجمون هذه القرى لينهبوها. وأما الأراضي الساحلية فلم تكن مأهولة بالسكان، وذلك لهجمات البدو وكذلك لأنها كانت مليئة بالمستنقعات وكان من الصعب زراعتها.

وكانت هناك بين القرى منازعات وحروب من أجل المياه، وكذلك كانت هناك خصومات حتى في القرية الواحدة وكان العرب الرُحّل من صحراء سيناء وصحراء النجف يغيرون من آن لآخر على المدن الفلسطينية وكان هذا مثار ضعف للمجتمع العربي في فلسطين. وكانت الزراعة بدائية ووسائل الري محدودة. وفي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت الأرض مملوكة للفلاحين وشاهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر أثناء الحكم العثماني تغييرا في الملكية. نتيجة للضرائب الباهظة واستطاع المقيمون في المدن الذين أطلق عليهم كلمة الأعيان شراء الأراضي من الفلاحين وقد حقق هؤلاء الأعيان ثرواتهم من العمل كموظفين في جمع الضرائب تحت سلطة تركيا وكانت هذه الطبقة من ملاك الأراضي وكان معظمهم يعيشون خارج فلسطين القاهرة أو بيروت أو باريس أو دمشق وقد انتهزت الصهيونية هذه الفرصة، واشترت الصهيونية بعض الأراضي من هؤلاء الأعيان وقد ساعدت هذه الأراضي في تكوين المستوطنات اليهودية في بعض القرى العربية، وشاهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر انتشار زراعة الموالح خصوصا في الأراضي القريبة من الساحل وحققت هذه الزراعة أرباحاً كبيرة بعد أن بدأ تصدير هذه الموالح إلى أوروبا وزادت قيمة

الأراضي واضطر بعض الفلاحين الفقراء إلى بيع أراضيهم بعد أن ارتفع ثمنها ارتفاعاً كبيراً. وفي سنة ١٨٨١ أصبح ثلث سكان فلسطين يعيشون في المدن وكان المسيحيون واليهود يعيشون في المدن ولم يكن لهم تأثير كبير في قرى فلسطين وفي سنة ١٨٨٠م كان سكان القدس حوالي ٣٠,٠٠٠ ألف وكان اليهود يمثلون نصف عدد سكان القدس وفي غزة كان عدد السكان ١٩,٠٠٠ ألف وفي يافا ١٠,٠٠٠ وفي حيفا ٦,٠٠٠ وكان الأعيان في هذه المدن يعملون في خدمة تركيا كقضاة ورجال شرطة وجامعي الضرائب. وكذلك خدموا بعد ذلك الإمبراطورية الإنجليزية خلال فترة الانتداب في سنتي ١٩١٧ و ١٩١٨م وقد اختار الإنجليز هؤلاء الموظفين من العائلات الفلسطينية كعائلة الخالدي، والحسيني، والنشاشيبي في القدس والجابري، والتميمي، والمصري وغيرهم والذين كونوا ثرواتهم خلال الحكم العثماني والانتداب الإنجليزي. والذين قادوا الحركة الوطنية الفلسطينية بحكم أنهم من المتعلمين وكانت هناك فروق واسعة من ناحية الثروة ومن الناحية التعليمية بين طبقة الأعيان وطبقة الشعب. وقدرت نسبة الأمية في فلسطين بحوالي ٩٧% في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. وقد خططت الصهيونية أن تحاول مع الخليفة ورجال الدولة العثمانية ليوافقوا على هجرة اليهود لفلسطين. وقد حاول تيودورهرتزل من خلال مشاورات ومباحثات طويلة معهم. وأثناء هذه المباحثات طالبوا خلالها السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، وإنشاء مستعمرات زراعية، وإنشاء مستشفيات ومؤسسات خيرية دينية وعلمية. ولعب السفيران الإنجليزي والأمريكي في اسطمبول دوراً مهماً في تأييد مطالب اليهود. وقد نجحت هذه المساعي حيث سمح الخليفة العثماني بهجرة محدودة لفلسطين وسمح كذلك بإقامة مؤسسات خيرية دينية وسمح كذلك بشراء الأراضي بل وأعطاهم أرضاً بجوار يافا حيث أقاموا عليها مدرسة ومحطة زراعية. وبدأت هجرة بعض اليهود من بولندا وروسيا إلى فلسطين وانضموا إلى الأقلية اليهودية الضئيلة فيها.

أول من استخدم كلمة ZIONISM ومعناها الصهيونية وهي الترجمة العربية المتفق عليها، يهودي اسمه ناثان بيرنبم "Birnbaum Nathan"

وكان ذلك أثناء مناقشة في اجتماع عقد في ثينا في يوم ٢٣ من يناير ١٨٩٢م ويبدأ تاريخ الصهيونية عندما نشر هرتزل كتابه Judesutat بعد ذلك بأربع سنوات حيث انعقد المؤتمر الصهيوني الأول. ولا يمكن أن نعرف كيف نشأت هذه الفكرة في ١٨٨٠ و ١٨٩٠م إلا إذا كان لدينا معرفة بتاريخ أوروبا منذ قيام الثورة الفرنسية وانتشار ما يسميه اليهود الشعور ضد السامية أو اضطهاد اليهود في الغرب المسيحي. وقد انتهت هذه الحركة من المفكرين على إجابة هذا السؤال بإنشاء دولة إسرائيل في ١٩٤٨ م. وهناك اختلاف هل انتهت هذه الحركة بإنشاء إسرائيل؟ حيث تبنت هذه الدولة أهداف الحركة الصهيونية. وقبل أن تأتي كلمة صهيونية كانت كلمة (HIBATZION) واسعة الانتشار والاستعمال في روسيا وبالرغم من آلاف الكتب التي كتبت عن الصهيونية فإنك تجد قليلا من الكتب باللغة العربية. وبالرغم من أن العرب هم أولى الناس بدراسة هذه الفكرة وكيف استطاعت تحقيق حلما كان من المستحيل تحقيقه فتقيم دولة وتحي لغة ميتة وتصبح هذه الدولة بالرغم من وجود ملايين من العرب يحيطون بها إلا أنها استطاعت أن تنتصر عسكريا وامتلكت قوة ردع نووية وأخذت تتباهي بإقامة نظام سياسي ديمقراطي في محيط من التخلف الديكتاتوري. والصهيونية حركة تهدف إلى إعادة اليهود إلى أرض اسرائيل، وهذه الحركة ازدهرت مع ازدهار القوميات في أوروبا واليهود يعتقدون أن ظهور هذه الحركة كان نتيجة لاضطهاد اليهود كأقلية وما تعرض له اليهود من مذابح في أوروبا وروسيا والذين كتبوا عن الصهيونية وتنبأوا بظهورها مثل رباي يهودا ألكالي (١٧٩٨ – ١٨٧٨م) ورباي دفن هيرتن (١٧٩٥ – ١٨٧٤م) وموسى هيث (١٨١٢ – ١٨٧٥م) ولكن كل هذه الكتابات لم يكن لها قوة التأثير وإن كانت هيأت العقول لتقبل الصهونية ولكن المذابح التي حدثت في روسيا في الفترة من ١٨٨٢ – ١٨٨٦م ومسألة الضابط الفرنسي من أصل يهودي دريفوس وقد حوكم لأنه يهودي وكان بريئا وقد قاد أمبل زولا حملة

ضد الحكومة الفرنسية آثارت ضجة في ذلك الوقت وأصبحت قضية معاداة السامية موضوعا مهما على المستوى القومي في فرنسا.

وفي تاريخ أوروبا أثرت الثورة الفرنسية على وضع اليهود في أوروبا وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ اليهود بعد معاناة طويلة . من الاضطهاد والمذابح، وبدأت تظهر أفكار جديدة نحو اليهود متأثرة بحركة التنوير التي سادت في أوروبا بعد الثورة الفرنسية، وظهرت فكرة المساواة أمام القانون دون التأثر بمعتقدات الشخص الدينية وأعلن كتاب فرنسيون أن الوقت قد حان لمعاملة الأشخاص على قدم المساواة ولا يسأل إلى أي دين ينتمي. ونادي اليهود بترك عزلتهم في حاراتهم الضيقة التي كانت تسمى The Ghetto أو حارة اليهود. وفي الجمعية الوطنية الفرنسية في ١٧٩٨ طلب كليرمونت تونير أن اليهود كأفراد يجب أن يتمتعوا بجميع الحقوق التي يتمتع بها المواطن الفرنسي وبذلك يخرج اليهود من عزلتهم ويتم اندماجهم في المجتمع الفرنسي. وقامت حركة مماثلة في ألمانيا حتى أنه خلال السنوات ١٨٠٨ م و ١٩١٢ م وضعت الأسس الكاملة لتمتعهم بجميع الحقوق القانونية في بروسيا وهي الحكومة الرائدة في ألمانيا.

وقد شارك اليهود بحماس منقطع النظير في هذا الاندماج وعندما نادي ملك بروسيا رعاياه في التطوع لمحاربة نابليون تطوع اليهود بأعداد كبيرة.

ومع ذلك فإن اليهود قد عانوا من الاضطهاد في ألمانيا فمنعوا من مزاولة بعض المهن وكان اليهودي إذا قابل مسيحياً في الشارع وقال له المسيحي "اظهر احترامك أيها اليهودي" رفع قبعته احتراما للمسيحي.

وفي بداية القرن التاسع عشر وصل عدد اليهود في العالم إلى ٢,٥ مليون ويعيش ٩٠% منهم في أوروبا ويعيش في ألمانيا حوالي ٢٠٠,٠٠٠ يهودياً معظمهم يسكن في الريف لأنهم كانوا ممنوعين من سكن المدن وربعهم يعيشون في المناطق الشرقية في جزء من بولندا التى استولت عليه بروسيا وفي برلين عاش فيها حوالي ٣٠٠٠ يهودي في سنة ١٨١٥م. ومعظم اليهود

كانوا يعملون في مؤسسات تعطي قروضا بفائدة مرتفعة. وقد صور شكسبير خلال مسرحية تاجر البندقية جشع اليهود وحبهم للانتقام من المسيحيين تصويراً يعكس نفسية شيلوك المحبة للمال وللانتقام.

وفي خلال القرن الثامن عشر تعددت وظائف اليهود وتحسنت مراكزهم الاقتصادية ولكن مازال معظمهم تجاراً صغاراً بين المدن والقرى فهم يشتركون في الأسواق ويتاجرون في اللحوم والأصواف والخمور وشغلوا في الأندلس مكانا متميزا في تجارة التشييد.

وكلمة صهيونية ظهرت في سنة ١٨٩٠م. ولكن سبب ظهورها ومفهومها كانت قديمة وحاضرة في التاريخ اليهودي. ويمكن أن نقول إن الصهيونية كحركة عالمية سياسية ولدت بواسطة كتابات هرتزل سنة ١٨٩٧م كما نقول إن الشيوعية ولدت بكتابات كارل ماركس في سنة ١٨٤٨م.

ودراسة أصول الصهيونية تقودنا إلى نقطة البداية فجبل صهيون في أفكار وصلوات اليهود وأحلامهم أثناء تفرقهم بين بلاد العالم. وقولهم في صلواتهم "العام القادم في القدس" جزء من صلواتهم. وهم يتجهون إلى القدس عندما يتلون "تسيموه اتجه" وهي الصلاة الأساسية في كهنوت اليهود. وقد ظهر حنينهم في كثير من الكتابات ككتابات دافيد الروي في القرن الثاني عشر وكتابات شاباتي زفي في القرن السابع عشر وفي أشعار يهودا هالطي.

وفي أثناء إقامة نابليون في مصر واحتلاله لها أصدر منشوراً يدعو يهود آسيا والشرق للتعاون معه في إعادة تعمير القدس. وكما قلنا إن هرتزل هو مؤسس الصهيونية ففي سنة ١٨٩٦ م عرضت المكتبات في فيينا كتابا صغيرا عنوانه "Der Judenstaat" أي "الحكومة اليهودية" محاولة لحل مشكلة اليهود. وهرتزل كاتب صحفي ومؤلف مسرحي معروف في العاصمة النمساوية وفي صفحة من صفحات ذكريات هرتزل كتب في ١٤ من فبراير "جاءتني فيه نسخة من الكتاب وعندما حملت مجموعات الكتب إلى حجرتي اعترتني رعشة.

وعندما عرض الكتاب في المكتبات أدى ذلك إلى نقطة حاسمة في تاريخ حياتي". وعندما ظهر الكتاب كان سن هرتزل ٣٦ سنة. وبالرغم من أنه نشر قبل ذلك عدة مسرحيات وكتب كثيراً من المقالات وكان يعتبر صحفيا معروفا وناجحا. ولكن كان هذا الكتاب مختلفا عن جميع كتاباته السابقة وعندما صرح بأن الأفكار التي عبر عنها هذا الكتاب قد تفيد تاريخ الشعب اليهودي. وبدأت الحركة الصهيونية السياسية بظهور Der Judenstaat . إن الفكرة التي دعا فيها في هذا الكتاب هي فكرة قديمة وهي إعادة الحكومة اليهودية. هذا الكتاب سبب دهشة لأصدقاء هرتزل وزملائه الذين عرفوه كصحفي قدير وككاتب مقال موهوب فهو يستطيع الكتابة بسهولة عن أناتول فرانس أو قصة للأطفال .. وقد عالج هذا الكتاب موضوعا لم يكتب فيه من قبل.

"مازالت المشكلة اليهودية قائمة . إنه من الغباء أن ننكر وجودها .. إنها مشكلة قائمة منذ القرون الوسطى لم تحاول الأمم المتمدنة حلها أو التفكير في حلها وتبدو المشكلة اليهودية في أي مكان يعيش فيه عدد كبير من اليهود .. ولم تكن هنا . إن المشكلة اليهودية ليست مشكلة دينية أو مشكلة اجتماعية على الرغم من أنها قد تأخذ هذه الأشكال أحيانا إنها مشكلة قومية.

وكانت الفكرة الرئيسية في هذا الكتاب أن الاندماج في المجتمعات التي يعيش فيها اليهود أصبحت شبه مستحيلة ولذلك فإن المشكلة التي تقابل اليهود تقابلهم في كل مكان. وكتب يقول: "لقد حاولنا أن نندمج في المجتمعات التي نعيش فيها إلا أننا لم نستطع أن نحتفظ بدين آبائنا وأجدادنا دون اضطهاد".

وفي الحقيقة لقد اخترع هرتزل الصهيونية وحولها إلى حركة سياسية وقد ولد تيودور هرتزل (بنيامين زيف) في بردابست في سنة ١٨٦٠ م وكان أبوه يعمل في تجارة الملابس. وكانت بعض آثار اليهودية في العائلة ولكن من الناحية الثقافية فإنها كانت مندمجة في المجتمع كمعظم اليهود من الطبقة المتوسطة .. وقد تلقى تعليما تقليديا في مدرسة ثانوية محلية وظهرت ميوله الأدبية أثناء دراسته. وكان معظم أصدقائه من اليهود واعتبره أصدقاؤه أديباً

موهوباً. ولم تكن المشكلة اليهودية مثار اهتمام هيرتزل خلال ذلك الوقت. وكان لهرتزل طموح في أن يحقق نجاحا وشهرة ككاتب مسرحي ولكنه لم يكن لديه الموهبة الكافية لهذا وكان ينظر نظرة ازدراء للصحفيين وللمثقفين اليهود.

وجاءته شهرته كرجل عملي في أواخر حياته، وكانت فيه نرجسية، وكان شخصا يريد من اتباعه الطاعة التامة. وربما كان من أسباب ذلك أنه كان الابن الوحيد لأبويه وربما إعجاب أمه العظيمة به وبكتاباته كان سببا في أن تضع العراقيل في أن ينضج فكره وكتاباته . وكان لصيق الصلة بأمه التي كانت تحمل له إعجابا بلا حدود. ولم يكن هرتزل مفكراً سياسياً له ذهن المفكر السياسي أو المفكر الأيديولجي. وكتاباته السياسية لم تضف شيئا على كتابات سنسكر التي سبقته بعشرين سنة. ولكنه اكتشف أن الاندماج في المجتمعات الأوروبية ليست له نتائج ناجحة ولكن يبدو أن الفشل كان واضحاً منذ بداية الأمر.

لأنهم لا يقدرون أنه كاتب عظيم . ورغبته في وجود حل لمشكلة اليهود في أوروبا سبقت أمنيته في أن يري دولة يهودية مقدسة في فلسطين . وقد انعكست هذه الأمنية في روايته Altneuland وهي رواية نشرت في سنة ١٩٠٢م وهي عبارة عن حلم سياسي أو خيال علمي على طريق Jule Verne وهي تصف زيارة بطلي الرواية لفلسطين والتي أصبحت في سنة ١٩٢٣ م دولة يهودية حديثة .. وهجرة اليهود المقيمين في أوروبا قد تمت .. واستطاعت هذه العقول الأوربية أن تقيم دولة يهودية ناجحة وحديثة بمساعدة هذه العقول المتطورة التي أدخلت التكنولوجيا الحديثة في الري .. وخلق هذا الكفاح مجتمعاً متطوراً حديثاً مبنياً على التعاون. والأرض لا يملكها الأفراد والمصانع التي ستقوم ستكون مثالاً للتطور والتقدم وللمرأة في هذا المجتمع مكان ممتاز فهي تشارك في كل أنشطة المجتمع وسيكون التعليم مجانا والمجرمون لا نضعهم في السجون بل نعيد تأهيلهم وتعليمهم. وهناك تفرقة واضحة بين الدين والدولة وهناك حرية كاملة في التعبير، والتسامح هو

الأساس التي تقوم عليها الدولة ويجب أن يشعر الغريب أنه في وطنه في دولتنا" هي الكلمة الأخيرة التي يقولها رئيس الدولة قبل موته ومشكلة العرب مع إسرائيل قد حلت بدون مشاكل كما يقول رشيق بك أحد شخصيات الرواية: "لماذا يكون لدينا أي مشاكل مع اليهود؟ إنهم جعلوا المجتمع الفلسطيني أكثر رخاء وإنهم يعيشون بيننا كأنهم إخوة لنا".

وقد انتقدت أفكار هرتزل فأفكاره عن المجتمع الذي سيقام في دولة اليهود بدائية وعلاقته لمشكلة عرب فلسطين وكان هناك في هذا الوقت أكثر من نصف مليون عربي فلسطيني يعيشون على أرضها ولو أن حركة القومية الفلسطينية لم تكن تبلورت بعد.

وعندما مات هرتزل لم يكن هناك أي أمل أن تستطيع الحركة الصهيونية وضع قدمها في أرض فلسطين إلا إذا تحطمت الإمبراطورية العثمانية.

إن دراسة تحليلية لهرتزل وآرائه ليست مجال هذه الدراسة ولذلك فإنما سنكتفي بهذا القدر لنعود نسأل كيف كان العرب واليهود يعيشون تحت حكم الخلافة العثمانية وكيف أن سقوطها بعد الحرب العالمية الأولى مهد الطريق لوصول اليهود إلى فلسطين.

فلسطين عند بداية الأزمة

استمر الحكم العثماني في فلسطين من سنة ١٥١٧ م حتى سنة ١٩١٧ م والأتراك يعرفون أن فلسطين هي مهد اليهودية والمسيحية وهذا يعكس أهمية خاصة لهذه الأرض المقدسة ولكنهم خلال حكمهم لم يكونوا قد جعلوا فلسطين ولاية مستقلة بل كانت جزءا من ولاية سوريا. وتولي حكم فلسطين الوالي التركي الموجود بدمشق وقسمت الولاية إلى سناجك ثلاثة منهم في فلسطين عكا وحنين والقدس. وفي سنة ١٨٨٧م أصبحت القدس خاضعة لسيطرة الخليفة مباشرة. وفي سنة ١٨٨٨م اقتطعت عكا ونابلس من ولاية سوريا وألحقت بولاية بيروت. وخلال الفترة من ١٨٣١م حتى ١٨٤٠م خلال الحكم المصري لفلسطين حاولت مصر إقامة حكومة مركزية. وأزاح الجيش المصري بقيادة إبراهيم بن محمد علي رجال الإقطاع الذين حكموا القرى والمدن واستطاع كذلك حماية المدن والقرى الفلسطينية من هجمات البدو ونشروا الأمن

في ربوع فلسطين وبعد رحيل المصريين أدخل الأتراك بعض الإصلاحات في فلسطين (تنظيمات) شملت النواحي السياسية والتعليمية التي أحدثت تأثيراً كبيراً لأن نظام الضرائب الباهظة جعل كثيراً من الفلاحين يهجرون القرى ويذهبون ليعيشوا في المدن. وأقام الحكم المصري حكومة مركزية أفقدت عُمد وشيوخ القرى بعض سلطاتهم إذ استطاعت الحكومة المركزية أن تلغي جزءاً من سلطاتهم.

وعندما عاد الحكم التركي عادت هذه السلطات إليهم، وقد تحسنت الحياة في النصف الأخير من القرن الثامن عشر، واستقرت حالة الأمن في فلسطين، وأصبح من الممكن أن تتنقل بين القرى وأنت آمن ولا تحمل معك سلاحاً. وفي سنة ١٨٩٦م شق أول طريق في الجبال بين القدس ويافا وبدأ الاقتصاد يتحسن بوفود بعض الحجاج النصارى وتدفق بعض المهاجرين اليهود الذين وفدوا من روسيا وبولندا وأتوا معهم بوسائل أكثر تقدما في الزراعة وكان عدد السكان اليهود حوالي ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ في سنة ١٨٠٠ م ووصلوا إلى ١٧٠٠٠ في منتصف القرن ثم زادوا إلى ٢٥,٠٠٠ في سنة ١٨٨١ م . وحوالي ٩٠٠٠ يهودي كانوا مستوطنين في صفد وطبرية وهبرون وقليل منهم موزعون في يافا وبعض القرى الأخرى والباقي منهم الذين ينقسمون إلى اشكنارني وسيفارديم يتمركزون في المدن كمجتمع منعزل يعيش على ذكريات قديمة وأساطير التوراة. وقد ازداد ثراء المدن بالتجارة مع أوروبا ثم جاءت التنظيمات التي ساوت بين المسلمين والأقليات المسيحية مما أدى إلى قيام صراع بين الأغلبية المسلمة والأقليات المسيحية كالمذابح التي كانت في حلب سنة ١٨٥٠م وفي نابلس سنة ١٨٥٦ وفي دمشق وفي لبنان سنة ١٨٦٥م.

ومن نتائج هذه الصراعات الدموية انبثق لبنان بأغلبية مسيحية في سنة ١٩٢٠ – ١٩٤٨م. ويحكي لنا توم سيجيف في كتابه One Palestine عن سقوط القدس فقد كان جنود الجيش الإنجليزي في ربيع سنة ١٩١٧م معتمدين على السكك الحديدية التي أنشأوها واستخدموا فيها ٥٦٠٠٠ ألف عامل مصري و ٣٥,٠٠٠ جمل ومدوا الأنابيب التي تحمل المياه وتقدمت القوات الإنجليزية بقيادة الجنرال سير أدموند ألِنْبي.

وقاد سار ألِنْبي في مقدمة قواته ونال بذلك إعجاب قواته. وهو من عائلة إنجليزية عريقة أنجبت قبل ذلك القائد كرمويل ، وكان ألِنْبي عسكريا محترفا. وفي سنة ١٩١٦م حارب في جنوب أمريكا وفرنسا وكان النبي قارئاً ممتازاً يقرأ الكتاب المقدس ولديه اهتمامات بالتاريخ والجغرافيا وكان يريد أن يعرف كل شيء عن البلد التي يوشك أن يغزوها. وفي رسالة منه لزوجته حدثها عن الطيور والأشجار، وفي نهاية شهر أكتوبر سنة ١٩١٧ دخلت قوات ألِنْبي غزة، وكانت قوات ألِنْبي تتكون من ٧٥٠٠٠ جندي من رجال المدفعية و ٤٣٧ مدفعا وقد سقطت غزة، وفي نوفمبر سقطت يافا وتل أبيب. وعندما دخل الجزء الإنجليزي فى تل أبيب قال الجنود كأننا في أوروبا وقد مرت الحياة في يافا عادية رغم الحرب ورغم أن المدينة كانت على وشك السقوط في أيدي الإنجليز. ويحكي لنا توم سيجيف قصة عن يهودي اسمه ليفن الذي خبأه خليل سكاكيني في منزله عندما لجأ إليه وقال سكاكيني إنه يصبح خائنا للتقاليد العربية إذا رفض إيواء من يلجأ إليه بعد أن رفض أهله إيواءه. ليفن قال: إن أحداً لم يره فآواه سكاكيني في منزله وفي الساعة الثامنة صباحاً دق البوليس الباب وجري سكاكيني إلى حجرة ليفن ليوقظه ولكنه كان نائماً وعندما فتح الباب وجد أنها زوجة ليفن، والبوليس لم يعد أمامه شئ سوى أن يستسلم للبوليس، وقبضوا على ليفن وأخذوا سكاكيني معه. ولكن لم تمض عدة أيام على هذا حتى سلم الأتراك مدينة القدس بدون قتال وأفرج الإنجليز عن سكاكيني. وقد دخل الإنجليز فلسطين ليهزموا الأتراك وثبتوا هناك ليحموها من الفرنسيين ثم بعد ذلك تركوها للصهيونية لأنهم كانوا يحبون اليهود ويكرهونهم في نفس اللحظة. وهم معجبون بهم وفي نفس اللحظة يحتقرونهم ويخافون منهم.

إن اقتراحا عُرض على الوزارة البريطانية في يناير سنة ١٩١٥ م أن تحتل بريطانيا فلسطين وتقيم فيها دولة إسرائيلية وذلك قبل دخول تركيا الحرب بثلاثة شهور. وكان صاحب الاقتراح هربرت صمويل وهو يهودي وكذلك كان صهيونيا وكان يرى أن الصهيونية هي مزيج من الليبرالية واليهودية وكان سنه ٣٤ سنة عندما نشبت الحرب العالمية الأولى وصامويل كان يعرف تماما أن محاولة إنشاء دولة إسرائيلية قبل

التمهيد لها باحتلال فلسطين قد يؤخر إنشاءها لعدة قرون وكتب في مذكراته أن الوقت ليس مناسبا وأن حكم أقلية يهودية لا يمكن أن يفرض على أغلبية عربية فيجب أن تكون هناك أغلبية يهودية تسبق ذلك. وإن فلسطين مساحتها صغيرة وهي لا تستطيع أن تستوعب كل يهود العالم ولكنها تستطيع أن تحتضن حوالي ٣ إلى أربعة ملايين يهودي.

وعندما تحدثت القوة العظمى في هذا الوقت عن توزيع أملاك الإمبراطورية العثمانية نظر إلى فلسطين كأنها جزء كبير من الكعكة .. ولكن مذكرة صمويل هربرت للوزارة البريطانية كانت كما وصفها وزير خارجية انجلترا في هذا الوقت إدوارد حربي هي أسطورة وتنبؤات أو أنها فكرة فيها شيء من الخيال. إن احتلال فلسطين والسماح لليهود بالهجرة إليها هو امتداد لرسالة بريطانيا التاريخية في إعادة الحضارة لهذه البلاد المتخلفة، ثم وصف حالة فلسطين تحت الحكم العثماني الديكتاتوري والفساد والانحطاط والقذارة وعندما يعيش اليهود في فلسطين سيأتون بالتقدم والتطور الحضاري وتعطي الحكم البريطاني شرف السيطرة على الأرض التي ولد فيها المسيح ثم ذهب هربرت صمويل إلى القول بأن العلاقة بين اليهود وأرض فلسطين علاقة تاريخية ودينية وهي قديمة قدم العالم. إن اليهود يحلمون بإقامة دولة يهودية في فلسطين.

وعندما أنشئت أول مستوطنة يهودية في فلسطين كانت فلسطين تحت الحكم العثماني وتكون جزءاً من الإمبراطورية العثمانية وطبقاً للتقسيمات الإدارية التي وضعت في سنة ١٨٦٢م قسمت الإمبراطورية العثمانية إلى ولايات وقسمت الولايات بدورها إلى سنجقات أو مناطق ثم إلى أقسام أصغر (جفالك) وكل هذه الوحدات الإدارية يرأسها تركي برتبة معينة ولكن كل هذه التقسيمات خاضعة للباب العالي أو للحكومة المركزية في أسطنبول وقد قسمت فلسطين إلى هذه المناطق. في شمال البلاد عكا كانت (سنجوكة) وتضم حيفا والناصرة وطبرية وصفد ونابلس التي تضم جنين وطولكرم التي كانت جزءاً من ولاية بيروت وفي الجنوب هناك القدس والتي تضم يافا وغزة وهبرون

وتيدشيبا والحافر ونظراً لما كانت تمثله القرى من مكانة دينية ونظراً لكثرة القادمين إليها من مختلف البلاد كحجاج أو زوار أجانب وضعت تحت الحكم المباشر للباب العالي أي للحكومة المركزية في أسطانبول وأما شرق الأردن فقد قسمت إلى قسمين جنين في الشمال وعَمّان في الجنوب وكانا خاضعين لولاية دمشق .. وكان عدد سكان العرب في فلسطين التي وضعت تحت الانتداب البريطاني حوالي ٥٠٠,٠٠٠ ألف نسمة في نهاية القرن التاسع عشر وكان اليهود كما ذكرنا سابقاً حوالي ٢٠,٠٠٠ ألف نسمة وعندما بدأت الهجرة تضاعف العدد إلى ٤٠,٠٠٠ ألف نسمة.

حكم السلطان عبد الحميد

وتحت حكم السلطان عبد الحميد (١٨٨٦ – ١٩٠٨) أعطي سكان فلسطين نظاما إداريا يقوم بعمله خير قيام، وأما سكان العرب تحت نظام الحكم العثماني فلم تكن لهم قومية مستقلة ولم تكن لهم مدارس تدرس اللغة العربية ولم يكن لهم كيان سياسي مستقل. وأما اليهود الذين عاشوا في فلسطين خلال هذه الحقبة فمازالوا رعايا للدول الأجنبية التي جاءوا منها وتمتعوا بمزايا الامتيازات الأجنبية وكانوا يتمتعون بنفس الامتيازات التي يتمتع بها رعايا الدول الأوروبية والبعثات المسيحية الموجودة بالأراضي الفلسطينية. وتحت حماية القناصل تمتع اليهود بشيء من الاستقلال فأنشاؤا المدارس التي تعلم اللغة العبرية وتمتعوا بشئ من الاستقلال في إدارة شئونهم (هشام باشي) Hacham Bashi ومعناه الحاخام الأكبر يتمتع باحترامه كقساوسة الدين المسيحي. منزلة جندي تركي. وعندما رأى اليزار بن يهودا ما يتمتع به (هشام باشي) أو الحاخام الأكبر قال إن اليهود يتمتعون بميزة الاستقلال في إدارة شئونهم الدينية ونصف اليهود في هذا الوقت السينفارديم أي اليهود الذين جاءوا من الدول العربية واشكناري وهم اليهود الذين جاءوا من الدول الأوروبية لاحظ كافرسكي Kafraiski (١٨٦٨ م – ١٩٤٧م) وهو يهودي روسي تعلم في فرنسا وجاء إلى فلسطين في سنة ١٨٩٥ م وكتب يقول "إن اليهود الذين جاءوا من أوروبا كانوا يعيشون بمعزل عن العرب وكانوا يعتبرونهم أولاد اسماعيل ولا يختلطون بهم".

الباب الأول

بداية الحرب

الفصـــل الأول

بداية الحرب

عندما كنت في نيويورك كانت هناك كتب كثيرة كتبت عن حــرب ١٩٧٣ م. وهي الحرب الوحيدة التي انتصر فيها العرب .. وعنــدما كتــب شــارون مذكراتــه "The Warior" كتب فصولا عن حرب ١٩٧٣ كما كتبت جولدا مائير فــي كتابهــا حياتي فصلا عن حرب ١٩٧٣ م وتجمعت لدي معلومات كثيرة كتبها بعــض القــواد العسكريين الذين حاربوا معارك هذه الحرب مثل كتاب

Schiff, "A Foreign Ruler Warned"

Bar, Joseph, "The Yum Kappur War in Arab Eyes"

Tel Aviv: Marachot, 1986.

وكتب كثيرة أخرى ستذكر في حينها.

ومن العجيب أن معظم الكتب العربية التتي كتبت عن الحرب ككتاب الجمصي قد ترجمت إلى العبرية وكذلك كتاب الشاذلي :

El Gamasy, Mohamed Abdel Ghani

The October War: Memoir of Field Marshal el-Gamasy of Egypt,

Cairo: American University, 1993

وبدأت في كتابة بعض الصفحات عن حرب ١٩٧٣م كما كتبها الإســرائيليون وقمت بمقارنة ما كتبه المصريون.

فقد كتب الجمصي يقول: إن الهدف من الحرب هو أن تقلب الأوضاع العسكرية الإقليمية، وكتب ذلك زاعما أن الخطة المصرية بنيت على عبور القناة وهزيمة القوات العسكرية الإسرائيلية في سيناء، والوصول إلى المضايق، والاحتفاظ بهذه المراكز حتى يتم الإعداد لهجوم آخر .. ولكن في أثناء الحرب نشب خلاف بين العــسكريين وكــان

الهدف السوري مختلفا عن الهدف المصري وذلك لاختلاف المساحة بين مرتفعات الجولان وأرض سيناء وقد كتب وزير الدفاع السوري طلاس(١):

"نحن كنا نريد أن نحرر الأرض التي احتلتها إسرائيل بعد سنة ١٩٦٧م، بينما كانت مصر تريد أن تعبر القناة وتبقى على ضفتي القناة. تحركها في ذلك خطة إيجاد حل سلمي للأراضي المحتلة في سنة ١٩٦٧م. وبخوضها هذه الحرب تجعل إسرائيل والمجتمع الدولي يتحركان من أجل إيجاد حل سلمي للمشكلة. وأما السوريون فقد كانوا يريدون تحرير الجولان الأمر الذي كانوا يعتقدون أنه يمكن تحقيقه في بضعة أيام من القتال(٢).

في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ م وجد السادات نفسه بعد عدة أيام من الحرب وبعد فشل الهجوم في يوم ١٤ أكتوبر وتدخل أمريكا السافر في الحرب. فهو لا يستطيع التقدم إلى المضايق ولم يستطع تصفية الثغرة، ولم يستطع أن يحبط خطة تطويق الجيش الثالث. وقد أراد أن يحتفظ بالنصر الذي حققته القوات المصرية .. وكانت حرب ١٩٧٣ م استرداد الكرامة التي فقدها العرب في هزيمة ١٩٦٧م . وذاق المصريون عار الهزيمة ومرارتها وهي هزيمة عسكرية مروعة وكانت هذه الهزيمة انعكاسا لما وصل إليه الجيش المصري في عهد عبد الناصر لم يكن جيش أعدوه للحرب وإنما كان جيشا تم إعداده لأجل أن يبقي جمال عبد الناصر. مسيطراً على مقدرات هذا الشعب المسكين الذي دفع الثمن غالياً من دماء أبنائه الشهداء فوق رمال سيناء. ولم تكن حرب ١٩٧٣ م في فكر السادات حربا لهزيمة إسرائيل بل كان الهدف منها تحريك القضية وليس التحرير . ومن الطبيعي أن اسرائيل لو تهدّد بقاؤها .. لأخرجت ترساناتها النووية وهي لن تتورع عن استخدامها ضد العرب.

ويقول الكاتب Symon M. Hersh "The Samson Option" "اختيار شمشون" ترجمة ميخائيل فوزي بعد الاكتساح العربي في الأيام الأولى لحرب ١٩٧٣م،

---

(1) Bar, Samuel, The Yum Kipper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.
(2) Ibid "Samson Option" Symon Hersh.

انهارت أعصاب موسى ديان. وقد عقد اجتماعًا في يوم الاثنين الثامن من أكتوبر في مكتب جولدا مائير في تل أبيب على بضع مئات الأقدام على "البور" المجمع الحربي الضخم الذي أقامته المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تحت الأرض. تجمع أعوان مائير المقربون فيما يسمي مجلس وزراء مصغر لجلسة دامت طوال الليل ومن بين الحاضرين ــ إضافة إلى ديان ومائير ــ الجنرال دافيد (دادو) أليعازار رئيس الأركان، وإيجال ألون نائب رئيس الوزراء، والعميد يسرائيل (جنجي) لواء مساعد رئيسة الوزراء العسكري، ويسرائيل جليلي الوزير بلا حقيبة ذو النفوذ وأمين سر جولدا مائير لمدة طويلة.

خلال الساعات اللاحقة قررت القيادة الإسرائيلية في مواجهة أكبر أزماتها تنفيذ قرارات حاسمة سوف تجمع قواتها المنهارة من أجل هجوم مضاد كبير. وسوف تجهز ترساناتها النووية وتوجهها في حالة الانهيار الكامل إلى "خيار شمشون". ثم سوف تخبر واشنطن بعملها النووي الذي لم يسبق له مثيل بالإضافة إلى الخطر الذي لم يسبق له مثيل. وبعد ذلك تطالب أمريكا ببدء جسر جوي اضطراري للأسلحة والذخيرة البديلة المطلوبة لمساندة مجهود حربي شامل ومطول.

وافق مجلس الوزراء المصغر على إعداد قاذفات الصواريخ النووية في خربة زكريا الجاهزة فيها للعمل بالإضافة إلى ثمان طائرات ف٤ تحمل علامات خاصة كانت على أهبة الاستعداد لمدة ٢٤ ساعة يومياً في قاعدة تل نوف الجوية بالقرب من رجفوت. وشملت الأهداف القيادتين العسكريتين المصرية والسورية بالقرب من القاهرة ودمشق لم يمكن معرفة عدد الأسلحة التي تم تجهيزها مع العلم بأن ديمونة قد ضمت أكثر من عشرين رأساً حربياً بحلول عام ١٩٧٢م. لقد توفي أكثر الشخصيات أهمية في المجلس المشار إليه ولم يترك أي منهم سجلا لما حدث . "وأما الجنرال اليعازار فقد حذف في يومياته المنشورة باللغة العبرية ليلة الثامن من أكتوبر ولم يسجل إلا العبارة التالية "اجتماع حاسم" لم تكن هناك أية اعتراضات هامة إلا من داخل

المجموعة النووية الذين اتهموا ديان بأنه فقد أعصابه، وأن الموقف ليس سيئاً لدرجة استعمال الترسانة النووية التي كانوا يطلقون عليها أسلحة الهيكل.

وكان أحد الافتراضات الإسرائيلية أن السوفييت الذين سيعلمون بتجهيز هذه الأسلحة النووية، سوف يحثون حلفاءهم في مصر وسوريا على الحد من هجومهم وعدم السعي إلى التقدم إلى أكثر من حدود سنة ١٩٦٧م، وقد وجه السوفييت إنذاراً بالفعل ــ على حد قول محمد حسنين هيكل أن السوفييت أبلغوا قادة مصر الكبار في إحدى المراحل الأولى من الحرب بأن "لدي الإسرائليين ترسانة رؤوس حربية مركبة وجاهزة، وأشار هيكل كذلك إن ديان أصيب بالذعر عندما زار الجبهة وعاد إلى تل أبيب بتقرير مخيف".

إن الهدف الأساسي لهذه الترسانة النووية الإسرائيلية هم جيرانها العرب.

في كتابها "حياتي" الذي نشر في نيويورك سنة ١٩٧٥ م تحدثت جولدا مائير عن حرب ١٩٧٣م في الفصل الرابع عشر من الكتاب قالت مائير. إن الموضوعات والحوادث التي ذكرتها في هذا الكتاب لم يكن شيئا أصعب عليّ إلا عن الكتابة عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ م وحيث أنها حدثت عندما كنت رئيسة الوزراء فإنها لابد أن تذكر في هذا الكتاب عن حياتي. لن أتحدث عنها من الناحية العسكرية فإني أترك هذا للعسكريين وإنما أتحدث عنها وكأنها حلم مزعج، وحادث مؤلم، استمر معي وسيظل دائماً حياً في ذاكرتي.

إنها كحكاية شخصية فإن هناك الكثير الذي يمكن أن يكتب عنها والكثير الذي لا أستطيع الكتابة عنه . ولكنها الحقيقة المؤلمة التي شاهدتها في هذه الحرب والتي كانت خامس الحروب التي خاضتها إسرائيل منذ إنشائها منذ سبعة وعشرين عاما وهناك نقطتان أود أن أذكرهما في الحال:

الأولى: إننا كسبنا حرب ١٩٧٣م، وأن زعماء مصر وسوريا يعرفون في قرارة قلوبهم أنهم هزموا في هذه الحرب بالرغم من مكاسبهم في بداية الحرب.

وأما النقطة الثانية: فإن هذه الحرب التي مات فيها أكثر من ٢٧٠٠ جندي إسرائيلي لن تحدث مرة أخرى. لقد بدأت الحرب يوم ٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٣ م ولكن عندما أفكر فيها الآن تعود ذاكرتي إلى مايو عندما وصلتنا معلومات أن مصر وسوريا تمركزان جيشهما على الحدود. وكان رجال المخابرات لا يعتقدون أن حربا وشيكة الوقوع ومع ذلك فقد قررنا أن نعالج الموضوع بجدية. وفي هذا الوقت ذهبت إلى مركز القيادة العسكرية بنفسي حيث كان هناك موسى ديان ورئيس الأركان دافيد ألازار والذي كان معروفا في البلاد باسم (دادو). أخبرني رئيس الأركان بأن الجيش مستعد للحرب ولذلك فقد اطمأن قلبي أن الجيش على أهبة الاستعداد ، وأنه لا داعي للقلق، واسترحت نفسي.

في سبتمبر بدأت تصلنا أنباء عن تجمعات للجيش السوري في مرتفعات الجولان وفي اليوم الثالث عشر من هذا الشهر وقعت معركة جوية بيننا وبين سوريا، وأسقطت إسرائيل ١٣ طائرة سورية. وبالرغم من ذلك فقد أكدت المخابرات الحربية أن سوريا لن تستطيع أن تقوم بحرب. وبالرغم من استمرار تركيز القوات السورية في منطقة الجولان، إلا أن المخابرات العسكرية أكدت عدم نشوب حرب. وقالوا إن استمرار تركيز القوات السورية في الجولان إنما يتم لخوف سوريا من هجوم عليها. وكنت سأسافر إلى أوروبا في اليوم التالي فسافرت وأنا مطمئنة أنه لن تكون هناك حرب. وفي أول أكتوبر طلبني يسرائيل جليلي وأخبرني أنه عند عودتي سنتحدث عن تركيز القوات السورية في الجولان وقلت له إني عائدة غداً ونستطيع أن نتقابل بعد غد.

وفي يوم الأربعاء تقابلت مع ديان ، ألون، وجليلي، وقائد الطيران، وقائد الأركان وكان رئيس المخابرات العسكرية مريضاً فحل محله رئيس الأبحاث في المخابرات العسكرية، وقد افتتح الاجتماع ديان ثم أتبعه تحليلاً مفصلا عن الحالة في الجبهتين المصرية والسورية. كانت هناك تحركات مريبة ولكن التقييم النهائي كان أنه لن تقوم حرب. ويوم الخميس ذهبت إلى مكتبي في تل أبيب. وكانت عادتي خلال سنين أن أمضي الخميس والجمعة في مكتبي في تل أبيب، ثم أذهب يوم السبت إلى بيتي في

رامات أبيب وأعود إلى القدس إما في ساعة متأخرة من يوم السبت أو في ساعة مبكرة يوم الأحد: ولم يكن هناك سبب أن أغير من عادتي هذا الأسبوع. ولم يكن هذا الأسبوع عاديا إذ أن معظم الإسرائيليين سوف يأخذون يوم الجمعة أجازة ليحتفلوا بعيد الغفران.

وبسبب هذه الحرب عرف العالم أن يوم كبور هو أقدس الأيام بالنسبة لليهود، إنه اليوم الذي يجتمع فيه اليهود حتى غير المتدينين للصلاة أو الدعاء. وفي هذا اليوم يصوم اليهود عن الطعام، ويقضونه في الدعاء والتوبة من الخطايا التي ارتكبت خلال العام المنصرم، ويتجمعون في معابدهم يسألون الغفران من الله. وأما اليهود الذين لا يصومون فإنهم لا يأكلون علنا ويذهبون إلى معابدهم ولو لساعة يستمعون فيها إلى ترانيم الصلاة (كولا ندري) أو يسمعون صوت النفير الذي يختم الصوم.

يوم كبور هو اليوم الوحيد الذي تتوقف فيه الحياة تماما. فليس هناك صحافة ولا إذاعة أو تليفزيون وليس هناك مواصلات عامة. وجميع المدارس والمحلات تغلق أبوابها لمدة ٢٤ ساعة. وليس هناك شيء سوى حالات الضرورة القصوى .. وحتى الجيش الذي يبقي عاملا فإن كثيراً من الجنود يمنحون أجازة ليستطيعوا الاحتفال بهذا اليوم وسط عائلاتهم.

يوم الجمعة وصلتني أنباء أقلقتني أن جميع العائلات الروسية تجمع حاجياتها وتغادر سوريا على غجل. إنها تماثل ما حدث قبل حرب ١٩٦٧ م ولم تسعدني هذه التقارير لماذا هذه السرعة ؟ وما هي الأشياء التي يعلمها هؤلاء الروس ونحن لا نعلمها. هل هم أجبروا على الرحيل؟ ومن كل سبل المعلومات الذي انصبت في مكتبي كان هذا الخبر دخل إلى أعماق تفكيري ولم أستطع أن أتحرر من التفكير فيه. ولكن المحيطين بي لم يهتموا به فإني حاولت أن أستبعد هذا الهاجس.

لقد سألت وزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس المخابرات إذا كانوا يعتقدون أن هذا الخبر مهم فأجابوا جميعا أن سفر الروس لا يغير شيئا من تقديرهم للموقف. وأكدوا أنه سوف نحصل على إنذارات مسبقة إذا كان هناك أي شيء مهم. وعلى كل حال كانت هناك إمدادات واستعدادات على الجبهة على فرض أن يحدث أي هجوم. كل

شيء ضروري قد أخذ في الاعتبار، وعندما غادر رئيس المخابرات مكتبي قابل بالممر لوكادار. وقد أخبرتني أنه ربت على ظهرها وقال لها: "لا تقلقي لن تكون هناك حرب". كان هناك شئ في داخلي ينبئني أن هناك خطراً قادماً. وماذا لو كان مخطئا؟ إننا على الأقل يجب أن نستدعي الاحتياطي وقررت أن أستدعي الوزراء الموجودين في تل أبيب. وكنت رافضة أن أستدعي الوزراء الذين يقضون يوم كبور في القدس. وقد ظهر أن هناك عددا قليلا منهم في تل أبيب وعدداً كبيراً من الوزراء قد سافروا من قبل إلى قراهم وطلبت من سكرتيري العسكري أن يدعو إلى اجتماع يوم الجمعة عند الظهر.

اجتمعنا في مكتبي في تل أبيب وبالإضافة إلى الوزراء كان هناك رئيس المخابرات ورئيس الأركان. استمعنا إلى التقارير مرة أخرى بالإضافة إلى هذا التقرير عن الرحيل العاجل للأسر الروسية الموجودة في سوريا والذي كان بالنسبة لي غير مفهوم ولكن مرة أخرى لم يعط أحد من الحاضرين الاجتماع هذا الخبر أية أهمية . ولكني قررت أن أتحدث عن مخاوفي فقلت لهم "انظروا لقد حدث هذا قبل حرب ١٩٦٧م عندما اتهمنا بأننا نركز القوات على حدود سوريا وهذا ما تقوله الصحف العربية اليوم وأنا أعتقد أن هذا يعني شيئا. وكانت النتيجة بناء على ذلك أننا اتخذنا قرارا في هذا اليوم اقترح بواسطة جليلي أن يستدعي الاحتياطي بناء على قرار وزير الدفاع وموافقتي ثم اقترحنا الاتصال بالأمريكان ليخبروا الروس أن أمريكا لا تريد اضطرابا في هذه المنطقة وانتهى الاجتماع ولكني بقيت في مكتبي وحيدة أفكر.

كيف أفكر في قلق عن نشوب حرب بينما وزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس المخابرات وشابم بارليف الذي كان رئيسا للأركان وهو وزير التجارة والصناعة يؤكدون عدم قيام حرب. إن هؤلاء ليسوا جنودا عاديين إنهم جنرالات لديهم خبرة عسكرية كبيرة والذين حاربوا وقادوا كتائبهم وجنودهم في عدة معارك انتصروا فيها. كل واحد فيهم لديه بطولات عسكرية وبالنسبة للمخابرات الإسرائيلية فهي من أكفأ المخابرات في العالم. وبالإضافة إلى ذلك

فإن المصادر الأجنبية كلها وافقت على ما قرره هؤلاء الخبراء العسكريون. فلماذا إذن هذا القلق؟ لم أستطع الإجابة على هذا السؤال.

إني الآن أعرف ما كان يجب أن أعمله .. كان يجب أن أتغلب على ترددي. أنني أعلم أن استدعاء الاحتياطي بالكامل يكلف أعباء مالية كبيرة. وكنت أعلم أننا منذ شهور قليلة في مايو قمنا باستدعاء الاحتياطي. ولم تحدث حرب. ولكن ربما لم تحدث حرب في مايو لأن إسرائيل كانت مستعدة. في هذا اليوم يوم الجمعة كان يجب أن أنصت إلى هذا الهاجس الذي كان يملأ قلبي وكان يجب أن أستدعي الاحتياطي بالكامل. بالنسبة لي فإني لا أستطيع أن أمحو التردد من ذاكرتي بالرغم من أن قراري قد اتخذ بناء على ما ذكره هؤلاء الخبراء العسكريون . ولكن إني وحدي التي كنت مسئولة عن اتخاذ القرار ترددت ولم أنجح في اتخاذ هذا القرار. ويمكن أن أقول لنفسي أنه بناء على ما اتخذه هؤلاء العسكريون كيف أتخذ وحدي قرارا مخالفا لما اتفقوا عليه جميعا. ومع ذلك فإني سأعيش بهذه الذكرى المؤلمة بقية حياتي . إني لن أكون نفس الشخص الذي كنته قبل حرب ١٩٧٣ م . وقد لبثت جالسة في مكتبي أفكر وأتألم حتى لم أستطع أن أجلس هناك أكثر من ذلك وعدت إلى منزلي ودعا أولادي مناحم وآيا بعض الأصدقاء ليحضروا بعد العشاء. يتناول اليهود العشاء ليلة يوم كيبور حيث أنها ستبقى الأكلة التي لن يأكلوا بعدها إلا بعد مرور أربع وعشرين ساعة. وبالرغم من أنهما كانا يريدان أن أبقى مع الضيوف إلا أني اعتذرت وذهبت إلى النوم ولكني لم أستطع النوم. كانت ليلة حارة ومن خلال النافذة كنت أسمع حديث مناحم وآيا وضيوفهما من خلال النافذة المفتوحة. ورن التليفون بجوار سريري الساعة الرابعة صباحا .. وكان المتكلم سكرتيري العسكري.

لقد وصلتنا معلومات أن السوريين والمصريين سيقومون بهجوم مشترك على إسرائيل بعد الظهر .. ليس هناك شك في ذلك. وقلت ليو لنخبر ديان ودادو وآلون

وجاليلي أن يأتوا إلى مكتبي الساعة السابعة صباحا .. وفي طريقي إلى مكتبي شاهدت رجلا عجوزاً يسير ممسكا بيد حفيده .. وتأسفت أن الجنود الشباب الذين يصلّون في المعابد سندعوهم إلى الذهاب إلى ميادين القتال.

في الساعة الثامنة صباحا انعقد الاجتماع، اختلف ديان ودادو على حجم استدعاء الاحتياطي. ديان يريد فرقتين مدرعتين وإنهما إذا استدعيا اليوم يمكن أن يكونا في ميدان القتال غدا.

وأما رئيس الأركان فهو يريد استدعاء كل فرق قوات الطيران وأربع فرق مدرعة. وقال إننا إذا استدعيناهم اليوم فإنهم سيكونون في ميدان القتال غداً. وقد قال ديان أننا لو دعونا الاحتياط لوصفنا العالم بأننا البادئون بالعدوان. وقد قال ديان هذا رأيي ولكن إذا لم توافقي عليه ووافقت على رأي دادو وأنا لن أستقيل. وهنا قلت يا ربي إني لا أعرف أي من هذين العسكريين على صواب ومن منهما على خطأ؟ وعلى العموم لقد وافقت على رأي دادو . طلب دادو أن نبدأ بضربة مفاجئة من الطيران الإسرائيلي ولكني قلت له إننا لا نستطيع أن نعمل هذا، وطلبت من السفير الأمريكي في إسرائيل أن يحاول أن يبلغ واشنطن بهذه المعلومات ربما يمكن لواشنطن وروسيا أن يوقفا الهجوم السوري المصري علينا.

وعندما اجتمعت بالوزارة عند الظهر، كان هناك وصف كامل للوضع وكانت هناك موافقة على استدعاء فرقتين من الاحتياطي وعرف موقفي من ضربة الإجهاض المقترحة. ولم يعترض أحد على هذا. وأثناء الاجتماع اندفع سكرتيري العسكري بإخبارنا أن القتال بدأ. وبدأت صفارات الإنذار تعوي في تل أبيب وهنا عرفنا أن الحرب قد بدأت . لم تكن هناك قوة كافية للإنذار لم يكن هذا فقط بل إننا هوجمنا في جبهتين في الجنوب من مصر وفي الشمال من سوريا وهؤلاء قد أمضوا عدة سنوات يخططون لهذه المعركة.

لقد كانت مصر وسوريا متفوقين في عدد الدبابات والمدافع والطائرات والجنود وأصبحنا في حالة نفسية سيئة. فقد كان كل الخبراء يؤكدون أن الحرب لن تبدأ وإنها إذا

قامت سيكون لدينا الوقت الكافي للرد. ويقف الجنود الإسرائيليون سواء علـى جبهـة القتال أو في مرتفعات الجولان وحاربوا بشجاعة.

يوم الأحد جاء ديان إلى مكتبي ووقف أمامي في منتصف الحجرة وهو يقـول هل تريدين أن أقدم استقالتي. إني مستعد للاستقالة لو طلبت مني ذلك. إذا لم تثقي فـيّ فإنني لا أستطيع أن أواصل. فقلت له وأنا لست نادمة على ذلك .. عليك أن تبقي وزيراً للدفاع .. وقررنا إرسال الجنرال بارليف لهضبة الجـولان لتقـدير الموقـف. وبـدأنا المفاوضات لنحصل على المساعدات العسكرية من الولايات المتحدة. القرارات يجـب أن تنتهي بسرعة ويجب أن تكون قرارات صحيحة فليس هناك هامش للخطأ. واستطعنا أن ندفع السوريين إلى التقهقر وأما الوضع في سيناء فكان في حالة استقرار حتـى أن الوزارة وافقت على عبور القوات غرب القناة. لقد كنا في حاجة إلى الإمدادات وتحدثت مع دينتز السفير الإسرائيلي في واشنطن عدة مرات وفي آخر مرة قال دينتـز أنـا لا أستطيع أن أكلم أحدا فالساعة الرابعة صباحا وهنا أحب أن أسجل شكري لنكسون الذي لم يخلف وعده في إمداد إسرائيل بما تطلبه من السلاح. لقد كان البنتـاجون لا يريـد إرسال السلاح على الطائرات الأمريكية وهذا أدى إلى بعض التعطيل وصرخت فـي دينتز أطلب كيسنجر وأوقظه من النوم إننا نريد السلاح اليوم، غدا قد يكون متأخراً. ثم طلبته عدة مرات وقلت إني مستعدة للحضور إلى واشنطن لمقابلة نيكسون إذا استطاع أن يرتب لهذا اللقاء. ولكن سفري لم يكن ضروريا، لأن نيكسون قد أمر بإمداد إسرائيل بالسلاح، وأمر باستخدام الطائرات العملاقة سي جلاكسي أن تطير حاملـة للإمـدادات ووصلت أول الطائرات في اليوم التاسع من الحرب في يوم ١٤ من أكتـوبر ارتفعـت روحنا المعنوية بعد وصول الإمدادات وكذلك أعطت الروس إشارة واضحة عن موقف أمريكا وأنها لن تسمح بهزيمة إسرائيل وهي ساهمت في النصر الذي حققته إسرائيل.

وعندما علمت أن الطائرات العملاقة هبطت بمطار اللد إنسابت الـدموع مـن عيني وبكيت لأول مرة منذ أن بدأت الحرب. وكنا في نفس هذا اليوم قد أعلنـا عـن خسائرنا البشرية في الحرب التي وصلت إلى ٦٥٦ قتيلا ماتوا فـي سـاحة الحـرب.

وبالرغم من أن هذه الطائرات حملت لنا الدبابات، والملابس، والذخيرة، والإمدادات الطبية إلا أنها لم تحمل لنا كل ما كنا نطلبه. ولكن الطائرات الفانتوم وسكاي هوك التى كانوا يزودونها بالوقود وهي طائرة في السماء. ولكن الطائرات وصلت إلى مطار اللد طائرات جلاكسي العملاقة بمعدل طائرة كل ربع ساعة. وبعد أن انتهت الحرب وجاء الربيع زار إسرائيل الكولونيل الذي كان مسئولاً عن هذا الامداد الجوي ومعه زوجته. فقد جاءا لزيارتي وأبدى اعجابه بطاقم العمال الذين عرفوا بعد يوم واحد من التدريب كيف يفرغون حمولات هذه الطائرات العملاقة. وإني أتذكر أني ذهبت إلى مطار اللد لمشاهدة هذه الطائرات العملاقة. وهي تهبط على أرض المطار وكأنها طائر أسطوري مخيف من التاريخ القديم وشكرت ربي أنني لم أوافق على قرار الضربة المجهضة. ربما كانت قد أنقذت بعض الأرواح ولكن لم نكن سنتلقى هذا الإمداد الجوي الذي أنقذ إسرائيل.

في نفس الوقت كان دادو ينتقل بين الجبهتين وعاد بارليف من الشمال فأرسلناه إلى الجنوب لأن الجنرالات في هذه الجبهة كان بينهم اختلافات في كيفية إدارة الحرب في سيناء. وسألناه أن يبقي هناك ما بقيت هناك حاجة لبقائه. وفي يوم الأربعاء حدثني تليفونيا من سيناء وذلك بعد معركة دامية بين الدبابات الإسرائيلية والمصرية المعركة التي أوقفت تقدم الدبابات المصرية وقال في التليفون: "جولدا كل شيء على ما يرام لقد عدنا إلى أنفسنا وعادوا هم إلى أنفسهم" . عرفت أن الموقف تغير بالرغم من المعارك الطاحنة التي فقد فيها جنودنا أرواحهم ولذلك فإن هذه الحرب لا يجب أن يطلق عليها حرب ١٩٧٣ م بل يجب أن يطلق عليها حرب الآباء والأبناء الذين كانوا فيها جنبا إلى جنب على الجبهتين.

ولعدة أيام كنت أتألم خوفا من أن تفتح جبهة ثالثة فيها جبهة الأردن ولكن يبدو أن الملك حسين قد تعلم درسا قاسياً في حرب ١٩٦٧ م فلم يشترك في القتال واكتفى بإرسال فرقة مدرعة لمساعدة سوريا. ولكن في هذا الوقت كنا نهاجم مواقع استراتيجية داخل سوريا فلم تكن الدبابات الأردنية ذات قيمة أثناء هذا الوقت في المعارك.

في يوم ١٥ من أكتوبر بدأت القوات الإسرائيلية في عبور القناة لإنشاء نقط ارتكاز على الضفة الغربية. وقد أمضيت هذه الليلة في مكتبي وكنت أحس أن الليل لن ينتهي. وكان الوقت لعبور القوات قد تحدد الساعة السابعة مساء ثم أخبروني أن ساعة عبور القناة قد تغيرت إلى الساعة التاسعة فحددنا اجتماع الوزارة في الساعة الثامنة مساء ولكن العبور تأجل مرة أخرى إلى الساعة العاشرة مساء وتأجل مرة أخرى لأن هناك مشكلة "بالكوبري".

وكان الوزراء قد وصلوا إلى الاجتماع واستمروا معي في مكتبي لمعرفة نتيجة معركة العبور، وكل عشر دقائق يأتي أحد العسكريين ويقول أن العبور في طريقه الآن. ومرت هذه الليلة في نوع من القلق والخوف. وعبرت قوات المشاة ولكن عبور الدبابات والذخيرة قد توقفت نتيجة صمود المصريين وكفائتهم في ميدان القتال ولكن لم أستطع العودة إلى منزلي حتى عرفت أن العبور قد تم. ولكل من السادات والأسد فقد مثلت الحرب مكاسب سياسية فقد أعادت الثقة التي فقدها العرب نتيجة للهزائم المتكررة سنة ١٩٤٨ تاريخ انشاء إسرائيل[1] وحتى تستطيع مصر أن تمحو عار ١٩٦٧.

ويمكن هنا أن نقول أن السادات قد اتخذ أخطر قرار في حياته السياسية باتخاذ قرار الحرب بعد أن فشلت كل محاولاته لحل المشكلة سلمياً . ومن المكاسب المادية للحرب رفع سعر البترول العربي مما أدى إلى زيادة دخل الدول العربية المنتجة للبترول.

في فبراير ١٩٧١ خطب السادات أمام مجلس الشعب وعرض في خطابه مشروعا للسلام طالبا من إسرائيل الإنسحاب من ضفتي القناة وحتى يمكنه أن يعيد فتح القناة للملاحة العالمية وأن يكون هناك وقف دائم للقتال. وكانت اتفاقية وقف القتال ستنتهي في اليوم التالي، هذه الاتفاقية التي اقترحتها الولايات المتحدة ودعت إلى وقف القتال لمدة ٦ أشهر على أن تكون خطوة لاتفاقية سلام نهائية.

---

(1) Bar, 67.

وقبل ذلك في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٧٠ صرح السادات بأنه يمكن عقد اتفاقية سلام مع إسرائيل إذا تخلت عن كل بوصة من الأراضي المحتلة وذلك في حديثه لجريدة New York Times ونشرت الأهرام الحديث ولم تذكر كلمة سلام(١).

وفي سنة ١٩٧١ اتصل (حسن التهامي) وهو صديق شخصي للسادات بدبلوماسي أمريكي وأخبره أن السادات مستعد لفتح القناة للملاحة إذا انسحبت اسرائيل ٢٥ ميلاً وحدث اتفاقية وقف القتال وقد حبز الفكرة اسحق رابين سفير اسرائيل في أمريكا في هذا الوقت ولكن رفضت جولدا مائير رئيسة الوزراء هذا العرض مقررة أنه ليس هناك انسحاب بغير معاهدة سلام نهائية(٢).

وتشابهت مبادرة السادات مع مبادرة موسى ديان الذي عرض فيها ديان الانسحاب ٢٠ ميلاً من القناة على شريطة أن نفتح قناة السويس للملاحة وأن تبني مرة أخرى مدن القنال وقدم هذه المبادرة إلى جولدا مائير في سبتمبر ١٩٧٠ التي رفضتها وقالت أنها لن ترضى بهذه المبادرة إلا إذا أبرمت مصر صلحاً دائماً مع إسرائيل ووافقت مصر على أن تبقي سيناء منزوعة السلاح وأن تمر سفن إسرائيل بالقناة وكذلك بشرم الشيخ. ولم توافق مصر على ذلك.

وفي هذه الأثناء كان ديان يأمل في أن يصل إلى تسوية، وفي ٢٢ مارس تقدم رسمياً بمشروع لمجلس الوزراء الإسرائيل، وفي هذه المرة عرض أن ينسحب جيش الدفاع الإسرائيلي ٢٠ ميلاً غرب الممرات في سيناء في مقابل أن تفتح مصر القناة للملاحة وتعيد بناء مدن القناة على أن يكون هناك اتفاق على وقف النزاع المسلح بين مصر وإسرائيل وليس سلاما كاملا، وعلى أن تبقي الأرض التي تجلو عنها إسرائيل منزوعة السلاح ولكن مجلس الوزراء الإسرائيلي لم يوافق على هذا الاقتراح.

ولما كانت إسرائيل منتصرة عسكرياً ومن ورائها أمريكا أصرت على الإنسحاب ٢٠ ميلا فقط على أن تكون هناك معاهدة سلام. ولم توافق مصر على هذه

---

(1) Yacoubi, Fad (Hebl on the razon Edge Tel Aviv Idonim, 1989.

(2) Ibid my life وتقول جولدا مائير في كتابها .

المطالب وكان السادات يري أن الاتفاق الجزئي مرحلة من مراحل الوصول إلى سلام دائم مبني على الإنسحاب الكامل من كل الأراضي التي احتلت في حرب سنة ١٩٦٧ وكذلك لم يوافق على أن تبقي سيناء منزوعة السلاح.

وكان وزير خارجية أمريكا روجز يري أن السادات كان يريد تحقيق السلام على أن تنسحب اسرائيل من سيناء .. وكانت هذه الآراء مضمون رسالة للقيادة الإسرائيلية في القدس سنة ١٩٧١ ..

ومرة أخرى لم يوافق مجلس الوزراء الإسرائيلي على هذا العرض وعادوا إلى الاتفاق الجزئي ولم يوافقوا حتى على وجود قوة عسكرية رمزية مصرية في سيناء.

وبعد عدة شهور عاد الإسرائيليون فوافقوا على أن تعبر القناة قوة مصرية صغيرة وينسحب الجيش الإسرائيلي ٢٥ ميلا غرب الممرات ولكن مصر لم توافق على هذا العرض. وتأكد المصريون تماما أن إسرائيل تماطل وأنه لابد من حرب لتحرير سيناء فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة كما أعلن جمال عبد الناصر بطل النكسة وبذلك نبذ المصريون فكرة المفاوضات واستعدوا للحرب. وضاعت على إسرائيل فرصة تاريخية للسلام كما قال أحد مساعدي ديان كولونيل ايماي يرون وكذلك جاد باكويمي أحد مساعدي ديان ردد نفس القول ولكن جولدا مائير في كتابها عن حياتها ذكرت أن العرب رفضوا أن يتفاوضوا أو يجلسوا معنا في سنة ١٩٧١ ، ١٩٧٢.

وتحكي لنا جولدا مائير أنه في سنة ١٩٧٢ جاء نائب وزير خارجية رومانيا إلى إسرائيل في زيارة لمقابلة بعض موظفي الخارجية الإسرائيلية ولكنه طلب أن يراني وأن يراني على انفراد، وكان لدينا علاقة وثيقة برومانيا وكانت رومانيا هي الدولة الوحيدة من أوروبا الشرقية التي لم تقطع علاقتها الدبلوماسية بنا بعد حرب ١٩٦٧. وكانت كذلك الدولة الوحيدة في أوروبا الشرقية التي رفضت أن تشترك في حملة الدعاية الشرسة عن العدوان الإسرائيلي. وكانت لدينا كذلك معاهدات تجارية برومانيا وتبادل ثقافي فقد كان هناك زيارات لموسيقيين وممثلي المسرح الإسرائيليين ومعارض فنية كما كان هناك مهاجرون يهود كثيرون من رومانيا. وكنت قد قابلت الرئيس

الروماني شاوسكو في سنة ١٩٧٠ وأعجبت به كثيراً لأنه لم يخضع للضغط الروسي أو العربي واحتفظ بالعلاقات الدبلوماسية معنا وكنت أعلم أن شاوسكو كان يرغب في إقامة سلام في الشرق الأوسط .. ولم أعجب عندما قال لي نائب وزير خارجيته أني حضرت إلى إسرائيل مبعوثا من الرئيس شاوسكو ذلك أنه عندما زار مصر فإنه قابل الرئيس السادات وأن الرئيس شاوسكو لديه رسالة مهمة وأنه يريد أن ينقلها إليك شخصياً إنه كان يريد أن يحضر بنفسه لينقلها لك شخصياً لولا أنه سيذهب إلى الصين في زيارة مسبقة متفق عليها وأنه يدعوك إلى الحضور لبوخارست ويمكن أن تأتين إلى بوخارست بدون زيارة رسمية إذا فضلت نستطيع أن نرسل إليك دعوة رسمية فقلت له أن زيارته الرسمية للصين لا تمنعه من زيارة إسرائيل الذي سترحب به .. ولكني سأحضر إلى بوخارست بأسرع ما يمكن إذا وجهت إلى دعوة رسمية للزيارة .. ولما وجهت إلى الدعوة الرسمية من حكومة رومانيا غادرت إسرائيل لبوخارست حيث قابلت الرئيس شاوسكو .. وقد اجتمعت مع الرئيس شاوسكو مرتين ودام كل اجتماع حوالي سبع ساعات .. والذي أخبرني أنه عندما اجتمع مع السادات أفهمه الرئيس شخصيا أنه على استعداد لمقابلتي لحل مشكلة الشرق الأوسط.

أو يمكن ترتيب اجتماعا على مستوى الوزراء أو السفراء إذا لم يتمكن من مقابلتي وهنا قلت "سيدي الرئيس هذه الأخبار من أجمل الأخبار التي سمعتها" وتحدثنا طويلا ولمدة ساعات عن امكان مقابلة السادات وكان الرئيس شاوسكو سعيدا بترحيبي كما كنت سعيدة أنا أيضاً .. وقد كان سعيداً لأنه كان يوصل رسالة تاريخية ورسالة مخلصة من الزعيم المصري من أجل تحقيق السلام بل أنه تحدث عن التفاصيل، لن تحقق هذا بالسفراء أو الممثلين الدبلوماسيين وإنما سيكون بالاتصال المباشر بين نائب وزير الخارجية وبيني عن طريق سيكادنيز والذي كان يعمل سكرتيراً سياسياً لي وعندما عدت إلى إسرائيل كنت أحلم أن الجمود الذي سيطر على العلاقات بين مصر وإسرائيل سيذوب قريباً ولبثت أنتظر وأنتظر ولم تكن هناك معلومات عن هذا الاجتماع المنتظر وأنا أعلم أنه لابد أن السادات خاف من اتخاذ هذه الخطوة .. وبالنسبة للصحافة

في رومانيا لم تكن هذه الزيارة سوى زيارة ودية من رئيسة وزراء إسرائيل لرومانيا البلد الصديقة. ولم يذكر شئ عن سبب الزيارة.

حاول الرئيس السادات بدون جدوى الوصول إلى حل سلمي ووجد أنه ليس لديه إلا الحرب .. ووقعت مصر معاهدة مع الاتحاد السوفيتي وكان الغرض منها أن يساعد الاتحاد السوفيتي مصر على محو آثار العدوان الإسرائيلي في سنة ١٩٦٧ وفي بداية شهر يونيو أعلن السادات أن مصر ستخوض حربا لاسترداد الأراضي المحتلة ولو كلفها ذلك حياة مليون من الجنود المصريين . وفي يونيو أعلن السادات في خطبة له أن مصر لن تقبل حالة اللاسلم واللاحرب وأن سنة ١٩٧١ هي سنة الحسم، وساوى بين الاعتداء الصهيوني والعدوان الصليبي الذي تم في القرون الوسطى، وأن هذه الموجة من العدوان تنهزم كما هزمت الأمة العربية العدوان الصليبي في القرون الوسطى الذي أقام مملكة صليبية في أراضي فلسطين. وقامت الأمة الإسلامية عندما وهبها الله رجلا كصلاح الدين الذي حرر القدس بعد معارك دامية مع الصليبيين.

وطلبت مصر من الاتحاد السوفيتي إمدادات كبيرة من الأسلحة لرد العدوان الصهيوني ومنها صواريخ سكود أرض أرض .. ولم يكن الروس متحمسين للحرب خوفا من تكرار هزيمة سنة ١٩٦٧ م أو خشية أن هذه الحرب قد تقود إلى صدام مع الولايات المتحدة . ومرت سنة ١٩٧١ م وهي التي أعلن فيها الرئيس السادات أنها سنة الحسم مرت بدون أن تقوم حرب .. وأخذ الناس يسخرون من الرئيس السادات وظل الرئيس السادات يلوم السوفييت لأنهم يتأخرون في امداده بالسلاح الذي يستطيع أن يخوض به الحرب.

وعندما زار نكسون الاتحاد السوفيتي وبدا أن هناك وفاقا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي خشى السادات أن تتجمد قضية الشرق الأوسط استمر الاحتلال الإسرائيلي لسيناء وللأرض الفلسطينية .. وفي يوليو طرد السادات الخبراء السوفييت

.. وقام الاتحاد السوفيتي بتوريد الأسلحة التي طلبتها مصر وأصبح قرار الحرب في يد مصر .. كما أن طرد الخبراء السوفييت جعل السادات يبرهن أن مصر ليست خاضعة للنفوذ السوفيتي ولا تدور في فلكه ولكنها لها إرادة مستقلة.

وفي أغسطس رحل عن مصر خمسة عشر ألف خبير روسي فظن الإسرائيليون أن مصر لن تدخل الحرب لأن طرد هؤلاء الخبراء الروس ستضعف قوة الطيران المصري كما ستضعف قوات الدفاع الجوي وظنوا أن السادات قد عدل عن مواجهة قوى العدوان الإسرائيلي، وإذا كان السادات مصمما على الحرب فكيف يطرد هؤلاء الخبراء ويضعف قدرات طيرانه وقدرات دفاعه الجوي .. هذا التفسير الخاطئ ساعد مصر بعد ذلك في مفاجأة ضربة الطيران الخطيرة .. وعندما خاف الروس أن يفقدوا مكانتهم في الشرق الأوسط بدأوا في امداد مصر بطائرات ميج ٢٣ دسوخوي ٢٠ وصواريخ سام ٦ وصواريخ سكود وصواريخ مضادة للدبابات وكذلك بالدبابات.

وكان الفريق أحمد صادق وزير الحربية معارضاً لخطة السادات لأنه بدون طيران حربي كفء فإن مصر لا تستطيع أن تحارب .. وعندما اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة السادات قال أحمد صادق أن مصر لن تستطيع أن تجازف بالحرب فأقاله السادات .. وبعد يومين عين السادات أحمد إسماعيل وزيراً للدفاع.

وقد حاول جمال عبد الناصر بطل النكسة أن يعد الجيش المصري للقتال لتحرير الأرض المحتلة .. وقد أدى حماس الجنود والضباط لرد هزيمة عام ١٩٦٧ والتدريب الشاق إلى تحسن الأداء العسكري كما أدى كذلك إلى تغيير في طريقة اعطاء الأوامر واعطاء لبعض المسئولية في اتخاذ القرار للقواد في الميدان[١]. وقد تم اتفاق بين سوريا ومصر على أن يخوضا الحرب سويا وذلك بعد زيارة سرية للرئيس الأسد في أبريل سنة ١٩٧٣[٢] وتقابل القواد العسكريون في أغسطس لوضع الخطة النهائية

(1) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.
(2) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.

وفي نهاية الشهر زار السادات سراً سوريا واتفق مع الأسد على أن يكون الهجوم يوم ٦ أكتوبر وهو الموافق ١٠ من رمضان ويوم كبور(١).

وفي ٢٢ سبتمبر أخبروا رؤساء أركان جيوشهم أن الحرب ستكون يوم ٦ أكتوبر لأن القمر سيكون منيراً من الغروب حتى منتصف الليل، ثم بعد ذلك يكون هناك ظلام دامس والذي سيجعل عبور القوات وإنشاء الكباري غير ظاهر . وهناك اعتبار آخر هو منسوب المياه الذي يكون قليلا بين أعلى المد والجزر في القناة مما يسهل سباحة القوارب وبناء الكباري(٢). وأخيراً يوم كبور يكون الجنود في منازلهم لأنه عيد مقدس عند اليهود. وقد أعلن الفريق الجمصي أنه في هذا اليوم يكون الراديو والتليفزيون الإسرائيلي متوقفين عن العمل مما يصعب معه استدعاء الاحتياطي. ولم يتنبه القادة العرب أن جميع المواصلات متوقفة في هذا اليوم مما جعل استدعاء الاحتياطي يتم سريعاً لأن الطرق خالية وكل يهودي في منزله مما يسهل استدعاءه.

وبالرغم من أن السادات قد تكتم عملية الحرب وذلك من باب الخداع حتى تكون المفاجأة كاملة .. ولذلك لم يخبر الأردن بميعاد الحرب وهم يعلمون أن الأردن لن يشترك في الحرب فقد أخذ درساً قاسياً من حرب ١٩٦٧ . كما أن العلاقات بين الأردن وسوريا كانت سيئة وبينها وبين مصر مقطوعة. وفي سبتمبر أعادت مصر وسوريا العلاقات الدبلوماسية مع عمان.

وقد ساعدت السعودية مصر وكذلك ساعدت سوريا بملايين الدولارات. وقد ذهب سعد الدين الشاذلي إلى عدة دول عربية ليسأل عن مساعدات مالية وإمدادات من السلاح وكان يقول لهم إن مصر وسوريا ستخوضان حربا ضد إسرائيل في المستقبل القريب .. ولم يعلن لهم تاريخ الهجوم أو الحرب .. وكان يسأل عن قوات تشترك في القتال وعندما قامت الحرب وصلت هذه القوات متأخرة ولم تشترك في القتال. وقد وصلت فرقتان جزائريتان إلى الجبهة المصرية وكان لمراكش فرقة مدفعية في سوريا

(1) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.
(2) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.

وأرسلت ليبيا فرقة مدرعات ولكنها وصلت الجبهة المصرية بعد انتهاء الحرب .. وكذلك أرسلت العراق سربا من الطائرات وأرسلت السعودية فرقة مدرعة .. وساعد العراق والأردن سوريا في معركة شرق الجولان وقد حاول السادات أن يحسن علاقاته مع الغرب وأن يوطد علاقته مع كيسنجر ويحسن علاقاته مع الولايات المتحدة وأعاد العلاقات الدبلوماسية التي قطعت بعد حرب ١٩٦٧ مع فرنسا وانجلترا وألمانيا الغربية.

وقد بدأ التخطيط لحرب ١٩٧٣ عندما أصبح الشاذلي رئيسا لأركان الجيش المصري في مايو ١٩٧١[١]. والجمصي هو المهندس الرئيسي الذي أصبح رئيسا للعمليات في يناير ١٩٧١ بعد تحليل أسباب هزيمة ١٩٦٧ .. كان نتيجة هذا التحليل عدم وجود قوة طيران تعادل قوة طيران الجيش الإسرائيلي وغياب وجود قوة مدرعات تستطيع أن تقابل قوة المدرعات الإسرائيلية. وقد صرح الشاذلي بأن الطيران الإسرائيلي يتقدم عن الطيران المصري حوالي عشر سنوات[٢]. وقد حاولت مصر أن تسد هذا النقص فسألت بعض المعونات من الدول العربية ومن كوريا الشمالية .. ولكن هذه المعونات لم تغير ميزان القوة وبالرغم من انضمام قوة طيران مصر وسوريا ألا أن طيران إسرائيل كان أكثر تدريبا وأكثر تقدما ومن هنا كان الذين يرسمون خطة الهجوم لابد أن ينظروا إلى طرق أخرى في سد هذا التفوق. الذي ظل هذا في نظرهم سببا رئيسياً في هزيمة ١٩٦٧ وأصبح التركيز من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٣ على الصواريخ المضادة للطائرات وفي حالة مصر كان مدى الصواريخ هو ستة أميال شرق القناة أما في سوريا فكانت الصواريخ تغطي منطقة الجولان.

وأدى التخطيط للحرب إلى زيادة عدد الجيش المصري الذي أصبح ١,٠٥٠٠٠٠ وكان هناك حوالي ١٥٠,٠٠٠ إحتياطي .. وقد بني الشعب المصري بتضحيات كثيرة حائط الصواريخ الذي غطي سماء مصر وجعل الطيران الإسرائيلي عاجزا عن الضرب في العمق. وقد رأى المصريون في العبور حائطا من الرمال على

(1) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.
(2) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.

الضفة الشرقية للقتال بلغ ارتفاعه ستين قدما فلا تستطيع السيارات المصفحة ولا الدبابات أن تعبر هذا الحائط الضخم من الطين والرمال .. وفي خلال سنتين من توليه رئاسة الأركان أضاف الشاذلي كثيراً من المهندسين لدراسة هذه المشكلة وإيجاد الحلول لها[1]. واستطاع سلاح المهندسين أن يجد حلا لهذه المشكلة فقام بشراء ٤٥٠ مدافع مائية "Water Cannon" من ألمانيا وانجلترا ولم تلاحظ ذلك المخابرات الإسرائيلية وقد استطاعت قوة الماء أن توجد ثغرات في هذا الحائط حتى تمكن الدبابات والسيارات المصفحة من المرور وإقامة الكباري للعبور .. وقد ثبت بعد العبور أن تلك المضخات أكثر فعالية من الديناميت أو البلدوزارات.

وبنيت الخطة الرئيسية على تحقيق مفاجأة واستمر الجيش المصري والسوري في دفع كل هذه الأسلحة نحو الجبهة، ولكن المخابرات الإسرائيلية (الموساد) خدعت وظنت أنها مناورات .. ومازالت تسيطر عليها فكرة أن العرب لا يستطيعون بعد هزائمهم المتكررة يجرأوا على خوض حرب أخرى تنتهي بهزيمة أخرى ساحقة .. إن نجاح العرب في شن هجومهم المفاجئ دخل التاريخ كهجوم هتلر المفاجئ على استوريا أو كهجوم اليابان على الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور وتحطيمه، وكان ذلك يرجع إلى اعتقاد إسرائيل بضعف العرب عسكرياً وأن قواتهم العسكرية ناقصة التدريب وأن جيوشهم جيوش انقلابات عسكرية وأن جنرالاتهم يبحثون عن المناصب الكبيرة في الحياة المدنية. وقد شرح نفي ذائيرا مدير الموساد هذا قائلاً "نحن ببساطة لم نكن نعتقد أنه بإمكانهم أن يخوضوا حربا فنحن نحتقرهم .. ضع كل قواتهم العسكرية ومعها صواريخهم فوق تل وأنا سأمحوهم بدباباتين. هذا ما قاله قائد عسكري لمدير الموساد .. وحتى لما وصلتنا معلومات عن مضخات المياه القوية .. كان نفس الانطباع لدينا أنهم لا يستطيعون أن يحاربوا".

وقد اعتقد موسى ديان وزير الدفاع والجنرال العازار أن ٣٠٠ دبابة في القطاع الجنوبي و ١٨٠ دبابة في مرتفعات الجولان قادرة على أن تهزم أي هجوم للجيش

---

(1) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.

المصري أو السوري[1]. وقد أثبتت الحرب بعد ذلك أن هذه القوات لم تكن كافية خصوصاً إذا لم يحسن استعمالها.

وقد اعتقدت المخابرات الإسرائيلية أن هزائم العرب المتكررة خلال عشرات السنين منذ ١٩٤٨ أفقدتهم الثقة في أنفسهم ولذلك فإنهم لا يجرؤون على اشعال نار حرب يعرفون مقدماً أنهم فيها يهزمون. ولم يفكروا أن العرب يمكن أن يخوضوا حربا وقد خاضوا حروبًا قبل ذلك وانتصروا فيها.

وقد ترسخت الفكرة في عقولهم أن المصريين لا يستطيعون عبور القناة ولو أنهم فكروا في اشعال نيران حرب فإنهم سيهزمون وتستطيع القوات الجوية الإسرائيلية القضاء عليهم خلال ساعات خلال عبورهم القناة الذي يستغرق يومين أو ثلاثة.

وقد زادت ثقة إسرائيل في أن مصر لن تخوض حربا لأن تقديرهم للسادات أنه ليس قادرا على خوض حرب وأنه اختير رئيسا للجمهورية بواسطة المحيطين بناصر لأنهم اعتقدوا أنه ضعيف الشخصية وحتى عندما نجح في الإطاحة بمراكز القوي واستطاع أن يسيطر على الحكم .. وكل هذه الدلائل لم تجعل الإسرائيليين يغيرون فكرتهم المسبقة عن السادات.

وقد كانت الصورة التي انطبعت عن السادات أنه لا يريد خوض الحرب وأنه يتفاوض سراً مع الولايات المتحدة لتضغط على إسرائيل للجلاء عن الأراضي التي احتلتها في ١٩٦٧ .. وقد قال كيسنجر عن السادات "من هو السادات .. أننا نعتقد أنه مغفل أو بهلوان"[2] وقد ساعد السادات بخطبه على تأكيد هذه الصورة فقد أخذ يقول أن سنة ١٩٧١ سنة الحسم ويعيد ويكرر هذا ومرت سنة ١٩٧١ ولم يحارب. وفي مايو سنة ١٩٧٢ أعلن السادات أنه على استعداد للتضحية بمليون شخص في هذه المعركة. وأعلن كذلك في نوفمبر سنة ١٩٧٢ أنه لابد أن يخوض حربا في خلال ستة شهور .. هذه الوعود التي تكررت ولم تتحقق جعلت القيادة الإسرائيلية لا تأخذ هذه التصريحات

---

(1) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.
(2) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.

على محمل الجد. وكذلك المصريون كان قد دب اليأس في قلوبهم مما جعل بعض الكتاب وعلى رأسهم توفيق الحكيم يكتبون رسالة إلى السادات يتحدثون فيها عن حالة اللاسلم واللاحرب وهي التي أثارت غضب السادات.

وكانت دعوة السادات بأنه سيذهب للحرب في سنة ١٩٧١ التي سماها سنة الحسم ولم يعلن الحرب في هذه السنة. ومرت سنة ١٩٧٢ ومازال السادات يردد أنه سيخوض الحرب تكررت الوعود ولم تعلن الحرب مما أدى حتى إلى سخرية المصريين ويأسهم ..

وطرد الخبراء السوفييت دليل على أن مصر بهذا العمل قد أضعفت قوتها العسكرية وأخذ على أنه دليل على أن مصر لن تحارب ..

وقد نجحت مصر وسوريا في التمويه والخداع بعدة حركات عسكرية وسياسية حتى أكتوبر سنة ١٩٧٣ كانت مصر تجري حواراً مع أمريكا ومع الأمم المتحدة على مشاريع سلام تتقدم بها[١].

وفي نهاية سبتمبر وافق وزراء الخارجية العرب على مقابلة وزير خارجية إسرائيل سراً في الأمم المتحدة لمفاوضات سلام.

واستخدمت مصر وسوريا الأعلام والصحافة في استبعاد فكرة الحرب إذ كانت تنشر أخباراً تدل على أنهما لن تحاربا كنشر خبر أن وزير الدفاع المصري سيقابل وزير الدفاع الروماني في ٨ أكتوبر. وأعلن راديو دمشق أنه في ٤ أكتوبر سيقوم الرئيس الأسد بزيارة المناطق الشرقية من سوريا في يوم ١٠ أكتوبر . وكذلك نشرت جريدة الأهرام أن السادات سيقوم بتهنئة الجالية اليهودية بالعيد، وأنه ذاهب إلى الأمم المتحدة في أواخر شهر أكتوبر.

وفي خلال الأيام الأخيرة من سبتمبر نشرت الجرائد المصرية عن الخلاف بين الرئيس الأسد والرئيس السادات.

وقد شارك السادات شخصيا في حملة الخداع والتضليل ففي أربع خطب ركز

---

(1) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.

السادات على الإصلاحات الداخلية، وعلى ضرورة حل الصراع العربي الإسرائيلي، وقد أخذت المخابرات الإسرائيلية ذلك على أن السادات قد قبل حالة اللاسلم واللاحرب وقبل بالأمر الواقع الموجود على الضفة الشرقية للقناة . وفي يوم ٢٨ سبتمبر في ذكرى وفاة جمال عبد الناصر بطل النكسة لم يذكر السادات أي شئ عن الصراع العربي الإسرائيلي وذلك على غير عادته في كل خطبة الذي كان يهاجم فيها اسرائيل ولم يلاحظ المحللون الإسرائيليون هذا ولم يأخذوه على أنه إشارة إلى اشعال حرب.

وأخيراً إن ما حدث في أوستريا من خطف قطار يحمل عدداً من اليهود بين حدود تشيكسلوفاكيا والنمسا وطلبوا أن يغلقوا مركزاً لنقل اليهود الروس لإسرائيل الموجود في خارج فيينا .. وقد رضخت النمسا وأغلقت هذا المركز .. وغضبت إسرائيل من الرضوخ لمطالب مختطفي القطار وفي أول أكتوبر طارت جولدا مائير من ستراسبورج حين كانت تشترك في اجتماع المجلس الأوروبي ولكنها لم تنجح في جعل الحكومة النمساوية تغير قرارها[1].

وخوفاً من أن يتسرب نبأ القتال وأن القليلين هم الذين كانوا يعلمون أن مصر وسوريا ستشن حرباً ولم يعلم الجنود بخبر الحرب إلا قبل دقائق قليلة من بدء المعركة وقد قال أحد العسكرَيين المصريين وكان بمرتبة عقيد أنه لم يعلم بأن الحرب تبدأ إلا يوم ٦ أكتوبر الساعة الواحدة والنصف عندما استدعى لمقابلة قائد المعركة .. وعندما دخل عليه وكان راكعاً يصلي قال لهم إن الحرب ستبدأ بعد قليل . وبعد ذلك سمعوا أزيز الطائرات في طريقها لقذف خط بارليف".

وكانت مصر تجري مناورات منذ سنة ١٩٦٨ بجوار القناة وتستدعي الاحتياطي وعندما تركت القوات واقتربت من القناة ظنت إسرائيل أنها مناورة من ضمن المناورات ولتزيد مصر من خداع إسرائيل سحبت بعض الفرق العسكرية والمعدات من القناة وشاهد الإسرائيليون الجنود المصريين بدون خودات يأكلون برتقالا أو يمصون عيدان القصب وبعضهم كان يسبح في القناة.

---

(1) Bar, Samuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv.

وقد وضع الجيشان المصري والسوري في حالة تأهب وأعلن أن مصر وسوريا تخشيان من هجوم إسرائيلي عليهما وفي خلال الأسبوعين السابقين للهجوم كان رئيسا أركان حرب الجيش المصري والسوري يقومان بعملهما المعتاد ولم يعرف بتوقيت الحرب إلا قلة من الزعماء السياسيين وقواد الجيش. ولم يخطر السادات الروس عن الحرب إلا يوم ٤ أكتوبر.

وفي ٥ أكتوبر أصدر السادات أمراً إلى القائد أحمد إسماعيل حدد أهداف الحرب بأن تنهي عملية اللاسلم واللاحرب وأن توقع أكبر خسائر بالجيش الإسرائيلي وتحرير الأرض المحتلة على مراحل.

وهكذا بدأت حرب ١٩٧٣ عندما بدأت طلقات المدافع تدك مقر يكتب وهو إحدى حصون خط بارليف مدفون في الرمال، وبدأت كذلك الصواريخ تدك حائط الحصن وتنطلق من الفرقة ١٨، والطلقات تحول الرمال حول الحصن إلى شبه إير زجاجية، وفي داخل الحصن كان هناك ٣٠ جندياً إسرائيلياً .. فغروا أفواهم دهشة وهم لا يصدقون أعينهم أن الجيش المصري يهاجمهم وإنهالت أجزاء من سقف الحصن فوق رؤوسهم وفي خلال ساعات قتل منهم من قتل ووقع الآخرون أسرى.

وفي نفس الوقت انطلقت الطائرات السورية ميج ٢١ (وهي تطير بحماية) ميج ٢٧ وسوخري ٧ ب وهي تلقي قنابلها فوق الحاميات الإسرائيلية في أرض الجولان وكادت أن تدمر مركز الجنرال رافيل إيتان .. وصرخ الموجودون أين الطيران الإسرائيلي.

الفصـــــل الثاني

دلائل الحرب

لقد عرف موسى ديان ماذا أصاب كبرياء العرب في حرب سنة ١٩٦٧ . وكان يعلم أنه لابد إن آجلاً أو عاجلاً سيخوضون حربا لرد كرامتهم واستعادة أراضيهم التي استولت إسرائيل عليها في هذه الحرب وقد حاول السادات بشتى الطرق أن يصل إلـى اتفاق، وواصل الاتصالات بأمريكا ، ولكنه لم ينجح.

وبدأ اليأس يدب في قلبه. وأصبح الاعتقاد بأن اللغة الوحيـدة التـي تفهمهـا إسرائيل هي لغة القوة. وأصبحت الكلمة التي قالها زعيم النكسة: "أن ما أخذ بـالقوة لا يسترد إلا بالقوة". ولابد للعرب بكبريائهم الجريحة أن يخوضوا حرباً. ولابد من تحقيق نصر ومنذ سنة ١٩٦٧ ومصر تبني جيشاً وصل تعداده إلى مليون جندي. وفي اجتماع الوزارة الإسرائيلية قال موسى ديان لمجلس الوزراء الإسرائيلي فـي ديـسمبر سـنة ١٩٧٢ وفي مايو سنة ١٩٧٣ إن العرب سوف يخوضون حرباً كما ذكر ذلك لـرئيس الأركان أن المصريين لا يستطيعون بالقوة العسكرية تحرير سيناء. ولكن حربا علـى الضفة الشرقية للقتال قد توجد ضغطاً دولياً يؤدي إلى انسحاب إسـرائيل مـن الأرض المحتلة[1]. ولكن فشل العرب في خوض حرب في مايو سنة ١٩٧٢ ، وفي أغـسطس سنة ١٩٧٣ جعل ديان يعتقد أن العرب لن يخوضوا حربا خوفا من الهزيمة وقال ربما ذائيرا على صواب وأن الحرب بالنسبة للعرب أصبحت مستحيلة".

وفي أبريل سنة ١٩٧٢ عندما وافق ذائيرا رئيس الموساد على رأي ديان بـأن الحرب ممكنة. اختلف زائيرا مع هذا الرأي ووعد الجيش الإسرائيلي بأنه سينذره قبـل

---

(1) Bar, Shamuel, The Yum Kupper War in the Arab Eyes, Tel Aviv: Marachat, 1986.

الحرب بأربعة أيام وعلى أقصى تقدير قبلها بـ ٤٨ ساعة. إذا شن العرب الحرب وأخبرهم أن هناك جواسيس في الدول العربية يتولون مراكز حساسة . وبالرغم من هذه الثقة الزائدة عن الحد وبالرغم من الدلائل الكثيرة التي تدل على أن مصر وسوريا ستخوضان حربا.. فمثلاً غادرت السفن السوفيتية ميناء مرسى مطروح يومي ٤ و ٥ أكتوبر في اتجاه البحر الأبيض المتوسط. وست طائرات روسية ضخمة هبطت بمصر وبدأت في نقل العائلات الروسية، والصور التي صورتها طائرات التجسس الإسرائيلي شاهدت تجمعا كبيرا للأسلحة والمعدات على طول القناة وزيادة كبيرة في قوارب العبور وكذلك في المعدات التي تبنى الكباري وعدداً كبيراً من الدبابات تجمعت على ضفاف القناة. وفي فجر ٦ أكتوبر أعدت صواريخ سكود للإطلاق[1].

وقد تجاهلت إسرائيل تحذيرا من الملك حسين بأن مصر وسوريا ستحاربان. ففي يوم ٢٥ سبتمبر طلب الملك حسين من قوات الطيران الإسرائيلي إرسال طائرة هليوكوبتر لنقله إلى تل أبيب لمقابلة جولدا مائير والذي قابلها ست مرات سراً منذ أن تولت رئاسة الوزراء في سنة ١٩٦٩. وعند لقائه بها أخبرها أن الجيش السوري على أهبة الاستعداد للحرب .. وسألته جولدا مائير ما إذا كانت سوريا ستقوم بالحرب بدون مصر ، ولكن الملك حسين قال: "إنه لا يعتقد ذلك". ولكنه أشار بأن مصر كذلك تستعد للحرب. وربما فهمت جولدا أن سوريا وحدها على أهبة الاستعداد ولكن حيث أن مصر لن تخوض حربا ، فاستبعدت جولدا حدوث حرب. ولم تسأله إذا كنت تتوقع حربا فمتى ستقوم هذه الحرب[2]. ولم يكن الملك حسين متوقعا أن تقوم حرب ولم يكن متأكدا من أن الحرب ستقوم في يوم ٦ أكتوبر. وذلك لأنه اتفق مع جولدا مائير أن يقابل ولي العهد الأمير حسن في ذلك الوقت وزير الزراعة حاييم حافاني يوم ٧ أكتوبر لدراسة الثروات المعدنية بالبحر الميت. وطلبت مائير ديان بالتليفون وأخبرته بالوقائع التي حدثها عنها الملك حسين. وبدوره نقل ديان هذه المعلومات إلى المخابرات الإسرائيلية

---

(1) Black, Ian and Benney Morris, Israel's Secret Wars: A History of Israel's Intelligence Services, New York: Gove Winfield, 1991

(2) Ibid.

الذي طلب رئيسة الوزراء وقال لها: "لا تقلقي".

وعندما علمت المخابرات بتحذير الملك حسين أخذت هذا التحذير بجدية. كما أخذ رئيس قسم سوريا في المخابرات الإسرائيلية وكذلك رئيس قسم مصر هذا التحذير بجدية وبعد أن قاما بدراسة قررا أن سوريا ومصر ستخوضان حربا. ولكن زائيرا لم يهتم بتحليل الضابطين ولا بتحذير الملك حسين ووصف الضابطين أنهما أخذا الأمور بحيطة شديدة لا لزوم لها.

وبذلك قررت جولدا مائير السفر في اليوم التالي إلى ستراسبورج. ولم يأخذ الجنرال عازار تحذير الملك حسين بجدية. وفي اجتماع لكبار ضباط القيادة في سبتمبر ٢٦ في اليوم الذي تقابلت فيه مائير والملك حسين قال العازار أنه لا يعتقد أن سوريا تجرؤ على مهاجمة إسرائيل أو اعلان الحرب عليها[1]. وقيل يوم بدء القتال كان لدي المخابرات الإسرائيلية كل المعلومات ولكن لسوء التقدير ولاعتقادها مسبقا أن العرب ليس لديهم الجرأة على خوض حرب وساعد على هذا الاعتقاد ضروب الخداع الذي زاولها العرب.

وقد بدأ زائيرا يغير رأيه في أكتوبر ٤ ... وفي خلال الساعات المبكرة من يوم ٦ أكتوبر اعتقد هو أن الحرب ستشتعل في هذا اليوم .. أربعة تطورات خطيرة جعلته يغير رأيه ورحيل جميع الروس من دمشق والقاهرة والصور التي أخذت للأسطول الروسي وهو يبتعد عن شواطئ مصر وصول رسالتين من أحد الجواسيس الإسرائيليين الموجودين في مصر أن الحرب وشيكة الاشتعال.

في ٤ أكتوبر أبلغ الجاسوس الإسرائيلي رئيسه الموجود في أوروبا أن الحرب ستقوم بكل تأكيد. وأبلغ هذا الرئيس الموساد الذي أبلغت زامير والذي بدوره أبلغ زائيرا .. وقد شهد زائيرا بأنه لم يفهم من زامير أن الحرب وشيكة الوقوع .. ولما وجد زامير أن زائيرا لم يأخذ ابلاغه رسالة الجاسوس بجدية، اضطر كذلك إلى إبلاغ موسى ديان. ولكن ديان كذلك لم يأخذ الرسالة بجدية.

---

(1) Schiff "A Foreign Ruler Warned.

وفي يوم ٥ أكتوبر حوالي منتصف الليل قابل زامير الجاسوس في إحدى بلاد أوروبا وعلم منه أن الحرب ستقوم الساعة الرابعة أو الساعة السادسة .. وتحدث زامير مع زائيرا تليفونياً وأعلمه أن الحرب مؤكدة وكذلك أخطر ديان ومائير بمعلومات الجاسوس أن الحرب مؤكدة. وللأسف أن هذا الجاسوس المصري كان صهرا لأحد رؤساء الجمهورية وتولى مناصب خطيرة في عهد السادات.

وصلت الرسالة قبل ساعات من الهجوم المصري على القناة، والهجوم السوري على الجولان. وحدث ارتباك للجيش الإسرائيلي عندما انطلقت قذائف المواقع تدوي في سماء المعركة، وأزيز ٢٠٠ طائرة مصرية تدك خط بارليف. ولم تستطع القوات الإسرائيلية أن تصد القوات المصرية الباسلة عن العبور وقد اهتزت السماء بهتاف الجنود "الله أكبر" "الله أكبر" واكتشف الإسرائيليون أن الجاسوس المصري أعطاهم ساعة الهجوم خطأ .. وأن هذا المصري كان يخدعهم وأنه لم يكن عميلاً لإسرائيل وإنما كان يتحرك بعلم المخابرات المصرية. وبعد ذلك كتبوا اسم هذا الجاسوس بصراحة وتأكدوا أنه لم يكن يضللهم وقال أن إسرائيل دفعت له حوالي ٢٠ مليون جنيه استرليني.

وعندما تأكدت الأنباء بأن الحرب ستقوم الساعة السادسة أو الرابعة .. ماذا صنعت إسرائيل في صباح هذا اليوم دعت جنود الاحتياط وهي التي تمثل أغلبية الجيش الإسرائيلي ودعت كذلك قوة الطيران . وفي الفجر اجتمع ديان والعازار الذي طالب بدعوة جميع الاحتياطي ومعنى ذلك أن تستدعي إسرائيل ٢٠٠,٠٠٠ من جنود الاحتياط وذلك يأخذ من ٤٨ إلى ٧٢ ساعة .. ولكن ديان وافق على استدعاء فرقتين حوالي ٥٠,٠٠٠ جندي وكان سبب ذلك أن العرب يمكن أن يهاجموا إسرائيل مدعين أنهم بدأوا الحرب للدفاع عن أنفسهم ضد الهجوم الإسرائيلي وأراد العازار أن يقوم الطيران الإسرائيلي بهجوم على الصواريخ وعلى مطارات سوريا وكان يعتقد أن العرب سيتحركون الساعة السادسة مساء ولكن ديان لم يوافق. والاختيارات وضعت أمام رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا ماير التي أخذت برأي ديان .. وذلك لأن معاونة

أمريكا كانت ضرورية ولا تريد إسرائيل أن تظهر أمام أمريكا أنها البادئة بالعدوان . فإذا ظهر أن إسرائيل هي البادئة بالعدوان ستضع أمريكا في وضع حرج مع الاتحاد السوفييتي خصوصا بعد انتهاء الحرب الباردة.

الحرب على الجبهة السورية

كان السوريون والإسرائيليون يقفان في مواجهة بعضهم خلال الخط البنفسجي Purple line كما أطلقت عليه إسرائيل وهو خط وقف النار بعد حرب ١٩٦٧.

كانت القوة السورية تتكون من ثلاث فرق مدفعية و ٩٣٠ دبابة وحوالي ٩٣٠ مدفع وحوالي ثلاثين بطارية سام ٦ وكان هناك فرقتان و ٤٦٢ دبابة خلف الفرق الأمامية .. وتجمع الإسرائيليون خلف جبل هارمون وكانت قوة المدفعية الإسرائيلية تساندها فرقة من الكوماندوز الإسرائيلي بقيادة روفائيل ايتان ومعه ١٧٧ دبابة، والجزء الشمالي من الخط من القنيطرة إلى جبل هارمون كانت هناك قوة مدفعية، وحيث أن الإسرائيليين توقعوا الهجوم السوري في هذا القطاع، فقد وضعوا حوالي ١٣٤ دبابة على الهضبة المرتفعة .. والجزء الجنوبي من الجولان من القنيطرة إلى نهر اليرموك وحدود شرق الأردن وضع الجيش الإسرائيلي ٤٠ دبابة وفرقة من المظلات موزعين على التحصينات البالغ عددها ١٢ وهدف الخطة السورية هو تحطيم الجيش الإسرائيلي والاستيلاء على هضبة الجولان والوصول إلى نهر الأردن. وذلك حسب الخطة السورية يأخذ من ١٨ إلى ٢٤ ساعة

بدأ الهجوم السوري قبل الساعة الثانية بدقائق حيث ركزت مئات الطائرات قذف قنابلها فوق الجيش الإسرائيلي ونحو مركزه الرئيسي وانطلقت مئات المدافع نحو تحصينات الجيش الإسرائيلي. وبعد أربعة أيام اشتعلت أكبر معركة بالدبابات منذ الحرب العالمية الثانية .. واستطاعت فرقة من الكوماندوز الاستيلاء على مركز اليكتروني للتجسس فوق جبل هارمون ورفعت عليه العلم السوري الذي رفرف على

الموقع لمدة ستة عشر يوماً.

وبعد ذلك وصلت خطة الهجوم السوري التي كانت معروفة للمخابرات الإسرائيلية والخطة المعدلة وصلت إلى مركز الجيش الإسرائيلي من واشنطن وذلك عن طريق مصدر عربي في سبتمبر ٢٩[1] ولكن حتى هذه اللحظة ولأن الاحتياطي لم يتجمع بعد لم تستطع اسرائيل الاستفادة من هذه المعلومات وهضبة الجولان في أقصى اتساعها تغطي ١٧ ميلا فقد كان التراجع حتى يتم تجميع الاحتياطي كاملا أو اتخاذ مواقع ملائمة للهجوم المضاد .. وبعكس سيناء فإن ضيق مساحة الجولان لم يكن هناك مجال للتراجع وكان على الجيش الإسرائيلي أن يحارب حيث كان يقف وفي القطاع الشمالي فرقتان مدرعتان سوريتان تعاونها مئات الدبابات اندفعت داخل الخطوط الإسرائيلية واصطدمت بالفرقة السابعة التي كانت في مواقف دفاعية ولكنها قاومت مقاومة عنيفة .. والشمس كانت وراء رجال المدفعية وكانت الشمس في عيون الجنود السوريين .. واستمرت المعركة الطاحنة ليلا ونهارا حتى يوم ٩ أكتوبر .. وهي قريبة من شمال القنيطرة وكان ما يفصل القوات المتقاتلة عدة ياردات .. وانتهت المعركة نتيجة تفوق المدفعية الإسرائيلية ووجودهم على مرتفعات الجولان وهم صامدون في الوادي السحيق الذي أطلق عليه "وادي الدموع" لكثرة الضحايا والشهداء .. وحارب السوريون بشجاعة فائقة وصمدت الفرقة السابعة بقيادة كولونيل ايمجدون بن جاد وقد أثبتت هذه المعارك أن الأفراد[2] الذين يمدون الدبابات لهم دور حاسم في المعارك . وكان الإسرائيليون يعرفون أنهم يحتاجون إلى ثلاثة أو أربعة أيام من الصمود حتى تصلهم الإمدادات من جنود الاحتياط.

وعندما وصلت قوة الدبابات وأصبح لديهم دبابة إسرائيلية لكل دبابة سورية ، ولم يلعب الطيران الإسرائيلي دوراً وذلك لفاعلية صواريخ سام ٦ التي أسقطت كثيرا

---

(1) Roszanki, Rachel, "The Metzah" Position in the Yunn Kippur War" Marachat 258 – 59 (1977).

(2) Milisten, Uri. (Heb.) the lessons of collapse: from Sadat to Arafat. Seridut / Yediat Aharonot, 1993

من طائرات سكاي هوك.

في الساعة ١١,٣٠ من أكتوبر ٧ وتحت وطأة أسوأ ظروف حاولت قوة الطيران الإسرائيلي أن تقوم بعملية تحطيم الصواريخ السورية ومحطات الرادار وإطلاق الصواريخ وشاركت حوالي ٢٠ طائرة فانتوم في الهجوم.

وانطلقت هذه الطائرات ولكن معظمها لم يصل إلى الأهداف المحددة لها وانطلقت المدفعية المضادة للطائرات وانطلقت كذلك بطاريات سام ٦ ولم تقم الطائرات الإسرائيلية إلا بتحطيم محطة رادار واحدة وكلفها ذلك ست طائرات فانتوم(١) وفشلت العملية في رد الهجوم السوري وفي يوم ٩ أكتوبر أدخل السوريون حوالي ٢٠٠ دبابة واستطاعوا أن يخترقوا صفوف الجيش الإسرائيلي ويستولوا على بعض الأراضي المرتفعة .. وعند نهاية المعركة أصبحت معظم الدبابات الإسرائيلية بدون وقود وعانى الجنود من التعب والإنهاك لأنهم حاربوا ثلاثة أيام بدون توقف .. وأعطى الجنرال موسى ديان أوامره بعدم الانسحاب ولو متراً واحدا وأن يصمدوا دون التفريط في أي أرض وخاصة على السوريين أن يقابلوا جيشا يحارب كل جندي فيه حتى آخر رصاصة وأن يحاربوا حتى تبقى الجولان معهم. ولكن موقف الاسرائيليين كان أقرب إلى اليأس وكان الجنود الإسرائيليون يعرفون أنهم يقفون بين سوريا وإسرائيل.

وفي صباح يوم ٩ أكتوبر اجتمع قواد الجيش الإسرائيلي وهم يرون أن الهزيمة تحل بجيش إسرائيل وناقشوا استعمال الأسلحة الذرية ضد الجيش السوري. ولم يعرف على وجه التحديد هل ديان أم جولدا هي التي أمرت الجيش الإسرائيلي بوضع قنابل ذرية في رؤوس الصواريخ .. وكذلك بصمة الأسلحة الذرية وضعت على طائرات F45 في قاعدة "تل فوف" الجوية .. وطبعا أن اليهود لن يتورعوا عن استخدام السلاح الذري لما طبعوا عليه من نقض الوعود وخيانة الأمانة .. وفشل الهجوم الإسرائيلي المضاد للقوات المصرية في سيناء أصاب القيادات الإسرائيلية بالذهول من قوة الهجوم المصري وبسالة المصريين في التصدي للهجوم المضاد. وجدد السوريون هجومهم ضد

---

(1) Bar Yonay, 338 – 34 Cahew & Funi 474 – 476.

التحصينات الإسرائيلية واقتربوا من مدينة القنيطرة .. وظن الإسرائيليون أن خطوط المقاومة السورية سوف تنهار .. وعندما رصدت الطائرات الروسية أن إسرائيل حركت سلاحها الذري نصحت السوريين بألا يتجاوزوا الأرض التي احتلتها إسرائيل سنة ١٩٦٧ ونصحت الولايات المتحدة اسرائيل بعدم استعمال السلاح الذري وإلا أدى ذلك إلى مواجهة بين القوى العظمى في ذلك الوقت ومدتها بما يعوضها من السلاح فورا إذ حولت إليها السلاح من قوة حلف الأطلنطي مباشرة إلى أرض المعركة.

وقد قال المؤرخ الإسرائيلي مارتن فان كيرفيلين أن تراجع الجيش السوري المنتصر يوم ٩ أكتوبر كان خوفا من أن تستخدم إسرائيل سلاحها الذري .. وفي هذه المعركة تشابكت الدبابات السورية مع الدبابات الإسرائيلية في الوادي الذي سماه الإسرائيليون "وادي الدموع" وقد صرح الكولونيل بن جاد فيما بعد "لقد جهزت أمرا عسكريا لقواتي أن تستعد للانسحاب ولكن قلت لنفسي لنصمد قليلا .. وكنت أعتقد أننا خسرنا المعركة .. ولو استمر السوريون في الهجوم ساعة أخرى أو ساعتين لاستسلمنا ولانتصر السوريون علينا. ولكن تقهقر السوريون بعد أن ظنوا أن إمدادات جديدة وصلت إلى الجيش الإسرائيلي أو تراجعوا بعد تحذير روسيا لهم أن إسرائيل تستعد لهجوم ذري .. وصرح بن جاد بعد ذلك "أنت لا تعرف حالة الجانب الآخر .. وقد تظن أنه أكثر قوة .. وقد ظن السوريون أن ليس لديهم فرصة للنجاح ولم يكن يعلمون أننا في حالة يأس تام".

وخلال الأربعة أيام من القتال شمال القنيطرة خسر السوريون حوالي ٢٠٠ دبابة وتحطمت معظم الدبابات الإسرائيلية في صد الهجوم.

وأما في جنوب الجولان فقد اندفعت الدبابات الخضراء السورية واشتبكت مع الدبابات البنية الإسرائيلية ودفعت سوريا بأربعة فرق استطاعت أن تخترق خطوط الدفاع الإسرائيلية. ووصلت فرقة إلى قرب نافكا .. المركز العسكري الرئيسي .. ثم وصلت فرقة أخرى إلى قرب وادي الأزرق ودارت معارك طاحنة حول NAFAKH وفي النهاية استطاعت القوة الإسرائيلية الصمود للهجوم السوري .. وكان القتال طوليا

غير منتظم وجاءت امدادات جديدة من الدبابات الإسرائيلية وتقاتلت مع الدبابات السورية في أي مكان تجدها فيها ومعظم القتال كان دائرا حول نافكا حيث استطاعت الدبابات الإسرائيلية صد الهجوم الأخير للدبابات السورية .. وبدأت امدادات جديدة في الوصول للمعاونة في المعركة ولكن قائد الفرقة ومساعده قد قتل وكذلك قائد العمليات الإسرائيلية توفي متأثراً بجراحه .. وتقهقر ايتان .. وترك نافكا ونقل مركز قيادته ميلا نحو الشمال .. ولم يبق سوى بعض رجال المدفعية ويقودها ملازم ومسلحة بمدافع البازوكا وبعض الأسلحة الخفيفة وذلك للدفاع عن نافكا .. وظلت هذه القوات هي التي تقف بين السوريين والطريق الرئيسي نحو النهر ووصلت امدادات جديدة من الدبابات وتراجع السوريون.

وشاهد عصر هذا اليوم تغيراً خطيراً في المعركة .. حيث وجد السوريون مقاومة عنيفة من الإمدادات الجديدة من الطائرات الإسرائيلية وفي هجوم جوي عنيف.. وبدأ كذلك وصول عدد آخر من الدبابات وبذلك استطاع الجيش الإسرائيلي وقف الهجوم السوري.

في يوم ٧ ، ٨ أكتوبر أعاد الجيش الإسرائيلي تنظيم قواته وهاجم بثلاث فرق وبطلعات انتحارية للقوات الجوية الإسرائيلية . وفي أكتوبر ٨ هاجم الجيش الإسرائيلي في جنوب الجولان وحقق هذا الهجوم نجاحا سريعاً .. وفي اليوم التالي أحاطت قوات الجيش الإسرائيلي قوات الهجوم السوري واستطاعت حصاره فيما يسمي جيب HHSHNRYE .

وفي صباح يوم ١٠ أكتوبر تحطمت المقاومة السورية بموجات هجوم متتابعة من الطيران الإسرائيلي وبقذائف مكثفة من المدافع الإسرائيلية .. وتراجعت بقايا القوات السورية فيما عرف بالخط البنفسجي تاركة مئات من الدبابات والسيارات المصفحة وأصبحت HUSHNIYE مثل وادي الدموع مقبرة لمئات الدبابات والسيارات المصفحة .. وباستثناء جبل هارمون أصبح الجيشان في مواقعهما الأصلية عند بدء القتال وقد تكبد الجيشان خسائر فادحة. وبالإضافة إلى القتال في منطقة

HUSHNIYE بدأت إسرائيل في غارات جوية مكثفة على سوريا . وذلك لإجبار السوريين على وقف الهجوم والسؤال عن هدفه لذا كثف العازار هذه الغارات .. وحطمت هذه الغارات المطارات العسكرية السورية وقد بدأت هذه الغارات يوم ٨ أكتوبر وفي يوم ١٤ أكتوبر كانت هذه المطارات غير صالحة للعمل .. وقد ردت سوريا ذلك باطلاق صواريخ على قاعدة رامات دافيد الجوية واستمرت هذه الصواريخ تنهال على القاعدة الجوية لمدة ثلاث ليالي .. وفي صباح يوم ٩ أكتوبر حلقت ست طائرات (فانتوم ٤ س) في سماء دمشق وأسقطت قنابلها فوق مبنى رئاسة أركان الجيش السوري ورئاسة قوة الدفاع السوري وأصابتها بإضرار جسيمة .. ولم تستطع قوات الدفاع الجوي التصدي لهذه الطائرات لأنها لم تكن تتوقع هذا الهجوم . وقد أصاب الهجوم مبنى التليفزيون السوري والمركز الثقافي الروسي بأضرار جسيمة .. وأسقطت طائرة فانتوم واحدة.

وفي ليلة أخرى طارت تسع طائرات فانتوم لمهاجمة دمشق إلا أنها لم تستطع الوصول بسبب الضباب الكثيف ولذلك أسقطت خمس وستين من القنابل على تجمع للدبابات السورية والتي كانت سببا في استطاعة الإسرائيليين بعد ذلك الهجوم البري على هذه المنطقة والاستيلاء عليها.

واستطاع الهجوم الجوي الإسرائيلي على دمشق وكذلك الهجوم البحري على حمص الذي أدى إلى تحطيم مركزاً لتكرير البترول وعدة منشآت صناعية ومحطة رادار سورية في لبنان .. وفي ١٠ أكتوبر حطمت محطات توليد الكهرباء التي تمد ٣/٤ الكهرباء .. ومستودعات البنزين في حلب وكذلك مطار دمشق .. ومركز الأسطول البحري السوري شمال اللاذقية .. وسببت هذه الهجمات الجوية خسائر لسوريا بالملايين.

والجيش السوري ولو أنه تراجع عن الجولان إلا أنه استطاع بشجاعة فائقة صد الهجوم الإسرائيلي ولم ينجح هذا الهجوم للمقاومة العنيفة التي لاقاها من الجيش السوري.

وفي صباح يوم ١١ أكتوبر هاجمت فرقتان من الجيش الإسرائيلي خطوط الدفاع السورية وكان الهدف من الهجوم الوصول إلى دمشق أو على الأقل أبواب دمشق .. وبعد يومين اضطر موسى ديان والعازار تغيير هذا الهدف نظراً للمقاومة العنيفة والخسائر الكبيرة التي تكبدتها في هذا الهجوم .. وأصبح الهدف الاقتراب من دمشق حتى يمكن ضربها بالمدافع ..

وفوجئ الإسرائيليون بمقاونة عنيفة من خطوط الدفاع السورية .. ومن وابل القنابل والصمود السوري في الدفاع ووقف الجندي السوري صامدا لأنه الآن يدافع عن أرضه ويصد العدو عن عاصمة بلاده .. ومازالت صواريخ سام تجعل الطيران الإسرائيلي عاجزا عن مساعدة القوات البرية وسقطت سبع طائرات اسرائيلية في هذا الهجوم.

وفي الشمال عبرت فرقة ايتان الخط البنفسجي من نقطتين جنوب جبل هارمون .. وكانت القوات السورية تدافع باستماتة عن مواقعها .. واستطاعت قوات ايتان اختراق خطوط الدفاع السورية بسهولة التي لاقت مقاومة ضعيفة .. ولكن قوات الجنرال وان لانر كانت أسوأ حظاً إذ لاقت مقاومة عنيفة ولم نستطع التقدم على طريق دمشق القنيطرة وقد وقف السوريون صامدين ودافعوا عن هذا الطريق .. وقد تكبدت القوات الإسرائيلية خسائر تعادل ثلث دباباتها(١).

وفي اليوم التالي جمع السوريون قواتهم الباقية من دبابات وطائرات في الدفاع عن الطريق المؤدي لدمشق .. ووصلت فرقتان عراقيتان لمواقع القتال لمساندة القوات السورية .. ولم يكن لهذه القوات العراقية تأثير كبير لأنهم كانوا يتحركون من موقع في المعركة إلى موقع آخر ولم يكن لديهم خرائط ولم يكن هناك تنسيق كامل بين هذه القوات العراقية والقوات السورية في أرض المعركة(٢). وقد ساعدت القوات العراقية في التصدي للجيش الإسرائيلي وأعطت فرصة للجيش السوري للتجمع وإعادة تنظيم

---

(1) Bar, Kochba, Masche. (Heb) "Operation 'Teref; a Multiforce Day of Battle, July 22, Marachat 305 (1986)

(2) Ehud. No Margin for Error: The Making of the Israeli air force New York: Pantheon Books, 1993

قواته وكان لها أثر نفسي كبير على القوات الإسرائيلية التي أحجمت عن التقدم .. وقد ادعى العراقيون فيما بعد أن قواتهم أنقذت دمشق[1].

بعد معارك طاحنة . وقد صدرت الأوامر السورية بالصمود والدفاع عن طريق دمشق وبالرغم من تفوق الطيران الاسرائيلي فإن طائرات الميج السورية قامت بطلعات انتحارية وظهرت طائرات السوخوي وهي تقذف قنابلها على القوات المسلحة الإسرائيلية مسببة خسائر كبيرة.

وكان صمود القوات السورية لأن أي تراجع سيعتبر جريمة عسكرية وعندما أصدر القائد العسكري للفرقة ٦٨ العميد رفيق هيلادي في يوم ١١ أكتوبر حوكم محاكمة عسكرية وبعد أن نزعت رتبة العسكرية وداروا به في المعسكر في ضواحي دمشق وأطلق عليه الرصاص وكانت رسالة الأسد لا تراجع والدفاع عن دمشق حتى آخر جندي.

وبعد قتال عنيف استطاعت القوات الإسرائيلية احتلال "تل شمس" وهي تقع في الطريق إلى دمشق .. واستطاعت في خلال ليلة ١٤ أكتوبر من إطلاق قذائفها على ضاحية المزار خارج مدينة دمشق .. واستمر هجوم الطيران على بعض الأهداف داخل سوريا .. وقد استطاع الطيارون اجتناب صواريخ سام ٦

وفي يوم ١٤ أكتوبر كان الإسرائيليون على بعد ٢٠ ميلا من دمشق .. ولكن لم يستطيعوا أن يتقدموا أكثر من ذلك .. وتحولت معظم القوات الإسرائيلية والطيران الإسرائيلي لمنطقة القناة وتدخلت القوات الأردنية والقوات العراقية لمساندة الجيش السوري في الدفاع عن الطريق إلى دمشق .. ولم تعد إسرائيل إلى الهجوم.

وفي يوم ١٩ أكتوبر هاجم السوريون لاسترداد المناطق التي استولى عليها الإسرائيليون ..

وقد خاض السوريون معركة كبرى لاسترداد جبل هارمون يوم ١٩ أكتوبر وقد قاوم السوريون ولكن استطاع الإسرائيليون الاستيلاء على قمة الجبل.

---

(1) Star 1977 – rols Bar, Kochba 301 - 313.

الفصل الثالث

الحرب على الجبهة المصرية

في يوم ٦ أكتوبر لم يكن لدى اسرائيل في سيناء سوى فرقة واحدة مسلحة، ولدى هذه الفرقة ٣٠٠ دبابة. وعندما بدأ الهجوم المصري عبر القناة لم يكن لدي اسرائيل بالقرب من القناة سوى ثمانين دبابة وأربعين مدفعا على بعد حوالي ستة أميال من القناة. وفي خط بارليف الذي يتكون من ١٦ حصناً كان هناك فرقة مدفعية من احتياطي فرقة القدس وعلى طول الخط الداخلي (طريق الامدادات) كان هناك ١١ حصناً. وفي مقابل القوات الإسرائيلية كان هناك الجيش الثاني في الشمال والجيش الثالث في الجنوب. وتسلح الجيشان الثاني والثالث بـ ١٥٠٠ دبابة و ١٤٠٠ مدفعا. ولمقابلة هذا الهجوم دفع الإسرائيليون بفرقة مدرعة إلى الأمام للدفاع عن سيناء. وكان الغرور يسيطر على القيادات الإسرائيلية في يوم ٥ أكتوبر قال قائد الفرقة جنرال ابراهام مندلر أنه يفكر في إرسال فرقة لعبور القناة والاستيلاء على بورسعيد.

لم يكن الإسرائيليون يأخذون الجيش المصري بجدية وذلك للإنطباع الذي تم في حرب ١٩٦٧ . عندما فر الجيش المصري وهزم في خلال ستة أيام[١].

ولم يستطع الجيش المصري تنفيذ هذه الخطة عندما عبر الجيش المصري القناة يوم ٦ أكتوبر. ولم يستطع الجيش الإسرائيلي وقف المصريين من العبور.

الخطة المصرية في الهجوم لها مرحلتان أولاً: تعبر خمس فرق القناة وتقيم رؤوس كباري، وبعد وقفة تعبوية لمقابلة هجوم الجيش الإسرائيلي، تعبر ثلاث فرق

---

(1) Milestein, Uri (Heb.) The History of the Paratroops. 3 Vol. Tel. Aviv: Shalgi 1985. 108-111.

أخرى وتصل إلى الممرات.

وبدأت خطة الهجوم البري بهجوم السلاح الجوي المصري بـ ٢٢٢ طائرة طارت منخفضة فوق الإسرائيليين، وفوق خليج السويس وحطمت محطات الرادار الإسرائيلية، وقواعد الاستطلاع من العريش حتى شرم الشيخ. وسببت هذه الغارات خسائر جسيمة ولكن تصدت لها الطائرات الإسرائيلية وخسرت مصر حوالي ٣٧ طائرة خلال المعارك الجوية، ومن خلال الدفاع الجوي ... [١] وقد حلقت طائرتان على ارتفاع منخفض فوق البحر الأبيض المتوسط وأطلقت صاروخين KEWT على تل أبيب. وكان الغرض من هذا أن سلاح الطيران الجوي لديه القدرة على الإغارة على تل أبيب.

وبدأ الجيش المصري في اطلاق مدافعه. وقد قال الجمصي أنه في خلال الدقيقة الأولى أسقطت ١٠,٤٥٥ من القنابل على خط بارليف ١ ، ٢[٢].

في الصباح الباكر يوم ٥ أكتوبر عبر القناة مصريون متنكرون في هيئة عرب لاستطلاع التحريات الإسرائيلية. وقد أرسلوا رسائل أن الإسرائيليين نائمون. وقد قبض الإسرائيليون على شخصين ومعهما راديو، ولم يعرفوا ماذا يصنعان بهما.

وفي يوم ٥ ، ٦ أكتوبر عبرت قوات من الكوماندوز إلى عمق سيناء وكانت مهمتهم إصطياد الدبابات الإسرائيلية في تقدمها نحو القناة.

وفي الساعة الثانية والثلث بدأت موجة العبور من الجنود المصريين تعبر القناة في أربعة آلاف قارباً.

ومن المعروف أن اللواء حسني مبارك الذي كان رئيس أركان حرب سلاح الطيران هو الذي خطط لضربة الطيران التي كانت من العوامل التي أدت إلى النصر. وهو طيار كفء ورسم الخطة وباشر تدريب قواته بجدية ولديه مقدرة طبيعية على

---

(1) Youe

(2) el-Gamasy, Mohamed Abdel Ghani. The October War: Memories of Field Marshal el Gamasy of Egypt Cairo: American University, 1993

الجمصي قال أن ضربة الطيران كانت ناجحة ولم تخسر مصر سوى خمس طائرات

القيادة وهو ذو شخصية جادة مما أعطى لكلماته الصدق وقد أخذ هذا الواجب بجدية. وقد ترقى سريعا لما عرف عنه من كفاءة وقدرة على العمل. وفي سنة ١٩٧٢ عينه السادات قائداً للقوات الجوية. وبالرغم من طبيعته الصارمة إلا أنه رقيق القلب ويقول الذين عاصروه وعملوا معه أنه كان يعرف كيف يتعامل مع ضباطه وجنوده فيسألهم عن أولادهم .. كما أن الله منحه طبيعة التفكير والتخطيط فيما يقدم عليه.

وبعد ساعتين من ضربة الطيران كان مبارك سعيداً بما فعله طياروه. وقد حطمت الطائرات المصرية قواعد لصواريخ (هوك) ومحطة للرادار وبعض الطائرات في سيناء. وفي خلال يوم العبور كان هناك ٤٠٠ طلعة طيران لحماية بناء رؤوس الكباري التي كانت تبنى في احدى عشر موقعا. وعندما حاول الطيران الإسرائيلي التدخل حاقت به خسائر كبيرة من صواريخ سام ٦ التي كانت مقامة على ضفة القناة. وأعلن مبارك أن تل أبيب ليست بعيدة عن ضربها بالصواريخ، وبعد الظهر أغارت الطائرات (سيولوف تو-١٦) أطلقت صواريخ AS-S Kelt وقد أطلق بقرب تل أبيب على مناطق غير مسكونة حتى يثبت الطيران المصري أنه قادر على الوصول إلى عمق إسرائيل. إن صاروخ لكث كان قد صمم على أنه صاروخ مضاد ولكن لوزنه الذي يبلغ ٢٢٥٥ رطلا ومداه يصل إلى ١٢٠ ميلا يجعل منه تهديدا خطيراً لتل أبيب. ومن خلال الحرب أطلق سلاح الطيران هذه الصواريخ على محطات الرادار في سيناء وحطمتها.

وقد خطط حسني مبارك ضربة الطيران الأولى بمجموعة من الطائرات بلغ عددها ٢٢٢ طائرة وقد انطلقت هذه الطائرات من مطارات متعددة ولكنها عبرت القناة في نفس الوقت وكانت هذه من مفاخر سلاح الطيران المصري الذي برهن أن التدريب الشاق يقود إلى النجاح. وبالرغم من السرية التامة التي فرضت على اعلان الحرب إلا أن الطيارين كانوا يعلمون أنهم ذاهبون للحرب. ولكن باقي أفراد قوات الطيران من ميكانيكيين ومساعدين لم يعرفوا أن مصر ستخوض الحرب إلا عندما عادت الطائرات وقد اسودت فتحات مدافعها. وقد هاجم الطياررون المصريون المطارات الإسرائيلية

وكانت طائرات الميج والسوخوي تزمجر وهي تطير على مستوي منخفض وتلقي بقذائفها لأحداث ثغرات في ممرات المطارات وقد قذفت الطائرات المصرية ثمانية مطارات إسرائيلية.

ونجاح ضربة الطيران جعلت السادات يزداد ثقة في قدرة سلاح الطيران المصري ونقلت حسني مبارك إلى الدوائر العليا السياسية والعسكرية حتى اختير نائباً لرئيس الجمهورية.

وقد عبر جنود المدفعية خلال الأماكن التي تقع بين حصون خط بارليف التي كانت تستطيع نيران مدافعها أن تغطي المسافات التي تقع أمامها وتستطيع كذلك أن تغطي نيران مدافعها كيلو مترا واحدا .. من كل جانب(١).

وقد وصف الجنرال الشاذلي عبور المدفعية، تقدم الجنود عبر السقالات في خطوط منتظمة حتى وصلوا إلى مياه القناة .. وأخذوا قواربهم وهم يتحركون بها في سرعة وهم يهتفون "الله أكبر الله أكبر". ولعدة شهور تدرب الجنود المصريون على اجتياز الشاطئ الرملي للقناة .. ونظر إليهم الجنود الإسرائيليون بدهشة وتعجب بما يصنعون. وعندما وصلت الساعة الرابعة والربع كان قد اندفع حوالي ٢٥,٠٠٠ جنديا وتجمعوا حول خمس نقط شرق القناة، وأخذوا يتحركون جنوبا وشمالا مهاجمين تحصينات خط بارليف واحتلوا طريق الدبابات واحتلوا حوالي ميل شرق القناة. واستطاع المهندسون المصريون أحداث ٦٠ ثغرة في الحائط الرملي على الجانب الشرقي للقناة وذلك خلال الثلاث ساعات الأولى من الهجوم .. وكان الآخرون يركبون أجزاء الكباري في الضفتين الشرقية والغربية من القناة واستطاع المهندسون إقامة أول كوبري للعبور الساعة الثامنة والنصف وبدأت طلائع الدبابات الأولى تعبر القناة.

وفي الساعة الحادية عشر كان لدى الجيش الثاني ست كباري. وفي الجنوب لاقى الجيش الثالث صعوبة لأن مدافع المياه التي حطمت الحاجز الرملي حولت المنطقة إلى أرض لزجة من الطين. ولذلك لم تستطع قوات المهندسين إلا بناء قنطرتين

---

(1) Gamasy 206,209

للعبـــــور حتى صباح يوم ٧ أكتوبر.

وخلال ليلتي ٦ ، ٧ أكتوبر استطاع المصريون أن ينقلوا حوالي ٥٠٠ دبابـــة وثلاثة آلاف مدفع وصواريخ مضادة للدبابات وذلك في منطقة الجيش الثاني.

وكانت هناك صعوبة في نقل المعدات الثقيلة في الجنوب في منطقـــة الجـــيش الثالث.

وتقدم الجيش الثاني حوالي ٥ إلى ٦ ميلا داخل سيناء.

وكانت القيادة الإسرائيلية قد عرفت بالخطة المصرية للهجوم منذ مدة طويلـــة. وبعد أن حصلوا على الخطة المصرية قام مدير المخابرات العسكرية جنرال أهـــارون باريليف بتوزيع نسخة تفصيلية بقيادة أركان الحرب وكذلك قائد القطاع الجنوبي".

ولكن قيادة الأركان ظنت أن المصريين وقد نجحوا في العبور سيتقدمون إلـــى المضايق قررت رفع الاحتياطي وأن تتقدم داخل سيناء(١). وقد قررت قيـــادة القطـــاع الجنوبي أن تتقدم بسرعة حتى تمنع المصريين من الوصول إلى المضايق. وفي الحقيقة لم يكن لدى المصريين فكرة التقدم إلى المضايق وقاموا بتركيز قوتهم علـــى "طريـــق الإمدادات" وقابل المصريون الدبابات الإسرائيلية المتقدمة وهاجموها قبل أن نصل إلى شاطئ القناة كما كان مقررا لها. وظهر تخبط القيادة الإسرائيلية وعدم معرفتها ما حدث مما جعل الجنرال العازار يصرح الساعة ٦,٣٥ يوم ٦ أكتوبر بأن الحالة فـــي ســـيناء معقولة(٢). ومما يدل على غرور القيادة الإسرائيلية وعدم تقديرها للواقـــع أن العـــازار وقواته كانوا يتحدثون عن عبور القوات الإسرائيلية واحتلال بورسعيد. بالرغم مـــن أن مهمات العبور لم تصل حتى يوم ١٢ وكما وصفها أحد المـــؤرخين الإســـرائيليين أن القيادة الإسرائيلية في سيناء كانت في ظلام دامس خصوصا في الأيام الثلاث الأولى.

ولم يسبب هجوم الطيران الإسرائيلي على القوات المصرية شـــرق القنـــاة إلا خسائر طفيفة.

---

(1) Milistien 1993. 198-199 Shari, 1976 Men 12-19

(2) Ibid.

وفي مساء يوم ٧ أكتوبر عبر القناة ١٠٠,٠٠٠ جندي و١٠٢٠ دبابة و١٣٥٠٠ عربة مصفحة[1] ورغم ذلك لم نتقدم قوات الجيش الثاني أو الثالث للاستيلاء على "طريق الامدادات" Artillery Road .

وقد حاول سلاح الطيران الإسرائيلي القضاء على رؤوس الكباري ولكن بدون جدوى، فلم يسفر الهجوم إلا عن خسائر طفيفة، وقد نجح المصريون في العبور والدفاع عن رؤوس الكباري، واستخدام الأسلحة بكفاءة تامة. وسيدخل كل هذا النجاح في عبور المانع المائي وتحطيمه خط بارليف ومفاجأة القوات الإسرائيلية وأسرها سوف يدخل كتب التاريخ العسكري.

وفي يوم ٧ أكتوبر حيث بقيت رؤوس الكباري ولم ينجح الطيران الإسرائيلي في تحطيمها أمرت بعض تحصينات خط بارليف التي مازالت تقاوم هجوم الجيش المصري بالتسليم .. واستسلم حصنان من حصون خط بارليف وهرب جنود خمس تحصينات .. تقهقر بعضهم سيرا على الأقدام أو على ظهور الدبابات .. وأما الذين ساروا نحو طريق الإمدادات Artillery Road فقد حصدتهم النيران المصرية.

وفي الصباح أصبح ٦٠% من الدبابات الإسرائيلية التي كانوا يعتقدون أنها ستحتل بورسعيد (١٥٤) دبابة تحطمت أو تركها طاقمها وهربوا سيرا على الأقدام، ومئات من الجنود الإسرائيليين قد قتلوا أو فقدوا في المعارك التي دارت. ومما لاشك فيه أن الإسرائيليين قاوموا. وسببوا بعض الخسائر للقوات المصرية ولكن نتيجة المعركة كانت ضد اسرائيل وذلك لبسالة الجندي المصري .. وعندما وصل شارون إلى تاسا وجد شيئا غريبا هؤلاء الجنود الذين انتصروا في كل الحروب ضد العرب كيف انهزموا وتقهقروا أمام الجندي المصري المحارب الذي كان في حرب ١٩٦٧ يرمي سلاحه ويجري[2]..

---

(1) Shazly
(2) Sharon 139 The Warrior

ونتيجة للذعر والخوف الذي سيطر على الجنود الإسرائيليين في سيناء قررت قوات الطيران الإسرائيلي التركيز على الجبهة المصرية حيث كانوا يظنون أن الجيش الإسرائيلي كان صامدا في الجولان فقرروا تركيز الهجوم على الجبهة المصرية وقـام السلاح الجوي الإسرائيلي بمهاجمة القوات المـصرية المنتـصرة وتركـزت الخطـة الإسرائيلية في تحطيم حائط الصواريخ من القاهرة إلى السويس مستخدمة فـي ذلـك طائرات الميراج والفانتوم .. حتى تستطيع مساعدة المشاة في الهجوم البـري .. وقـد نجحت الطائرات في الموجة الأولى للهجوم. ولكن في الصباح الباكر اتصل ديان بقائد الطيران يني باليد وقال له أن المعبد الثالث يقصد إسـرائيل فـي خطـر. إن القـوات السورية اخترقت خطوط الدفاع الإسرائيلية وهي متجهة إلى وادي الأردن، وعلى قوات الطيران أن توقف تقدمهم. وتوقف هجوم الطيران الإسرائيلي على الجبهـة المـصرية واتجه إلى هضبة الجولان .. وبذلك لم تتمكن القوات الجوية الإسرائيلية بعمل غطـاء جوي للدبابات المتقدمة في سيناء وفي هذا الهجوم لم تستطع القوات الإسرائيلية تحطيم رؤوس الكباري المصرية الذي دافع عنها المصريون ببسالة واحتفظـوا بهـا سـليمة وتحطمت على صخرة المقاومة المصرية فرق الهجوم الإسرائيلي.

وعند ذلك كرر ديان أن إسرائيل في خطر بعد أن أحرز الـسوريون نـصراً واخترقوا خطوط الدفاع في الجولان وقرر أن ينسحب الجيش الإسـرائيلي مـن أرض سيناء وأن يتمركزوا في خط الدفاع الثاني شـرق الممـرات. وقـد حاولـت قـوات الكوماندوز المصرية مهاجمة القوات الإسرائيلية المنسحبة.

وفي صباح يوم ٨ أكتـوبر هاجمـت فرقتـان وتـساندها قـوات الطيـران الإسـرائيلي وهـدفها تحطـيم رؤوس الكبـاري واسـتعدت فرقـة ابراهـام أدان وشارون للهجوم المضاد .. وكانـت القيـادة الإسـرائيلية مازالـت تـؤمن بخطـة تركيز الهجوم وكان اليزار وجونين يؤمنـان بـأن تركيـز الهجـوم علـى الجبهـة المصرية قد يؤدي إلى تحطيم المقاومة المـصرية وبـالرغم مـن أن موسـى ديـان لم يكن متفائلا ألا أنه ترك الأمر للقادة.

وكان هذا الهجوم كما قال شارون حلما مزعجاً لرجال الدبابات حيث صمد المصريون لهذا الهجوم وتحطمت الدبابات المهاجمة التي كانت بقيادة آدان .. ومرت الساعات ولم يعرف أدان كيف تحطمت دباباته على صخرة المقاومة المصرية .. عندما أرادت تحطيم رؤوس الكباري .. وفي الساعة ٩,٣٠ أمر جونين قائد المنطقة الجنوبية أدان لتحطيم كل القوات المصرية في شرق القناة ثم بعد ذلك يعبر القناة حيث يزرع قوة صغيرة غرب القناة وفي الساعة العاشرة وأربعين دقيقة أمر جونين أدان أن يحطم رؤوس الكباري أو يستولي عليها وينقل بعض الدبابات للضفة الغربية .. ولكن في الساعة ١١,٥٠ أخبر آدان جونين أننا تحملنا خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات من الدبابات والسيارات المصفحة التي اشتعلت بها النيران وذلك لصمود القوات المصرية وإطلاقها الصواريخ المدمرة ولكن في الساعة ١٢,٤٥ أخبر جنين أدان أنه حصل على إذن بعبور القناة وأنه أقام نقط كباري على الضفة الغربية(١).

وكان تفاؤل آدان وعدم معرفته للحقائق على أرض الواقع تأثيرا على هيئة الأركان في تل أبيب التي اعطت له الإذن بعبور القناة. وأخبر الأزار الوزارة الإسرائيلية بهذا. ولهذه المعلومات المضللة أمر ديان باحتلال بورسعيد .. وحوالي الساعة ١٢ طلب جونين أن يعبر شارون القناة ويستولي على مدينة السويس. كذبت الحقائق على أرض الواقع كل هذه المعلومات التي أرسل بها جانين لهيئة الأركان واعترف أن الجنود الإسرائيليين فشلوا في تحقيق هذه الأهداف .. إذ حارب المصريون ببسالة وتنافس الجنود المصريون في أعمال البطولة والاستشهاد وجرى قتال عنيف وقال كيدار في كتابه قصة "فرقة ماهاتس" .. إن المصريين لم يتراجعوا ولو شبرا واحداً وكانوا يطلقون النار في كل اتجاه، وكانوا يحاربون بشجاعة جنونية عن مواقعهم. وفي اليوم الثاني من حرب أكتوبر أمرت القوات الإسرائيلية بالانسحاب وانتهى الهجوم بدون تحقيق أي هدف وانتهى بتحطيم ثمان دبابات إسرائيلية.

(1) Milstien 1993-193

وفي مؤتمر صحفي في تل أبيب لم يستطع الأزار الإعلان عن فشل الهجـوم الإسرائيلي بل قال أننا وصلنا إلى ضفة القناة واستطعنا أن نجعل المصريين يتراجعون ولكن وقد ظهر الأسى على وجهه أن المصريين لم يتحطموا بعد وأنهم لم يتراجعـوا. وفي نهاية المؤتمر الصحفي وعد بأننا في النهاية سنكسر عظامهم[١].

النجاح الوحيد الذي حققه الهجوم الإسرائيلي كان هو انقاذ (بودابست) وهو أحد حصون خط بارليف أو (مازكو) وهو آخر حصون خط بارليف الجنوبية سقط في أيدي المصريين ووضح أن هجوم الجيش الإسرائيلي لتحطـيم رؤوس الكبـاري فـشل. إن الجندي المصري في حرب أكتوبر كانت تحركه قوى الإيمان وكان كل جندي يتبـارى مع الجنود الآخرين في أعمال الشجاعة والبطولة.

وقد أثبتت تل أبيب أن الرجوع إلى ضفة القنال الشرقية أصبح عملية صعبة إن لم يكن مستحيلا وقد أصابت رئيسة الوزراء جولدا مائير وجنرالات إسرائيل صـدمة عندما ظهر موسى ديان يوم ٨ أكتوبر وهو منهار تماما .. والخسائر المادية والبشرية في الهجوم جعلته يصرح بأنه يجب أن ندعو طلاب المدارس إلى حمل السلاح وكذلك الأفراد الذين تجاوزوا سن الاحتياط وأعلن أنه يفكر في الانسحاب إلى خط دفاع ثـاني في داخل سيناء شرق الممرات وجودنا في أم خشيمة أصبح خطراً ومراكزنا في شرق الممرات مهددة واقترح أن تتمركز قوات الدفاع شرق ممر الجدي.

ديان وجنرالات إسرائيل وصلوا إلى ثلاث نتائج الأولى: نظراً لقوة الجيـوش العربية لا يستطيع الجيش الإسرائيلي الحرب في الجبهة الشمالية والجبهـة الجنوبيـة. وفي ٨ أكتوبر عندما بدأوا الهجوم المضاد ضد الجـيش المـصري كـان الطيـران الإسرائيلي مشغولا في الجبهة السورية حتى يدفع السوريين إلى التقهقر.

الثانية: إن على إسرائيل أن تنتظر إمدادات السلاح من أمريكا لتعاود الهجـوم المضاد ضد الجيش المصري.

---

(1) Milisien

والثالثة: إن الجيش الإسرائيلي لن يستطيع أن يهاجم الجيش المصري المتمركز في شرق القناة وجهاً لوجه وذلك لأن الجندي المصري يحارب ببسالة وقد تحصن ولديه من قوة المدفعية التي ستحطم الدبابات المهاجمة وإنما يجب أن يهزم الجيش المصري بطريقة غير مباشرة وذلك بالإلتفاف حوله.

وقد عرف ديان أن سبب فشل الهجوم المضاد هو عدم كفاءة القيادة في الجبهة الجنوبية فقد تصرف جونين بطريقة غير فعالة كما أن شارون وأدان لم يكونا على وفاق معه.

وعندما عين الجنرال شمويل جونين وهو جنرال قاسي ومولود بإسرائيل وقد حل محل الجنرال إيريك شارون .. لم يكن هذا اختيارا موفقا ولأن شارون اشتكى لموسى ديان أن جونين غير كفء .. وعندما قامت الحرب لم يكن شارون وجونين ينسيان اختلافهما . وفي هذه الحرب كان شارون تحت قيادة جونين . وقد كان جونين قائداً قاسياً وصارماً في التعامل مع الذين تحت قيادته وينظر إلى إرضاء من هم أعلى منه.

كانت خطة إسرائيل الذين أطلقوا عليها (شوفان يونيم) وفي الساعة ١٠,٠٠ مساءاً تأكد المصريون أنه مهما كانت خطة الدفاع عن القناة فإن الإسرائيليين قد فشلوا فقد قررت القيادة المصرية أن عدد المصابين في العبور قد يصل إلى ٢٥,٠٠٠ ومنهم ١٠,٠٠٠ شهداء ولكن لم يزد عدد القتلى عن ٢٠٠.

وقد هاجم جونين على أنه غير كفء .. كما أن الأزار وأدان لم يكونا على علاقة طيبة مع شارون الذي كان يري أنهم جميعاً أقل كفاءة منه. وقد شعر ديان والازار أنهما يجب أن يتصرفا .. وبالرغم من أنهما لم يعزلا جونين إلا أنهما أرسلا بارليف ليصبح القائد الأعلى للجيش في القطاع الجنوبي. وأسرع بارليف إلى سينا ومعه يوري بن أري كمساعد له.

أما بالنسبة للجبهة السورية فإن الهدف كان أن يدفعوا الجيش السوري للتراجع عن الجولان مع تهديد دمشق، وأما على الجبهة المصرية فلم تكن هناك خطة واضحة.

وكانت القيادة الإسرائيلية تنتظر تصرف الجيش المصري لتعرف ما إذا كان سيتقدم إلى المضايق أم سيأخذ مواقف الدفاع لرد أي هجوم مضاد. وبذلك يتحول الصراع إلى حرب استنزاف بين الجيش وستكون خسارة الجيش الإسرائيلي أكبر لأن الجيش المصري متحصن ولوجود الصواريخ فإن الطيران الإسرائيلي لا يمكن أن يكون له تأثير.

منذ ١٩٦٠ كان لدى الإسرائيليين خطة لعبور القناة وظهرت هذه الخطة في هذه الحرب ومنذ يوم ٥ ، ٦ أكتوبر أخذ شارون يطالب بتنفيذ الخطة والعبور بقواته إلى الضفة الغربية والاستيلاء على مدينة السويس. إذا نجح شارون في العبور وتحطيم قواعد الصواريخ لأصبح الطيران الإسرائيلي حراً في مساعدة القوات العابرة واسباغ الحماية عليها وبذلك تكون النهاية في صالح الجيش الإسرائيلي. ولكن خطة العبور مع تفاني الجيش المصري في الحرب ستكون مغامرة .. وكان لابد من وجود نقط ضعف في الجيش الثاني والثالث يستطيع الجيش الإسرائيلي أن يخترقها ويعبر عنها إلى الضفة الغربية إلى القناة. وكان العبور سيتعرض للهجوم من الجيش الثاني والثالث وكان على الإسرائيليين بالرغم أنهم كانوا عرضة للهزيمة والخسائر في المعدات والأرواح وكان على الجيش الإسرائيلي الانتظار حتى يعبر المصريون بفرقهم المدرعة الاحتياطية الموجودة في الغرب إلى شرق القناة وإلا تعرضت القوات الإسرائيلية لوابل من النيران كما أن رؤوس الكباري تصبح عرضة للتحطيم قبل إنشائها وإذا كانت حصون خط بارليف قد استولى عليها المصريون. وقد مثل العبور لدى شارون نصراً للجيش الإسرائيلي وتحمس له بكل المخاطر التي كانوا سيتعرضون لها. فإذا حدث أن تدخلت الأمم المتحدة في وقف إطلاق النار فإن موقفهم سيكون أفضل من مواجهة القوات المصرية في حرب استنزاف جديدة.

وهناك عامل جديد ظهر عندما أخبر بيليد في يوم ١٢ أكتوبر أن قوات الطيران التي شنت هجوما إثر هجوم على القوات السورية لمساعدة الجيش الإسرائيلي على إجبار الجيش السوري على التراجع هذه القوات كانت في

حالة إعياء تـام وهـي لا تـستطيع أن تـساند أي هجـوم مـضاد ضـد الجـيش المصري المتحصن شرق القناة(١).

وعرضت مـشكلة العبـور علـى وزارة الحـرب لاتخـاذ قـرار فيهـا .. وأخيرا حل المـصريون هـذه المـشكلات الاسـتراتيجية عنـدما عبـرت القـوات المدرعة من غرب القنـاة. وقـررت وزارة الحـرب الانتظـار لمـا يـسفر عنـه الهجوم المضاد المصري.

تعتبر معركة ١٦ أكتوبر نقطة تحول في الحرب فقد خسرت مصر المبادأة في الحرب ونجح الجيش الإسرائيلي في مفاجأة المصريين بالحرب ومهدت الطريـق لهـم لعبور القناة .. وكان معركة ١٤ أكتوبر نكسة عسكرية قاسية على المـصريين الـذين تعودوا على النصر حتى هذه اللحظة .. وقد أظهر الإسرائيليون مرة أخـرى قـوتهم العسكرية خصوصا عندما تكون الحرب. حرب حركة وحرب كر وفر في الـصحراء المفتوحة .. ومرة أخرى أحس المصريون قوة سلاح الطيران الإسرائيلي عندما كـانوا يحاربون بعيدا عن حماية مظلة الصواريخ سام وأصبح عبور القوات الإسرائيلية الآن ممكنا بعد أن سحبت مصر قواتها المدرعة من الغرب إلى الشرق. إن عبور المصريين استخدم قوات ضخمة من المشاة وعدداً كبيراً من الصواريخ التي حمت الجيش العـابر وقد أخذ هذا من المصريين تدريبا طويلا وتخطيطا استغرق عدة أعوام وأمـا العبـور الإسرائيلي فقد بدأ وكأن حركة كوماندوز ثم تحول إلى غزو كامل. لقد كـان العبـور الإسرائيلي خطة تتخذ مواقف سريعة من الواقع العملي للحرب وكان علـى الـضابط والجندي الإسرائيلي التصرف طبقاً للواقع في ميدان القتال .. لقد عبر المصريون فـي وضح النهار معتمدين على القوة العسكرية التي اسـتخدمت فـي العبـور وانعكـست شخصية العسكرية المصرية في عبور القناة .. وانعكست شخصية الجيش الإسـرائيلي في عبوره للضفة الغربية.

---

(1) Quandit, William Camp David, Peacemaking and Politics Washington; DC Brooking Institution, 1986

في ليلتي ١٢ و ١٣ أكتوبر عبرت فرق المدرعات المدرعة وهي جزء من الفيلق المدرع الرابع وكذلك عبرت فرقتان ميكانيكيتان وعدد كبير من صواريخ سام ٦ إلى الضفة الشرقية. وعند فجر يوم ١٤ قاموا بالهجوم الذي كان الإسرائيليون ينتظرونه[1].

وقد ذكر الشاذلي في مذكراته أنه كان ضد هذا الهجوم ولكن لم يقتنع أحمد إسماعيل برأي الشاذلي وساند السادات رأي أحمد إسماعيل. وكانوا يريدون تخفيف الضغط على الجيش السوري في الجولان. وقال الشاذلي أن التقدم وراء حوائط الصواريخ سيجعل الدبابات المصرية فريسة سهلة لمدافع الإسرائيليين الذين كانوا يتحصنون لرد الهجوم .. كما أن الطيران الإسرائيلي يصبح حراً في اصطياد القوات المتقدمة.

لقد هوجم العسكريون من العبور الإسرائيلي .. وهم لم يكونوا يعرفون ماذا تم .. هل هو هجوم من الكوماندوز ثم العودة أم هو عبور هذه الأسئلة خلال عبور من النقطة الضعيفة بين الجيش الثاني والثالث ولم تستطع القيادة العسكرية أن تعرف حجم المخاطرة التي لعبها شارون .. وكان شارون منذ ٧ و ٨ أكتوبر يقول أن الطريق الوحيد لنجعل الجيش المصري يرتبك هو عبور القناة تحت جنح الليل وتحطيم بعض قواعد الصواريخ في الضفة الغربية. ولما كان شارون هو الذي دفع بقواته للعبور ونجح في اختراق قوات الجيش المصري التي لم تتنبه قيادته إلى حجم العبور ولم تدرك أبعاد الخطة التي نفذها شارون ولذلك يمكن أن نقول أن شارون هو مهندس العبور للضفة الغربية. وأخيراً أعطيت عملية العبور الخط الأخضر في اجتماع قيادات القطاع الجنوبي في يوم ١٥ ، ١٦ أكتوبر. وقد كان مجلس الوزراء أعطى ديان سلطة العبور وكانوا يعرفون أن هذه الخطة خطرة ولو اكتشف المصريون الخطة الإسرائيلية لكانت العاقبة هزيمة ساحقة لإسرائيل ولكن وجدت القيادة الإسرائيلية إن هذه المخاطرة

---

(1) Carten, Jimmy. Keeping Faith: Memoirs of a Presedent. Fayethwille: the Arkas as Press, 1985

قد تقلب نتيجة الحرب لصالح إسرائيل.

بدأت أمريكا في إمداد إسرائيل الجوي يوم ١٤ أكتوبر لتعويض إسرائيل عن الخسائر التي حاقت بها في أيام الحرب وقد جاء هذا الامداد الجوي في نفس يوم الهجوم التي قامت به مصر للوصول إلى المضايق. لقد جاء الهجوم المصري بعد أن حدثت خلافات حادة بين الشاذلي والسادات وكانت العلاقة بين أحمد إسماعيل والشاذلي ليست على ما يرام ففي الماضي كانا دائما على خلاف ويبدو أنه كان هناك تنافر في شخصيتهما. فقد كان إسماعيل أكبر سنا فكان عمره في هذا الوقت ٥٦ سنة وكان مخلصاً للسادات ومطيعاً لأوامره وكان ملتزما عسكرياً وأما الشاذلي فقد كان ٥١ سنة وكان من رجال المظلات في أول خدمته في العسكرية المصرية وقد ظهر نبوغه وظهرت شجاعته أنه استطاع الانسحاب بقواته في حرب ١٩٦٧ سالمة وبالرغم من كل شئ كان لابد للجيش المصري أن يصنع شيئا بعد عبور القناة فهناك ١٩٠,٠٠٠ جندي بكل معداتهم الثقيلة يتجمعون على قطعة من الأرض في حدود ١٥ كيلو متر .. وبالرغم من أن الجندي المصري لا يستهلك من الطعام ما يستهلكه الجندي الإسرائيلي فإن إمدادهم بالطعام خلال قناة السويس ليس بالأمر السهل. كانت خطة السادات الهجوم من ست مواقع ثلاثة من الشمال بقيادة الجيش الثالث بقيادة اللواء سعد مأمون الذي اعترته أزمة قلبية في الليلة السابعة على الهجوم وحل محله اللواء عبد المنعم هلال ويقود الهجوم في الجنوب اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث.

ومثل هذا الهجوم كان يفتح جبهة عريضة فقد كانت الخطة الأصلية هي الهجوم وتحطيم خط بارليف واحتلال جزء من الضفة الشرقية يبلغ عشرة كيلو مترا أو خمسة عشر كيلو متراً وخططت هذه الخطة تمركز الجيش حتى يستطيع أن يصد أي هجوم أن انقسام الهجوم إلى ست مواقع ترك جوانب الجيش معرضة لهجوم وقلل من تركيز المدفعية. وكانت هناك أهداف محددة لكل جيش. الجيش الثاني كان عليه أن يحتل طابا وقوة أخرى تتقدم نحو الرمانة خلف الخطوط الإسرائيلية وفي الوسط كان على الفرقة المدرعة ٢١ التي سحبت من الغرب كان عليها أن تهاجم فرقة شارون وتعاون في

القطاع الجنوبي وكذلك في الهجوم في القطاع الشمالي: وفي الجنوب كان لواءان من الدبابات عليهما أن تهاجما قوات بربحادير جنرال جنين - والسيطرة على ممر متلا والجدي والذي كان العسكريون يتمنون أن يكللوا نصرهم بهذه السيطرة .. فهذه الوقفة الذي أطلقوا عليها وقفة تعبوية لا يمكن أن تستمر ولم يكن السادات يعتقد أن مناقشات الشاذلي كان لها ما يبررها .. ولكن السادات لم يكن في موقف يحسد عليه إذ أنه استولى على جزء من الأرض وهو بقوة جيشه لا يستطيع تحرير الأرض وكذلك لم يحقق هدفه في إلحاق خسائر بشرية كبيرة بجيش العدو والتي كان يحتاج إليها إذا حدثت مفاوضات لتحرير سيناء .. وكان السادات يعرف أن مصر قد تتكبد خسائر ولكن مصر تستطيع أن تتحمل هذه الخسائر بعكس إسرائيل التي لن تستطيع تحمل هذه الخسائر ولذلك أصر السادات على أن ينفذ وزير الحربية ورئيس الأركان أوامره والتي كانت واضحة. وقد استطاعت مصر العبور وتحطيم خط بارليف وانتشرت قواتها على ضفاف القناة الشرقية .. ووضعت الخطة على أن يتقدم الجيش في الهجوم في ست مواقع للوصول إلى المضايق وكانت الغلطة الكبرى في هذه الخطة هي سحب الفرقة المدرعة الرابعة والفرقة المدرعة ٢١ من غرب القناة.

ونعود إلى إسرائيل وكيف كانوا ينتظرون الهجوم المصري ونقل الفرق المدرعة من الغرب إلى الشرق لتركيز الهجوم وكان دادو رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي يذرع حجرته جيئه وذهابا ويملأ قلبه القلق ولا يسمع رائيرا أن قوات الجيش المصري المدرعة ستعبر[١] القناة للقيام بالهجوم. وقد بدأ يشك فلم يكن هناك أية تحركات وكان المرة الأولى التي استمع إلى زامير أن الحرب مستحيلة. وفي أثناء هذا القلق جاءته كلمات من قائد منطقة سيناء أن الفرقة الرابعة المدرعة قد عبرت القناة واتجهت إلى قوات الجيش الثالث. وأن الفرقة المدرعة ٢١ عبرت القناة وانضمت إلى الجيش الثاني لقد جاء الوقت لتركهم يتقدمون حتى نستطيع أن نصيد دباباتهم بعد أن

---

(1) Blum, Howard. The Eve of Destruction, Harper Collins, New York N.Y 2003

يتقدموا في الصحراء.

وقد ظل رئيس الأركان وحيداً وهو يفكر في أن المعركة القادمة سيكون تحطيم الفرقتين بعد أن ابتعدوا عن حائط الصواريخ. وكان خطة الفريــق أحمــد إســماعيل تتلخص كما شرحناها من قبل في الاستيلاء على ممر الجدي وتاسا وبلوظة. وبينما كان الشاذلي كرئيس للأركان هو الذي سينفذ الخطة فقد كان يعلم تماما أن هذه الخطة لــن تنجح. فمعارك الدبابات موقعها هو الذي يحدد مصير المعركة. ففرق دباباتنا تتقدم نحو عدو متحصن بدون مفاجأة هي عبارة عن عملية انتحارية. لأن الــدبابات الإســرائيلية كانت متحصنة خلف ساتر من الرمال منتظرة تقدم الــدبابات المــصرية. وحيــث أن الدبابات المصرية المتقدمة في العراء لن تجد شيئا يحميها من الدبابات المتحصنة. وبعد أن تتقدم الدبابات بعيدة عن حوائط الصواريخ ستكون فريسة سهلة لطائرات العدو.

وبالرغم من أن الشاذلي كان يعرف مسبقا إن فرصة النجاح محــدودة إلا أنــه كان لديه أمل. لأن الهجوم كان سيبدأ بإطلاق قذائف المدفعية. وكانت القذائف من ٢٠٠ مدفع قد تسبب بعض الأضرار كما أن تقدم الدبابات قد يخيف الإسرائيليين فقد انهــزم الإسرائيليون في هجومهم المضاد. وقد يخاف الإسرائيليون من قوة الهجوم ويتراجعون خوفاً من الهزيمة والخسائر في الأرواح ويكون هذا النصر من عند الله. ولكن ليس الله هو الذي أرسل هؤلاء الجند إلى ميدان القتال بل إن الشاذلي هو الذي يعطي الأوامــر للرجال من أجل الحرب. وكان يريد أن يرفض ولكنه لم يستطع وفي الساعة الــسادسة كانت هناك أكبر معركة للدبابات في تاريخ الحروب حوالي ألفين من الــدبابات يقابــل بعضها بعضا في الصحراء ومنذ الساعة السادسة كان أمنون القائد الإسرائيلي ينتظــر وكان قد تمركز فوق التل خوف كثبان الرمال وكانت مدافع دباباته تمثل قبضة حديدية تريد أن تضرب .. وكانت الشمس البرتقالية خلفه ومدافع دباباته متجهة نحــو الغــرب نحو قناة السويس .. كان لديه ٧١ دبابة تحت قيادته وكان قد نشر دباباته حتى يستطيع أن يصيد الهجوم المصري المنتظر . إن أي قوة عسكرية تريد أن تجعلهم يتراجعــون عن مواقعهم لابد أن تكون قوة كبيرة ومصممة على النصر. إن الدبابات هي عبارة عن

آلات بطيئة الحركة وبها مدافع وأن الدبابة تنجح إذا كان الجنود مدربين تدريباً جيداً. أخذ آمنون ينظر حوله إلى الجنود الذين يحاربون معه. كان معظمهم من الاحتياطي وعدداً كبيراً من الدبابات قد حطمتها نيران المدفعية المصرية في الأيام الأولى للحرب.

الجنود في هذه الفرقة كانوا من الشباب الذين لم يخوضوا حربا من قبل والجندي الذي يمون الدبابات كان أصفر الشعر وهو يترك شعره مرسلا حتى يكاد يصلي إلى كتفيه. إن الاعتماد على هذا الشاب لتموين الدبابات أثناء الحرب ملأ قلبه بالشك.

وبعد الساعة السادسة وقد بدأت أشعة الشمس الدافئة تبدد الضباب من على وجه الصحراء بدأت المدفعية المصرية القصف المكثف ثم بدأت الصواريخ بعد ذلك وكانت الضوضاء عالية وذكره ذلك بالأيام الأولى للحرب عندما انهالت طلقات المدافع على خط بارليف فجأة الآن نحن على الأقل نقف مستعدين وفي موقف نستطيع أن نرد العدوان وعندما مرت قذيفة كادت تصيب دباباته أمر الجنود أن يدخلوا في جوف الدبابات. كان جوف الدبابات بارداً ومظلماً.

ولم يكن آمنون يعرف إذا كان هذا الهجوم المصري هو هجوم عام وشامل ونظر من خلال المنظار ولكن طلقات المدافع المستمرة كانت تحرك الرمال وتجعله لا يستطيع الرؤيا. واستمر داخل الدبابة لمدة خمس دقائق ولكنه لم يستطع الصبر ففتح غطاء الدبابة. وبعد انقشاع الرمال وجد حوالي ٢٠٠ دبابة تتقدم نحوه وكان أول ما فكر فيه كيف يوقفها وهنا أصدر أوامره "اطلقوا النار" ثم قال انتظروا دعوا المصريين يقتربون منا. وأطلقت دباباته النار وبإشارة منه بدأت كل دبابة في اطلاق النيران. لقد كانت دباباته المتحصنة فوق الأرض المرتفعة تطلق النيران على الدبابات المصرية المتقدمة. واستمرت المعركة نصف ساعة وكل دقيقة في المعركة كانت تمر بطيئة الصواريخ حطمت ثلاثة دبابات من دبابات آمنون وما إن هدأت عواصف الرمال كان هناك تسعين دبابة مصرية محترقة تحت أشعة الشمس.

وأما شارون فقد وصلته معلومات من حجرة العمليات في تاسا أن هناك دبابات مصرية غرب الحامدية متقدمة نحو تاسا – وأخذت دباباته تتحرك من خلف الرمال وأطلقت دبابات شارون النار على الدبابات المتقدمة وحطم جنوده ٤٠ دبابة ولم تتحطم من قوته إلا سيارة مصفحة ..

وتقدم شارون حتى وصل قرب خط بارليف وهو يريد أن يجعل المصريين يتقهقرون من الضفة الشرقية ولكن بارليف اعترض أن يتقدم شارون إلى مركز الجيش الثاني لأن صواريخ ستاجزر مازالت تمثل خطراً كبيراً على الدبابات الإسرائيلية. ولكن بارليف قال أن موقفهم اليوم هو صد الهجوم. وخشى بارليف ألا يخضع شارون للأوامر ويهاجم فأراد أن يتصل به ليتأكد أن على شارون أن يطيع الأوامر.

فحاول بارليف أن يتصل بشارون لمدة ساعة . ولكن أريك لم يكن موجوداً ولم يكن بارليف يعرف أن كان هذا نتيجة لخلل في خطوط الاتصالات أم أن شارون لا يرغب في الاتصال. ولأول مرة يشعر بارليف أن شارون لم يعد تحت السيطرة . وأن شيئاً يجب أن يصنع.

وكان الشاذلي في ذلك الوقت يريد الاتصال بالقوات المهاجمة حيث بدأت التقارير السيئة تأتي من ميادين القتال إلى مركز القيادة .. ولذلك فقد فهم أن الطريق الوحيد هي أن تنسحب القوات المصرية المهاجمة إلى رؤوس الكباري وقد حاول الشاذلي الاتصال بجنرال مأمون قائد الجيش الثاني ولكن لم يستطع الاتصال به. إن الهجوم المضاد للوصول إلى المضايق فشل.

لم يكن دادو يريد المصريين أن ينسحبوا فقد كان ينتظر مثل هذا الهجوم وقد نجحت خطته في استدراج المصريين للهجوم وتمركز هو للدفاع حتى يستطيع أن يحطم أكبر عدد من الدبابات المتقدمة.

وأخيراً عندما تكلم شارون قال لدادو أنه كان يطارد ٢٥ دبابة مصرية وعند ذاك قال بارليف لدادو أن شارون لا يحارب كقائد فرقة وإنما كسياسي يأمل أن يرى اسمه في العناوين الرئيسية للصحف.

وعند الظهر صمدت القوات الإسرائيلية للهجوم ولم يستطع المصريون أن يحصلوا على شبر واحد من الأرض وكانت خسائر مصر في هذا اليوم حوالي ٢٦٢ دبابة. وبدأت الطائرات الإسرائيلية في الهجوم على الدبابات المتراجعة حتى استطاعت أن تعود تحت حماية مظلة الصواريخ.

وكما أسلفنا كان الشاذلي يعارض أن يتقدم الجيش إلى المضايق كما أن توزيع القوات إلى ست مجموعات قلل من أهمية المدفعية ولكن الشاذلي وإسماعيل نفذا الأوامر ولو أن ست مجموعات اختصرت إلى هجومين ربما كانت هناك مدفعية كافية للقيام بالعمل. وكان ألازار يأمل وينتظر هذا الهجوم ولذلك فهو ترك المصريين يتقدمون وفي يوم ١٤ أكتوبر ركز الطيران الإسرائيلي كل طائراته على سيناء خصوصا أن القوات المصرية قد ابتعدت عن مظلة الصواريخ وكان الجيش الإسرائيلي قد استكمل استعداداته وكان لديه ٧٥٠ دبابة وهي في مواقف دفاعية ولم تكن مصر تعرف أن الامدادات الأمريكية قد بدأت في الوصول إلى مطار بن حوريون ومطار العريش ومعها الصاروخ الذي كان مداه ٣٠٠٠ ميلا والذي استخدم لأول مرة في الحرب وتوافت الامدادات على إسرائيل بالصاروخ Tom وقد كانت طائرات العال قد نقلت هذا الصاروخ على متن طائراتها يوم ١١ أكتوبر.

ويمكن لهذا الصاروخ الموجه أن يخترق ٢٥ بوصة من أي دبابة وكان هذا الصاروخ من القوة بحث أنه يخترق الدبابات المصرية المهاجمة.

وفي الحقيقة أثبتت نتائج الهجوم المصري على صواب رأي الشاذلي وصحته .. وبدلا من أن يركز المصريون هجومهم فإنهم وزعوا قوات الهجوم على ست أماكن وكذلك لم يتم الهجوم في وقت واحد بل على أوقات متفاوتة .. وذلك على امتداد مائة ميل .. وفي ٨ أكتوبر أصبح القوات المصرية منتشرة في أرض سيناء.

وفي صباح يوم ١٤ أكتوبر انطلقت مئات المدافع ضد طريق الإمدادات .. وهاجمت الطائرات المصرية بعض المواقع الإسرائيلية ومنها المركز الإسرائيلي في بالوظة .. وفي الليلة السابقة مئات من رجال الكوماندوز المصري أُسقطوا من طائرات

الهليكوبتر المصرية إلى نقط خلف تاسا . وذلك من أجل مهاجمة الجنود الإسرائيليين من الخلف لإحداث اضطرابات في مؤخرة الجيش الإسرائيلي. ولكن اكتشفت مواقعهم وقتلوا أو أسروا قبل أن يسببوا أية أضرار في مؤخرة الجيش.

والخسائر التي حاقت بالجيش الإسرائيلي ودباباته لم تذهب عبثا إذ انشغل الجيش المصري بمعركة الطريق الذي يسمونه باربور .. ونجح التسلل الذي قام به داني مات دون أن يشتبك مع القوات المصرية واستطاع العبور بـ ٢٧ دبابة إلى الغرب و ٧٥٠ جندياً إسرائيلياً .. وكان سبب نجاح داني مات أن القيادة المصرية وقد أغراها النصر المتواصل على القوات الإسرائيلية التي تقوم بالهجوم المضاد ودمرتها في كل مرة .. وقد فاجأ هذا العبور المصريين إذا لم تكن هناك قوات في الناحية الغربية للقتال وعندما وصلت القوات الإسرائيلية إلى ضفاف القناة الغربية أرسلت برقية إلى شارون (اكابلكو) كلمة السر لنجاح العبور.

لم تكن خطة العبور أن تعبر قوات صغيرة لغرب القناة ولكنها كانت تريد أن تبني كوبري للعبور وتكون هناك على الضفة الغربية وذلك قبل عبور أية قوات أخرى .. ولكن نظراً للمعارك التي دارت على طريق باربور لم تستطع القوات الإسرائيلية أن تصل إلى الضفة الغربية وذلك لكثافة النيران المصرية والست مجموعات التي هاجمت كان تتكون من حوالي ١٠٠٠ دبابة وألوف من الصواريخ المضادة للدبابات ومن المدافع وذلك في يوم ١٤ أكتوبر وقد وصف كولونيل إسرائيلي هذا المنظر بأنه نهر من الأسلحة يجري فوق رمال الصحراء[1] ... وكان يقابل هذا حوالي ٧٥٠ دبابة إسرائيلية.

وقد كتب الشاذلي بعد ذلك أن نتيجة هذا الهجوم كانت متوقعة .. فقد هاجم المصريون بدبابات T ٥٥ و T ٦٢ وكانت الشمس في عيونهم وكانت الدبابات سنريون أكثر تقدما ضد نيران المدافع المكثفة كما أن المهاجمين في الجنوب وقعوا تحت هجومهم والطائرات الإسرائيلية وتحت وابل القنابل المتساقطة من الطائرات

---

(1) Quandit

الإسرائيلية خسر المصريون في هذا اليوم أكثر من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ دبابة ومئات الجنود .. وبعد هجوم الطائرات حاول برليف أن يجعل المصريون يتراجعون دون نظام ولكنه لم ينجح في ذلك.

لقد حدد شارون العبور بمنطقة المزرعة الصينية شمال البحيرات المرة .. وخدع الجيش المصري وظن أن الهجوم الإسرائيلي للاستيلاء على الطريق البري (باربور) واشتبكت الدبابات المصرية والإسرائيلية في معركة طاحنة كادت تشتبك فيها مدافع الدبابات .. وإليك ما قاله كاندت

Quandit, Williams

في كتابه Camp David Peacemaking and Politics

"لقد رأيت مئات الدبابات والسيارات المصفحة وهي محترقة في الصحراء .. وداخل هذه الدبابات والسيارات المصفحة كنت ترى جثث الجنود المحترقة أو كنت تراها متناثرة فوق رمال الصحراء".

وكان شارون يظن أنه إذا عبر بدون قتال إلى الغرب متجنبا الفرقتين التي تحرس المزرعة الصينية وهاجم من الغرب سيأخذ المصريين بالمفاجأة ومرة أخرى أخطأ في حساباته لأن القوات المصرية صمدت في أماكنها ولم يستسلموا ولكن معاودة الهجوم المتتابع أرهقت المصريين المدافعين ببسالة وفي أثناء ذلك تسللت الفرقة الخامسة بقيادة داني مات ووصلوا إلى ضفة القناة في عدة سيارات عسكرية وهم يحملون قوارب مطاطة.

وبقيت الكباري شرق المزرعة الصينية وهي محطمة جزئيا أو غير قادرة على الوصول إلى ضفة القناة. قوة اسرائيلية صغيرة كانت على الضفة الغربية ولكن خلفها لم يكن هناك رأس كوبري وأن الطريق إلى القناة كان مغلقا تماما .. ومنعت قيادة الأركان الإسرائيلية نقل أي قوات أخرى عبر القناة حتى يمكن تأمين الطريق أو بناء كوبري على ضفة القناة وتثبيته [1].

---

(1) Israelian Victor, "The October War: Kessinger in Moscow", Middle East Journal (1995).

عند فجر ١٦ أكتوبر من وجهة النظر الإسرائيلية كان المصريون مشغولين بالمعارك في (باربور) وحول (ماسوري) ولم يكن يعلمون ما الذي يجري في (ماتزمن) ولم يعلموا أن الإسرائيليين كانوا متواجدين في الضفة الغربية وأن هناك هجوما كبيرا لعدد من القوات الإسرائيلية في غرب القناة .. وحوالي الساعة ١٢ ظهراً وصلت معلومات أن القوات الإسرائيلية غرب القناة ولكنهم فكروا أن هذا عبور صغير وأنه ليس هجوما مضاداً كبيراً للإستيلاء على أرض غرب القناة .. وقد أعلنت القيادة المصرية أن سبعة دبابات تسللت غرب القناة وفي هذا اليوم توجه السادات إلى مجلس الشعب ولم يذكر شيئا عن وجود قوات اسرائيلية غرب القناة .. وأعلن عن نيته فتح قناة السويس للملاحة (١).

وعندما ذهبت جولدا مائير إلى الكنيست وأعلنت للشعب الإسرائيلي أن قوات إسرائيل تحارب غرب القناة .. عند ذلك بدأت القيادات العسكرية المصرية تفهم ماذا حدث وبدأت في اعداد الخطط لمقاومة العبور وبدأت في إطلاق النيران على نفقط العبور.

وطبقاً للتقارير الروسية إن عبور القوات وتمركزها غرب القناة سبب ذعرا لدى القيادات العسكرية والسياسية .. وقد فكر البعض في نقل الحكومة إلى أسيوط ومنها تقود حركة شعبيته ضد الغزو الإسرائيلي (٢).

أما بالنسبة للقوات الإسرائيلية غرب القناة فقد كانت غير واضحة حتى يوم ١٦ أكتوبر وبالرغم من أن القوة الصغيرة غرب القناة قد قامت بتحطيم ست قواعد صواريخ في ست ساعات (٣).

ولكن إذا نظرنا إلى الوضع العسكري فقد كانت القوات الإسرائيلية في غرب القناة تحت خطورة قدرة القوات المصرية في تحطيم رؤوس الكوبري الذي أقامته

---

(1) Adan, Avrcham (Heb.) On the both banks of the Suez. Jerusalem Idamine 1979.
(2) Bram, Shegly.
(3) Shagby.

القوات الإسرائيلية على قناة السويس. وكان لابد من تأمين الطريق من الشرق إلى الغرب حتى يمكن أن تصل الإمدادات إلى القوات الإسرائيلية في غرب القناة أو عليها أن تنسحب وإلا كانت معرضة للهلاك وفكرة الانسحاب من غرب القناة نوقشت في القيادة الإسرائيلية ولكن عارض شارون بشدة وأصبحت مهمة آدان أن يحمي رأس الكوبري والممر الذي يضمن وصول الإمدادات للقوات غرب القناة. وقد باءت بالفشل محاولة أدان هذه الليلة الإستيلاء على باربور.

ولكن هجوم لاحق قاده ايرال مردخاي ومعه مساعده على قواعد الصواريخ في المزرعة الصينية. ولكن الهجوم فشل نظراً للنيران المكثفة من الجانب المصري وفي الصباح جاء إيهود باراك قائداً لفرقة دبابات حملت بقايا فرقة مشاة المظلات وعادت بها. وبالرغم من أن الهجوم فشل إلا أنه أحدث خسائر جسيمة للقوات المصرية. وجعل الجيش الثاني يؤجل الهجوم على القوات الإسرائيلية .. وفي أثناء معركة المزرعة الصينية استطاع آدان وقد كانت هذه مقامرة خطيرة .. أن يدفع بطابور من الدبابات وهي تحمل أجزاء كوبري ووصلت أجزاء هذا الكوبري الساعة ٦,٣٠ من صباح يوم ١٧ أكتوبر. في منطقة (ماتزن).

وكانت خطة المصريين في صباح هذا اليوم هو مهاجمة (ماتزن) من الشمال والجنوب ورأس الكوبري من الغرب وقد أعلن الشاذلي فيما بعد أنه كان يعارض الفكرة وكان يطالب الجيش الثالث بأن يعبر القناة مرة أخرى إلى الغرب ويسير من الشمال في محاذاة البحيرات المرة ويهاجم القوات الإسرائيلية من الجنوب .. ولكن السادات وأحمد إسماعيل رفضا أن ينسحب جندي واحد من الشرق إلى الغرب ..

وقد هاجم أدان المزرعة الصينية في صباح هذا اليوم من الشرق والغرب والجنوب واستطاع أن يجعل المصريين يتقهقرون إلى الشمال.

وفي أثناء ذلك تحركت معظم قواته نحو الجنوب .. وقد لاحظ تحرك فرقة مصرية إلى الشمال على حدود البحيرات المرة فهاجمها واستطاع أن يحطم حوالي ٦٠ دبابة وعشرات من السيارات المصفحة وقال عنها الشاذلي "وعندما أقبل الليل لم يكن

هناك غير قليل من الأحياء وقد تقهقروا إلى رأس كوبري الجيش الثالث" وفقد أدان ٣ دبابات في هذا الصدام إثنان منهما للألغام. وقد أدى تحطيم الفيلق المصري إلى فشل المصريين في تحطيم عبور الجيش الإسرائيلي.

وفي هذه الأثناء بدأ المهندسون الإسرائيليون بإقامة كوبري عابر آخر فوق القناة وهم يعملون تحت وابل من نار المصريين. وبدأت الطائرات المصرية التي كانت تختفي في قواعدها في داخل مصر في التدخل وقد أحالت المدفعية المصرية وطائرات الميج المنطقة إلى جهنم ومع ذلك فإن الجنود الإسرائيليين كانوا يعملون في توصيل الكوبري تحت وابل النيران.

وفي الساعة الرابعة ونصف تم تركيب الكوبري وقبل يوم ١٨ أكتوبر عبر آدان بفرقتين من الدبابات وفي خلال اليومين استطاع آدان أن يحتل منطقة غرب القناة وبعيدة عن رأس الكوبري الذي تم مده على القناة. وكان هجوم المصريين يتم بقوات غير كبيرة وبدون تنسيق وأعلنت القيادة العسكرية أن عدد سبع دبابات استطاعت أن تتسلل غرب القناة في منطقة الدفرسوار وجاري تصفيتها.

وهنا بدأت القيادة العسكرية المصرية في تنفيذ آراء الشاذلي في نقل بعض القوات من غرب القناة .. ولكن القوات التي جاءت كانت صغيرة ولم يكن هناك تنسيق بينها أو وصلت متأخرة ولم يكن لديها معرفة عن حجم القوات الإسرائيلية التي تركزت غرب القناة.

في يوم ٢٠ أكتوبر استطاع الجيش الإسرائيلي أن يطهر حوالي ثلاثة أميال شرق القناة في منطقة باربور واستقرت فرق شارون وآدان في غرب القناة وكانت البحيرات المرة في جنوبها والقناة على شرقها وفي الغرب كانت الترعة التي تحمل الماء العذب إلى الإسماعيلية ثم تنحني جنوبا وتسير في حذاء القناة والبحيرات المرة حتى السويس. والأراضي الزراعية تقع على ضفتي الترعة. وأصبحت مهمة القوات الإسرائيلية أن تنزع النصر الذي حققته القوات المصرية .. وصار الجانبان في سباق مع الزمن المصريون يريدون أن يقيموا خط دفاع غرب الكوبري الذي أقامه

الإسرائيليون ثم يبدأون في الهجوم لتحطيم رأس الكوبري لمنع الإمدادات من الوصول إلى القوات الإسرائيلية في غرب القناة أما بالنسبة للإسرائيليين فإنهم يريدون تحطيم قواعد صواريخ الجيش الثالث والجيش الثاني وكانوا يريدون أن يحيطوا بالجيش الثالث وذلك قبل أن يفرض وقف إطلاق النار بواسطة القوى العظمى أو الأمم المتحدة.

عند ظهور أول خيوط النور يوم ١٨ أكتوبر اتجهت القوات الإسرائيلية نحو الشمال والجنوب والغرب .. والمصريون نظراً لعدم قدرتهم على فهم ماذا يريده الإسرائيليون لم تكن لهم خطة ليتم احتواء هذا الهجوم الإسرائيلي وتصرفوا ببطء ولم يكن تنفيذ الخطة الإسرائيلية سهلاً فقد قامت وحدات من الجيش المصري بالهجوم حول منطقة العبور مستغلة في ذلك القوات التي كانت تعتبر خط الدفاع الثاني يوم ٦ أكتوبر ولم تنجح في تدمير أو حصار رؤوس الكباري.

وبينما كانت الدبابات الإسرائيلية تشق طريقها من الكوبري إلى الضفة الغربية للقناة وحلقت الطائرات المصرية وهي تلقي بقنابلها محاولة تحطيم الكوبري عند منطقة العبور .. وحاولت في محاولات انتحارية تحطيم رأس الكوبري .. ولكن هذا الهجوم قوبل بنيران مكثفة من القوات الإسرائيلية. وفي النهاية خسر المصريون ١٦ طائرة وسبعة هليوكبتر فوق رأس الكوبري خلال هذا اليوم.

وفي نفس اليوم هاجمت الطائرات الإسرائيلية مدافع سام ٦ وحطموا ست مواقع مستخدمين القنابل والصواريخ المضادة لسام ٦ وفقدت إسرائيل ٦ طائرات فانتوم. وعاد الطيران الإسرائيلي إلى سياسة اضرب واهرب واستطاع خلال أربعة أيام تحطيم أربعة من قواعد الصواريخ دون أن يفقد طائرة واحدة [1].

ولكن المعركة الأساسية كانت في ميدان القتال في يوم ١٩ أكتوبر. في هذا الوقت تسلح الجيش الإسرائيلي بـ ٣٥٠ دبابة على الضفة الشرقية وقررت القيادة الإسرائيلية أن الهجوم يجب أن يكون في اتجاه الجنوب وتتولى فرقة آدان وجنرال كاكان خاصة الذي حل بدلا من الرئيس مارترل الذي قتل بنيران مصرية. وذلك

---

(1) Young 353-54

لمحاصرة الجيش الثالث. ومجهود آخر بواسطة فريق شارون كان عملية في نفس الوقت أن يهاجم في الشمال محاذيا غرب القناة وذلك للاستيلاء على الإسماعيلية.

في فجر يوم ١٩ أكتوبر وكان بودجرني في القاهرة منذ ١٦ أكتوبر يطالب السادات بالموافقة على طلب وقف القتال وأراه صور طائرات التجسس السوفيتية وظهرت في هذه الصور حجم القوات الإسرائيلية غرب القناة .. وأخيراً وافق السادات على وقف إطلاق النار وأرسل السادات إلى الأسد موافقته على وقف إطلاق النار والذي اعترته الدهشة وعلاه الغضب لأن الاتفاق يعزز ألا يوقف أي منهما القتال حتى يستشير الآخر ولكن لم يكن الأسد يستطيع أن يحارب وحده فكان مضطراً كذلك لوقف القتال.

قبل منتصف الليل عقد السادات اجتماعا للقيادات العسكرية لبحث الأمر وكانت آراء الشاذلي واضحة. إن محاولة الجيش في الثلاث أيام الماضية لتحطيم الجيش الإسرائيلي غرب القناة أو اختراق هذه القوات باءت كلها بالفشل. وإذا لم تستطع القوات المصرية النجاح في صد تقدم القوات الإسرائيلية فإنه سيتم محاصرة الجيش الثالث .. وبعد ذلك تتم محاصرة الجيش الثاني .. وطالب الشاذلي بأن تسحب أربع فرق مدرعة من الجيش الثالث والجيش الثاني حتى يمكن احتواء وهزيمة الفرق الإسرائيلية غرب القناة وقد ادعى السادات أن الشاذلي طلب سحب الجيشين غرب القناة حتى يمكن احتواء الهجوم الإسرائيلي وكان رد السادات أنه لن يسحب جندياً واحداً من شرق القناة. وكتب الشاذلي أن القيادة السياسية المصرية لا تريد أن تعترف بالواقع لقد أصبح النظام ضحية لما أطلقه من أكاذيب وقد ذكر السادات في مذكراته أن الشاذلي وقع ضحية انهيار عصبي وأنه فصل الشاذلي بعد هذا الاجتماع ووضع الفريق الجمصي مكانه وأنكر الشاذلي هذا وذكر أنه لم يفصل إلا يوم ١٢ ديسمبر وذلك بعد انهاء الحرب . ولكن منذ هذه الليلة استبعد الشاذلي من القيادة وبقي اسماً لا فعلاً قائد الأركان (١).

---

(1) Shazly 266, 261 Sadat 262, 68 Ber 65 Shazly 19 – Sadat 18 Aderm (HEBREW) Avradaw

وبعد فجر يوم ١٩ أكتوبر انطلقت الدبابات الإسرائيلية بقيادة أدان وماجن في اجتياح جنوب القناة وتركت الأرض الزراعية وهي الآن تسير في الأرض الصحراوية وتثير الغبار وتتاثرت الدبابات الإسرائيلية وهي تعود إلى خطتها في المغادرة والهجوم المفاجئ؛ ولم تكن هناك قوات مصرية كافية غرب القناة فحطمت قواعد الصواريخ وهما في طريقها لمحاصرة الجيش الثالث .. وحتى المساء كانوا قد تقدموا حوالي ٢٥ ميلا . وفي هذه الأثناء حاول شارون التقدم نحو الشمال ولكنه قوبل بمقاومة عنيفة ولم يستطع التقدم إلا ميلاً واحداً. وقد قاتل المصريون بشراسة وهم يعلمون أن مصير الإسماعيلية والجيش الثاني في خطر.

وفي فجر يوم ٢٠ واصلت قوات آدان وماجن تقدمها في جنوب القناة وهي تدمر في طريقها قواعد صواريخ سام ٦ وبعض الدبابات التي قاومت وقد فاجأتهم الدبابات الإسرائيلية لأنهم لم يكونوا يعلمون أن هناك قوات إسرائيلية غرب القناة وتقدمت القوات حتى وصلت إلى خط سكة حديد السويس القاهرة وأما شارون في الشمال فلم يستطع التقدم سوى ميل واحد نحو الإسماعيلية.

وقد طار كيسنجر إلى موسكو حتى تستطيع القوى العظمى فرض وقف إطلاق النار على مصر وإسرائيل.

وفي يوم ٢٦ بدأ المصريون في مقاومة القوات الإسرائيلية المهاجمة بقيادة آدان وماجن وأجبروها على التوقف. ولم يستطع شارون التقدم سوى ميل واحد. ولم تستطع القوات المهاجمة في الجنوب أن تتقدم.

ولم يعد أمام القوات الإسرائيلية إلا ساعات قبل أن يفرض وقف القتال حتى ينموا الهدف الذي من أجله عبرت القوات الإسرائيلية وفي ليلة ٢٠ أكتوبر كان كيسنجر مجتمعاً مع برزنيف ومساعديه للمفاوضة على فرض وقف إطلاق النار. وكان المصريون قد تنازلوا عن شرطهم لوقف إطلاق النار أن تعود القوات الإسرائيلية إلى حدود (١٩٦٧) وخوفاً من أن ينقلب النصر المصري إلى هزيمة فإن السادات استدعى السفير السوفيتي فلاديمير فيوجرانوف مرتين يوم ٢١ أكتوبر وطالب من السوفييت

التدخل لفرض وقف اطلاق النار فوراً. وفي هذا اليوم وصل كيسنجر وبرزنيف إلى اتفاق لوقف اطلاق النار والذي أصبح فيما بعد قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٤ والذي يقرر أن يوقف القتال في خلال ١٢ ساعة وأن تبدأ الأطراف المتعادية في مفاوضات من أجل سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط على أساس من القرار رقم ٢٤٢.

وقد وافق أعضاء المجلس على هذا القرار ١٤ موافقون وفيما عدا الصين التي لم تصوت. ويسري وقف اطلاق النار الساعة ١٢,٥٢ بتوقيت نيويورك.

واستمرت إسرائيل في عدوانها لأنها تريد محاصرة الجيش الثالث ومنذ يوم ٢٠ أكتوبر وكيسنجر يحاول مع زعماء السوفييت الوصول إلى اتفاق على وقف إطلاق النار وقد حاول كيسنجر أن يطيل في وقت المفاوضات لاعطاء إسرائيل الوقت لتنفيذ مخططاتها.

وعندما تم وقف إطلاق النار .. كانت هناك مناقشات حامية في مجلس الوزراء وبين الجنرالات هل تلتزم إسرائيل بوقف إطلاق النار أم تواصل العمل حتى تستكمل حصار الجيش الثالث. ورجحت كفة عدم التزام إسرائيل بوقف إطلاق النار. وبالرغم من أن طريق السويس القاهرة كان قد قطع، إلا أن المصريين واصلوا إمدادات الجيش الثالث بأن يأخذوا طريقاً دائرياً لخليج السويس ثم عن طريق السويس وتصل الامدادات إلى الجيش الثالث. وسوريا لم تقبل وقف إطلاق النار ولذلك أعطي ديان القوات الإسرائيلية غرب القناة النور الأخضر لمواصلة التقدم والاستيلاء على السويس. وخالفوا وقف إطلاق النار طوال يوم ٢٣ أكتوبر .. وعندما تقدمت القوات الإسرائيلية إلى قرب السويس هاجمت الطائرات المصرية في مهمة انتحارية واشتبكت مع بعض طائرات اسرائيلية وفقدت مصر ١٤ طائرة. وقد قال الشاذلي أنه ليس من البطولة بعد أن صدر وقف اطلاق النار أن تقدم القوات الإسرائيلية بقيادة ماجان بمهاجمة مراكز إدارية للجيش المصري وبها عدد من الجرحى لتستكمل محاصرة الجيش الثالث.

ولكن كان هناك معركة أخيرة لأدان إذ صدرت إليه الأوامر في يوم ٢٣ أكتوبر رغم قرار وقف إطلاق النار للاستيلاء على مدينة السويس.

وكانت المخابرات الإسرائيلية تعلم أن المدينة قد أفرغت من سكانها خلال حرب الاستنزاف من ١٩٦٨ - ١٩٧٠ .. ولكن كان بها فرقتان من المدفعية مسلحتان بصواريخ ستاجرز ضد الدبابات.

ولكنهم كانوا يعتقدون أن المصريين وقد فقدوا روحهم المعنوية لابد أن يستسلموا بسهولة. وقد كان الإسرائيليون مخطئين في هذا فقد أعد لهم المصريون استقبالاً حافلاً. وانهالت على الفرقة المهاجمة نيران المدافع والصواريخ المضادة للدبابات.

وقتل جميع جنود المشاة المهاجمين حيث انهالت عليهم القنابل من كل جانب وتقهقرت القوات الإسرائيلية تاركة وراءها دباباتها المحترقة وقد صدر قراران من مجلس الأمن يوم ٢٧ ، ٢٨ أكتوبر بأن يتوقف القتال فوراً وهدد الاتحاد السوفيتي بالتدخل العسكري وأرسلت قوات الأمم المتحدة لمراقبة وقف إطلاق النار.

وفي حرب ١٩٧٣ خسرت إسرائيل ٢,٣٠٠ جندي نصفهم من رجال الدبابات و ٥,٥٠٠ جريح وحوالي ٢٩٤ أسيراً معظمهم من الجنود الذين كانوا بخط بارليف.

ويحكي لنا كيسنجر في كتابه Henry Kissinger

Years of Upheaval

"في يوم السبت الموافق ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ كنت نائماً في الجناح المخصص لوزير خارجية الولايات المتحدة في والدورف استوريا. وكنت في نيويورك لحضور الاجتماعات السنوية للأمم المتحدة .. وفجأة حضر جوزيف أ. سيسكو وكيل وزارة الخارجية لشئون الشرق الأوسط وجنوب آسيا .. وبعد أن استيقظت .. صرخ سيسكو أن مصر وسوريا ستهاجم إسرائيل وطالب سيسكو أنني إذا تدخلت مباشرة قد يمكن أن نوقف الحرب، وقد وصلت سيسكو رسالة عاجلة من سفير أمريكا في إسرائيل كينيث كينج وهو عضو شيوخ سابق .. أن جولدا رئيسة الوزراء قد استدعت السفير إلى مكتبها في القدس وقد تعجب السفير لأن هذا يوم كيبور ولكن رئيسة الوزراء قالت إن إسرائيل في خطر إذ أن سوريا ومصر تهاجمان إسرائيل ..

وقد يكون السبب في هذا الهجوم أن سوريا ومصر قد ظنتا أن إسرائيل ستقوم بالهجوم عليهما فاتصلت بالسفير الروسي في واشنطن الذي أيقظته من النـــوم وقالـــت لـــه أن إسرائيل لا تريد أن تهاجم سوريا ولا مصر وعند ذلك قال السفير الروسي وأن مـــصر وسوريا إن هذا ادعاء من إسرائيل لتتخذ منه ذريعة لمهاجمة مصر وسوريا.

وفي الساعة ٦,٥٥ اتصلت تليفونياً بموردخاي شاليف وهـــو القـــائم بأعمـــال السفارة الإسرائيلية لأن السفير سيمكا دانتز كان في إسرائيل لوفاة والده وفي الـــساعة ٧,٥٥ صباحاً اتصلت تليفونياً بوزير خارجية مصر محمد حسن الزيات الـــذي كـــان يشترك في اجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة واتفقنا على أن نواصل دراســـة مشكلة الشرق الأوسط وذلك بعد الانتخابات الإسرائيلية التي ستبدأ يوم ٣٠ أكتوبر. ولم يكن الزيات يعرف بنية السادات في الهجوم. وبعد ذلك حاولت الاتصال بنائب وزيـــر خارجية سوريا محمد زكريا إسماعيل الذي كان موجوداً في نيويـــورك ولكـــن بـــدون جدوى حيث أن بعثة سوريا في الأمم المتحدة لم ترد على التليفون. لقد كـــان الهجـــوم المصري السوري مفاجأة فقد أجمع المحللون الأمريكان والإسرائيليون على أن مـــصر وسوريا تنقصهما الإمكانيات العسكرية لاستعادة الأراضي التي احتلتها إســـرائيل عـــام ١٩٦٧ وبذلك لن تكون هناك حرب.

الفصـــل الرابـــع

معركة السويس

ويقول هايم هيرتزج في كتابه The Arab – Israeli Wars

تقدم ماجن نحو مدينة السويس وقد ترك مجموعة صغيرة من الـدبابات عنـد الكيلو متر ١٠١ في طريق القاهرة – السويس وقد مرت فرقة مـاجن فـي الطريـق الرئيسي للسويس وبجوار جبل عتاقة الذي يسيطر على المنطقة الجنوبية حتـى مينـاء الأدبية ويتجه جنوبا حتى السويس. وبدأ دان وشـارون فـي الهجـوم. وقـد حـاول المصريون صد هذا الهجوم. وكانت القوات المصرية مازالت تحارب باستماتة وعنـد ذلك أمر ديان بالتقدم والاستيلاء على السويس وكان جونين يقول إذا كانـت المدينـة فارغة من سكانها فإننا سنحتلها أما إذا كانت محصنة فلا داعي للمخـاطرة. وتقـدمت قوات كارين على الطريق الرئيسي واستولت على معسكرات الجـيش فـي ضـواحي المدينة التي لم يكن بها جيش وكان معه فرقة من مشاة المظـلات. ومـا أن دخلـت الدبابات الإسرائيلية المدينة حتى انهال الرصاص عليهم من كل جانب والمدافع المضادة للدبابات فقتل جميع الجنود المشاة المهاجمين وهرب جزء من مشاة المظلات حـوالي ٧٠ ينسحبون تحت جنح الظلام حتى استطاعوا أن يخرجوا من مدينة السويس وتقهقروا حتى وصلوا إلى القوات الإسرائيلية في طريق القاهرة السويس وبقيت مجموعة أخرى محاصرة في مدينة السويس بعد أن قتل قائدها.

وخلال أربع ساعات وتحت جناح الظلام جمعوا جرحاهم وانسحبوا في صمت ولكن مازالت كتيبة إسرائيلية اختبأت في إحدى المباني وطلب منهم جونين أن ينسحبوا وكان قائدهم قد قتل واستطاع جونين بواسطة التصوير الجوي أن يعرف موقع المبنـى الذي اختبأوا فيه. وخلال أربع ساعات قاد جونين شخصيا من خلال الراديو هذه الكتيبة

المحاصرة حتى أخرجها من مدينة السويس ويعترف الإسرائيليون أن الهجوم على السويس كان غلطة فادحة وقد فقد الإسرائيليون ٨٠ جنديا في هذا الهجوم الفاشل.

وأما الجيش الثالث والذي كان الإسرائيليون يحاولون محاصرته فقد استعد للدفاع حتى آخر رجل. واستطاع اللواء أحمد بدوي قائد اللواء السابع مدفعية أن يصمد في شرق القناة ونظم قواته للدفاع واستمر يتحكم في رأس الكوبري في الشمال في الأيام من ٢٠ حتى ٢٤ أكتوبر ... وقد استطاع أن يؤمن طريقا للامدادات من خلال الجزء الشمالي من خليج السويس. وقد صمم الجيش الثالث بقيادة بدوي على أن يقاوموا مقاومة باسلة لو أن الجيش الإسرائيلي هاجمه.

وتظل الكتب الإسرائيلية التي كتبت عن معارك سنة ٧٣ تؤكد أن الجيش الثالث محاصر. ولكن الواقع العسكري كان يدل على أن الجيش الإسرائيلي في غرب القناة والذي احتل حوالي ١٠٠ ميل غرب القناة فإنه كذلك كان في موقف لا يحسد عليه ولو استمرت الحرب لأدت إلى خسائر كبيرة للطرفين.

وبلغ عدد الموتى المصريين حوالي ١٢,٠٠٠ والجرحى ٣٥,٠٠٠ وبلغ عدد الأسرى ٨٠٠ وأما السوريون فكان عدد موتاهم ثلاثة آلاف وخمسة آلاف جريح و ٤١١ أسيراً ومن ضمنهم ١٣ عراقي وستة من المغرب.

وأما نسبة خسائر العرب في السلاح كانت أكبر من ذلك بكثير وذلك لأن الدبابات التي كان قد تحطمت في الحرب وقعت في يد إسرائيل، وأما الدبابات الإسرائيلية التي تحطمت فقد استعادتها إسرائيل وقامت بإصلاحها.

ومئات من الدبابات المصرية والسورية المحطمة التي استولت عليها إسرائيل قامت بإصلاحها وأعادت استخدامها وقد فقدت مصر حوالي ١٠٠٠ دبابة وفقدت سوريا حوالي ١١٠٠ دبابة وفقدت إسرائيل حوالي ٤٠٠ دبابة وعدد آخر كبير أصابته قذائف ولكن إسرائيل قامت بإصلاحه واستخدمته بعد حرب ١٩٧٣.

وأما من ناحية الطائرات فقد فقدت إسرائيل حوالي ١٥٢ طائرة حوالي ثلث سلاحها الجوي وخمسة هليوكوبتر ومنها حوالي ١٠٢ أسقطت بواسطة الصواريخ

وفقدت مصر حوالي ٢٣٥ طائرة و ٤٢ هليوكبتر وفقدت سوريا ١٣٥ طائرة و١٣ هليوكبتر وكان أكثر من ٣/٢ الطائرات المفقودة نتيجة المعارك الجوية.

وكانت خسائر المصريين من قواعد الصواريخ كبيرة نتيجة لهجوم الطيران المكثف على الضفة الغربية للقناة فقد حطمت الغارات الجوية حوالي ٤٥ قاعدة للصواريخ. وفقد السوريون أربعة قواعد لصواريخ سام. وقد أصيب حوالي ١٦ قاعدة أخرى بخسائر طفيفة وقد فقدت إسرائيل قاعدة واحدة للصواريخ.

وأما خلال الحرب البحرية فلم تخسر إسرائيل أي سفينة وخسرت مصر سبع زوارق صواريخ وأربعة زوارق طوربيد وأما السوريون فقد فقدوا أربعة زوارق صواريخ وواحدة من كاسحات الألغام وطرادة من خفارة السواحل .. ولم تكن إسرائيل في الحقيقة مستعدة لقوة النيران العربية التي مثلتها صواريخ ستاجرز ولا للمدافع المضادة للدبابات وصواريخ ر ب ج التي استخدمتها المدفعية العربية ولم يكن لدى قوة إسرائيل الجوية شيئا ضد صواريخ سام ٦ ولم تكن المدفعية الإسرائيلية في بداية الحرب مستعدة إلا بقواعد البازوكا للصواريخ والمدافع الأتوماتيكية ومدافع رشاشة من طراز (أوذي) ولم تكن مساوية لقوة المدفعية المصرية أو السورية حتى أمدتها أمريكا خلال الحرب بكميات كبيرة من المدافع الرشاشة من طراز م ١٦٠ وصواريخ Tow المضادة للدبابات.

لم تكن قوات إسرائيل البحرية مقصورة على زوارق الصواريخ في ليلة أكتوبر ١٦ مجموعة من قوات الكوماندوز استعملوا غواصة صغيرة الحجم اخترقوا ميناء بورسعيد واغرقوا زورقاً من زوارق الصواريخ وسفينة من قاذفات الصواريخ وفقدت إسرائيل اثنين من الكوماندوز اللذين فقدا في الظلام واعتبرتهما إسرائيل فقدا في هذا الهجوم.

وهاجمت قوات من البحرية الإسرائيلية الغردقة أربع مرات وأغرقت قاربين من قوارب الصواريخ. وقد استطاعت البحرية المصرية إغلاق خليج العقبة ونجحت في منع حاملات البترول الإسرائيلية من الخروج إلى البحر الأحمر وبذلك سدت الطريق

من ميناء ايلات إلى باب المندب.

إن نتائج حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ لا يمكن أن تقاس بأية حال من الأحوال بحرب ١٩٦٧.

فالجنود السوريون والمصريون حاربوا بشجاعة وانتصروا في بادئ الأمر وحتى بعد الهجوم الإسرائيلي فإن الجيشين احتفظا بشجاعتهما حتى آخر لحظة من الحرب وقد انتهت الحرب – وذلك بخلاف حرب ١٩٦٧ . بدون نتيجة حاسمة. وبالرغم من أن الجيش السوري قد تقهقر داخل سوريا وأصبح الجيش الإسرائيلي على بعد ٢٠ ميلاً من دمشق.

ولكن الجيش السوري لم ينكسر ومازال يمثل خصما قوياً في الدفاع عن أراضيه ولم تستطع القوات الإسرائيلية التقدم داخل سوريا بعد ١٤ أكتوبر.

في سيناء كان الموقف أكثر تعقيداً فقد كان الجيش الثالث محاصرا وبعض خطوطه الخلفية سقطت تحت الهجوم الإسرائيلي وأما الجيش الثاني فقد كان يحتفظ بخطوط مواصلاته وإن كانت الاسماعيلية على مرمى نيران القوات الإسرائيلية.

وفي يوم ٢٥ أكتوبر لقد حقق جنود مصر هدفين عظيمين .. فقد ردوا عار هزيمة سنة ١٩٦٧ وأنهم احتلوا ست أميال شرق القناة ولم نستطع القوات الإسرائيلية المهاجمة زحزحة المصريين من الأراضي التي احتلتها في شرق سيناء .. وأما الهدف الثاني فقد حركت الجمود السياسي والعسكري الذي كان يحيط بأراضي سيناء المحتلة.

وقد اختلفت معالجة جمال عبد الناصر لحرب ١٩٦٧ والسادات لحرب ١٩٧٣ ونود أن نشير إلى القصة التي ذكرها هيكل في كتابه الحرب والسياسة ص ٤٨٦

كان الجو العربي مشوشاً والتصرفات متناقضة وأحيانا غامضة ولم يكن ذلك التشويش مقصورا على مستوى القمة وإنما نزل التشويش إلى ما تحت القمة. وقد انعكست حالة التشويش في حوار جري في لجنة عمل خاصة تشكلت في مجلس الوزراء المصري برئاسة الدكتور عبد القادر حاتم القائم بأعمال رئيس الوزراء وكان من أعضائها السيد حافظ إسماعيل بوصفه مستشار الأمن القومي للرئيس وكان الهدف

من عضويته للجنة أن يكون صلة بين الرئاسة واللجنة . ويحكي لنا هيكل هذه القصة كانت الأجواء في قصر الطاهرة مليئة بشحنات مكهربة في الصباح الباكر من يوم ١٨ أكتوبر فقد وقعت واقعة غريبة وخطيرة قبل الفجر ففي الساعة الثالثة وصل إلى باب القصر على غير انتظار عدد من الضباط الشبان العاملين في القوات العامة حوالي ١٥ ضابطا وقد طلبوا مقابلة الرئيس فتصدت لهم الحراسة ونشأ موقف ينذر باحتمال حدوث مضاعفات. وجرى استدعاء الضابط النوبتجي في مكتب الشئون العسكرية الذي تدارك الأمر فدعا الضباط القادمين في الفجر للدخول إلى مكتبه والتحدث معه بهدوء.

كانوا مصرين على مقابلة رئيس الجمهورية والقائد الأعلى وحين قيل لهم أنه نائم أصروا على إيقاظه وبسبب الظروف والملابسات وتوتر الجو في مناخ حرب فإن الضابط النوبتجي طلب منهم أن يمنحوه فرصة ليتحدث إلى الرئيس السادات وبالفعل صعد الضابط النوبتجي إلى الدور الثاني متوجهاً إلى قاعة السكرتارية بجوار غرفة الرئيس وشرح ظروف الموقف الخطر الذي حل بالقصر فجأة ثم اقترح ايقاظ الرئيس من النوم ووضع الأمر أمامه يشير فيه بما يرى.

وفوجئ الرئيس السادات بأحد أفراد سكرتيريته يوقظه من النوم مضطربا ويروي له ما حدث. وانفعل الرئيس السادات لأول وهلة ثم سكنت أعصابه عندما جاء الضابط النوبتجي من مكتب الشئون العسكرية وروى له ما أحس به من مشاعر الضباط القادمين في الفجر. وأنهم يريدون مقابلته بصفته القائد الأعلى ولم تصدر عن واحد منهم كلمة خارجة أو تصرف غير لائق. واعتدل الرئيس السادات في فراشه ثم بدأ وهو يفكر بسرعة. وقد ذهب إلى دولابه في قاعة النوم وأخذ منه روبا وضعه على بيجامته ثم طلب من الضابط النوبتجي أن يجئ إليه بالضباط في الصالون الملاصق لحجرة النوم. بينما كانت مجموعة الضباط القادمين إلى قصر الطاهرة عند الفجر يصعدون ويسألهم بود ظاهر قائلاً طبقاً لروايته "خير يا أولادي" وبدأ إثنان أو ثلاثة يتكلمون في نفس اللحظة ورجاهم الرئيس السادات أن يتحدث واحد منهم لأنه يريد أن يفهم بهدوء ما دعاهم إلى مقابلته في هذه الساعة وتكلم أحدهم وكان مؤدي كلامه:

أنهم جميعاً من ضباط القيادة، وقد لجأوا إليه باعتباره القائد الأعلى عندما شعروا طوال الليل أن القيادة العامة للقوات المسلحة في حالة عجز تجاه ما يمكن عمله لوقف الثغرة وفي حالة عجز عن مواجهتها. وأنهم فكروا وتناقشوا وطافت برؤوسهم أفكار. وصفها الضابط المتكلم بأنها مجنونة. لكنهم سيطروا على أعصابهم وقرروا أن يلجأوا إليه لأنه لابد أن يفعل شيئاً بنفسه في هذه اللحظة وأن يتدخل بشخصه لاعادة الأمور إلى الوضع الصحيح والسليم. فمصير البلد في خطر، ومصير قواتها المسلحة معرض لكارثة.

وكان الرئيس السادات يصغى باهتمام. ودارت مناقشة شابتها العصبية في بعض اللحظات ثم تمكن الرئيس السادات من السيطرة على الموقف بالكامل وكان آخر ما قاله "اطمئنوا يا أولادي واتركوا لي الموقف، وأنا المسئول عن البلد والجيش".

وبعد أن أتصرف الضباط ظل الرئيس السادات جالسا في الصالون الملحق بحجرة نومه وقد طلب غليونة وعليه التبغ وراح يدخن في صمت.

وفي الساعة التاسعة كان الفريق أول أحمد إسماعيل معه وقد طال حديثهما لمدة ساعة وعشر دقائق وقد فوجئ وزير الحربية بما سمع من الرئيس وكان رد فعله إن الأمر خطير ويستدعي التحقيق مع هؤلاء الضباط بعد التعرف على شخصياتهم وهو أمر ممكن وأقنعه الرئيس إن ذلك ليس وقته إذ أننا في حالة حرب وأن إخلاص هؤلاء الضباط هو الذي دفعهم إلى الإلتجاء إليه.

كان للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تأثير كبير على سير الحرب بالإمدادات العسكرية وفرض وقف اطلاق النار.

خلال تسعة عشر يوماً من الحرب فقد الجانبان المتحاربان كثيراً من المعدات العسكرية وآلاف الدبابات ومئات الطائرات وبعد أيام قليلة من القتال أصبح الطرفان في حاجة إلى إمدادات عسكرية".

ولم يكن لدى الاتحاد السوفيتي اختياراً إلا أن يمد مصر وسوريا بالسلاح إذا أراد أن يحتفظ لنفسه بالموضع الذي اكتسبه في الشرق الأوسط وبداية من أكتوبر ١٠

مارس الاتحاد السوفيتي أكبر عملية إمدادات مستخدما في ذلك الطيران.

وفي كلمات الشاذلي خلال الحرب وصلت الإمدادات الجوية التي حملتها الطائرات الروسية إلى مصر وسوريا حوالي ١٥ ألف طن. ونقلت البواخر الروسية عبر البحر أكثر من ٦٣ ألف طن من المعدات الحربية والذخيرة ومئات من الدبابات وقد وصلت سوريا في ٣٠ أكتوبر.

وقد تسلمت مصر وسوريا حوالي ١٢٠٠ دبابة وحوالي ٢٠٠ طائرة ميج ٢١ وهذه الإمدادات لعبت دوراً مهما في الحرب مما جعل سوريا تستأنف القتال حتى يوم ٢٣ أكتوبر بالرغم من الغارات الجوية المكثفة على قواتها.

وأما إمدادات الولايات المتحدة لإسرائيل التي بدأت يوم ١٣ أكتوبر كانت أكبر من الإمدادات الروسية وهددت إسرائيل باستخدام الأسلحة الذرية إذا نفذت الأسلحة التقليدية وقد استخدم كيسنجر في مذكراته وصف هذا التهديد كلمة "جري أم إنذار".

وتعطيل إرسال السلاح إلى إسرائيل الذي أصدر أمراً به الرئيس نيكسون يوم ٩ أكتوبر كان بسبب بعض التعقيدات الإدارية لدى البنتاجون .. ولكن بعض الإسرائيليين يظنون أنه كان يلعب على الحبلين وهو التأكيد لهم أن الإمدادات سترسل إليهم فوراً ويعمل على تعطيلها بعض الوقت حتى لا يظهر بأنه وهو اليهودي يتحيز لإسرائيل .. وحملت الطائرات الأمريكية حوالي ٢٢,٤٠٠ طن من الإمدادات بين يوم ١٤ أكتوبر و١٥ نوفمبر. ونقلت طائرات العال ١١,٠٠٠ طن من الولايات المتحدة ومن قواعدها في أوروبا وخلال الحرب وصلت إسرائيل ٤٠ طائرة ف ٤ الفانتوم المقاتلة وست وثلاثين طائرة سكاي هوك وإثنى عشر طائرة ناقلة س ١٣٠.

وفي ٣٠ أكتوبر أرسلت الولايات المتحدة ٣٣٠٠٠ طن من المعدات معظمها من الدبابات على بواخر التي تم وصولها حتى ١٢ نوفمبر وبالرغم من كل هذه الامدادات الأمريكية ألا أن جنرالات إسرائيل كانوا بعيدين جداً عن أن يرضوا إذ كانوا يطلبون المزيد .. إذ بعد أسبوع من القتال كانت حاجة إسرائيل للأسلحة والذخيرة ماسة وضرورية وكان التأخير بمثابة ضغط سياسي على إسرائيل حيث أن هذه الإمدادات

كانت أقل من طلبات إسرائيل".

وقد شجعت هذه الإمدادات الجيش الإسرائيلي على أن يقوم بالهجوم المضاد على سوريا يوم ١١ أكتوبر وعبور القناة يوم ١٥ و ١٦ أكتوبر. وكانت واشنطن واعية لحاجة إسرائيل فأقامت جسراً جوياً للإمدادات العسكرية. وفي يوم ١٠ أكتوبر أخبر كسينجر السفير الإسرائيلي سيمكا دنتيز أن إسرائيل يجب أن تهاجم سوريا بكل قوتها وبكل ما لديها من طائرات مقاتلة وبجميع الذخائر التي تحت يدها لأن أمريكا ستعطيها كل شئ" وفي يوم ١٣ أكتوبر طلب منها الهجوم على سوريا حيث أن النقل الجوي للأسلحة سيبدأ.

وأما تأثير القوتين العظمتين فقد انعكس أيضاً على موقفهما من وقف إطلاق النار. ففي الأيام الأولى للحرب عندما كان العرب منتصرين لم يبد الاتحاد السوفيتي اهتماما بوقف إطلاق النار.

وفي ليلة ١٢ أكتوبر اقترح الاتحاد السوفيتي وقف الحرب خوفا من هزيمة الجيش السوري ولكن بناء على طلب السادات أن تعطي لهم الفرصة لهزيمة الجيش الإسرائيلي طلبوا مزيدا من الوقت.

ولكن في يوم ١٨ أكتوبر عندما بدأ الهجوم الإسرائيلي على الضفة الغربية طالبت روسيا وقف إطلاق النار. وفي أكتوبر ١٩ بعد ساعات من وصول كوسيجين من القاهرة .. طالب الروس بحضور كسينجر إلى موسكو. وقد بدأ الروس يحسون أن هزيمة مصر وسوريا قد تكون وشيكة فإنهم طالبوا بشدة بوقف اطلاق النار. وفي أكتوبر ٢٣ طالب الروس بوقف إطلاق النار وهددوا بالتدخل عسكرياً إذا لم تستجب إسرائيل.-

وأخبرت إسرائيل أمريكا أن جيشها سوف يصبح له اليد العليا في الحرب وأنها جعلت الجيش السوري يتراجع ووافق كيسنجر على أن تدك الطائرات الإسرائيلية دمشق ثم بعد ذلك خاف أن يتدخل الاتحاد السوفيتي عسكرياً لو تقدمت القوات الإسرائيلية إلى دمشق .. وقد فضل كسينجر أن تنتهي الحرب وكل من الطرفين يدعي

النصر.

ولكن مصر عارضت اقتراح وقف اطلاق النار ولأن لاتحــاد الــسوفيتي لــم يتحرك فأرادت الولايات المتحدة إعطاء إسرائيل فرصة حتى تستطيع أن تغير نتــائج الحرب ولكن ضغط الاتحاد السوفيتي لوقف اطلاق النار وكــذلك استخــــدام العــرب سلاح البترول بمنع تصديره للولايات المتحدة وهولندا في يوم ١٩ أكتوبر وطبقاً لمــا قالته ألمانيا أن إطلاق سلاح البترول ضد أوروبا كان من صنع مصر ففي ١٠ أكتوبر أرسل السادات بعض معاونيه إلى السعودية والإمارات يطلب المعونة في الحرب وفي يوم ١٦ أكتوبر أعلنت هذه الدول تخفيض الإنتاج ٥% ورفعت أسعار البتــرول إلــى ٧٠% من الثمن قبل الحرب وعدم تصدير البترول للولايات المتحدة حتى تعيد اسرائيل الأراضي التي احتلتها بعد حرب سنة ١٩٦٧ وتعيــد الحقــوق المــشروعة للــشعب الفلسطيني وبعد عدة شهور في ٢٣ ديسمبر أعلنت منظمة "أوبــك" مــضاعفة ســعر البترول. واتفق الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على فرض وقف اطلاق النار يوم ٢١ أكتوبر. وفي اليوم التالي وصل كيسنجر إلى تل أبيــب وأخــذ يغــري الــوزراء الإسرائيليين الذين كانوا يرفضون وقف اطلاق النار على أن يستجيبوا لنداء الولايــات المتحدة والاتحاد السوفييتي. ولكنه كذلك أخبرهم أنهم يستطيعون مواصلة الحرب هــذه الليلة لتحسين مواقعهم الاستراتيجية. وبالرغم من اتفاقية وقف اطلاق النار فإن الوحدات المقاتلة تستمر في القتال وتحدث كيسنجر عن أن اسرائيل تستطيع مواصلة القتال لعدة ساعات قبل وقف اطلاق النار.

ولكن إسرائيل لم تلتزم بوقف القتال سواء على الجبهة المصرية أو الــسورية وإنما استمرت في الحرب حتى يوم ٢٥ أكتوبر تنتهز فرصة أن سوريا رفضت وقــف إطلاق النار حتى استطاعت أن تتم محاصرة الجيش الثالث. وأما سوريا التي كانت في حالة وقف اطلاق النار من ٩ أكتوبر إلى ١٤ أكتوبر ولكنها واصلت القتال بعد ذلــك لطردهم من منطقة باشان وقد رفع روحهم المعنوية وصول قوات من العــراق ومــن الأردن. وفي يوم ١٢ أكتوبر عارضوا وقف اطلاق النار ولكن قبــول مــصر وقــف

اطلاق النار وضغط الاتحاد السوفيتي جعلت الأسد يقبل وقف اطلاق النـار فـي ٢٣ أكتوبر.

وقد رفض المصريون وقف اطلاق النار حتى يوم ١٩ أكتوبر ولكـن بعـد أن عرفوا أن عبور القوات الإسرائيلية إلى غرب القناة قد يؤدي إلى هزيمتهم. ومن هـذا الوقت زادت حماستهم لوقف اطلاق النار .. ومادام المصريون مازالوا صامدين فـي الضفة الشرقية وكذلك كان الجيش الثالث صامدا فإنهم يعتبرون أن نصر أكتوبر مازال قائماً .. وكان هذا الوضع هو الذي جعل السادات يقبل وقف اطلاق النـار لأنـه لـو استكملوا محاصرة الجيش الثالث واستطاعوا هزيمته عسكرياً فإن نصر ٦ و ٧ أكتوبر سيكون قد تلاشي.

وكل من مصر وإسرائيل خرقت وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتـوبر وسـوريا مازالت لم تقبل وقف إطلاق النار اجتمع مجلس الأمن يوم ٢٣ أكتوبر وأصدر قـرار رقم ٣٣٩ الذي طالب المتحاربين بوقف فوري لاطلاق النار والرجوع إلـى خطـوط القتال التي كانوا يوم ٢٣ أكتوبر وأوقفت إسرائيل القتال ولكنها لم تعد إلى خطوط يوم ٢٣ أكتوبر.

وقرار مجلس الأمن ٣٩٩ أعطى السكرتير العام للأمم المتحدة سلطة إرسـال قوات عسكرية لملاحظة قرار وقف اطلاق النار بين مصر وإسرائيل.

وقد لام الاتحاد السوفيتي إسرائيل لعدم احترامها لقرار وقف اطلاق النار وبعد ٢٢ أكتوبر طلبت مصر حضور قوات روسية أمريكية مشتركة لمراقبة وقف اطـلاق النار ولكن الولايات المتحدة رفضت هذا الطلب حتى لا تعطي فرصة لـدخول قـوات عسكرية روسية لمنطقة الشرق الأوسط. وقد طلبت الولايات المتحـدة مـن إسـرائيل احترام قرار وقف اطلاق النار وطلبت من إسرائيل الرجوع إلى خط يوم ٢٢ أكتـوبر ولكن إسرائيل رفضت.

وأصبحت الولايات المتحدة في موقف صعب فهي كانت ضد موقف إسـرائيل وكذلك ضد موقف الاتحاد السوفيتي الذي يريد إرسال قوات عسكرية لفـرض قـرار ٣٩٩ وضغطت الولايات المتحدة على إسرائيل للعودة إلى خطوط يـوم ٢٢ أكتـوبر

وكذلك رفضت طلب مصر في تدخل قوات سوفيتية أمريكية عسكرياً لأنهـا كانـت لا تريد أن تدخل قوات سوفيتية إلى منطقة الشرق الأوسط.

وفي يوم ٢٣ أكتوبر وكانت دبابات ماجن تشق طريقها نحو خلـيج الـسويس أعلنت روسيا تعبئة سبع فرق في أوروبا الشرقية وأعلنت على استعدادها للتدخل وحدها عسكرياً في الشرق الأوسط وردت الولايات المتحدة أن جعلت قواتها الذرية على أهبة الاستعداد وأوقفت إسرائيل القتال. ولكن لم تعد إلى خطوط ٢٣ أكتوبر ولكنها سـمحت بمرور الامدادات الإنسانية إلى الجيش الثالث وذلك بعد أن هددت الولايات المتحدة بأنها ستقوم بإمدادات الجيش الثالث عن طريق الأسطول السادس. ولم تكن إسرائيل تريد أن تغضب الولايات المتحدة .. وتراجع الاتحاد السوفيتي عـن عزمـه التـدخل بجنـوده عسكرياً لوقف اطلاق النار، ووافق على إرسال قوات من الأمم المتحدة ولـيس مـن ضمنها قوات أمريكية أو روسية إلى المنطقة لملاحظة قرار وقف اطلاق النار.

ووقف اطلاق النار الذي أصبح ساري المفعول ترك عـدة مـشاكل سياسـية وعسكرية. فعلى الجبهة السياسية كان قرار مجلس الأمن أشار إلى قراره السابق ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الذي قرر أن يكون هناك سلام قائم على التنازل عن الأرض التي احتلتها إسرائيل في سنة ١٩٦٧ وأن يكون هناك تفاوض مباشر بين إسرائيل وكـل حكومـة عربية على حدة .. وتحقيق هدف الحرب التي خاضها السادات للخروج من جمود اللا حرب واللا سلم الحالة التي استمرت منذ سنة ١٩٦٧ . وبالنسبة للعرب فإنها مهـدت الطريق للوصول إلى تسوية .. فإن خوض الحرب والاستشهاد في ميدانها أعادت إلـى العرب شرفهم المفقود منذ هزيمة بسنة ١٩٦٧ ، وعادت الثقة إلى حكام العـرب حتـى أنهم لم يعارضوا فكرة التفاوض المباشر مع إسرائيل وعقد السلام معها من مبدأ القـوة لا عن طريق الشعور بالنقص حيالها.

وربما ما أثبته الإسرائيليون في ميدان القتال جعلت القواد العرب يعرفون أنهم لا يستطيعون هزيمة إسرائيل أو تحطيمها عسكريا . وعودة أراضيهم لـن تتحقـق إلا بالمفاوضات. كما أن تدخل أمريكا في الحرب بامداد إسرائيل بالطائرات والذخيرة كان من الأسباب الرئيسية التي جعلت السادات يقتنع أن جلاء إسرائيل عن سيناء لن يتم إلا

بالمفاوضات.

وعلى الجانب الآخر فقد شعرت إسرائيل أن حرب ١٩٧٣ مختلفة تماما عن حرب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وبذلك اقتنع الإسرائيليون أنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بالأراضي التي احتلوها سنة ١٩٦٧ إلى الأبد وأن هذا الاحتلال سيؤدي إلى حرب أخرى فأصبحوا مقتنعين أن يطبقوا مبدأ الأرض في مقابل السلام.

ومن الناحية العسكرية فإن وجود قوات إسرائيلية غرب القناة تحتل حوالي ١٦٨ كيلو متر مربع ومحاطة بالجيش المصري الذي وصلت إليه امدادات كثيرة فكان الموقف بالنسبة لإسرائيل في منتهى الخطورة والجيش الثالث مازال متماسكا وقد نزف الجيشان المصري والإسرائيلي في المعارك الضارية غرب وشرق القناة .. وكان الموقف الاستراتيجي للجيش الإسرائيلي في غرب القناة حرجا ولا يربطه بالجيش الموجود في شرق القناة سوى شريط ضيق.

وفهم كيسنجر الموقف تماما واستطاع أن يقنع مصر وإسرائيل أن يسيروا قدما في عملية السلام وكان الطرفان في السنين السابقة رافضين التحرك في طريق السلام إسرائيل ترفض الجلاء عن الأراضي التي احتلتها والعرب يرفضون أن يتحدثوا عن السلام. والمفاوضات التي تمت مباشرة لفض الاشتباك بين الجيوش قد تؤدي أخيرا إلى محادثات سلام بين الأطراف المتنازعة.

في ١١ نوفمبر عند الكيلو ١٠١ في طريق السويس وقعت مصر وإسرائيل اتفاقية رسمية لوقف اطلاق النار بين الجيشين وتبادل أسرى الحرب وكذلك الاتفاق على مد مدينة السويس والجيش الثالث بالامدادات غير الحربية .. وفي يوم ١٥ نوفمبر تم تبادل الأسرى ٨٥٠٠ أسير حرب مصري معظمهم من الإداريين الذين دفعوا في الأسر بعد قرار وقف إطلاق النار في مقابل ٢٤١ أسير إسرائيلي .. وتوقفت الاتفاقية لأن إسرائيل اشترطت للإنسحاب من الضفة الغربية أن تنسحب القوات المصرية من شرق القناة. وعند ذلك تدخل كيسنجر وطلب من مصر وإسرائيل الموافقة على قرار مجلس الأمن ٣٣٩ . ثم وقعت مصر وإسرائيل اتفاقية فض الاشتباك أو ما عرف بعد ذلك باتفاقية سيناء رقم ١ وذلك في يوم ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ . وذلك بأن تنسحب

إسرائيل من الضفة الغربية إلى حوالي ١٥ ميل شرق القناة وقد استمرت القوات المصرية تحتل حوالي ١٦ ميلا في مواقعها شرق القناة على أن تحدد القوات المصرية شرق القناة وقد ترك الجنرال الجمصي الحجرة التي كان بها كيسنجر والسادات وكانت الدموع تملأ عينيه حتى أصفر وجه كيسنجر وسأل هل أنا قلت شيئا خطأ لأنه لم يفهم تصرف الجمصي العاطفي.

وقد عكست الاتفاقية ما حققه النصر العسكري المصري في يوم ٦ أكتوبر وكانت هناك عناصر في الاتفاقية تدل على رغبة اسرائيل في اعادة العلاقات العادية بين جيرانها العرب .. وقد أنشأت منطقة عازلة من القوات المصرية والقوات الإسرائيلية .. تقوم فيها قوات الأمم المتحدة بالفصل بين قوات الدولتين ..

وقد وصفت الاتفاقية بأنها الخطوة الأولى نحو سلام شامل ودائم بين المتحاربين.. على أساس القرار ٢٤٢ ثم انسحب الجيش الإسرائيلي من الضفة الغربية في ٣ مارس ١٩٧٤.

وأما اتفاقية فض النزاع بين سوريا وإسرائيل فكانت أشد صعوبة فلم توقع اتفاقية بين البلدين ورفضت سوريا لعدة شهور إعطاء قائمة بأسماء الأسرى وأوقفت المفاوضات مما سبب غضبا كثيرا في إسرائيل .. ورفض السوريون أن يقابلوا أو يفاوضوا الإسرائيليين مباشرة ولم تكن إسرائيل تمانع في الانسحاب إلى خطوط ١٩٧٣ ولكنها لم تكن مستعدة للتنازل عن أي أرض من الجولان .. وبدأت سوريا حرب استنزاف ضد القوات الإسرائيلية التي تحتل أرض في (Bostran) .. وقد اشتبكت القوات السورية مع القوات الإسرائيلية فوق قمة جبل هرمن في منتصف أبريل ١٩٧٤م. وكان الأسد يريد من إسرائيل أن تنزف دماء في حرب الاستنزاف وأنها لن تعود إلى الحرب وكان في هذا على صواب .. لم يكن الرأي العام الإسرائيلي يرغب في حرب أخرى وكذلك الولايات المتحدة لا توافق على حرب جديدة بين الطرفين.

وسافر كيسنجر عدة مرات لسوريا محاولا اقناع السوريين بالاتفاق على وقف اطلاق النار حتى استطاع أخيرا أن ينجح وقع الطرفان اتفاقية فض الاشتباك بين القوات السورية والإسرائيلية في مايو . وكان ذلك في جنيف وانسحبت إسرائيل من

(الباشان) وكذلك عن جزء صغير من الجولان .. ووجو عازل من جنود الأمم المتحدة حتى لا تستطيع سوريا مفاجأة إسرائيل بهجوم مفاجئ .. ووافق الطرفان على أن يوجد على الجانبين مساحة عازلة لا تكون بها إلا قوات محدودة وتم كذلك تبادل أسرى الحرب ووقعت هذه الاتفاقية في يونيو سنة ١٩٧٤ . وفي هذه المنطقة العازلة يوجد حوالي ١٤٥٠ من جنود الأمم المتحدة لمراقبة تنفيذ الاتفاقية وأطلق عليها "جنود الأمم المتحدة لمراقبة وقف فض الاشتباك".

اتفاقيات فض الاشتباك لم تحل المشكلة الأساسية فمازالت إسرائيل تحتل هضبة الجولان وتحتل كذلك معظم سيناء وكان العرب يعتبرون إسرائيل دخيلة على المنطقة وأن وجودها غيرمرحب به في المنطقة بأسرها خصوصا وأنها مازالت تحتل الضفة الغربية. ومن الواضح أن سوريا ومصر لا يمكن أن تقبلا أن تحتل إسرائيل الأراضي العربية ولذلك فإن احتمال حرب أخرى كان متوقعا وانعكس ذلك في سباق التسلح بين سوريا وإسرائيل. وتجديد وجود قوات الأمم المتحدة في المنطقة العازلة ساعدت على استمرار حالة الجمود بين مصر وسوريا من جهة وإسرائيل من جهة أخرى ..

وقد قرر كيسنجر أنه يستطيع بالتدريج وبدبلوماسية الخطوة تليها خطوة أن يصل إلى اتفاقيات ثنائية بين مصر وإسرائيل وبين سوريا وإسرائيل .. وقد بعثت اتفاقيات فض الاشتباك الأمل في أن يعقبها اتفاقيات سلام ولكن كانت هناك دائما القضية الفلسطينية التي كانت كالشوكة في بحث أي قضية ولذلك رأي كيسنجر أن يقوم بالوساطة أولاً بين إسرائيل ومصر وسوريا ..

وفي نهاية ١٩٧٤ وبداية سنة ١٩٧٥ وقد لعب كيسنجر دور الوسيط بين إسرائيل ومصر ونحو الوصول إلى اتفاقية مؤقتة بين مصر وإسرائيل .. وكانت إسرائيل ترغب في وجود حالة عدم حرب وتطبيع العلاقات بين مصر وبينها وكانت مصر تريد تحرير سيناء أو جزءا كبيراً منها وقد ترسخ في هذه المحادثات مبدأ الأرض في مقابل السلام.

وفي الفترة من فبراير حتى سبتمبر سنة ١٩٧٥ شاهدت نشاطا مكثفا بين إسرائيل ومصر وسوريا .. ولكن المفاوضات لم تتقدم إلا ببطء شديد .. وكان تدخل كيسنجر بين القاهرة والقدس مهما جداً لنجاح المفاوضات .. وكذلك الضغط الأمريكي على إسرائيل .. وفي مارس عندما اكتشفت الولايات المتحدة عدم مرونة إسرائيل. فأمرت أمريكا وقف المحادثات وإعادة النظر في العلاقات بين أمريكا وإسرائيل.. وأوقفت بعض امدادات السلاح لإسرائيل .. وقال كيسنجر بعد أن زار "الموسادا" الذي من حوالي ٢٠٠٠ سنة فضل مائة يهودي الدفاع عن المكان حتى الموت ولم يستسلموا للرومان .. وقد كان رابين قد حل محل جولدا مائير في ربيع ١٩٧٤.

"إنها حقاً مأساة .. إن الإسرائيليين يضعون أنفسهم في خطر حقيقي".

وفي نهاية أغسطس كان الجانبان قد وصلا إلى الاتفاق الذي يعرف بسيناء ، وفي يوم ٤ سبتمبر وقعا في جنيف .. وفي هذا الاتفاق قرر الطرفان أن الصراع لا يجوز حله إلا بالمفاوضات كذلك قررت الاتفاقية عدم لجوء الأطراف للقوة العسكرية وعلى الطرفين أن يصلا إلى سلام دائم وعادل على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨.

. وانسحبت إسرائيل إلى شرق الممرات وأقيمت منطقة عازلة تعسكر فيها قوات الأمم المتحدة وأعيدت آبار بترول روديس التي تقع في المنطقة التي تعسكر فيها قوات الأمم المتحدة .. وتبقى هذه الاتفاقية سارية المفعول حتى يتم توقيع اتفاقية أخرى.

وبعد هذه الاتفاقية وقعت عدة اتفاقيات أخرى بين أمريكا وإسرائيل تعهدت مصر أن تمد اتفاقية وجود قوات الأمم المتحدة ثلاث سنوات وبمرور بواخر إسرائيل من القناة وشرم الشيخ .. وتعهدت الولايات المتحدة بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية طالما أن المنظمة لا تعترف بحق إسرائيل في الوجود والتي لم تعترف بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ .

وأما على الجانب السوري فلم يكن هناك أي تقدم لأن الأسد لم يرض إلا بالانسحاب الكامل من الجولان.

الفصل الخامس

خطة الغزالة الإسرائيلية

وعبور الجيش الإسرائيلي للغـــرب

لخصنا في الصفحات السابقة ما كتبــه الإســرائيليون عــن حــرب ١٩٧٣ ، وسنواصل في هذه الفصول كتابة رأي المصريين الذين اشتركوا في الحرب والاعــداد لها. ويقول الدكتور عبد العظيم رمضان في دراسته "الحقيقة التاريخية حــول حــرب أكتوبر ١٩٧٣".

"إن حرب أكتوبر أهم حرب في تاريخ مصر والعرب المعاصر. والتي أعادت للجيش المصري كرامته. وأعادت للعرب اعتبارهم في عين العالم بعد هزيمــة يونيــو ١٩٦٧، وكانت مدخلا لكل التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي وقعــت بين ذلك وأعادت تشكيل الخريطة بين العرب وإسرائيل. وكانت أيضاً مقدمــة لا مفــر منها عبارة لمبادرة القدس التي قام بها الرئيس الراحل محمد أنور السادات. لقد كانــت حرب أكتوبر حربا مستحيلة من الناحية النظرية وكذلك فإنها فاجأت إسرائيل مفاجــأة تامة وكذلك فاجأت المخابرات الأمريكية وكل مخابرات العالم"

وتعتبر حرب أكتوبر أول حرب هجومية تخوضها دولة بأسلحة دفاعية. وكانت الولايات المتحدة وراء إسرائيل تمدها بالسلاح وتعاونها في الأمم المتحــدة، وتــشجعها على عدم احترام المواثيق الدولية. وهي تعتبرها رأس الحربة فــي المحافظــة علــى مصالحها في الشرق الأوسط. كما أن اللوبي اليهودي في داخل أمريكا يــسيطر علــى الكونجرس ويجعل كل رئيس لأمريكا وكل مرشح للرئاسة يبدي حبه لإسرائيل، ويعلن بأن أمريكا خلفها تحميها. وأن تتعهد بأن تكون إسرائيل أقوى من كل الــدول العربيــة

مجتمعة. وهي تغض النظر عن أن إسرائيل لا تلتزم بقرارات الأمم المتحدة. وتستخدم الولايات المتحدة حق الفيتو في أي قرار ضد إسرائيل.. ولما كانت معظم الدول العربية تحكم حكما ديكتاتوريا، وشعوبها مغلوبة على أمرها. وهي دول تنتهك فيها حقوق الإنسان. وقد وضع نظام جمال عبد الناصر عنصر الخوف في قلب كل مصري، وذلك باعتقال الأبرياء ووضعهم وراء القضبان لمجرد الاشتباه. ومازلنا نذكر هذا المواطن المصري الذي ساعد أسرة معتقل فاعتقل وأمضى عدداً من السنين من عمره .. وكأنهم كانوا يريدون أيام سامي شرف وأمثاله أن يسيطر الخوف على مصر وتختفي المروءة والشهامة .. وكانت هزيمة سنة ١٩٦٧ هي الناقوس الذي أعلن أن جمال عبد الناصر قاد مصر للهزيمة التي لم يشهد التاريخ لها مثيلا. ومن العجب أن يخرج الشعب المصري يطالب ببقائه في الحكم ولو أنه كان شعبا ناضجا ولديه وعي لحاكمه نتيجة ما جره على هذا الوطن من هزيمة عسكرية منكرة .. ويذكرني هذا بقول شوقي :

اسمع الشعب ديون ... كيف يوحون إليه
ملأ الشعب هتافا ... بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه ... وانطلى الزور عليه
يا له من ببغاء ... عقله في أذنيه

ميزان القوى

طبعا عندما تقرر القيادة السياسية خوض الحرب فلابد أن تكون هناك دراسات عن القوة العسكرية للخصم .. ومازال هناك الفكر الخاطئ أن سوريا ومصر قد كثفتا الهجوم على إسرائيل. وكان لابد لدولتين تحارب دولة واحدة أن تنتصر الدولتان خصوصا والفرق كبير في عدد السكان بين مصر وسوريا من جهة وإسرائيل من جهة وكانت مصر تعاني من نقص الإمدادات العسكرية واضطرت إلى خوض الحرب وهي ليس لديها أسلحة الهجوم، ومازال طيران إسرائيل متقدما على الطيران المصري. ولذلك اضطرت مصر لخوض حرب تحرير بجيش دفاعي لا هجومي. ولم تستطع

مصر أن تعد لحرب قومية ضد إسرائيل لأنه بعد الهزيمة المنكرة في سنة ١٩٦٧ انعدمت الثقة في قدرة الجيش المصري على خوض حرب ضد إسرائيل. كما أن الخلافات العربية أدت إلى وجود خلافات مؤثرة في العلاقات بين مصر والعراق والجزائر والأردن. وكان السادات يهاجم الملك حسين ويعتبره غير مخلص، وأنه باع نفسه للاستعمار الغربي. وكان يقول إن هواري بومدين باع نفسه للأمريكان، لأنه وقع عقدا مع الشركات الأمريكية لبيع البترول والغاز لعشرات السنين. وأما العراق فإنه مشغول بالتهديد الإيراني.

وبدراسة هذه الأحوال آمن السادات أن مصر عليها أن تخوض الحرب معتمدة على نفسها. وعندما اجتمع السادات يوم ٢٤ سبتمبر بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة، عندما سُأل إذا كان سيقوم بتحرك عربي. ستكون المعركة مصرية ؟! وبعد أن تقوم الحرب سيجد الحكام العرب أنفسهم في موقف صعب أمام شعوبهم وستجبرهم هذه الحرب البطولية ضد إسرائيل إلى تغيير مواقفهم.

وقد أعد العسكريون المصريون خطة عامة لتحرير سيناء هي الخطة ٢٠٠ . وكان الجزء الأول منها الذي أطلقوا عليه اسماً كودياً جرانيت وتستهدف هذه الخطة عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف والوصول إلى المضايق. ولكن عندما قام الفريق أحمد إسماعيل بدراسة أوضاع القوات المسلحة المصرية، وقدم تقريره إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة ...." وقرر في تقريره أن حالة الجيش المصري لا تسمح له بالقيام بعملية هجومية لأن هذه العملية لابد أن ترتبط بكفاءة سلاح الطيران المصري، الذي يجب أن تكون عنده الكفاءة التي تغطي قوات المشاه ضد تفوق الطيران الإسرائيلي الذي تمده الولايات المتحدة بأحدث الأسلحة وأحدث الطائرات.

وكانت فكرة الفريق الشاذلي أنه لكي ننتظر حتى يستطيع الطيران المصري أن يسد الفجوة بينه وبين الطيران الإسرائيلي تحتاج إلى سنوات طويلة – ولذلك يجب أن تقوم مصر بحرب هجومية محدودة – بالرغم من تفوق الطيران الإسرائيلي.

وقد وقف بعض الجنرالات ضد الحرب قبل استكمال التدريب والسلاح مما سيؤدي إلى كارثة أخرى مثل كارثة ١٩٦٧. ولما كان السادات وقد استنفذ جميع المحاولات السلمية لم ير بدا من خوض غمار الحرب. فبعد يومين من هذا الاجتماع قرر إقالة الفريق محمد صادق وكل من الفريق عبد القادر حسن واللواء علي عبد الخبير واللواء محمود فهمي قائد البحرية واللواء محمود مدير المخابرات. وقام بتعيين اللواء أحمد إسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة. ولم تمر هذه الاجراءات بسهولة فقد حاولوا القيام بانقلاب، اشترك فيه بعض كبار الضباط وكانت خطة الانقلاب الفاشل أن تقوم قوة في ليلة عرس بنت الفريق الشاذلي فتعتقل الموجودين جميعاً ومنهم رئيس الجمهورية. على أنه تم اكتشاف المؤامرة وقبض على اللواء علي عبد الخبير في ليلة ١٩٧٢/٦/١٥.

وبعد ذلك استقر الرأي على خطة الهجوم المحدودة التي تمثل جزءاً من شرق القناة وتحطم خط بارليف وبذلك انقسمت خطة جرانيت إلى خطتين وهي خطة المآذن العالية وهي الحرب المحدودة والخطة ٤١ وهي الخطة التي تقرر الوصول إلى المضايق .. ويكون بعد نجاح خطة المآذن العالية هناك وقفة تعبر به حتى تدرس الظروف لتنفيذ الوصول إلى المضايق..

وقد كتب هيكل أنه بعد انتصار يوم ٦ أكتوبر لو أن مصر انتهزت الفرصة ووصلت إلى المضايق لأدى ذلك إلى نصر تؤدي إلى نتائج سياسية لا يمكن تقديرها.

ويقرر الدكتور عبد العظيم رمضان أن هيكل نظراً لعدائه لأنور السادات أنه أخطأ لأنه يعرف جيداً استحالة نجاح القوات المصرية في الوصول إلى الممرات في ظل تفوق سلاح الطيران الإسرائيلي.

والحقيقة لقد وجه السادات نفسه مضطراً إلى خوض حرب وإلا لأصبحت القضية نائمة ولفقد العرب ثقتهم بأنفسهم" وكما أثرنا سابقاً أن اللواء علي عبد الخبير والذين كانوا لا يريدون خوض الحرب إلا بعد استكمال التسليح والتدريب القادرين على تحرير سيناء. ولقد رد السادات "على أنه لو أجري حساباته على هذا الأساس لم

اتخذت قراري بطرد الروس في ٨ يوليو .. وقد قال الشاذلي وكان محقاً في هذا أنه يجب التخطيط لمعركة هجومية محددة في ظل تفوق الطيران الإسرائيلي على أن تعتمد على الصواريخ لمجابهة هذا التفوق.

ولذلك عندما عقد السادات مؤتمر المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢ يناير سنة ١٩٧٢ .. وطلب من العسكريين أن يقدموا تقاريرهم .. طالب اللواء بغدادي قائد القوات الجوية بأنه يحتاج إلى طائرات ردع تستطيع أن تضرب في أعماق إسرائيل وصرح اللواء محمد علي فهمي قائد الدفاع الجوي .. أن المشكلة أننا نريد أن نحارب في معركة هجومية بأسلحة دفاعية وقال اللواء علي عبد الخبير أن هناك بعض النقص في القوات المسلحة ولابد من استكمالها حتى تنتصر في الحرب وأهمها ضعف الطيران.

وكان المصريون وقد سمعوا من السادات أن سنة ١٩٧٢ هي سنة الحسم. ومرت هذه السنة ولا يبدو في الأفق أن هناك حربا. وكان كل مصري يعصر قلبه الألم وهو يرى أن جيشه عاجز عن خوض حرب تحرر بلاده من احتلال هذه الدولة الصغيرة التي كانوا يطلقون عليها إسرائيل المزعومة .. وحدثت اضطرابات بين الطلاب في يناير ١٩٧٢ مطالبين بالحرب .. ويقول الدكتور عبد العظيم رمضان أن العبور يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ كان نقطة تحول في تاريخ العلاقات المصرية العربية بقدر ما كان نقطة تحول في تاريخ العلاقات المصرية الإسرائيلية.

فلم تعد مصر هي مصر يونيو ١٩٦٧ وإنما أصبحت مصر أكتوبر ١٩٧٣ ولأول مرة منذ ما تولى السادات رئاسة جمهورية مصر أصبح رمزاً على النصر بقدر ما كان عبد الناصر رمزاً على الهزيمة.

إعجاز العبـــور

تعتبر ضربة الطيران التي قادها حسني مبارك هــي أول طلائــع النــصر .. وكانت هناك شبه معجزة إذ استطاع قائد الطيران أن يحرك ٢٠٠ طائرة من مختلــف المطارات وأن تنطلق جميعها فوق قناة السويس إلى سيناء في وقت واحد وكانت الخطة ألا يترك موقعا مهما في سيناء إلا وقد وجه إليه ضربات مختلفة فهاجمــت الطــائرات المصرية قواعد إسرائيل في العريش وبير خفاجة وبير تمادا وآبار النفط في أبو رديس وهاجمت طائرات سوخوي مركز السيطرة الرئيــسي فــي أم مــرجم ومقــر القيــادة الإسرائيلية في أم خشيب ومحطات الرادار.

وكان القادة العسكريون ينتظرون في قلق في مركز عمليات القوات المــسلحة نتائج هذه الضربة الجوية وكان للتخطيط وللتدريب الشاق وما بذله حسني مبارك أثره في نجاح الضربة وكان ذلك بداية طريق النصر.

الفصل السادس

تطوير الهجوم إلى المضايق

عندما ساء الموقف السوري في الجولان وبدأ القوات السورية في التراجع وأخذت القوات الإسرائيلية تتقدم نحو دمشق وهنا تغلب الطابع القومي على القيادة السياسية المصرية لتخفيف الضغط على الجيش السوري وذلك بأن يتقدم الجيش المصري إلى المضايق .. ومن هنا تغير مصير حرب أكتوبر .. وذلك ما كانت تنتظره القيادة الإسرائيلية أن تنزل مصر لتتوغل في صحراء سيناء بعيدا عن مظلة الصواريخ. وعندما توقفت القوات المدعية المصرية في بداية الحرب عن مطاردة القوات الإسرائيلية بعد أن تحطم خط بارليف وذلك حتى لا تتعرض لخسائر كبيرة لتفوق الطيران الإسرائيلي. وفي يوم ٨ و ١٠ أكتوبر ربما كان القوات المصرية تستطيع أن تصل إلى المضايق ولكنها ستكون قد ابتعدت عن المظلة الصاروخية وكان الاحتفاظ بالمضايق سيكلفها خسائر فادحة ولذلك فقد نشأ خلاف بين اللواء الجمصي وأحمد إسماعيل والشاذلي فقد كان رأي الجمصي أن الخطة وضعت للوصول إلى المضايق وكلما كان الهجوم أسرع كان أفضل وذلك لأن وضع القوات الإسرائيلية كان سيئاً من الناحية المعنوية والقتالية وذلك للخسائر التي قيمت بها هذه القوات في بداية الهجوم المصري.

ولكن هذا الرأي من الفريق الجمصي لقي معارضة من الفريق أحمد إسماعيل لأن التقدم بعيدا عن حماية حائط الصواريخ يلقي بالعبء كله على سلاح الطيران المصري لحماية القوات المهاجمة وبذلك فإني أحمله ما لا يطيق .. ويستلزم وجود حماية قوية للقوات المرابطة عند المضايق.

وقد ردد هيكل بأن القيادة المصرية قد أضاعت فرصة استغلال الفترة من يوم ٨ و ١٠ أكتوبر ولو أن الهجوم استمر حتى الوصول إلى المضايق والاستيلاء عليها قد تم لأمكن تحرير سيناء. وهذا الرأي في الحقيقة وإن كان يبدو صحيحا لأول وهلـــة إلا أنه أهمل قوة الطيران الإسرائيلي. وأن هذه القوات الموجودة في صحراء ســيناء لــن يتوفر لها الغطاء الجوي الكافي. وبعد أن يسترد الإسرائيليون أعـــصابهم، ويبـــدأون هجومهم المضاد ليحولوا هذا النصر إلى هزيمة. وهذا فعلا ما حدث بعد تطوير الهجوم يوم ١٤ أكتوبر فقد خسرت مصر ٢٥٠ دبابة وكانت بداية التحدي في هـــذه الحـــرب المجيدة . وعندما تم تطوير الهجوم قررت القيادة العسكرية نقل الفرقتين المدرعتين ٢١ و ٤ من الغرب إلى الشرق ولتبدأ الهجوم بالفرقتين ولعل نقلهما من الغرب إلى الشرق كان خطأ عسكرياً لأنه لم يعد هناك احتياطي استراتيجي في الغرب لحماية ظهر كـــل من الجيش الثاني والثالث. وكان لابد من وجود هذا الاحتياطي في الغرب لـــسحق أي محاولة لاختراق القناة وهذا ما كانت لا تستبعده القيادة المـــصرية وحـــددت المنـــاطق المحتملة لهذا الاختراق ومنها الدفرسوار ويقرر الدكتور رمضان في كتابـــه "الحقيقـــة التاريخية حول حرب أكتوبر" ص ٣٣٠

ويعتبر دفع هاتين الفرقتين الاستراتيجيتين إلى الشرق خطأ في نظر الكثيـــرين لسبب بسيط هو أنه كانت هناك بالفعل خمس فرق كاملة في ذلك الحين ! ما الذي يحمل القيادة المصرية على دفع هاتين الفرقتين إلى الشرق ولماذا لم تدفع بفرقتين من الفـــرق الخمس للقيام بهذا الهجوم ؟ ثم إن معنى تطوير الهجوم هو تحرك الفـــرق المـــصرية الخمس التي عبرت القناة إلى المضايق وليس معناه بقاء هذه الفرق في أماكنها واخراج الفرقتين الاستراتيجية من الغرب إلى الشرق للقيام بهذا الهجوم.

وكما كان متوقعا فقد استطاع العدو الإسرائيلي وقف الهجوم المصري وكبـــده خسائر كبيرة في المدرعات وبعد ذلك كان يعبأ قواتـــه لعبـــور القنـــاة وتنفيـــذ خطـــة (العزالة).

الثغــرة

ونأتي هنا لنناقش كيف استطاع الإسرائيليون العبور إلى الغرب وكيف تهــاون المصريون في معالجة موضوع الثغرة في بداية الأمر وبعد أن منيت القوات المصرية المهاجمة يوم ١٤ أكتوبر بخسائر أصبح من المتعذر عليها أن تقوم بهجــوم جديــد .. وأصبحت القوات المدرعة المصرية كلها في شرق القناة فيما عدا لواء مدرع واحد .. وتركت القيادة العسكرية غرب القناة دون قوة عسكرية كافية لحماية مــؤخرة الجــيش الثاني والثالث .. وبعد أن حشدت إسرائيل كل قواتها العسكرية في الجبهة الجنوبية وقد بدأت الامدادات عن طريق الجسر الجوي تصل إلى القوات الإسرائيليين بانتظام ومنها معدات حديثة لم تكن استخدمت في الحرب من قبل وقد وصل كثير من المتطوعين من طيارين وقائدي دبابات .. وقد استطاعت طائرات التجسس يوم ١٣ أكتوبر وجود ثغرة واسعة وخلوها من القوات المصرية كل هذا جعل القيادة الإسرائيلية تفكر في العبــور إلى الضفة الغربية ويقول الفريق الشاذلي في مذكراته أنه عندما طلب الفريــق أحمــد إسماعيل في يوم ١٦ أكتوبر تطوير الهجوم والاندفاع نحو المضايق كان ذلك لتخفيــف الهجوم الإسرائيلي على القوات السورية التي اخترقتها القوات الإسرائيلية خلال الثغرة الواقعة بين الفرقتين الخامسة والتاسعة. وقد أمر ديفيد اليعازر باستئناف الهجوم والقدم نحو دمشق وتهديدها .. واضطرت القوات السورية للتراجع إلى الخط الدفاعي الثــاني داخل الأراضي السورية.

وعندما عبرت قوة إسرائيلية من الشرق إلى الغرب ليلة ١٥ و ١٦ أكتوبر لــم تجد أي مقاومة لأنه لم تكن هناك أية قوة عسكرية لصد هذا العبور ومما لاشك فيه أنه لو اكتشفت هذه الثغرة في وقتها وأبيدت هذه القوة الصغيرة لتغير ميزان حرب أكتوبر ولفشلت خطة العبور الإسرائيلي. وهذه القوة الصغيرة التي عبرت القناة لم تكن تتجاوز ٢٠٠ جندي بقيادة شارون قوة أخرى من رجال المظلات بعد ساعتين ولم يبدأ عبــور

الدبابات الإسرائيلية إلا في الساعة الخامسة صباحا ولو تنبه اللواء المدرع ٢٢ وهو أحد ألوية الفرقة الرابعة كان بوسعه القضاء على القوة الإسرائيلية التي عبرت القناة. ومن الغريب أن الفريق الشاذلي قرر أن القيادة العسكرية لم تكن تستبعد أن تحاول القوات الإسرائيلية العبور وحددت القيادة العسكرية ثلاثة أماكن محتملة منها منطقة الدفرسوار. وكانت هناك خطط لصد هذه الاختراقات، وحددنا القوات التي تقوم بتنفيذها، ودربنا تلك القوات على تنفيذ هذه الواجبات.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا تركت هذه الأماكن بدون حشد لقوى كافية حتى تمنع الاختراقات وأين كانت المخابرات العسكرية؟ وهل كان هناك رصد لتحركات العدو؟ وقد كان يمكن أن يصدر أمراً للواء المدرع" الموجود بالقاهرة للتحرك لحماية الأماكن التي يحتمل منها العبور، والتي سبق كما قال الشاذلي تحديدها.

ولو أن القيادة المصرية تحركت في الوقت المناسب لما نجحت "خطة الغزالة" في العبور وربما لو وافق السادات على رأي الشاذلي الذي طلب سحب الفرقتين المدرعتين ٢١ ، ٤ إلى غرب القناة .. ومما لاشك فيه أن قيادة الجيش الثاني تتحمل المسئولية الكاملة في نجاح الثغرة وقد هون القائد اللواء تيسير العقاد الذي حذر اللواء سعد مأمون من أمر كتيبة الثغرة وأرسل إلى القيادة يوم ١٦ بلاغا مطمئنا ولم يتخذ القرار المناسب في وقته وقد أرسل كتبة صاعقة وبعض الدبابات الكويتية التي وصلت متأخرة وأصيبت بخسائر كبيرة في المعدات والأفراد.

وكان من الممكن أن تنتهي عملية الغزالة بالفشل لولا عدة أسباب نلخصها فيما يلي:

خطأ القيادة المصرية بترك حوالي ٢٠ كيلو بين قيادة الجيش الثاني والثالث بدون تغطية .. ظنت القيادة المصرية أن الثغرة هي عبارة عن تسلل قوات صغيرة فهونت الأمر ولم تهاجمها في الوقت المناسب للقضاء عليها. ولذلك فإن كتاب "نظرة فاحصة في حرب الشرق الأوسط" . إهمال الجانب المصري في التصدي للقوات العابرة في حينه وعبقرية شارون أو جنونه العسكري. وربما ذلك النجاح الذي حققه

الجيش المصري في معاركه خلقت نوعاً من الثقة في نفس القيادة المصرية إذ تم التبليغ عن الثغرة أنها عملية مقضي عليها فدعهم يتسللون، ونحن سنقضي على أكبر عدد ممكن منهم. ويضيف الفريق أحمد إسماعيل أن تغيير القيادات في هذا الوقت أحدث ارتباكا في تلك اللحظات الحاسمة.

وكان من أكبر العوامل في نجاح الثغرة هو تردد القيادة المصرية في معالجتها والاختلاف بين الفريق سعد الشاذلي والفريق أحمد إسماعيل في كيفية معالجتها فقد كانت خطة الفريق الشاذلي هي سحب جزء من القوات المصرية من الشرق إلى الغرب لمعالجة هذا التغير الجديد. وكان من رأيه سحب الفرقة المدرعة الرابعة واللواء المدرع ٢٥ من قطاع الجيش الثالث وتقوم هذه القوات بضرب الثغرة من الغرب. وأما أحمد إسماعيل فكان يريد توجيه الضربة الرئيسية من الشرق فيشن اللواء الدرع ٢٥ من الجنوب إلى الشمال وهجوم تقوم به الفرقة المدرعة ٢١ من الشمال إلى الجنوب ليلتقيا في الثغرة ويقوم اللواء ١١٦ مشاة بتوجيه ضربة ثانوية من الغرب.

وعرض الخلاف على السادات الذي رفض رأي الفريق سعد الشاذلي لأنه أغفل الأثر النفسي على الجنود خصوصا بعد فشل الهجوم يوم ١٤ أكتوبر ..

وقد جاء وصف تفصيلي للثغرة في كتاب "الحروب العربية الإسرائيلية" كلفت فرقة شارون أن تقود عبور القناة بلواء مظلات معزز بالدبابات. وكانت مهمته أن يعبر القناة في منطقة الدفرسوار ويحمي شاطئ البحيرات المرة جانب فرقته الأيسر. وأن يحتل رأس كوبري يمتد ثلاثة أميال شمال البحيرة، وهذا هو المدي الذي تستطيع أن تصل إليه المدفعية المصرية والصواريخ المضادة للدبابات. وبذلك يستطيع أن يمد الكوبري المصنوع من قبل حتى يصل إلى الضفة الغربية للقناة وعندما تصل الدبابات إلى الضفة الغربية عليها أن تسير بجانب المزرعة في موازاة شاطئ البحيرات المرة وستمر الدبابات على الأراضي الزراعية التي تسير موزاية لشاطئ البحيرات المرة .. وبعد ذلك تبدأ في تحطيم قواعد الصواريخ وذلك في المرحلة الأولى للهجوم وبذلك يستطيع الطيران الإسرائيلي أن يحمي الكوبري الذي عبر عليه الجيش الإسرائيلي من

الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية.

وفي وقت لاحق زودت الخطة بتفاصيل أخرى كلف بها شارون فعليه أن يؤمن كذلك الجانب الشرقي فيوسع الطريق إلى القناة وذلك بالإستيلاء على المزرعة الصينية وعلى حصن (ماسوري) ويحتل ثلاثة أميال شرق القناة وبذلك يفتح الطريق للوصول إلى القناة حيث يستولي على الطريقين أكافيس وترتور والطريق الأخير قد بني حتى يمكن نقل المعدات إلى القناة .. وسيبدأ العبور بفرقة من جنود المظلات على قوارب مطاطة ويعاونه في العبور عشر دبابات على عوامات. وسيكون هناك كوبري أعد من قبل لهذه العملية وجسر آخر عائم ويبدأ استعمالهما يوم ١٦ أكتوبر وتقوم فرقتان بتأمين الجسور المطاطة وعندما تعبر القوات إلى غرب القناة تتجه نحو الجنوب بهدف تحطيم قواعد صواريخ سام ٦ حتى تستطيع القوات الجوية أن يكون لها السيطرة على السماوات فوق ميدان القتال وأن يقوموا بمحاصرة الجيش الثالث وقطع الإمدادات له وتحطيمه.

وقد كان الجيش الإسرائيلي منذ وقت طويل بني جسرا وبني كذلك طريقا سموه (ترتور) في منطقة الدفرسوار وأعدوا منطقة وأحاطوها بالرمال العالية من كل ناحية حتى يكون مركزا لهذا الهجوم. ولقد كان واضحا لشارون أنه لن يستطيع العبور في الوقت المحدد في الخطة. وكانت خطة لواء مدرع تحت قيادة كولونيل راشيف حتى يبادر بالهجوم على رؤوس الكباري، جنوب الجيش الثاني وبينما اللواء المدرع تحت قيادة راشيف يتقدم فوق رمال الصحراء حتى يصل إلى شاطئ القناة.

وبينما تحاول قوة من لواء راشيف أن تحتل حصن (ماتزن) الذي استولى عليه الجيش الثاني من خط بارليف وعند مدخل قناة السويس إلى البحيرات المرة قوة ثانية تستولي على طريق (أكاميش). وبينما قوة أخرى تتقدم للإستيلاء على المزرعة الصينية وتستولي على طريق (تارتور) ولواء آخر من رجال المظلات تحت قيادة داني مات سيتبع لواء راشيف في طريق (أكاميش) وهناك لواء آخر تحت قيادة كولونيل إيرز يتبع لواء (مات) ويتم العبور بلواء مدرع تحت قيادة (راشيف) وكانت الخطة تقوم على

تركيب الجسر المبني سلفا على ضفتي القناة في صباح الغد ويقوم راشيف بحماية الممر في شرق القناة وجزء من اللواء (ايريز) مع لواء داني مات بعد مد الجسر حتى ضفاف القناة وفي نفس الوقت يهاجم لواء رافيف الجيش الثاني في الشمال حتى يتم عبور القوات إلى الغرب.

ومن سوء الحظ أن القيادة المصرية لم تستطيع أن تعدل بسرعة من خطتها باستخدام الفرقة الرابعة ولواءين مدرعين في هجومها الرئيسي من الشرق لأصبح عدد ألويتها المدرعة المشتركة في هذا الهجوم من الشمال والجنوب ٧ ألوية مدرعة ولواء مشاه .. ولكن ما حدث واستطاعت إسرائيل أن توسع الثغرة وأن تحتل منطقة في غرب القناة وتحاول تطويق الجيش الثالث ومنع الامدادات عنه .. وقد نجح شارون في تحطيم أربعة مواضع صواريخ حتى يوم ١٦ أكتوبر وبذلك أصبحت سماء هذه المنطقة مكشوفة للطيران الإسرائيلي .. ولم يتنبه القادة العسكريون لخطورة الموقف في الضفة الغربية إلا بعد أن تحولت الثغرة إلى احتلال منطقة على بعد ١٠٤ كيلو من القاهرة وقد ذهب كاتب هذا السطور وشاهد بنفسه القوات الإسرائيلية وهي تحتل منطقة واسعة في طريق القاهرة السويس. وكاد ميزان الحرب أن يميل إلى جانب إسرائيل لولا التصرف السياسي للقائد العظيم أنور السادات.

الفصل السابع

لجنة أجرانات

حرب أكتوبر كانت الأساس التي بني فوقه السلام بين مصر وإسرائيل كما أنها مثلت صدمة للمجتمع الإسرائيلي وقد برهنت الظروف أن تأثيرها كان له أثر سياسي كبير وذلك عندما استطاع حزب الليكود بقيادة مناحم بيجن بعد مرور أربع سنوات على حرب ١٩٧٣ من هزيمة حزب العمل ، والإستيلاء على السلطة سنة ١٩٧٧، وذلك بعد أن استمر حزب العمل حاكما لمدة ثلاثة عقود.

وكان للحرب تأثير هام على السياسة الداخلية وعلى المجتمع الإسرائيلي. ففي ديسمبر ١٩٧٣ وكان مازال الاحتياطي الذي استدعته اسرائيل يؤدي واجبه في هذا التاريخ فقد حزب العمل حوالي خمسة كراسي من ست وخمسين كرسيا .. وقد حركت هذه الحرب لأول مرة احتجاجات شعبية فحرب ١٩٤٨ ودخول إسرائيل حرب ١٩٥٦ وإنسحابها لم يحرك احتجاجا عن الرأي العامْ الإسرائيلي كما حركت هذه الحرب. وأما حرب ١٩٦٧ فقد غطت فرحة الانتصار على هذه الأصوات الخافتة التي احتجت على أن تحكم إسرائيل مليونا من الفلسطينيين الكارهين للسيطرة الإسرائيلية وأما حرب ١٩٧٣ الذي عكست الثقة الزائدة في النفس والتي حطمها النجاح العسكري المصري السوري في الأيام الأولى للحرب، وفشل المخابرات الإسرائيلية في معرفة أن العرب سيشنون حربا. فإن تأثير هذه الحرب كان مختلفا عن تأثير الحروب الأخرى التي خاضتها إسرائيل.

وبعد عودة الجنود والضباط من ميدان القتال رفعوا علم الاحتجاج من هو المسئول عن ذهاب الدبابات إلى هضبة الجولان بدون أجهزة الرؤيا الليلية وما يكفي من الذخيرة؟ ومن هو المسئول عن اندفاع الدبابات نحو القناة بدون أن يدركوا مدى قوة

صواريخ (ستاجرز)؟ ومن هو المسئول عن فشل الهجوم المضاد وعن ٢٠٠٠ من الجنود الذين ماتوا في الحرب؟ ومن هو المسئول عن ادعاء نصر عسكري لم يتحقق والذي كان في الحقيقة هزيمة عسكرية وكان يصاحبه كذلك فشل سياسي.

وقد قاد هذا الاحتجاج كابتن موتي اشكنازي قائد حصن بردابست الحصن الوحيد الذي تماسك من خط بارليف. وفي البداية وقف اشكنازي وحيدا صامتا أمام وزارة الدفاع الإسرائيلية في تل أبيب وبعد ذلك شاركه آخرون وطالبوا باستقالة موشى ديان وعكس هذه الاحتجاج رأياً عاما قويا وقاد أريل شارون الذي أصبح عضوا في الكنيست عن حزب اللكود هذه الاحتجاجات والذي طالب باستقالة جنرال إليفوا .. واتهم جونين شارون بمخالفة أوامره أثناء الحرب .. وظهر أن الرأي العام الإسرائيلي كان يؤيد هؤلاء المحتجين وأنه لم يكن راضيا عما حدث في الحرب . وطالب تكوين لجنة فورا لمعرفة ما تم في الحرب . وفي ٨ نوفمبر طالبت جولدا مائير ومجلس الوزراء الإسرائيلي رئيس المحكمة العليا شيمون أجرانات بتكوين لجنة لبحث الحقائق . وقد كون رئيس المحكمة الدستورية العليا لجنة من كبار الشخصيات وجعل من نفسه رئيسا لها اختار أجرانات عدة شخصيات قادرة هم من رؤساء أركان حرب الجيش الإسرائيلي بيجال يادين وحاييم لاسكوف ومن قضاه المحكمة العليا موتي لاندو والمحاسب العام للحكومة انزهاك نيزاهما .. وكان واجب اللجنة التي نظمها أن تبحث عمل المخابرات قبل الحرب واستعدادات الجيش وما قام به أثناء الحرب خصوصا في الأيام الأولى للحرب(١).

وفي يوم ٢ أبريل ١٩٧٤ أصدرت اللجنة تقريرا مبدئيا الذي تضمن نتائج الدراسات وأما التقرير النهائي فقد صدر في ٣٠ يناير ١٩٧٥ . وقد انتقد التقرير هيئة المخابرات لثقتها الزائدة في النفس التي جعلتها تقرر أن العرب ليس عندهم استعداد أو رغبة في الحرب وقد وجدت اللجنة أن المخابرات قد فشلت في التقاط عشرات الدلائل

(1) Braum, Arie: (Heb) Moshe Dayan in the Yum Kippur War, Tel Aviv: Yediot Aharonot, 1997.

التي تدل على الحرب وأنها انخدعت تماما بالتمويه الذي مارسـته مـصر وسـوريا لاقناعهم بأنهم غير مقدمين على الحرب.

وقد اقترحت اللجنة إعادة تنظيم جهاز المخابرات وطرد وزيرا وعدة مـوظفين آخرين وكذلك طرد رئيس هيئة الأركان لأنه فشل في إعداد الجيش للحرب كما فـشل كذلك في الوزن الصحيح لتقارير المخابرات التي وصلت إلى مكتبه.

وجاء بها كذلك إن قائد القطاع الجنوبي يجب أن يوقف عن عمله وألا يتـولى أي منصب عسكري هام. وشرح التقرير كذلك أسباب فشل الهجوم المضاد يوم ٥ ، ٦ أكتوبر.

وكانت مفاجأة في تقرير اللجنة أنها لم تذكر مسئولية الوزارة الإسرائيلية. ولـم توجه اللوم إلى جولدا مائير ولا لموسى ديان بالرغم من أن موسى ديان رفض يوم ٦ أكتوبر استدعاء الاحتياطي.

وبالرغم من رأي اللجنة فإنه لم يمنع من زيادة ضغط الرأي العام على جولـدا مائير لتستقيل.

وفي يوم ١١ أبريل سنة ١٩٧٤ أعلنت جولدا مائير اسـتقالتها وبـذلك يعنـي استقالة كل الوزارة .. وتولى اسحق رابين رئاسة الوزارة في يونيو ١٩٧٤ وهو رئيس أركان سابق لم يسهم بأي شئ في حرب ١٩٧٣.

واستبعد موسى ديان من دخول الوزارة الجديدة. وبذلك سببت حـرب ١٩٧٣ خلال شهور أن تبعد من الخدمة العامة رئيس الأركان ورئيس المخابرات وأن تـسقط وزارة جولدا مائير.

وقد أعفت اللجنة وزير الدفاع موسى ديان من أي لوم. بالرغم من أنه كان ضد استدعاء قوات الاحتياط وقد يبدو أن هذا كان غريبا لأن وزير الدفاع لابـد أن يكـون مسئولا عن أي هزيمة عسكرية. وفي الحقيقة إن ديان رجل ذو كفاءة عالية والذي يبدو أنه يركز على جزء من عمله ويترك الأجزاء الأخرى والصفة الاخرى فيه أنـه كـان يحاول أن يشرك في تحمل المسئولية الرجال الذين يعملون معه. فكان دائما يذهب إلى

اجتماع الوزراء ومعه رئيس الأركان ومدير المخابرات العسكرية وكأنه يريد أن يقول هم الذين قالوا ولست أنا الذي قلت هذا. وهو قد رسم سياسة إدارية ناجحة في الأراضي المحتلة وهو يهتم بالخطوط الأمامية للجيش الإسرائيلي في حالة الحرب. ولكنه كوزير لم يكن يهتم بالأمور الروتينية أو تصريف الأمور يوما بيوم. وهو لا يهتم بتفاصيل الأمور الإدارية لأكبر مؤسسة موجودة في إسرائيل وهي المؤسسة العسكرية. والأشياء الروتينية كالإدارة والتدريب واتخاذ القرارات اليومية كانت لا تثير اهتمامه. فقد يهتم بعدد الدبابات الموجودة ولكنه لا يهتم بحالة هذه الدبابات أو الإصلاحات المطلوبة لها لأنه يترك هذا للفنيين. وكان ديان يعتمد اعتمادا كلياًعلى رئيس الأركان وعلى معاونيه في الأمور الروتينية وبدون أن يقدر أنه في بلد ديمقراطي وأن هذه المسئوليات من ضمن واجبات الوزير. فالوزير يكون مسئولا عن استعداد الجيش وكفاءة المخابرات العسكرية وأنه مسئول أمام رئيس الوزراء وأمام كذلك مجلس الوزراء. وقد كانت مفاجأة الحرب والانتصارات العسكرية المصرية في بداية الحرب وهزيمة الجيش الإسرائيلي في هجومه المضاد ضد الجيش المصري مما أثرت عليه وكاد أن يفقد الثقة في نفسه بل طالب بإنسحاب الجيش الإسرائيلي إلى شرق الممرات ولو أن هذه الخطوة قد تحققت لما استطاع الجيش الإسرائيلي العبور لغرب القناة ولتغيرت نتائج الحرب ولفقدت إسرائيل في مفاوضات فك الاشتباك التي استعمله لوجود قوات لها غرب القناة. ونحن لا نستطيع أن نعرف ما الذي جعله في بداية أكتوبر لا يوافق على استدعاء الاحتياطي وما هو المنطق وراء هذا الرأي. وفي خلال الحرب كان ديان متردداً وخائفاً وهذا ما جعل رسام الكاريكتير الإسرائيلي المشهور يمثله كهاملت أن تكون أو لا تكون[1].

وقد حلل موسى آلون شخصية ديان وجاء بكتابه "برقيات من الشرق الأوسط" هذه المناقشة التي تمت بين رودلف أوجستين ناشر الجريدة الألمانية "Dei Spugel"

(1) Amos Elon: A Blood Denied Tide. Columbia University Press, New York: 1978.

فقد سأل ديان كيف سيحقق السلام. فكان رد ديان :

ديان: بالوقوف ثابتين كالصلب في نفس الأماكن التي تحتلها الآن حتى يستسلم العرب.

أوجستين: إن الملك حسين هو وحده الذي يمكن أن يكون شريكا في السلام ولكنه لا يستطيع أن يتحدى الأمة العربية ويوافق على شروط ديان.

ديان: في هذه الحالة دعهم يجدون ملكا آخر لهم.

أوجستين: ولكن الأردن ليس لديها القوة الكافية ليوافق على شروط ديان.

ديان: في هذه الحالة دعهم يجدون لهم بلدا آخر.

أوجستين: تحت هذه الظروف فإنه لا يمكن أن يوجد سلاما.

ديان: ربما كان هذا صحيحا.

وربما تعكس هذه الإجابات شخصية ديان وتعكس كذلك كيف أنه متشائم من أن يتحقق سلام بين العرب وإسرائيل. ويعكس اليأس من تحقق أي معاهدة بين دولة عربية وإسرائيل. وقد عضد ديان أن تقوم حكومة فلسطين تحت وصاية إسرائيل وهو يكرر ما قاله بين جوريون أن حدود إسرائيل في سنة ١٩٤٨ ستظل حدودا ناقصة حتى يتم ضم الضفة الغربية إليها.

إن حدود سنة ١٩٤٨ شجعت العرب على مهاجمة إسرائيل في ثلاثة حروب سابقة. ويرى ديان أن ما تحتاجه إسرائيل للسلام ليس فقط اعتراف الدول العربية بها ولكنها تحتاج إلى تعديل هذه الحدود حتى لا يفكر العرب في الهجوم مرة أخرى على إسرائيل .. إن حدود سنة ٤٨ ليست حدودا للسلام وإنما حدود سنة ١٩٦٧ هي التي تحقق السلام. هناك فرص تاريخية في حياة الأمم لتعديل الحدود وهذه فرصة تاريخية لاحت لدولة إسرائيل ويجب على إسرائيل أن تنتهزها. إن حلم تحقيق دولة إسرائيل الكبرى قد تحقق. وقد وضح ديان الفروق بين الأراضي المحتلة كسيناء ومرتفعات الجولان الذي وصفها أنها عزيزة على قلوبنا ولكنها لا تمثل الضفة الغربية التي تعتبر جزءا من إسرائيل وتعتبر مهدا للحضارة اليهودية فهي المكان الذي تواجد فيه اليهود

وحيث ابراهام وايزاك وجاكوب في جيركو أن هذه ليست خطة سياسية بل أنها أحـــلام قد أصبحت حقيقة. وقال ديان أن عرب الضفة الغربية لا يريدون أن يعيشوا تحت حكم اليهود ولكن لو تحققت أحلام العرب لما استطاع اليهود أن يعودوا إلى إسرائيل.

لقد عاشت الحكومة تحت تأثير الرأي العام الإسرائيلي وأصبحت سجينة لرأي الأغلبية ولبعض آراء كبار السياسيين الذين صرحوا مرارا وتكرارا أن هذه الأراضي جزء من إسرائيل وعارض إعادة هذه الأراضي التي احتلتها في سنة ١٩٦٧ وأصبحت أيرو (لارمشاف) Lamershaf وكذلك الجناح اليمينى Herut's Hayem قد أصبحت جزءا مـــن خلـــق إســـرائيل الكبـــرى "ايرتـــز إســـرائيل هاشـــهلم" (Eretz Israel Hashhelma) ويصف أموس ديان.

"هذا الرجل الذي يبدو كئيبا منعزلا هذا الرجل شديد المكر والذي يعجـــب بـــه الكثيرون ويكرهه كذلك الكثيرون هذا الرجل الغامض والذي يبدو مسرفا وهو المشهور عالميا والذي لعب دوراً هاما في حياة إسرائيل لأكثر من ثلاثين عاما. هذا الرجل مثل تاليران[1].

خدم كل الأنظمة الإسرائيلية هذا الجندي والسياسي والكاتب والشاعر وما كان أحد غيره يستطيع أن يعود إلى المسرح السياسي بعد الهزيمة التي حاقت بإسرائيل في حرب أكتوبر ١٩٧٣. وقد بصقت عليه الأرامل اللائي فقدن أزواجهن والأمهات اللاتي فقدن أبناءهن. روبرت بوش الشاعر الإسرائيلي كان يصف ديان عندما كتب في مارس سنة ١٩٧٣ "بعد سقوط الطائرة الليبية".

أصابعي تشبه الديدان
إنها تحفر وتحفر
في القبور القديمة
ومن خلال جدران منزلي
ويسود الصمت

---

(1) وزير الخارجية الفرنسية المشهور.

وآثار معبدي المقدسة .. يجللها العار

وشفة فمي المطبقة

تعكس الحقيقة المرة

كان قائد حرب وصانع للسلام وهو أول من تولى مركزا عسكريا كبيرا وليس من أوروبا فهو أصلا من الشرق الأوسط وكانت جولدا مائير تشير إليه من خلفه "هــذا العربي".

ناثان أكترمان يعتبر من أكبر شعراء إسرائيل قال عنه:

"الناس يحبون فيك الأرض

التي يحبون عليها

وهي تتعكس على وجهك

كأشعة القمر

الباب الثاني

معركة السلام

الفصـــل الأول

السادات ومعركة الطريق إلى السلام

في ١٦ نوفمبر ١٩٧٧ وقف أنور السادات يخطب في مجلس الشعب وصـــرح بأنه ستعد للسفر إلى آخر الدنيا إذا كان هذا يحقق السلام ويمنع ذلك قتل أي مصري في ساحات المعارك وميادين القتال. بل إني مستعد للذهاب إلى الكنيسيت لمناقشتهم. وكان الجمصي يجلس بجوار فهمي وزير الخارجية فقال الجمصي أنها تمثل قنبلة، ورد وزير الخارجية أنها لا تمثل أي شئ فقد سبق أن أبدى السادات هذا الرأي في مجلس الأمـــن القومي وقد عورضت هذه الفكرة وتراجع عنها.

عندما سمع بيجن إشارة إلى هذه الخطبة في نشرة الأخبار الأخيرة والتي ذكـــر فيها الكنيست .. لم يهتم بها كثيرا وأدى إلى فراشه .. اتصل (نافتال لافـــي) Naftal Lavi مستشار وزارة الخارجية الإسرائيلي برئيسه موسى ديان .. ليخبره بمـــا قالـــه السادات قال موسى ديان سنفحص غدا ما إذا كان الرئيس السادات جادا فيمـــا يقولـــه. وعندما قال السادات ذلك في مجلس الشعب قوبل بتصفيق حاد من الأعضاء ومن بـــين الحاضرين ياسر عرفات والذي كان يظن أن هذه كلمات حماسية ولا تمت إلى الواقـــع بصلة.

لم تكن هذه الكلمات حماسية بل إنها كانت تمثل الواقع الحقيقي وانعكاسا فـــي تغيير استراتيجية مصر نحو إسرائيل. فمنذ أن أنتخب مناحم بيجن في سنة ١٩٧٧ كان الســــادات لا يعلم ماذا ستكون تصرفات مناحم زعيم الليكود والإرهابي السابق الذي كان يريد أن يصل إلى اتفاق سلام كامل وحتى عندما كان وزيرا في الوزارة القوميـــة السابقة كان يبدي معارضة للاتفاقات الجزئية ويريد أن يصل إلى اتفاق كامـــل ينهـــي الحرب بين مصر وإسرائيل.

وفي الحقيقة لقد كان مناحم بيجن يبحث عن وسيلة للاتصال المباشر بمصر. وقبل أن يحلف اليمين وقبل أن يتولى منصبه رسمياً كان ضيفا على صامويل لويس سفير الولايات المتحدة في إسرائيل فقد قال "إن هدفي الأول هو أن أبدأ مفاوضات مع مصر والوصول إلى توقيع معاهدة سلام معها، وأني أرجو أن تساعدنا الولايات المتحدة في الوصول إلى هذا الهدف .. ولم يعرف السفير الأمريكي ماذا يقول ولكنه قال "إن بلاده معنية بإعادة انعقاد مؤتمر جنيف".

وأثناء احتفال السفارة الأمريكية بعيد الاستقلال في ٤ يوليو وكان بيجن قد أصبح رئيساً للوزراء وبدأ سعيدا بهذا المنصب .. وعندما رأى سفير رومانيا أخذه جانبا وقال له "سعادة السفير كم أتمني أن أذهب إلى بوخارست لأقابل الرئيس شاوشكو .. والتفت جون كوفاكس إلى مناحم بيجن وشكره وقال له "إني سأحاول".

وبعد شهر واحد من بقائه في الحكم اكتشفت المخابرات الإسرائيلية أن هناك محاولة لبيبية لقتل السادات .. وبلغت مصر عن هذه المؤامرة وتفصيلاتها عن طريق المغرب .. وذلك لأن العائلة المالكة في المغرب كان لها علاقات مودة مع اليهود .. وقد استطاعت مصر إحباط هذه المؤامرة ولكن لم يكن هناك أي اتصال بإسرائيل.

في أغسطس أصبحت زيارة رومانيا حقيقية حيث أن رومانيا هي الدولة الوحيدة الشيوعية التي لم تنقطع علاقتها الدبلوماسية بإسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ . وبالرغم من أن رومانيا كانت لها علاقات ودية بالعرب وتقف مع المصالح العربية. إلا أنها كذلك أقامت علاقات ودية مع إسرائيل. ولم يترك شاوشكو أي فرصة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط إلا انتهزها. وزار بيجن رومانيا لأنها بلد بها عدد كبير من اليهود لها علاقات وثيقة اقتصادية وسياحية بإسرائيل.

وكان نيكول شاوشكو رئيس رومانيا يريد أن يحقق لنفسه مجدا بأن يلعب دورا في التوفيق بين إسرائيل والعرب. وقد حاول في الماضي أن ينظم لقاءا بين جولدا مائير التي كانت رئيسة وزراء إسرائيل والسادات في بوخارست. وفعلا توجهت جولدا مائير لبوخارست ولكن السادات لم يذهب. وكان شاوشكو يخشى إذا قامت حرب أخرى بعد

١٩٦٧ بين إسرائيل ومصر أن تفرض روسيا على رومانيا مـــرور معـــدات وجـــيش روسي خلال أراضيها.

وعندما وصل بيجن إلى بوخارست في ١٩٧٧ لم يستقبل بحفاوة.

وفي الاحتفال الذي أقيم تكريما لرئيس وزراء إسرائيل ألقى رئـــيس الـــوزراء "مانيا مونيسكو" خطبة انتقد فيها سياسة إسرائيل وقد آثار هذا غضب واســـتياء منـــاحم بيجن فرد عليه رداً "جافا" وعزم على قطع الزيارة.

وفي اليوم التالي قابل شاوشكو مناحم بيجن واستقبله بحرارة حتـــى يمكـــن أن يمحو أثر خطبة رئيس وزرائه .. ولما كان الجو ممتعا أخذه شاوشكو إلى (ســـتاجون) على بعد ١٥٠ كليو متراً من بوخارست. وفي هذا المكان الجميل الذي تملؤه الزهـــور والورود الجميلة أخذ رئيس رومانيا مناحم بيجن إلى البحيرة .. وركب الزعيمان اليخت "Zorila" وهي كلمة معناها الفجر. وكان هناك قليل من الصحفيين الـــذين شـــاهدوا الزعيمين من بعيد. واستمرت المحادثات بينهما سبع ساعات ومن ضمن ما قاله بـــيجن لرئيس رومانيا أنه مستعد للذهاب إلى أي مكان لمقابلة الزعماء العرب، وأنه مـــستعد لمقابلة السادات .. وأني أعلم تماما أن مقابلة السادات قد تأتي بالـــسلام إلـــى الـــشرق الأوسط. وكان شاوشكو قد سمع نفس الكلمات من جولـــدا مـــائير وبعـــض الزعمـــاء الإسرائيليين وبدأ شاوشكو في سؤال بيجن هل إذا وافق السادات على المقابلة هل تقدم له بعض التنازلات وكان رد بيجن "طبعاً".

تحدث الرئيس الروماني مع بيجن على ضرورة الإنسحاب من الأراضي التي احتلت في حرب ١٩٦٧ ، وكذلك على ضرورة إنشاء حكومة فلسطينية تعيش في سلام بجوار إسرائيل. وأبدى بيجن معارضته التامة وقال "إن إسرائيل لـــن تنـــسحب مـــن الأراض المحتلة. وكذلك لن توافق على قيام حكومة فلسطينيـــــة" ولكن بـــيجن عـــاد وقال: "إن كل شـــــئ خاضع للمفاوضات" .. وبعد هذه الرحلة الطويلة اقتنع شاوشكو بأن ضيفه مفاوض عنيد ولكنه فهم كذلك أنه يريد السلام. وأنه ليس مـــن الـــصعب أن تتحدث إليه فقال إنه سيحاول أن يقترح لقاءا بين ممثل لك وممثل للسادات .. وأمل أن

أستطيع أن أنجح في عقد لقاء بينك وبين السادات".

وحيث أن بيجن كان يراوده الأمل في أن يقوم الرئيس الروماني بالاتصال بالسادات قرر أن يستمر بعض الوقت في رومانيا.

وأما السادات فإنه كان قلقا فالوقت يمر على حالة اللاحرب واللاسلم ولم يكن هناك حل يلوح في الأفق. وفي أثناء جلوسه مع حسن التهامي في استراحة القناطر الخيرية وكان التهامي قد أصبح قريبا من السادات تحدث السادات عن قلقه بأن الأيام تمر وليس هناك حل وأنه من الضروري تحريك هذه القضية وكسر هذا الجمود . في سبتمبر سنة ١٩٧٧ اقتنع السادات أنه لابد من تحرك جرئ وقد وافق التهامي على هذا الرأي .. واستمر صمت بينهما لعدة دقائق ثم قال السادات: "ربما أذهب إلى القدس وعند ذاك أخذت الدهشة التهامي ثم قال: "إن خطوة جريئة مثل هذه الخطوة قد تؤدي إلى حل لقضية سيناء المحتلة". وقد عرض السادات هذه الفكرة على وزير الخارجية فهمي وعلى نائبه حسني مبارك ولكنه لم يناقشها بالتفصيل ولذلك لم يأخذا العملية على أنه جاد في القيام بهذه الزيارة. وفي إحدى اجتماعات مجلس الأمن القومي تحدث السادات عن زيارة القدس بطريقة غير جادة، ولذلك لم يأخذها أعضاء المجلس بجدية. ولكن السادات كان يقلب الفكرة في ذهنه.. ولأن تصرف كهذا قد يصدم الجيش والشعب لذلك سأل مدير المخابرات أن يقوم باستطلاع الرأي بين قيادات الجيش والشعب عن آرائهم إذا توصلنا إلى حل مع إسرائيل وقام مدير المخابرات بهذا موضحا أن الشعب والجيش يرحبان بفكرة إقامة سلام في مقابل الجلاء عن سيناء.

أخذت هذه الفكرة تتردد في مشاعر السادات خصوصا بعد تأثره بما حدث في حرب ١٩٧٣ من شهداء وجنود وضباط آخرين فقدوا أعضاء من جسدهم فأصبحوا معوقين. قال السادات لنفسه "إن سيناء جزء من أرض مصر .. وإذا لم أحررها بأي وسيلة سواء بالحرب أو بالسلم فستظل محتلة. فرسالتي الوحيدة هي تحرير أرض سيناء .. وإلا كنت خائنا لهذا الوطن الذي بوأني هذا المكان الرفيع .. وبهذا أكون قد ارتكبت خطأ فادحا نحو وطني ونحو ربي. ومما لا شك فيه أن السادات كان متدينا. وكان يعتقد

أن الوصول إلى السلام هو واجب ديني كما أنه واجب وطني فلأذهب إلى إسرائيل إلى القدس وأعرض عليهم السلام عسى أن يتحقق السلام وأن تتحقق عودة سيناء إلى مصر. وقد وجد في حسن التهامي شريكا له في هذا الفهم. وبينما كانت فكرة السلام تتبلور في ذهنه جاءه التهامي وهو من المقربين إليه يعلن للسادات أن النبي زاره في الحلم وأنه يبارك خطوات السادات في إحلال السلام في الشرق الأوسط وقد عرف السادات كيف يتصل بإسرائيل. وعندما نضجت الفكرة في ذهنه اختار المغرب لتكون مكان اللقاء بإسرائيل، واختار التهامي كممثله الشخصي. وبلغت إسرائيل السلطات المصرية أن موسى ديان هو الشخص المناسب لبدء هذه الاتصالات.

ولم يكن اختيار المغرب إلا لأن الملك حسن الثاني له علاقات طيبة باليهود. وكان الملك الحسن الثاني ملك المغرب هو الحاكم الواحد وعشرين في الأسرة العلوية التي تحكم المغرب. وكانت الجالية اليهودية تتمتع بمعاملة طيبة في ظل هذه الأسرة الملكية .. وفي أثناء الحرب العالمية رفض والده الملك محمد الخامس أن يعضد قوانين ضد اليهود طلبتها منه حكومة فيشي .. وقد احتل اليهود المغاربة مناصب كبيرة في ظل الأسرة العلوية .. وحتى اليهود الذين طردوا من أسبانيا وجدوا في المغرب وطنا ثانيا لذلك كانت المغرب على علاقة خاصة بإسرائيل .. وبالرغم من ذلك فقد أرسلت المغرب لسوريا فرقة عسكرية في حرب ١٩٧٣ . وقد سمحت المغرب لليهود بالهجرة إلى إسرائيل في سنة ١٩٥٠ . وقد انتهزت إسرائيل الصراع بينه وبين البلوسيرو لتحسين علاقاتها به. فقد وقفت مع المغرب في صراعها وأمدتهم بالمعلومات لمقاومة حرب العصابات في الصحراء. وكان الملك الحسن يرحب باليهود المغاربة الذين يزورون المغرب. وكان يشجع القواد العرب الذين يزورون المغرب والأمراء السعوديين على إقامة علاقات ودية مع إسرائيل.

ودفعت العلاقة الودية بين المغرب ومصر والسعودية ديان أن يطلب من بيجن أن يواصل الاتصالات التي بدأت برئيس وزراء إسرائيل السابق إيراك رابين الذي زار الملك حسن ووافق بيجن على ذلك.

طلب ديان جميع المذكرات عن محاولات السلام السابقة وأعد له ملف كبير يضم هذه الأوراق .. ومن ضمن هذه الأوراق كانت هناك وثيقة تتضمن أنه في سنة ١٩٧٦ ذهب اسحاق رابين سراً إلى المغرب بناء على دعوة من الملك حسن الثاني الذي أبدى إلى رابين تخوفه من ظهور التيارات الأصولية المتعصبة في العالم العربي وكذلك تخوفه أن يعود السادات إلى الاتحاد السوفيتي إذا يأس من الوصول إلى حل سلمي للصراع القائم بين مصر وإسرائيل . وهنا سأل اسحق رابين لماذا يدعو ملك المغرب رئيس الوزراء الإسرائيلي وهنا ابتسم الملك الحسن وقال عندما كنت وليا للعهد في سنة ١٩٥٨ طالبت أن تنضم إسرائيل إلى جامعة الدول العربية وكاد رؤساء الدول العربية الأعضاء يقعون من فوق كراسيهم فقلت لهم ما هو عدد اليهود حوالي ٢,٥ مليون فإنها جزيرة صغيرة في بحر العالم العربي. وقال الملك الحسن إنه سيحاول أن يعقد لقاءا مع ولي عهد السعودية في هذا الوقت الأمير فهد إذ أن له قصرا في المغرب ووافق رابين على ذلك .. ولم يترك رابين المغرب إلى باريس في طريق عودته إلى إسرائيل إلا بعد أن ترك رسالة تحمل سؤالين للسادات ماذا تريد مصر في مقابل انهاء حالة النزاع المسلح ؟ والسؤال الثاني ماذا تريد مصر في مقابل عقد معاهدة للسلام مع إسرائيل؟ وبعد أن وافق بيجن على اعادة الاتصالات مع مصر. ركب ديان طائرة العال الذاهبة إلى الولايات المتحدة وذلك في سبتمبر سنة ١٩٧٧ ولكنه نزل في باريس حيث كانت تنتظر طائرة الملك من طراز ماستير ٢٠ وركب ديان ومساعده طائرة الملك التي كانت تنتظر في المطار. وقد رفع ديان العصابة التي على عينيه ولبس نظارة سوداء . ثم واصلت طائرة العال رحلتها إلى نيويورك . أما الطائرة الأخرى فقد اتجهت إلى المغرب. وعندما وصلت الطائرة إلى المغرب واستقبل ديان ومرافقوه بحرارة ثم ركبوا السيارات إلى أحد القصور الملكية حيث استقبل الملك الحسن ديان والوفد المرافق له وبعد قليل وصل الوفد المصري برئاسة حسن التهامي. وأراد الملك أن يقدم ديان للتهامي فقال التهامي "لا داعي لتقديم ديان لي فأنا أعرفه جيدا وتركهم الملك حتى يتحدث الوفدان بحرية" وسأل ديان "هل حقا أنتم تريدون السلام .. فرد

التهامي نعم نحن نريد السلام .. ثم عاد ديان ليقول إنه يجب ترتيب لقاء لبيجن مع السادات وذلك ما اقترحه بيجن عندما زار شاوشكو رئيس رومانيا . فرد التهامي أن السادات لن يصافح بيجن وإسرائيل تحتل سيناء فلابد من الجلاء عن سيناء قبل أن ندبر لقاءا للزعيمين وأحس التهامي أنه ذهب بعيدا في طلباته فقال أو على الأقل تعلن إسرائيل غرمها على الإنسحاب من سيناء . فرد ديان "إن كل موضوع قابل للمناقشة والمفاوضة وقد يستطيع السادات إذا قابل بيجن أن يقنعه بأن ينسحب من سيناء" . وهذا ما نقله التهامي بعد ذلك إلى السادات إن إسرائيل مستعدة للإنسحاب من سيناء.

ومر الوقت وجاء المساء وأعدت مآدبة للوفدين وتحدث تهامي عن أن الشرق الأوسط هو مهد الأديان الثلاثة .. وأنه عندما يعود السلام إلى المنطقة فقد يتحقق الرخاء وتحدث ديان على أن إسرائيل قد تقبل أن تتحدث مع منظمة التحرير وأبدى ديان أنه لا رغبة في إسرائيل أن تحكم غزة أو نابلس ولكنها تدافع عن أمنها . وهاجم التهامي جمال عبد الناصر وسأل ديان هل كنتم تدفعون مرتبا لناصر ونظر إليه ديان بدهشة وقال له هل أنت مجنون . ثم سأل ديان هل نستطيع أن نتقابل مرة أخرى في واشنطن أو في القدس أو في المغرب . ورد حسن التهامي أنا لست متأكدا إذا كنا نستطيع أن نتقابل مرة أخرى.

كان السادات قد قرر اتخاذ خطوة جريئة نحو السلام وكان يود أن يعرف ما إذا كانت إسرائيل مستعدة للسلام . ولذلك لم يناقش التهامي أية تفصيلات وإنما عاد إلى مصر وأخبر السادات بأن إسرائيل كذلك تريد السلام . وأخبر السادات السعوديين بهذا اللقاء . وقد كان من الصعب على التهامي تحليل شخصية ديان ولكنه استطاع أن يقيم بينه وبين ديان علاقة تفاهم. وقد أعجب التهامي بإلمام ديان بأدق التفاصيل. وعاد ديان إلى باريس حيث أرسل رسالة بالشفرة إلى بيجن ولم يكن هناك شئ جديد في هذا اللقاء إلا إذا اعتبرنا أن اللقاء نفسه كان هو الشئ الجديد . وكان ديان في طريقه للولايات المتحدة ولكنه فضل الرجوع إلى إسرائيل لكي يقدم تقريرا عن اللقاء لبيجن ويحيطه علما بكل ما دار بينه وبين التهامي. وعندما عاد ديان إلى إسرائيل أثارت عودته

الصحافة والإذاعة وأخذ مندوبو الصحف والإذاعات والتليفزيون يتساءلون هل قابل ديان أحد الزعماء العرب أو أحد الزعماء الأفريقيين ولم تنشر كلمة واحدة عن هذا اللقاء بالصحف المصرية. ولم يدل ديان بأي تصريح وفي اليوم التالي غادر إسرائيل إلى الولايات المتحدة.

وفي الأسبوع الثاني من أكتوبر سنة ١٩٧٧ أرسل كارتر للسادات رسالة وسأله إذا كان يستطيع أن يحضر مؤتمرا في جنيف وقال كارتر إن العقبات في عقد هذا المؤتمر قد ينغلب عليها وأنها ستكون خطوة جريئة وسأل ما هي الخطوات التي تتخذها كل الأطراف حتى يمكن عقدهذا المؤتمر. وكان السادات يفكر في أن هذا الجيل لم يكن ليقبل وجود إسرائيل وأنه إذا أردنا الوصول إلى السلام فلابد من تغيير هذا التفكير وأن يستطيع العرب أن يتقبلوا أن إسرائيل أصبحت حقيقة وأننا يجب علينا أن نعترف بالأمر الواقع. ولذلك فإنه يجب أن نتصرف بسرعة وقبل أن تبني إسرائيل المستوطنات في هذه الأراضي المحتلة . ويصبح من العسير استرداد هذه الأرض أن يكون اليهود قد استوطنوها وبنوا فيها بيوتا .. وقد نشأ هذا الجيل على وصف (اسرائيل المزعومة) وهم لا يريدون أن يعترفوا بأن إسرائيل قد أصبحت دولة ولها جيش من أقوى الجيوش في المنطقة كما أن الولايات المتحدة تقف وراءها على أساس أنها واحة الديمقراطية وحامية المصالح الأمريكية في المنطقة وتقف وراءها جالية يهودية مؤثرة في الولايات المتحدة ولديها جهاز إعلامي قوي يمكن القضاء على مستقبل أي سياسي في أوروبا أو الولايات المتحدة . وأن كل هذه العناصر التي تجاهلتها الأمة العربية مالت بالصراع الإسرائيلي ضد العرب وتحيزت الدول الأوروبية ضد العرب الذين صورهم الأعلام الغربي بالتخلف والانحطاط الفكري. فكر السادات في كل هذا وكيف يستطيع أن يغير المفاهيم التي استقرت في وجدان هذا الجيل الذي شاهد قيام اسرائيل في سنة ١٩٤٨ ثم الهزيمة المنكرة التي قادتنا إليها سياسات جمال عبد الناصر في سنة ١٩٦٧ . واقتنع بضرورة التغيير في المفاهيم والتصرفات حتى نستطيع أن نحقق السلام. وفي نهاية شهر أكتوبر طار السادات ومعه وزير الخارجية إلى رومانيا حيث قابل شاوشكو

ودارت بينهما مناقشات طويلة فسأل السادات رئيس رومانيا هل بيجن يريد سلاما؟ هل زعيم حزب الليكود المتعصب يستطيع أن يحقق سلاما؟ فرد رئيس رومانيا أن بيجن كان هنا منذ شهرين وتحدثنا طويلا وإني أؤكد لك أنه يريد اتفاقا. وعارض السادات في الاقتراح التي تقدم بها شاوشكو في عقد لقاء بينه وبين بيجن أو بين وزير خارجية إسرائيل ووزير خارجية مصر وقال إني سمعت ما كنت أريد أن أسمعه وفي طريق عودته إلى مصر زار إيران ثم زار السعودية.

الفصل الثاني

بداية الطريـــــق

بالرغم من أنه أول الاتصالات كانت عن طريـق المغـرب ورومانيـا ألا أن الطرفين كانا يعلمان أن الولايات المتحدة كقوة عظمى هي التي يجب أن تلعب الـدور المهم في السلام. فإسرائيل تتلقى معونات مالية ضخمة من الولايات المتحدة ولا يمكن أن يتم السلام دون أن نكون طرفا ثالثا فيه. ولكن في الولايات المتحدة يوجـد رئـيس جديد وهناك إدارة جديدة ولابد من اكتشاف شخصية الذي يحكم البيت الأبيض.

في مارس ١٩٧٧ كان اسحق رابين مازال رئيسا لوزراء اسـرائيل وبعـد أن أصبح كارتر رئيسا للولايات المتحدة فكر رابين في زيارة للولايات المتحدة للتعـرف على الرئيس الجديد وقد قوبل روبين بحفاوة من كارتر. وجلس الوفـدان فـي البيـت الأبيض وفوجئ رابين بكارتر يطلب منه أن يرافقه إلى إحدى حجراته الخاصة وعندما كانا وحيدين سأله كارتر "إني أريد أن أعرف رأيك في حل النزاع العربي الإسرائيلي. وقد تضايق رابين وقال له سيدي الرئيس لقد قلت لك رأيي وليس لدي شئ أضيفه إلى ما قلته عندما كنا جلوسا مع الوفدين. وقد تعجب رابين وأحس أن كارتر يريده أن يقول أن إسرائيل على استعداد للانسحاب من الأراضي التي احتلتها فـي ١٩٦٧ . وكـان كارتر يظن أن رابين يمكن أن يكون له موقف مختلف عما تعلنه إسرائيل للرأي العـام الإسرائيلي. وفي أثناء وجود رابين في الولايات المتحدة دعتـه الجامعـة الأمريكيـة بواشنطن إلى احتفال وأهدت له الدكتوراه الفخرية حضر كارتر مؤتمرا صـحفيا فـي البيت الأبيض وبالرغم من المؤتمر الصحفي كان عن السياسات الداخلية إلا أن السؤال الثاني الذي وجه إلى كارتر كان عن الشرق الأوسط. وأجاب كـارتر أنـه يجـب أن تنسحب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها سنة ١٩٦٧ وأوافق أن تكون هناك تعديلات

صغيرة للحدود كما أنه يجب أن يكون هناك حل للمشكلة الفلسطينية. وقد كان هناك اتفاق بين كارتر ورابين أن يحتفظا بسرية المكالمات. وعندما قابل رابين فانس وزير الخارجية قال رابين أنا لا أعلم لماذا تحدث كارتر بهذا الحديث أمام الصحفيين فقال فانس أنا لا أعلم شيئا وهناك أحضر مساعدو رابين نصا للحديث فتعجب فانس وقال : لا . لا . وترك رابين واشنطن وهو غضبان فقد تصور أن تصرف كارتر كان كإهانة شخصية. ورأي روبين أن هذا الرئيس له آراء مسبقة وأن التعاون معه مستحيل وأنه لا يحب الوقوف مع إسرائيل ضد العرب.

وبالعكس فقد نشأت بين السادات وكارتر مودة منذ أول مقابلة وكان السادات يقول عن كارتر إنه رجل أمين. وقد وعد كارتر بأن يزيد المعونات الأمريكية لمصر وأن يؤيد اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية. وقد أحب كارتر السادات وكان هناك تفاهم بينهما فكلا الرجلين متدين وكلاهما يحب الكتابة والأدب وكلا الرجلين تربيا في الريف . ونظرت اسرائيل لكارتر على أنه سيغير العلاقات التقليدية بين الولايات المتحدة واسرائيل.

وأبدى السادات استعداده لتحقيق السلام حتى ولو لم يكن هناك علاقات عادية وحتى لو لم يتغير الموقف العربي من عدم الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود. وتحدث عن حل جماعي وليس عن حل بين مصر وإسرائيل" وقال أي زعيم عربي يريد أن يمحوا إسرائيل فليتفضل إني سأصفق له . كان السادات يرد على هؤلاء الذين ينتقدونه بأنهم لا يريدون أن يعترفوا بأن إسرائيل أصبحت حقيقة وأنه أصبح من المستحيل في الظروف التي يعيش فيها العالم أن يقضي العرب على اسرائيل. لأن أمريكا تحميها ولن تسمح بالقضاء عليها حتى لو أدى ذلك إلى خوض حرب عالمية. ويتبارى المرشحون للرئاسة في ذلك وقد صرح كلنتون الذي تهرب من التجنيد أنه مستعد لحمل السلاح دفاعا عن اسرائيل.

اقتنع السادات بأنه لن يستطيع أن يحرر سيناء بالحرب فليحررها بالسياسة وبمحاولة أن يجعل الولايات المتحدة تساند مصر. لأن السادات اختار طريق العقل في

إدارة الصراع السياسي بين العرب واسرائيل وقد بدأ ذلك بما تسميه اتفاقيـات فـض الاشتباك . وهذه الاتفاقيات قللت من خطر الحرب وأوجدت مناخا صالحا للتفـاوض، واقنعت اسرائيل بأنها لابد أن تنسحب من الأراضي التي احتلتها بعد حـرب ١٩٦٧ . ولعب الأمريكان فيها دور الوسيط، ولكن يبدو الآن أنه من الـصعب الوصـول إلـى اتفاقيات جديدة. وطرحت فكرة انسحاب اسرائيل إلى خط العريش رأس محمد في مقابل أن تعلن مصر نهاية الصراع المسلح بينها وبين اسرائيل. ثم تنسحب من بقية سيناء في مقابل معاهدة السلام. وكان هذا ما اقتنع به رابين وكيسنجر.

وعندما أصبح بيجن رئيسا لوزراء اسرائيل اعتبر أن وقت الاتفاقيات الجزئيـة قد انتهى وأنه قد حان الوقت للوصول إلى معاهدة سلام. وكان يريـد أن يعـرف آراء كارتر ويتعرف بنفسه على الرئيس الأمريكي.

وفي يوليو سنة ١٩٧٧ قبل زيارته لرومانيا وصل بيجن إلى واشنطن وقد نصح زبيجنيوبرزنسكي مستشار الرئيس كارتر لشئون الأمن القومي أن يتجنب الاصـطدام ببيجن . وكانت المعلومات التي تصل من اسرائيل تبرهن على قوة بيجن وتـأثيره وأن الوزارة الإسرائيلية متحدة وأن أي مواجهة مع بيجن سوف تزيد من الاصـطدام بـين الولايات المتحدة واسرائيل. وكان اتجاه البيت الأبيض أن يشعر بيجن بنجاح زيارتـه للبيت الأبيض. وأراد كارتر أن يعبر عن آرائه ولكن بطريق غير مباشر فكلف وزيـر الخارجية فانس سيناتور يهودي ابراهام زيكوف. أن يقابل بيجن ويعرض عليه أن لديه اقتراحا لتحقيق السلام وأنه هو الذي أعده ويريد أن يـستطلع رأي بـيجن فـي هـذا المشروع. ولم يغب عن فطنة بيجن أن هذا رأي الإدارة الأمريكية وقال ابراهـام "أن الهدف من المشروع هو الوصول إلى اتفاق كامل. وأن هذا الـسلام يجـب أن يكـون شاملا وأن تقوم علاقات دبلوماسية وتجارية وحرية التنقل. وأن الثمن الذي يجـب أن تدفعه اسرائيل هو الانسحاب من الأراضي التي احتلتها في سنة ١٩٦٧ ويكـون هـذا الانسحاب تدريجيا على مراحل. وأما المشكلة الفلسطينية فقد شرحتها النقطة الخامـسة في مشروع ابراهام، وهي انشاء سلطة فلسطينية في الضفة الغربية وأن تصبح منطقة

معزولة السلام وتعقد اتفاقيات تجارية مع اسرائيل.

وقد رأي بيجن بوضوح أن الضفة الغربية إذا لم تتخذ مع الأراضي وأصبح لها حكم ذاتي فإن ذلك سيقود إلى خلق حكومة فلسطينية الأمر الذي يتعارض مع آراء بيجن ومصلحة اسرائيل. وفي نفس اليوم أي في ١٧ يوليو سنة ١٩٧٧ قابل بيجن الرئيس كارتر. ولم يتحدث كارتر عن انشاء حكومة فلسطينية وقدم كارتر مشروعا أطلق عليه عملية السلام بين اسرائيل والدول المجاورة لها . والمشروع سيكون من تسع نقاط وأن توافق اسرائيل على الإشتراك في مؤتمر جنيف الذي يمكن أن ينعقد في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٧٧. وقرأ بيجن على كارتر سطورا من تصريحات مؤتمر الحزب الديمقراطي الذي ينص فيه على أنه لابد من المفاوضات المباشرة بين اسرائيل والدول المجاورة. وقال كارتر أنه سيبارك ويوافق على أي مجهود لانعقاد هذا المؤتمر. وترك بيجن البيت الأبيض وهو سعيد. وعندما عاد إلى إسرائيل صرح مبتسما أنه ليس هناك أي تعارض في الآراء بيني وبين كارتر. وفي الحقيقة لقد كان هناك تعارض ولكن كارتر لم يرد مناقشة هذه المشكلة في هذا الوقت فقد كان كارتر يري أن للوصول على حل شامل وليست اتفاقات مرحلية لابد من حل المشكلة الفلسطينية لأنها سبب النزاع وأنه يجب أن يمنح الفلسطينيون حق تقرير المصير وتكوين حكومة فلسطينية يكون بينها وبين الأردن اتحاد فيدرالي. كما أن هناك الموضوع الخاص بالقدس والذي أعلنت إسرائيل أن القدس هي العاصمة الأبدية لاسرائيل وأنها لا يمكن أن يتم التقسيم لها مرة أخرى وكان رأي كارتر أن تقع القدس تحت إشراف دولي، يسمح لاتباع الأديان الثلاثة بزيارة أماكنهم المقدسة فيها. وعلى العرب في رأي كارتر أن يمنحوا اسرائيل سلاما حقيقيا بكل ما يتضمنه السلام الحقيقي من إنشاء علاقات دبلوماسية واقتصادية وسياحية ولم يكن هذا موافقا لرأي السادات لأنه كان يعتقد أن هذا الجيل لن يسمح بقيام علاقات عادية مع اسرائيل. وأن هذا يمكن أن يتحقق في الأجيال القادمة. ولم يكن هذا وحده الذي يضايق السادات. فقد كان يرى أن سياسة الولايات المتحدة في التقارب مع سوريا وفي الأعضاء المعتدلين في منظمة التحرير يمثل خطأ كبيرا وكان يخشى أن يؤدي ذلك

إلى أن يلعب السوفييت دورا مهما في المفاوضات وكان يعتقد أن الروس يتآمرون ضده وكما قال إسماعيل فهمي في كتابه "التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط".

"كانت المشكلة من وجهة نظر مصر هي أن السادات لم يستطع أبدا أن ينحي جانبا كراهية السوفييت وأن يقوم بعمل يضع مصلحة مصر في الدرجة الأولى أي أن يقيم علاقات طيبة مع الاتحاد السوفييتي حتى يوازن الروابط الجديدة التي بدأت تنمو مع الولايات المتحدة وحتى عندما تبين السادات أن الولايات المتحدة ليست مستعدة لأن تزود مصر بالعون العسكري المطلوب. لم يكن ذلك كافيا ليوضح للسادات أننا في حاجة شديدة إلى العون العسكري السوفييتي وفوق كل هذا فإنه كان ينتهز كل فرصة لينفث عن حقده على الاتحاد السوفييتي علنا وفي أحاديثه الخاصة وكانت تصريحاته المتكررة المعادية للاتحاد السوفييتي تختار بعناية خاصة وتعرض بصورة بارزة في الصحف المصرية مما عقد مهمة إقناع السوفييت بأن مصر لا تنتقل إلى المعسكر الأمريكي ولكنها فقط تقيم علاقات مع القوتين العظمتين كليهما وأن هذا التحول في حد ذاته ليس أمرا سهلا. وكانت سياسة أمريكا في التقرب إلى سوريا. بدأت عندما قابل كارتر الأسد في سويسرا كما أنها سمحت لسوريا بالدخول إلى لبنان للقضاء على الحرب الأهلية واعتبرت مصر أن التقارب مع سوريا معناه خلق مراكز تأثير أخرى غير القاهرة . وأن هذا لن يؤدي إلى خلق سلام كامل بل سيؤدي إلى وجود اختلافات في مؤتمر جنيف. وقد عارض الأسد هذه الاتجاهات المصرية واعترض على رأي السادات في تكوين لجنة عمل لعقد مؤتمر جنيف وقد كان الأسد يخشى أن يقوم السادات بعقد معاهدة منفردة مع اسرائيل لتنسحب من سيناء وعبر عن هذا الخوف للملك حسين.

وقد زاد قلق السادات عندما أعلنت أمريكا وروسيا في بيان مشترك عن موافقتهما على عقد مؤتمر جنيف وأن يكون لروسيا وأمريكا نفس المستوي في هذا المؤتمر الذي يجب أن ينعقد في ديسمبر. وخشى السادات من أن يعود النفوذ السوفييتي إلى الشرق الأوسط ولو من الباب الخلفي. وبدا أن أفكار رابين وكيسنجر عن الاتفاقيات الجزئية بالجلاء عن أجزاء من سيناء في مقابل اعلان ترك النزاع المسح بين مصر

واسرائيل لم تعد صالحة.

وأن مؤتمر جنيف يجب أن يكون هدفه هو إقامة سلام شامل وعادل ولذلك فإنه لابد من إيجاد حلول لجميع المشاكل بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وبالرغم من وجود تعارض كبير بين آراء بيجن والسادات وكذلك اختلاف مصر وسوريا على عقد مؤتمر جنيف. كان يبدو أن مشروع كارتر لايجاد حل سوف ينهار. وكان ذلك يثير قلق السادات، فانهيار المجهودات التي بذلت لعقد مؤتمر جنيف والنكوص عن دبلوماسية الخطوة خطوة ستعود بالمفاوضات إلى البداية من جديد. ولم يكن السادات يستطيع التوفيق مع سوريا أو روسيا فانعقاد المؤتمر أصبح مستحيلا. وأن عدم الوصول إلى اتفاق قد يؤدي إلى حرب أخرى تؤدي إلى خسائر بشرية واقتصادية هذا الموقف تجاه انعقاد مؤتمر جنيف والتفكير في العقبات التي ستؤدي إلى فشله جعل السادات يفكر في الزيارة لإسرائيل.

الاتفاقيات التي تمت بين مصر وإسرائيل لفض الاشتباك العسكري مهدت الطريق لعقد معاهدة الصلح. وبمعاونة الولايات المتحدة استطاع الطرفان أن يوقعا معاهدة السلام سنة ١٩٧٩.

وقد وجد أنور السادات المهندس الرئيسي لعملية السلام أن حرب سنة ١٩٧٣ وإن كانت مصر حررت جزءا من سيناء، إلا أن معظم سيناء كان في يد اسرائيل. وكذلك هضبة الجولان مازالت تحت سيطرتها، ومازالت الأراضي الفلسطينية ترزح تحت الاحتلال الإسرائيلي. وبرهنت حرب ١٩٧٣ أن الدول العربية لا نستطيع أن تهزم اسرائيل مادامت الولايات المتحدة تقف خلف اسرائيل وتمدها بالسلاح والمال.

وقد تهاوت عملية السلام بعد سقوط نيكسون بسبب فضيحة (وترجيت) وإجراء انتخابات في الولايات المتحدة واسرائيل وبعد انتخاب كارتر في سنة ١٩٧٦ بدأت مرحلة أخرى من مراحل السلام، حيث حرك كارتر عملية السلام. ونظرا لعدم خبرة كارتر بالسياسة الدولية وخصوصا مشكلة الشرق الأوسط فإنه تبنى سياسة خلق سلام شامل وعادل على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢ . وكان يعتقد أن على اسرائيل أن

تنسحب من الأراضي التي احتلتها بعد حرب ١٩٦٧ . ويمكن أن يكون هنـــاك تغييـــر طفيف في الحدود. وأن الفلسطينيين يجب أن يمنحوا حق تقرير المصير ووطنا. وكان يعتقد أن الحكم العسكري الاسرائيلي الفلسطيني مخالفا لحقوق الإنسان.

وكانت آراء كارتر بالنسبة لإسرائيل متداخلة فعلى الجانب الأول كان يعتقد أن إسرائيل غير متجاوبة وعلى الجانب الآخر فهو عنده حب للأرض لأنها أرض الكتاب المقدس ومبتعد عن الآراء التي تعارض إسرائيل. وكسينجر كان مهتما بمصير اليهود وكان يعتقد أنه يمكن أن ينجح في الوصول إلى سلام شامل يـــضمن الأمـــان لليهـــود وبعض العدالة للفلسطينيين. واقترب من القضية الفلـــسطينية وهـــو لا يعـــرف مـــدى الصعوبات التي سيواجهها . كذلك اعتقد كارتر أن عدم التحرك نحو السلام قد يـــؤدي إلى حرب أخرى أو إلى مواجهة بين أمريكا وروسيا أو إلى قطع البترول الذي يحطـــم اقتصاديات الغرب(١).

وبين الرسميين في إدارة كارتر بحثت أفكار تدعو إلى مؤتمر عـــالمي لحـــل مشكلة الشرق الأوسط. وفي إطار هذه الفكرة قام مؤتمر جنيف الذي ضـــم الولايـــات المتحدة والاتحاد السوفيتي والذي انعقد مرة واحدة في ديسمبر ١٩٧٣ . وقد عارضـــت دول المواجهة المفاوضة المنفردة بين أي دولة وإسرائيل وأما اسرائيل فقد كانت تعتقد أن المفاوضات بين دول المواجهة مجتمعة ستجعل كل دولة تظهر تشددا سيؤدي إلـــى فشل المفاوضات أما الولايات المتحدة فقد كانت تعتقد أن مفاوضات متفرقة بين دولتين كمصر وإسرائيل أو إسرائيل وشرق الأردن لن يكون لها نتيجة وذلك بسبب الـــضغط والتهديد الداخلي والخارجي. وإذا وقعت أي دولة صلحا منفردا مع إسرائيل فإن هـــذا الصلح ترفضه باقي الدول. وسيشجع هذا الموقف الاتحاد السوفيتي. إن المفاوضات في مؤتمر دولي في جنيف هي أكثر الوسائل التي تؤدي إلى اتفاق سلام عادل وشامل. إن وزارة الخارجية الأمريكية لا تريد إعطاء الاتحاد السوفيتي دورا مساويا لدورها فـــي

(1) Carter, Jimmy. Keeping Faith: Memoir of a President. Fayetteville: U. of Arkensas Press, 1995.

الشرق الأوسط. ويمكن في المؤتمر الدولي أن يتحقق النجاح وذلك بحضور القوى العظمى كضمان لنجاح المفاوضات.

وفي ربيع سنة ١٩٧٧ عقد كارتر وسيروس فانس عدة اجتماعات بواشنطن وبالشرق الأوسط وذلك لتشجيع انعقاد مؤتمر جنيف.

وأما إسرائيل فكانت تعتقد أن المؤتمر الدولي في جنيف فخا يجب اجتنابه. وكانت إسرائيل تخشى أن تتفق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي تدعو للانسحاب من الأراضي المحتلة في ١٩٦٧ . وبذلك يفرضون عليها حلا، ولكن لم تستطع إسرائيل رفض عقد المؤتمر حتى لا تبدو أنها تعرقل عملية السلام. إن هنري كيسنجر وجيمي كارتر في بداية حكمه كانا يتعاملان مع حكومة من حزب العمل ترأسها في البداية جولدا مائير ثم اسحق رابين وحزب العمل من الناحية النظرية على الأقل يؤمن بمبدأ التنازل عن الأرض في مقابل السلام. ولكن في مايو ١٩٧٧ وفي حركة غير متوقعة انتخب الإسرائيليون حزب الليكود وزعيمه المتشدد مناحم بيجن رئيسا للوزراء ليقود إسرائيل. وقبل هذه اللحظة المنتصرة قضى مناحم بيجن حياته في الظل. ففي خلال الأربعينات قاد الحركة التي تتدعي أن كل أرض فلسطين جزء من إسرائيل وقاد حركتها الإرهابية المعروفة باسم أرجون زيفاي ليومي. وقد كان مطاردا من الحكومة البريطانية. وكان معظم المهاجرين اليهود ينكرون عليه أعماله الإرهابية. وعندما انتخب تحولت هذه الحركة (Revisionist) إلى حزب (هيروت) الذي اكتسب ١٤ مقعدا من ١٢٠ مقعدا وذلك في أول انتخاب للكنيست. وكان بن جوريون لا يعترف بوجوده. وكان حزب هيروت دائما في المعارضة إلا في الفترة البسيطة التي اشترك فيها مناحم بيجن في وزارة ليفي أشكول وذلك ١٩٦٧ – ١٩٧٠.

والآن سيحكم بيجن اسرائيل لمدة ست سنين كرئيس للوزراء. ورآه فانس كمزيج من نبي في العهد القديم أو أوروبي من أيام البلاط. فهو قد يبدو صعبا ومرا وفي لحظة يكون لينا ورحيما في اللحظة التالية. وكثيرون لا يصفونه بالرقة. إذ أن قلبه ملئ بالمرارة لأنه تأثر بالاضطهاد الذي لاقاه وهو صغير في بولندا وكذلك

بالهولوكست[١].

وتكونت حكومة بيجن من عدة أحزاب دينية صغيرة تجمعوا حول حزب هيروت وسميت كتلة الليكود. وتسلمت هذه الكتلة الحكم في ٢١ يونيو ١٩٧٧ وبعد سبع سنوات تماما من استقالة مناحم بيجن من وزارة ليفي أشكول لأنها قبلت قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ومبادلة الأرض في مقابل السلام. وكان يعارض أن يمنح الفلسطينيين حق تقرير المصير وكان لا يوافق على أي اتفاق يؤدي إلى أي تنازل عن الأرض وكان يقول إن الضفة الغربية وغزة مثل تل أبيب لا يجوز أن تتنازل عن قيد أنملة منهما.

وقد نجحت المقابلة الأولى بين كارتر ومناحم بيجن إذ وافق أن يكون أساس السلام هو قرار مجلس الأمن ٢٤٢ . وعارض مناحم بيجن على عقد مؤتمر دولي من أجل السلام وطالب أن يتفاوض الطرفان المتنازعان مع بعضهما، وقال جملة لم يفهم كارتر مغزاها أنه على استعداد أن يقابل السادات. وقد طالب كارتر من مناحم بيجن إيقاف بناء المستوطنات ولكن مناحم بيجن وعد بأنه سيرضى الولايات المتحدة ولكنه كان وعدا غير واضح .. وقد نشأ الخلاف عند عودة بيجن حيث اعترف بقيام ثلاث مستوطنات وأحس كارتر أن مناحم بيجن الذي وعد بإرضاء الولايات المتحدة بإيقاف بناء المستوطنات لم يف بوعده.

وقد أثر ذلك على العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة عند زيارة فانس للشرق الأوسط في أغسطس. وقد قدم السادات له مسودة خطة للسلام وطلب منه أن يطالب بيجن بتقديم مسودة خطة للسلام وسوريا والأردن وبذلك يمكن تقريب وجهات النظر في الخطط الثلاث. وقال السادات لفانس أنه مازال يأمل أن يقابل بيجن.

وفي القدس واجه فانس مقابلة قاسية من مناحم بيجن الذي قرر أنه يشبه الولايات المتحدة التي تريد أن تتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية بتشمبرلين الذي

---

(1) Vance Cyrus: Hard Choices: Critical years in American's Fareign Policy: Summons & Schuster, 1993.

أراد أن يتعامل مع هتلر. وقال بوضوح أنه لن ينسحب من الضفة الغربية أو غزة على أن يمنح العرب العائشين في هذه الأرض اعترافا بثقافتهم. ومسودة الخطة التي قدمها للسلام لم تشر أنه على استعداد للتنازل عن أي شبر من الأرض. وفي خطاب من موسى ديان إلى فانس وزير خارجية أمريكا أن إسرائيل سوف تحتفظ بشرم الشيخ وقطاع غزة وشريط في شرق سيناء وتحتفظ اسرائيل بالضفة الغربية ولكن تبقى مرتفعات الجولان خاضعة للمفاوضات بين سوريا واسرائيل.

وبمساعدة الولايات المتحدة بدأت محادثات سرية بين مصر وإسرائيل. في أغسطس طار مناحم بيجن إلى بوخارست وسأل رئيس رومانيا نيقولاس شاوسكو أن يخبر السادات أنه يود مقابلته وفي ٤ سبتمبر تنكر موسى ديان بأن وضع شنبا ضخما ونظارات سوداء فوق عينيه وطار سرا إلى مراكش وذلك ليسأل الملك الحسن أن يرتب لقاءا مع حسن التهامي .. تحرك الملك الحسن سريعا ورتب يوم ١٦ سبتمبر لقاء بين موسى ديان وحسن التهامي الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء.

وكانت رسالة حسن التهامي في منتهى البساطة وهي أن السادات يريد السلام ولكن السلام يمكن أن يتحقق بالانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة. بما فيها القدس الشرقية. وكان السادات يعتقد أنه لو نجحت المفاوضات بين مصر واسرائيل فقد يؤدي هذا إلى نجاح المفاوضات من الأردن وسوريا من جهة وبين اسرائيل من جهة أخرى. وأن السادات لن يوقع على اتفاقية منفردة وأنه سيقابل مناحم بيجن إذا وعدت إسرائيل أن تبدأ في الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة. وردا على ذلك قال ديان أن الزعيمين يجب أن يتقابلا ليناقشا القضايا الأساسية وبذلك يمكن لاسرائيل ومصر أن يطرحا للنقاش كل الخلافات بينهما. وقد أخبر بيجن القاهرة أن إسرائيل لن تنسحب لمجرد أن السادات وافق على لقائه. وقد ادعى التهامي أن ديان قال له أن اسرائيل على استعداد للانسحاب من سيناء في مقابل السلام مع مصر. وقد أنكر دائما موسى ديان هذا وقال إنه من الضروري أن تكون سيناء منطقة منزوعة السلاح إذا وقعت اسرائيل اتفاقية سلام مع مصر. وقد كتب دافيد كينش – والذي كان مديرا للموساد والذي كان

خلال سنة ١٩٨٠ مديرا عاما لوزارة الخارجية الإسرائيلية - رسالة خطية من ثلاثة أسطر وطلب من التهامي أن لا يطلع عليها غير السادات في مقابل توقيع معاهدة سلام. ولكن الدليل الواضح أن ديان لم يكن يريد أن يعد بشئ ولكن أوحى إلى التهامي أن إسرائيل على استعداد للانسحاب من سيناء في مقابل السلام وخرج ديان من هذا الاجتماع أن مصر قد تعقد اتفاقية صلح منفرد إذا انسحبت إسرائيل من سيناء.

في سبتمبر ١٩ طار موسى ديان إلى واشنطن وبالرغم من وعده للتهامي أن يبقى اجتماعهما سراً اطلع الولايات المتحدة على اجتماعه بالتهامي وبعد يومين طار إسماعيل فهمي إلى نيويورك وقد أخبره كارتر أنه لا يستطيع الضغط على إسرائيل وذلك لأسباب سياسية داخلية .. وربما كان هذا السبب الذي جعل السادات يتفادى الأمريكان ويتعامل مباشرة مع الإسرائيليين[١].

وقد تأثر السادات بالبيان المشترك الذي أصدرته الولايات المتحدة بالمشاركة مع الاتحاد السوفييتي في أكتوبر سنة ١٩٧٧ ، والذي تحدث عن ضرورة الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي احتلتها في سنة ١٩٦٧ وحل مشكلة فلسطين والمحافظة على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين. ولم يشر هذا البيان إلى طلبات العرب الأساسية وقد قبل رأي إسرائيل في تفسير قرارات الأمم المتحدة ٢٤٢ والذي ذكر الانسحاب من أراضي ولم يذكر الانسحاب من الأراضي وكذلك لم يذكر هذا البيان المشترك منظمة التحرير الفلسطينية أو حكومة فلسطينية. ولكن الأسوء من وجه النظر السادات هو تراجع كارتر عن روح البيان وعن موقعه السابق في الدفاع عن حقوق الفلسطينيين. وكان تراجع كارتر نتيجة لهجوم المتحدث باسم المنظمات اليهودية والسياسية الإسرائيلية الذي اتهموه بأنه خاف من هجوم العرب والاتحاد السوفييتي فقام في يوم ٤ أكتوبر بالتصريح في الجمعية العمومية للامم المتحدة أن الولايات المتحدة لن تفرض حلاً على إسرائيل في مشكلة الشرق الأوسط[٢].

---

(1) Bar. Siman-Tou, Yavakov. Israel and the Peace Process 1972 – 1982: In Search of Legitmacy and Peace. New York Sunny Press, 1994.

(2) Quandit.

وفي نفس اليوم بعد مقابلة ديان وزعماء اليهود والولايات المتحدة أعلنوا بيانا مشتركا بأن قبول البيان الذي أعلنته الولايات المتحدة بالاشتراك مع الاتحاد السوفييتي في ١ أكتوبر سنة ١٩٧٧ ليس ضروريا لانعقاد المؤتمر الدولي في جنيف. وأما وجهة النظر العربية أن كارتر الذي حاول أن يبدي تعاطفا مع حقوق الشعب الفلسطيني سرعان ما تراجع نتيجة للضغط الصهيوني. وقد ظهر واضحا أن أمريكا لا تستطيع أن تضغط على اسرائيل بل إن العكس هو الصحيح. وعندما اكتشف – السادات ذلك – والذي كان يقول أن ٩٩% من أوراق اللعبة في يد أمريكا وبذلك أصبح على السادات أن يحاول مع اسرائيل مباشرة لتغيير واقعها المتشدد والحصول منها على بعض المرونة التي قد تقود إلى السلام. وأصر السادات على أن ما يقف بين إسرائيل والدول العربية هو حاجز نفسي من الخوف فإذا ما استطعنا أن نحطم هذا الجدار النفسي فقد يصل الطرفان إلى السلام. وأنه لابد من عمل درامي لتحطيم هذا الحاجز. وبالإضافة إلى هذا أن امتلاك إسرائيل للقوة العسكرية وللتسليح الذري ووقوف أمريكا خلفها يجعل استحالة الحل العسكري إذ أنه من الصعب هزيمة إسرائيل عسكريا ويمكن أن نضيف إلى ذلك ما سببته الحروب بين إسرائيل ومصر من مآسي كثيرة جعلت السادات يؤمن أنه لا مفر من السلام .. وكذلك كان هناك أسباب اقتصادية. وبالرغم من المعونات العربية فقد كلفت الحروب وإعادة التسليح أموالا طائلة. وكان السادات يعتقد أن مصر لن تستطيع مواصلة الانفاق على الحروب، وحرمان الشعب المصري من الرخاء بسبب الانفاق العسكري .. خصوصا وأن مصر بلد فقير وبه عدد من السكان كبير. وقد كان تأثير مظاهرات الخبز في يناير ١٩٧٧ وذلك عندما خرج آلاف من المتظاهرين من أسوان إلى الاسكندرية للاحتجاج على الغاء الدعم وقد أدى تصادم قوات البوليس مع المتظاهرين إلى وفاة ٧٧ في القاهرة حدها.

وقد يؤدي الصلح مع إسرائيل إلى تقديم معونة أمريكية لمصر وقد صرح الجنرال كمال حسن علي الذي كان وزيرا لوزارة الدفاع عن المعونات الأمريكية لمصر في الفترة من ١٩٧٨ – ١٩٨٢ وصلت إلى ٦ بليون دولار وأن أمريكا تدفع

لمصر معونة قدرها ١,٥ إلى ٢ بليون دولار سنويا في حين أن المعونات العربية من ١٩٧٣ حتى ١٩٧٧ وصلت إلى ٥ بليون في حين أن يوم ٦ أكتوبر من حرب ١٩٧٣ تكلف حوالي ٤٠٠ مليون دولار.

وربما كان السادات يعتقد أن الوقت يجري فإنه إذا لم يتحقق السلام فقد تقوم حرب أخرى وكان السادات وقد بلغ من العمر ٥٧ عاما ومرت به أزمة قلبية وهو يريد أن يحقق السلام الذي كان يعتقد أنها رسالته الأخيرة في الحياة وأن يجنب أبناءه من شباب مصر الموت أو التشويه متأثراً بما حدث في حرب ١٩٧٣ وما شاهده بعينه من مأساة الحرب. وكذلك فإنه كان يعتقد أن رسالته التاريخية هي تحقيق السلام لشعوب الشرق الأوسط[1].

وقد يكون هناك سلسلة من الحوادث أدت إلى تفكير السادات في الذهاب إلى القدس هذه الرحلة التي هزت العالم وجعلت منه في نظر الغرب بطلا للسلام. ويبدو أن هذه الفكرة بدأت عندما أرسل كارتر إليه خطابا بخط يده يطلب منه أن يعاونه في ازاحة المعوقات لعقد مؤتمر جنيف. وقد رد السادات على كارتر في ١٠/٣١ يعده بأنه سيخطو خطوة جريئة في طريق السلام. وربما كان السادات قد بدأ يدرس فكرة الذهاب إلى القدس. وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧٨ في إحدى جلساته مع وزير الخارجية فهمي لمح السادات أنه يريد السلام ولو أدى ذلك إلى زيارة القدس وذلك عندما كانا في زيارة لرومانيا وبعد أن أخبره الرئيس كاوتشسكو أن بيجن يريد أن يقابله ويود للوصول إلى السلام الشامل. وقد صدم فهمي بهذا التلميح أن الزيارة للقدس هي اعتراف بالهزيمة وأن هذه الزيارة ستصبح كالكارثة وستؤثر على مكانة مصر لدى الأمم العربية وأن زيارة السادات سيكون كأنه اعتراف بإسرائيل كدولة وكذلك انهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل. وهما الورقتان اللتان في يد مصر عند أي تفاوض بين الدول العربية واسرائيل .. وكان يبدو أن السادات وقد استغرق إيمانه بالسلام لجميع شعوب

(1) Tessler, Mark. A History of the Israeil conflict Bloomington: Indiana University Press, 1994.

المنطقة وأمله في إنهاء الصراع والحرب والدمـــار جعله لا يهـتم بـأقوال وزيـر خارجته.

وقد حاول فهمي أن يثني السادات عن هذه الفكرة واقترح عليه أن يدعو إلـى مؤتمر دولي ينعقد في القدس الشرقية المحتلة وتشرف عليه الأمم المتحدة ويـدعو لــه زعماء دول المواجهة بما فيهم منظمة التحرير الفلسطينية وأعـضاء مجلـس الأمـن الدائمين أو إلى أن يقابل بيجن سراً في دولة محايدة لمناقشة مباشرة معه عن السلام. وقد وافق السادات وأرسل ٢٦ نوفمبر رسالة إلى كارتر تتـضمن هـذه الاقتراحـات. وعندما وصلت هذه الرسالة إلى كارتر وقام بدراستها مع مستشاره للأمن القومي قـال بيرزنسكي إن السادات لا يفرق بين الحقيقة والخيال وقد أصاب بعض القلق أن السادات لم يعد يعش في الواقع وأنه يسبح في الأحلام. وأرسلت له واشنطن خطابا رقيقا تطلب منه أن يساعد على انجاح مؤتمر جنيف[١].

ولكن في الحقيقة أن السادات كان قد غير رأيه حول مؤتمر جنيـف وفـي ٥ نوفمبر قال أمام مجلس الأمن القومي المصري "إني على استعداد للذهاب إلى القـدس والقاء خطاب في الكنيست إذا كان هذا يمنع إراقة دماء أولادي". وبعد أربعة أيام في ٩ نوفمبر أعلن هذه القنبلة المدوية علنا في خطابه أمام مجلس الشعب وكان ياسر عرفات مدعوا .. ترك السادات الخطية المكتوبة وأعلن أنني على استعداد للذهاب إلـى نهايـة الأرض. وستندهش اسرائيل عندما تسمعني أقول لكم إني مستعد أن أذهب إلـيهم فـي دارهم إلى الكنيست وأناقشهم هناك. فإننا لسنا لدينا وقت نضيعه .. وسـيطر الـصمت على القاعة ثم دوى تصفيق حاد وحتى عرفات اشترك في هذا التصفيق وهم يظنون أن السادات لا يعني ما يقوله حرفيا.

ولكن ملأ الرعب قلب الجمصي وزير الدفاع وفهمي وزير الخارجية وبعـض السياسيين الآخرين ملأ قلوبهم الخوف خشية أن يكون الـسادات جـادا فيمـا يقـول

---

(1) Brzezinski Zbigniew. Power of Principle: Memoris of the National adviser.

خصوصا أنه كرر ما قاله في مجلس الأمن القومي.

وبالرغم من أن هذه الجملة بناء على أوامر السادات لم تذكر في الصحف التي ظهرت في اليوم التالي إلا أن الصحافة الأجنبية ركزت عليها وأعطتها أهمية خاصة.

ولم تعتقد الولايات المتحدة ولا إسرائيل أن السادات ينوي السفر إلى القدس بالرغم من السادات قال لكارتر أنه فعلا يفكر في اتخاذ هذه الخطوة.

واعتقد الأمريكيون أنهم سينجحون في عقد مؤتمر جنيف ولم يكن الأمريكيون يفهمون آراء السادات التي ستعزله عن العالم العربي وتضيع فرصة عقد مؤتمر جنيف عليهم.

وفي القدس بالرغم من مقابلة التهامي وموسى ديان ألا أنهم لم يكن لديهم ثقة في أن مصر تريد السلام وكان بيجن يطلق على السادات في مجالسه الخاصة The Chudak أي خفيف الوزن وأن تحدث المصريين عن السلام يجب ألا يخدع الإسرائيليين.

وكانت التقارير المرفوعة إلى وزير الدفاع أزرا ويزمان أن مصر فقدت الأمل في المفاوضات وأنها تستعد لجولة أخرى من الحرب وأن الدوائر الحاكمة في مصر لا تستطيع أن تقبل وجود إسرائيل وقرر الخبراء أنه ربما تقوم الحرب مرة أخرى في أكتوبر وأن وعد مصر للسلام هي خدعة أخرى من السادات.

وبدأ الإسرائيليون في دراسة هذا الموقف الجديد وعددا من التقارير أعدت وسلمت إلى رئيس الوزراء ولم يكن هناك أي بوادر تشجع على أنه هناك حل سلمي للأزمة وفي مذكرة متشائمة تقدم بها الجنرال شولو جانيت مدير المخابرات العسكرية وصف فيها مبادرة السادات على أنها فخ. وقد حاول في الفترة من نوفمبر ١٢ إلى نوفمبر ١٧ أن يقابل بيجن ولكن لم ينجح في ذلك وكان بيجن يعرف ماذا يريد أن يقول جانيت وكان يفهم الموقف بطريقة أفضل من مدير مخابراته العسكرية.

وبالرغم من أن بيجن لم يكن متأكدا أن السادات يريد أن يحضر إلى إسرائيل ألا أنه قرر أن يلعب على هذا الاحتمال فصرح إذا قرر السادات الحضور إلى القدس

فإنه سيقابل بكل احترام كرئيس دولة .. وأنا أتمني أن أزور القاهرة حتى أرى الأهرامات التي شارك جدودى في بنائها.

وأعلن السادات مرة أخرى عن نيته لزيارة القدس وأعلن بيجن عن ترحيبه بزيارة السادات ولكن رئيس أركان الجيش الإسرائيلي جنرال مردوخاي جور صرح بأن على السادات أن كان يعلم أن هذه خديعة ثانية كخديعة يوم كبور فنحن مستعدون لها وصدر أمر لجور بالعودة فورا لأنه قال هذا التصريح وهو في الخارج. وعند عودته صدر قرار بلومه .. وكان هذا يعتبر أول قرار يصدر على ضابط برتبة جور.

ولكن هذا الحادث لم يؤثر على الاستعدادات للزيارة فقد تجاهل المصريون هذا التصريح ولم يعلقوا عليه. وفي يوم ١٥ نوفمبر كرر بيجن دعوة السادات في خطاب أمام الكنيست. وبدأ مالك محل صغير للأعلام في انتاج عدد من الأعلام المصرية.

وعندما اختمرت الفكرة في ذهن السادات وعزم على تنفيذها وكانت العلاقات مع سوريا قد ساءت بعد اتفاقية فك الاشتباك (سيناء ٢) في ١٩٧٥ . وساءت كذلك للاختلاف على عقد مؤتمر جنيف. في ٢٦ نوفمبر طار السادات إلى دمشق حيث قابل الأسد، وحاول أن يجعله يوافق على زيارته للقدس. ورفض الأسد وحذره من النتائج الخطيرة لهذه الزيارة. وفي اليوم التالي أعلنت سوريا الحداد ورفرفت الأعلام السوداء على المباني العامة في شوارع دمشق. وأما في القاهرة فحركة اضراب صغيرة بين الطلبة فضها البوليس فورا واستقال وزير الخارجية فهمي ونائبه محمد رياض.

وفي يوم ١٨ نوفمبر أخبر بيجن رؤساء المخابرات العسكرية عن الاتصالات الدبلوماسية التي جعلت من زيارة السادات حقيقة واقعة وكان عزرا ويزمان نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع إثر حادث سيارة طريح الفراش بكسور في الضلوع وفي رجله" وكان يادين ينوب عنه تكلم عن احتمال أن يكون هناك خداع وطلب استدعاء فرقة من الاحتياطي. ولكن بيجن رفض ذلك وسانده في ذلك جور وجازيت وتمت الزيارة".

الفصل الثالث

مسدس تحت الوســـادة

من عادة السادات أن يحتفظ بالقرار لنفسه ويفاجئ به جميع معاونيه فهو يستمع لهم ولكنه يتخذ القرار في آخر الأمر وكانت هذه العادة تجعل معاونيه محتارين. وعندما يريد اتخاذ قرار في أمر هام وأنه يستريح وحيدا في قصر من قصور الرئاسة لعدة أيام ثم يدعو معاونيه للاجتماع به ثم يعلن عليهم القرار. وفي هذا يختلف عن جمال عبد الناصر. فقد كان جمال عبد الناصر بالرغم مما كان يبدو عليه من كبرياء ، يملأ قلوب معاونيه من رهبة وخوف ألا أنه كان يتخذ قراره وهو في وسط معاونيه بعد تردد واستماع لكل الآراء ولكن كانت الدعاية تظهره على أنه صاحب القرار وكأنه لم يستشر فيه أحد .. أو انطباع الناس عن السادات منذ أن كان لا يعارض جمال عبد الناصر ولا يواجهه إلا بكلمة "صح يا ريس" وبذلك بقى بجوار ناصر الذي كان قد تخلص من جميع أعضاء مجلس الثورة. ولم يبق بجواره إلا الشافعي والسادات. وبذلك كان الموجودون بجوار ناصر يقدمون له المعلومات التي تؤثر في قراره. وعرف المحيطون بالسادات أن هرم السلطة يقف عليه رجل واحد هو السادات بل إن السادات وصف نفسه بأنه وجمال عبد الناصر آخر الفراعنة العظام مع أن خليفته حسني مبارك ظل وحيدا على قمة السلطة وليس هناك بجواره أحد وبز ناصر والسادات بما لديه من سلطة مطلقة لأنه ظل يحكم بقانون الطوارئ طوال مدة حكمه وديمقراطية الجرعات والبرلمانات التي يسمونها مجالس الشعب توافق على مد هذا القانون دون اعتراض.

وعندما أعلن السادات على استعداده للذهاب إلى القدس لتحقيق السلام وعندما عاد السادات إلى منزله لم يكن معاونوه يعتقدون أنه جاد فيما يقول ... واتصل وزير الخارجية بمعاونيه ليتصلوا بالصحف حتى لا يبرزون الجزء الذي قال فيه "أني مستعد

للذهاب للقدس والأفضل أن يحذفوه من الخطبة.

وأما في تل أبيب فإن يهيلي كاديشاي لم يكن يعتقد أن السادات جاد فيما يقوله وربما هي مبالغة من مبالغات السادات. لقد سمع مدير مكتب مناحم بيجن هذه الخطبة مذاعة من الراديو. وتردد هل يخبر بيجن بهذه الخطبة فيتصل به تليفونيا ولكنه قرر أن هذا الاعلان غير مهم وإنها جملة واحدة.

ورن التليفون في منزل مناحم بيجن في الساعة السابعة صباحا في اليوم الثاني لخطبة السادات – رئيس وزراء اسرائيل رقم ستة والذي يستيقظ دائما مبكرا الساعة الخامسة صباحا وهو شئ تعود عليه منذ كان قائدا للجمعية الارهابية التي كان يرأسها منذ خمس وثلاثين عاما – وجلس بيجن يستمع إلى الإذاعة البريطانية ثم يقرأ صحف الصباح .. وكانت المكالمة من "شلومو ماكديمون" وهو صحفي كان على علاقة وثيقة ببيجن منذ مدة طويلة وسأله شلومو ما هي انطباعه على خطبة السادات التي صرح فيها أنه على استعداد للسفر إلى اسرائيل من أجل السلام أنا ليس لدي الخطبة الكاملة للسادات ولذلك لا يمكن من التعليق على ذلك ولذلك فإني أقترح أن تنتظر حتى أقرأ الخطبة كاملة وعند ذاك قال شلومو أني لدي الخطبة كاملة فكان رد بيجن بالنسبة لاستعداد الرئيس السادات لمقابلتي في القدس وفي الكنيست إذا لم يكن هذا مجرد كلام فإني منذ أمد توليت رئاسة الوزراء وأنا على استعداد لمقابلة السادات في القدس أو في أي مكان يختاره حتى في القاهرة وذلك للمفاوضة على إحلال السلام في الشرق الأوسط . وكان من الواضح أن حضور السادات إلى القدس والكنيست فبالنسبة له كان من المستحيلات وكان بيجن وكذلك رؤساء وزراء إسرائيل ورئيس أمريكا يعقدون آمالهم على مؤتمر جنيف للوصول إلى السلام وصرح بيجن للصحف المسائية أن السادات يستطيع الحضور إلى جنيف للتفاوض ليشرح لنا وجهة نظره ونعود إلى ما قالته السيدة الجليلة جيهان السادات في كتابها "سيدة من مصر" في الفصل الثاني عشر الطريق نحو السلام عندما أعلن زوجي استعداده للذهاب إلى القدس لتحقيق السلام مع اسرائيل . أدركت على الفور أنه سوف يلقي مصرعه ضحية لهذا السلام مع إسرائيل

لم أعرف متى سيقتل ولا أين ولا من الذي سيقتله أدركت فقط أن أيامي مع زوجي أصبحت معدودة. ومن تلك اللحظة في نوفمبر ١٩٧٧ حتى اغتياله أصبح الصداع الذي أصبت به منذ سنوات مزمنا. لم أعرف يوما مر بي من دون ألم.

إن التخلف عن التنمية كان يمزق أنور. كان يريد أن يبني مدارس ومستشفيات ويقيم مراكز صناعية جديدة ويوفر فرص عمل. لكن تكلفة كل شئ كانت تتزايد. وقد جلبت سياسة الانفتاح الاقتصادي التي انتهجها أنور فوائد جديدة لمصر من الاستثمار الأجنبي. لكنها تسببت في ارتفاع معدل التضخم أيضاً . وكان تكاليف المعيشة تزيد باضطراد وأصبح المزيد والمزيد من أبناء شعبنا لا يقدرون على توفير اسكان لائق لأسرهم أو حتى الغذاء لأطفالهم وبحلول سنة ١٩٧٧ بلغت ديوننا الخارجية حوالي ١٥ مليار دولار. كانت بلادنا في ضائقة مالية تبعث على اليأس دون أن نلمح نهاية في الأفق. لقد كلفت الحروب الأربع التي خضناها مع إسرائيل مصر مليارات الجنيهات. ثم تواصل السيدة الجليلة جيهان السادات أنه عندما عدت إلى المنزل في مساء ٨ نوفمبر قالت ابنتي الصغرى نانا في هياج بالغ "مامي مامي هل سمعت الأخبار؟ توقف قلبي إلى وجهة نظرنا. وعارض بيجن اشتراطات السادات بالانسحاب إلى خطوط سنة ١٩٦٧ وإقامة الدولة الفلسطينية. وفي الساعة الثامنة صباحا كانت هيئة مكتبه في انتظاره قبل دخوله إلى حجرة مكتبه وقد سمعوا تعليقه على خطبة السادات فسألهم هل كنت مصيبا في تعليقي على خطبة السادات فقالوا بالتأكيد إنك كنت مصيبا. وسر بيجن بذلك وبدأ في دراسة الأوراق الموجودة على مكتبه. وقد كانت فكرة بيجن عن السادات مزيجا من الخوف منه وعدم الثقة فيه وقد كان يصفه بالكلمة الروسية (Czodak) أي المجرم وكان يخشى من سياساته ودهائه.

كان السادات في ذلك الوقت نائما لأنه عاد إلى منزله في الجيزة متأخرا وكان زوجته جيهان تنتظره. لقد ناقش السادات فكرته في الذهاب إلى القدس مع كثيرين ولكنه لم يناقشها معي وإن كان ناقشني فيها لوقفت بجانبه لأنه لم يكن هناك سوى طريق واحد هو طريق السلام إذا أرادت مصر استرداد سيناء. وقد لاحظت جيهان

أنه منذ أعلن عزمه على الذهاب إلى إسرائيل أنه ينام وهو يضع مسدسه تحت الوسادة وقد اقنعني السادات أننا لن نستطيع أن نهزم إسرائيل حتى لو وصلنا إلى تل أبيب لأن الولايات المتحدة لن تسمح لهذا. وأن الحرب وضحاياها من الجانبين لا فائدة منها. وأن الملك عبد الله قد قتل لأنه كان أول قائد عربي يتصل باسرائيل. فقد قتلوه وهو يصلي وكان معه حفيده الحسين الذي أصبح الملك حسين فيما بعد.

في هذا اليوم استيقظ السادات الساعة الحادية صباحا وقد كان السادات لا يحب قراءة التقارير ويترك هذا لمعاونيه وكان ينظر فقط في الأمور المهمة ويترك التفاصيل لمعاونيه وكان السادات قد أصيب مرتين بمرض القلب .. ونصحه الأطباء بأن يسير كل يوم أربع كيلو مترات.

في هذا الوقت كان التهامي الوثيق الصلة بالسادات يؤدي فريضة الحج وكان يؤدي أحد مناسك الحج في رمي الجمرات والحجاج جميعا في ملابس الإحرام فالتف الحجاج حوله يسألونه ما هو هدف السادات من زيارة القدس وهل هذا الخبر صحيح أنه سيذهب إلى القدس وعند ذلك أجاب التهامي أليست هناك في القرآن الكريم آيات في سورة الإسراء توضح أن اليهود سيعودون إلى القدس للاختبار الأخير من الله "وقفينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلون علوا كبيرا". وقد قضي الله لبني إسرائيل أنهم سيفسدون في الأرض مرتين وأنهم سيعلون في الأرض المقدسة ويسيطرون ماذا جاءت المرة الأولى في العلو بعث الله عليهم عبادا ذوي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وفي المرة الثانية التي تحققت في عصرنا الحديث عادوا إلى الافساد في صورة إسرائيل التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع وفقا لسنته التي لا تتخلف وأن غدا لناظره قريب.

وقف التهامي صامتا يتطلع في وجوه الحجاج الذين يسألونه هذه الأسئلة ولم يتكلم أحد منهم إلى أن قال التهامي فانتصار إسرائيل في سنة ١٩٦٧ هو ما جاء في القرآن الكريم من علوهم في الأرض وأن السادات هو الذي كلفه الله بأن يحذر اليهود

حتى لا يكون لهم حجة إذا ما وضعوا تحت الاختبار مرة أخرى وهل هم مستعدون أن يعيدوا المسجد الأقصى إلى الإسلام. وفي الصحف المصرية تصدرت خطبة الرئيس السادات ولكن قوله أنه على استعداد للذهاب إلى الكنيست لم ينشر في الصحف المصرية أو السورية أواللبنانية أو الأردنية وفي إحدى الجرائد الإسرائيلية التي تصدر في المساء سخر رئيس التحرير من خطبة السادات وقال أن خطبة السادات كلها خدع حربية والرئيس المصري جاء بنوع جديد من الخدعة عندما قال إنه على استعداد للحضور للكنيست من أجل الإسلام هذا الثعلب يريد أن يؤثر في الرأي العام الأمريكي ويجب أن نعرف هذا. الرجل الذي رفض أن يقابلنا في واشنطن سيأتي إلينا في أورشليم.

إن زيارة السادات للقدس كان مثل الحلم لم يستطع العرب ولا الإسرائيليون تصديقه. فمنذ سنين أراد رئيس تحرير جريدة السياسة الكويتية الذهاب إلى إسرائيل لكتابة عدة مقالات ولكنهم اتهموه بالخيانة وحاولوا قتله فاضطر إلى هجر الفكرة ولم يكن الموقف في الشرق الأوسط قد وصل إلى حالة جمود بل كان هناك محاولات جادة من كارتر لعقد مؤتمر جنيف والوصول إلى تسوية كاملة للشرق الأوسط.

وقد قوبل خطاب السادات من الإدارة الأمريكية بنوع من البرود وعدم التصديق أما بيجن عندما سأل عن هذا قال أني أرحب بزيارة السادات إلى القدس وسنقابله بكل ما يليق برئيس دولة ووجه خطابه إلى شعب مصر أنه يريد أن يذهب إلى القاهرة حتى يرى الأهرامات التي اشترك أجداده في بنائها كما يزعم.

وفي يوم الجمعة ارتدى بيجن بدلته الرمادية الأنيقة التي يدخرها للمناسبات وتوجه إلى التليفزيون ووجه خطابه إلى شعب مصر وأعلن "أبناء مصر إنها المرة الأولى التي أتحدث إليكم مباشرة ولكنها ليست المرة التي أتكلم عنكم أو أفكر فيكم. أنتم جيراننا وستظلون وفي خلال ٢٩ عاما كان هناك صراع بيننا وبينكم وقد سالت دماء بريئة من أبنائكم وأبنائنا في هذه الحروب، أننا الإسرائيليون نمد لكم يدنا بالسلام وهي أيدي ليست ضعيفة كما تعرفون فنحن إذا هوجمنا فإننا سندافع عن أنفسنا وكما وقف

أجدادنا من قبل ونحن لا نبحث عن صراع معكم دعنا نقول لبعضنا البعض وليكن بيننا وبينكم عهد صامت ألا تكون هناك حروب أخرى وألا تكون هناك معارك تسيل فيها الدماء ونتعاهد على ألا تكون هناك تهديدات جديدة. إن في القرآن الكريم سورة ٥ تذكرة بأن هذه الأرض لنا وواصل بيجن خطبة وهو يذكر بعض الآيات من القرآن وأما السورة اللتي ذكرها بيجن في خطابه فهي سورة المائدة. وإذا كنا متفقين على أن القرآن نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لينشأ به أمة وليقيم به دولة ولينظم به مجتمعا ويربي به ضمائر وأخلاقا وعقولا وليحدد به روابط ذلك المجتمع فيما بينه وروابط تلك الدولة مع سائر الدول. وعلاقة تلك الأمة بشتى الأمم وليربط ذلك كله برباط قوي – يجمع متفرقه ويؤلف أجزاءه ويشدها كلها إلى مصدر واحد وإلى سلطان واحد وإلى جهة واحدة ذلك هو الدين كما هو في حقيقته عند الله وكما عرفه المسلمون عندما كانوا مسلمين.

وكانت الآية التي يشير إليها بيجن "ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل.(١٢/٥) (١)

وتصدرت خطبة بيجن الصفحات الأولى من صحف العالم وصحف اسرائيل وقطع راديو القاهرة إذاعته ليعلن ترحيب القاهرة بما جاء في خطبة بيجن ولكن المتحدث الرسمي انتقد أن توجه الخطبة إلى مصر وحدها ولا توجه إلى العالم العربي وقد اقتبس بيجن آيات من القرآن لاثبات مزاعمه في حق اليهود في فلسطين ولم يذكر آيات أخرى تناقض وجودهم لأن الآيات التي ذكرها تمثل مرحلة تاريخية. فهناك آيات كثيرة تبين أن الله غضب عليهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة".

ولما الصحفيون المصريون فلم يكونوا قد وصلت إليهم توجيهات حتى يستطيعوا أن يكتبوا مقالاتهم طبقا لرأي القيادة السياسية وقد كان هناك وفد من

---

(1) سيد قطب : تحت ظلال القرآن – دار الشروق – بيروت ١٩٧٨م – سورة المائدة (٥ : ١٢).

الكونجرس في اسرائيل فقرر الوفد الذهاب إلى مصر لمعرفة حقيقة نوايا السادات وعندما قابل الوفد السادات أكد لهم السادات أنه على استعداد للذهاب إلى الكنيست من أجل تحقيق سلام عادل وشامل مع اسرائيل وجيرانها وقد أبدى الوفد إعجابه بشجاعة السادات وعبر أحدهم أن هذا التغير هو عبارة عن دراما تاريخية يرفع عنها الستار أمام عيون العالم كله. وقد عالج السادات خطوة اعلانه بأنه على استعداد للذهاب إلى اسرائيل وكأنه مخرج مسرحي يعد المسرح لهذا الدراما. وكان السادات في كل مرة يعلن هذا يشترط أن يتم جلاء إسرائيل عن جميع الأراضي المحتلة وحل المشكلة الفلسطينية وذلك حتى يحفظ لنفسه طريقا للرجوع. استمع العالم كله باهتمام لتصريحات السادات وأبرزتها الصحف العالمية في صفحتها الأولى. ولكن الفلسطينيين كانوا يهاجمون السادات على هذه التصريحات ووصفه المتحدث باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين "إن السادات أخذ يلعق أحذية اليهود".

وفي ليلة السبت ذهب بيجن إلى حفل لتكريم وفد فرنسي يزور اسرائيل وأحاطت به ميكروفونات الإذاعة العالمية الذي وجد نفسه في غابة منها وقد سره ذلك وصرح بيجن بهذا التصريح أمام الميكروفونات.

"باسم حكومة إسرائيل إني رسميا أدعو رئيس جمهورية مصر للحضور إلى إسرائيل وقاطعه الحاضرون بتصفيق جاد ثم عاد ليقول "وهذه الدعوة" فصفق الحاضرون مرة أخرى فواصل كلامه وقال بالعربي "أهلا وسهلا" وهي كلمة الترحيب العربية للضيوف.

الفصل الرابع

موردخاي يهاجم السادات

رن تليفون الصحفي الإسرائيلي هاريلي في منزله في مستعمرة جديدة بناها المحتلون الإسرائيليون. وكان هذا الصحفي من الجنود الذين شاركوا في معركة القدس في سنة ١٩٦٧ وفي حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ . وكان هذا الصحفي صديقا لجور وقد ساعد في كتابة بعض كتبه.

قال مردخاي جور الذي يقع ترتيبه العاشر في سلسلة رؤساء أركان حرب الجيش الاسرائيلي "خوفا إني أريد أن تأتي إلى منزلي حالا فهناك شئ مهم أريد أن أقوله لك وأنا سأرسل لك سيارة بالسائق للحضور فورا. لم يسأل هارل أي سؤال وانطلقت السيارة حتى وصلت إلى منزل مردخاي جور .. وكان مردخاي سليط اللسان ولا يخشى أن يعبر عن رأيه حتى في الأمور السياسية. وتحدث جور إلى صديقه بصراحة .. ولم يكن يعرف جور إذا كان السادات سيحضر إلى إسرائيل أم لا. ومنذ البداية لم يكن جور سعيدا بدعوة السادات إلى إسرائيل وكان يجب على إسرائيل أن تدرس مع أمريكا ماذا يريد السادات من حضوره إلى الكنيست .. ولم يكن هذا من صميم عمله كرجل عسكري أن يهتم بهذه الحركة السياسية .. ولكنه كان يقول إن زيارة السادات سوف تجعل العالم يشعر أن السادات رجل السلام وأن إسرائيل لا تريد سلاما وإنما تريد أن تبتلع الأرض. واقترح جور أن ينشر صديقه حديثا صحفيا معه وكان لابد لرئيس الأركان أن يأخذ تصريحا من وزير الدفاع قبل أن يدلي بأحاديث.

وفي هذه المرة لم يسأل جور على تصريح من وزير الدفاع وايزمان.

يجب أن يعرف السادات أنه لن يستطيع أن يخدعنا مرة أخرى كما خدعنا في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ نحن نعلم أن الجيش المصري يعد نفسه لحرب أخرى في

سنة ١٩٧٨ بالرغم من تصريحات السادات على أن حرب ١٩٧٣ هي آخر الحروب وتعجب الصحفي من هذه التصريحات وقال له إن هذه التصريحات خطيرة ونشرها سيكون له عواقب وخيمة على مستقبله العسكري وما هو الأساس لشكوكك في أن السادات يريد أن يخدع اسرائيل هذه المرة ثم تناول جور معلومات عن استعداد الجيش المصري وتدريباته التي تعده لخوض حرب جديدة في سنة ١٩٧٨. ولم يكن هاريل يعرف شيئا عن هذه التحركات والاستعدادات وبعد أسابيع من تصريحات السادات جاءت معلومات إلى اسرائيل أن السادات يدبر حربا في سنة ١٩٧٨ لتحرير باقي سيناء وقد نوقشت هذه المعلومات بنوع من الحرية في مجلس الوزراء الإسرائيلي. ماذا كنا سنخوض حربا فلنخصها الآن هذه كانت ملاحظات وايزمان في مجلس الوزراء. وانتهى الاجتماع بأن أصدر بيجن توجيهات للجيش الإسرائيلي ليكون مستعدا لأي مفاجأة. وزادت طلعات الطيران الإسرائيلي فوق سيناء وعندما علم السادات بهذا قال للمجلس أن يكون الجيش على أهبه الاستعداد وكان السادات يخشى من هجوم مفاجئ من اسرائيل. لقد كانت حرب أعصاب بمناورات من الجيش المصري والإسرائيلي.

وأكمل جور "إني سأكون سعيدا لو أن السادات جاء إلى القدس بنية خالصة للسلام أن المعلومات التي لدينا تبين أن العكس صحيح تماما" ووضع الصحفي الصديق القلم ونظر إلى جور ثم قال له "إني لو كنت رئيسا للوزراء فإني سأفصلك فورا من قيادة الجيش فقال جور "إذا كان على أن اختار بين مسئوليتي كقائد للجيش يريد أن يحمي بلاده من خدعة قد تؤدي إلى هزيمة ووظيفتي فإني لي الشرف أن أفضل الدفاع عن اسرائيل على الوظيفة. إن قائد الجيش قبله قد فصل لأنهم اتهموه أنه فوجئ بحرب ١٩٧٣: وقد استمر الراديو الإسرائيلي يتحدث عن زيارة السادات إلا أن مجلس الوزراء الإسرائيلي لا يعرف بالضبط ماذا يريد السادات؟ وهل هو يتحدث عن السلام بينما هو يستعد للحرب حتى يفاجئ اسرائيل .. لقد كان الخوف في اسرائيل عظيما ولما الصحافة في الولايات المتحدة وأوروبا فإنها كانت تقترح خطوة السادات إنها خطوة تاريخية وجريئة. وأصبحت الاتصالات بين مصر واسرائيل تتصدر الصفحات الأولى

في أهم الجرائد الأوروبية ولقد سر السادات كثيرا بهذا فقال عندما قابل أحد الصحفيين العالميين "عندما أعلنت عزمي على الذهاب إلى اسرائيل فقد ذعر جميع المعاونين ولكني في سلام مع نفسي. وإذا عدنا إلى ما كتبه اسماعيل فهمي عن فكرة السادات في الذهاب إلى القدس ومناقشاته مع السادات فقد كان السادات يستمع إليه ويبدو أنه كان قد استقر رأيه على الذهاب إلى القدس.

وأنهى جور تصريحاته بأنه إذا كان السادات يريد سلاما حقيقيا فليأت إلى إسرائيل أما إذا كان خداعا فإن إسرائيل مستعدة. وفي القاهرة دعا وزير الدفاع المصري جنرال انسيو سيلاسفو الذي لاحظ تغيرا ملموس إذ كانوا يتحدثون عن السلام وكأنه أصبح قريبا جدا. فقد قابل وزير الدفاع الجمصي الجنرال سيلاسفو في مكتبه. وطلب منه أن يقول أن جثث ثلاثة من جنود إسرائيل قد وجدت في إحدى حصون خط بارليف ويطلبون من أن يخبر الإسرائيليين أن الجيش المصري على استعداد لتسليمهم الجثث. وكان المصريون في الماضي لا يسلمون الجثث إلا إذا استجيبت لهم بعض الطلبات كإطلاق سراح بعد الفدائيين أو الجواسيس وأما هذه المدة فإنهم لم يسألوا عن شئ.

في أثناء مساء يوم ١٤ كان بيجن يحضر مؤتمرا في فندق هيلتون كان رجال الأمن يدخلون على بيجن يسلمونه رسالة وتكرر ذلك عدة مرات في إحدى المرات وافق بيجن على الاشتراك في الظهور على شاشة التليفزيون لتوجيه أسئلة له كما وافق السادات كذلك ومن نيويورك تحدث المعلق الشهير بواسطة الأقمار الصناعية للزعيمين وكان التليفزيون يظهر الصوتان وكأنهما يتحدثان مباشرة مع بعض وفي هذا اللقاء التليفزيوني وجه المعلق الشهير كرونكيت إلى الرئيس السادات "سيدي الرئيس متى تنوي الذهاب إلى إسرائيل وأجاب السادات بأسرع ما يمكن

ورد كرنيكيت في خلال أسبوع مثلا

فرد السادات نعم يمكن أن نقول ذلك وكان بيجن ينصت لذلك وفي نوفمبر ١٥ سنة ١٩٧٧ وكان وايزمان وزير الدفاع غاضبا واتصل ببيجن عدة مرات لتهدئته.

وإنهالت التليفونات على وزير الدفاع من الوزراء وأعضاء الكنيست .. وأخذ يسير في مكتبه مضطربا لأنه لا يستطيع الرد على هذه الأسئلة ففي هذا اليوم نشرت جريدة "يدعوت أهارنوت" حديث جور وركزت على قوله التي نشرته بخطوط عريضة "على السادات أن يعرف إنه إذا كان يريد أن يخدعنا فنحن مستعدون له" وكان هذا قبل مرور ١٢ساعة من اعلان السادات عن استعداده للذهاب إلى إسرائيل في خلال أسبوع. ولم يكن جور يعرف أن حديثه سوف ينشر بعد أن أعلن السادات استعداده للحضور إلى إسرائيل، فقد يمنع هذا الحديث السادات من الحضور إلى الكنيست وقد سارعت مصر بالتعليق على تصريحات جور "بأنه رجل عسكري ليس لديه خبرة بالسياسة "أنا سأفصله" صرخ وايزمان.

ولم يكن جور في إسرائيل بل كان في زيارة وقرر وايزمان أنه إذا لم يكن لجور تفسير وأسباب وجيهة لهذا التصريح بأنه سينهي عقده في ديسمبر سنة ١٩٧٧ بدلا من أبريل سنة ١٩٧٨ وفي هذا اليوم وقع بيجن خطابين أحدهما إلى السادات يدعوه رسمياً لزيارة إسرائيل. وخطاب شخصي لكارتر. على أن يقدم السفير الأمريكي بمصر بتقديم الخطاب إلى الحكومة المصرية. ثم ذهب بيجن إلى الكنيست للموافقة على الدعوة. وأعلن بيجن أنه سعيد أنه والزعيم المصري سيتحدثان مباشرة عن السلام. وأنه لم يتقدم أحد الطرفين بأي شروط مسبقة لهذه المحادثات وقد كان جميع أعضاء الكنيست يلبسون بدلاً ورباطات عنق على غير العادة لأنهم كانوا يعلمون أن هذا الاجتماع سيذاع في جميع تليفزيونات العالم وكان أعضاء الكنيست يحاولون الظهور عبر الكاميرات ولكن كاميرات المصورين كانت مركزة على بيجن "إن دعوة الرئيس السادات هدفها الأساسي هو تحقيق السلام وليس خلق خلاف بين الدول العربية. فإنا مستعد أن أفاوض وأعقد اتفاقيات مع كل الدول المجاورة. إننا نعتقد أنه ليس هناك أي خلافات بيننا وبين مصر. إنها كانت صراعات مريرة بيننا .. لذلك فإنا أوعد السادات للحضور لعقد اتفاقيات سلام .. وكان هناك صمت في القاعة وعاد بيجن ليقول أنه سيدعو كذلك رئيس سوريا والملك حسين ورئيس لبنان وهناك كانت مقاطعة وهل تدعو كذلك ياسر

عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية سأل مير ولنر ممثل الحزب الشيوعي الإسرائيلي والذي يدعم حق الفلسطينيين في إنشاء دولة وأجاب بيجن وهو يبتسم ولنر لا داعي للاندفاع. إني أرجو عندما يأتي السادات إلى هنا ألا تضايقه. وفي الجانب الآخر في مصر كان هناك محاولات لإثناء السادات عن السفر لاسرائيل وتحت باب لماذا استقلت في كتابه "التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط" يشرح لنا اسماعيل فهمي لماذا استقال فهو كان يعد لمؤتمر جنيف. وكانت كل الأطراف نرى أن مؤتمر جنيف هو المسرح الملائم للمفاوضات، وكانت اسرائيل تضع بعض العقبات بخصوص تمثيل الفلسطينيين ولكنها كانت عقبات في طريق الحل، لأن ياسر عرفات ذكر للرئيس السادات أنه يوافق على أن يرأس الدكتور ادوارد سعيد وفد المفاوضات. وقد كان الإسرائيليون يماطلون لأنهم يريدون مفاوضات ثنائية رغم تعهدهم كتابياً بحضور مؤتمر جنيف. وعند الصيف كانت هناك محاولات سرية من اسرائيل للاتصال بالسادات وقد بدأت الوزير يشك في أن هناك شيئا يدور في خلد الإسرائيليين وذلك عندما وصلت وزارة الخارجية برقيات من واشنطن ومن النمسا أن وفدا من قادة الصهيونية عبروا عن رغبتهم في اجتماع سري مع السادات. ونقل الوزير هذه الرغبة إلى الرئيس السادات ونصح بعدم قبولها لأنهم صهيونيون معروفون وأن أسماءهم موجودة في قائمة المقاطعة العربية وأن زيارتهم لمصر سوف تخلق رد فعل مضاد في العالم العربي – وأعطيت التعليمات لسفاراتنا الثلاث لتعبر عن أسفنا بأن الرئيس السادات لا يستطيع الموافقة على مقابلة هذه الشخصيات.

وأذكر أنا كذلك عندما قبلت لدراسة الدكتوراه في العلوم السياسية عينت الجامعة لي Advisor وهو أستاذ يقود طالب الدراسات العليا خلال دراسته ويناقش معه فكرة الرسالة وكان أستاذا يهودياً وبالرغم من أنني مصري ألا أنه كان يساعدني في البحوث وأظهر مودة وتفهما نحوي وكان دائما يقول لي بعد أن تحصل على الدكتوراه فإني أتنبأ أن تصبح شخصية كبيرة في بلدك .. فكنت أبتسم وأعلم أني لن أصبح شيئا في بلدي لأني لا أعرف النفاق ولم يحدث أني توليت أي وظيفة لها قيمة في بلدي. وأذكر

أنه درس لي مادة "الديمقراطية في أمريكا" وقد اعتمد على كتاب توكفيل الكسندر "الديمقراطية في أمريكا" وبعد إحدى المحاضرات قال لي إني أريد أن أحدثك في موضوع وأمسك بيدي وقادني إلى مكتبه. وبعد أن جلسنا في مكتبه قال لي إني أريد أن أذهب إلى مصر وأقابل السادات لأنه رجل عظيم. وتعجبت بيني وبين نفسي ماذا أقول له. إني لا قيمة لي في بلدي وإني لا أستطيع أن أساعده في هذه الرغبة. ولكني فضلت أن أقول له دعني اتصل بالقنصل المصري وأنقل هذه الرغبة إليه ثم أعود إليك بالإجابة. وشكرني.

ترددت كثيراً قبل أن أذهب إلى القنصلية المصرية ويبدو أن هناك شيئا من الكراهية بين المصري العادي والحكومة وعندما ذهبت إلى القنصلية وطلبت مقابلة القنصل المصري .. وعندما دخلت عليه وجدته رجلا متواضعا وبشوشا ورحب بي على غير ما توقعت .. وعندما حكيت له القصة. سألني أليس هذا البروفيسور أمريكيا. ويبدو أن مصر في هذه الأيام كانت تريد أن تقيم علاقة أو تبني جسورا مع الأمريكان فقلت له نعم. ولم أكن أعرف شيئا أكثر من أنه يدرس لي مادة الديمقراطية في أمريكا وأن الجامعة اختارته مشرفا على من الناحية العلمية ولم تكن هناك أي علاقة أخرى معه. وكتب القنصل اسمه وكتب كذلك نمرة تليفوني وقال لي إننا سنتصل بمصر ونعرف ردها على طلب الأستاذ، وشكرته وانصرفت. بعد أسبوع اتصل بي أحد العاملين بالقنصلية واسمه عمرو وقال لي لقد جاء رد مصر بالموافقة .. ثم أخبرني أن البروفيسور له مكانة كبيرة في المجال السياسي حيث أنه في منظمات يهودية تتحدث عن السلام كما أنه بجوار عمله كأستاذ عضو بارز في الحزب الديمقراطي ويرأس كذلك تحرير جريدة السياسة الدولية كما أنه ينشر له مقالات في أشهر الجرائد اليومية كنيورك تيمز وغيرها. لم أكن طبعا أعرف كل هذا ثم ذهبت إلى البروفيسور في مكتبه وقلت له إن مصر توافق على منحه تأشيرة وأن السادات عليه رحمه الله وافق على أن يحدد له ميعادا .. وذهب البروفيسور إلى مصر ولا أعلم ماذا حدث بعد ذلك .. ولكن بدا من احترام الأستاذ لي بعد عودته من مصر أنه قوبل بحفاوة كبيرة .. كعادة

المصريين في الحفاوة بالضيوف أو ظن بطريق الخطأ أن هذه الحفاوة ترجع إلى أنـــه أستاذ الطالب المصري مع أني لم اتصل بأي أحد ويبدو عندما قابله السادات رحب به لدرجة أنه كان دائما عندما نتقابل يشيد بالسادات ويقول إن السلام سيتحقق على يد هذا الرجل العظيم.

واتصلت بالقنصلية التي طلبت أن يحضر البروفيسور ليقــدم طلبــا لتأشــيرة الدخول إلى مصر وعندما ذهبنا سوياً إلى القنصلية رحب بنا القنصل ترحيبــاً حــاراً وطلب لنا (قهوة تركي) ولم يستطع البروفيسور أن يشربها وقــال It is very strong فقلت له ضاحكاً نحن نشرب هذه القهوة في الصباح وفي المساء .. وقد ترك ترحيــب القنصل بنا انطباعا لدى البروفيسور أنني لي تأثير في بلدي وكان هذا لا يمــت إلــى الواقع بصلة.

الفصل الخامس

قلـــــق بيجـــــن

وقد استبد القلق ببيجن ولم يكن يعرف أن السادات سيحضر لإسرائيل أم أنــه سيغير رأيه . فقد كان الحديث مع السادات لا يتم مباشرة بينهما بل كــان يــتم خــلال الميديا .. وأصر السادات أن توجه إليه الدعوة رسمياً من الحكومة الإســرائيلية ولــم يكتف بتصريحات وخطب بيجن التي رحبت بالزيارة وجاء تليفون يوم الأربعــاء مــن السفير الأمريكي الساعة السادسة صباحا وعندما رد بيجن على التليفون من منزله في القدس قال له السفير في إسرائيل أننا سنعلم يوم الجمعة معلومات دقيقــة عــن وقــت حضور السادات إلى إسرائيل. وقد كان بيجن صرح أنه إذا حضر السادات إلى إسرائيل فإنه سيقابل بالاحترام الكامل كرئيس دولة. وكان السادات قد صرح لمندوب تليفزيــون BBC "إني ذاهب بلا خوف إلى إسرائيل إن حكومة بيجن لا تجعلني أتردد في قراري وأنا لا أخاف من الحكومات القومية ولا أخشى كذلك حكومات الدول الكبــرى. وقــد طالب وايزمان مقابلة عاجلة مع بيجن وقد كان ايزمان غاضبا جداً مــن تــصريحات جور مع أنه ما نشر في الصحيفة قد ضايق بيجن إلا أنه لم يكن غاضبا مثل وايزمان.

في مكتب وزير الدفاع في تل أبيب كان الجو العام بارداً وقد حاول وايزمان أن يسيطر على غضبه وعلم جور من مدير مكتبه أن وايزمان يريد إنهاء عقده كــرئيس أركان الجيش. وكان هذا يمثل قمة غضب وايزمان. وكانت العلاقة بين وايزمان وجور تتراوح بين الغضب والرضا. وقد كان جور قد خدم فترة طويلة في الجيش ولديه خبرة قتالية كبيرة في حين أن وايزمان كان أقل منه مدة في الخدمة العسكرية وكــان جــور شديد الثقة بنفسه بينما كان وايزمان أقل ثقة وأكثر ترددا.

وصرخ وايزمان لماذا أدليت بهذا التصريح. فأجاب جور أنه عزم على إظهار رأيه علنا استجابة لمسئوليته كرئيس للأركان وأنه لم يأخذ تصريحا منه لأنه لا يريد أن يأخذ هذا سياسيا. ولكن وايزمان لم يقبل هذا التفسير وقرر توجيه اللوم إليه وانهاء عقده في ديسمبر سنة ١٩٧٧. وغضب جور وأعلن أنه سيستقيل فورا. فقال وايزمان على العموم أنا سأستشير بيجن قبل الوصول إلى قرار في هذا الشأن. وذهب جور إلى منزله لاستبدال ملابسه المدنية بملابسه العسكرية ثم توجه إلى مكتبه كرئيس لأركان الجيش وتوجه وايزمان إلى القدس لاستشارة بيجن.

وفي الطريق إلى القدس عبر أحد المشاة أمام السيارة وحاول السائق ايزاك أزولي أن يتفاداه فاختلت عجلة القيادة في يده وانقلبت وأدى ذلك إلى إصابة وزير الدفاع والسائق والتقطت سيارة مارة وايزمان ونقلته إلى أقرب مستشفى حيث نقلوه إلى قسم الأشعة ورن جرس التليفون في مكتب جور حيث علم من مدير مكتبه أن وايزمان أصيب وهو في المستشفى وترك جور مكتبه وأسرع إلى المستشفى وتكلم بيجن في التليفون ليسأل عن حالة وزير الدفاع. وفي المستشفى قابل جور روما زوجة وايزمان فأشار إليها بأصبعه وقال هذا عقاب الله له. واندهشت زوجة وايزمان لأنها لم تعرف ماذا يقصد في المساء حضر إلى مكتب بيجن وزير المخابرات العسكرية.

كان بيجن قلقا واستفسر من المخابرات العسكرية فجاءته رسالة يحملها بريجادير شولر جازيت وملخصها أن السادات لم يغير مطالبه من إسرائيل ولكنه غير وسائله ومثل بيجن كان السادات قلقا وسافر في زيارة قصيرة إلى زميله حافظ الأسد حيث قال له الأسد ألنت جاد فيما أعلنت من استعدادت لزيارة القدس فأجاب السادات نعم إني ذاهب إلى القدس وأنا أعني ما أقول ورد الأسد بشئ من التعجب والأسى بالله كيف تعمل هذا؟ واستمر اجتماع الزعيمين أربع ساعات حاول فيها الأسد أن يثنيه عن الذهاب إلى إسرائيل ولكنه لم يستطع وفي النهاية صافح السادات الأسد وقال إن هذه محاولتي الأخيرة للوصول إلى سلام عادل وحتى إذا كان هو آخر ما أعمله كرئيس وإذا فشلت فسأقدم استقالتي إلى مجلس الشعب وأقول إني مخطئ وأنت على صواب.

ولكني في الحقيقة أرى أن هذه الخطوة ضرورية لإقامة السلام وفي مؤتمر صحفي لم يحضره الأسد سأل السادات ماذا تتوقع من هذه الزيارة "انتظر حتى ترى فأنا لم أعد أي شئ سوى الخطبة التي سألقيها هل صحيح أنك ذاهب إلى القدس إذا حفظني الله وهذه المرة الألف التي سألت فيها وأجبت نعم إني ذاهب إلى إسرائيل وهنا اراد السادات أن يخفف من واقع الاختلاف فقال أني والزعيم الأسد متفقان على الأهداف ومختلفان في الوسائل. وقد صرح الأسد بعد ذلك أنني كنت حزينا جداً لأني لم أستطع اقناعه بتغيير رأيه. ورأي أن هذه الخطوة هي خيانة لقضية العرب وفي مطار أبو صوير قابل السفير الأمريكي هيرمان التر وناوله الدعوة الرسمية من بيجن لزيارة اسرائيل. وقال السادات لمندوبي الصحف والتليفزيون لم يستطع الرئيس الأسد أن يفرض رأيه عليّ .. وبذلك حدثت القطيعة بين سوريا ومصر وبدأت الإذاعة السورية في انتقادات لاذعة للسادات.

ولقد كان هناك خلاف بين الأسد والسادات وقد بدا هذا الخلاف منذ أن كان الأسد لاجئا في مصر حيث كان يسكن في الاسكندرية وهو طيار صغير السن ومنتمي إلى حزب البعث .. وقد جاء الأسد من قرية جبلية وهو من العلويين وهي أقلية دينية تعيش في سوريا. ولم يكن الأسد يضع السادات في مرتبة عالية إذ كان يظن أنه يريد أن يعقد صلحا منفردا مع إسرائيل، وأنه شخصية انتهازية لا يهمه إلا مصلحة مصر، حتى لو كان ذلك على حساب الدول العربية الأخرى، كما أنه انتقد فك الاشتباك الذي عقده السادات مع إسرائيل والاتفاق بينهما في حرب ١٩٧٣ جعل كل من الرئيسين يعتقد أن أن كل واحد منهما كان يعمل لحسابه خلف ظهر الآخر. فالأسد يعتقد أن السادات قد استغل معركة ١٩٧٣ لصالحه. كما أن السادات كان ينتقد الأسد للتدخل في شئون لبنان. وتنافست مصر وسوريا لضم الأردن والمنظمة الفلسطينية لجانبها.

ومما لاشك فيه أن هناك تنافسا قديما بين دول الهلال الخصب ومصر .. وقد حاولت السعودية في اتفاق سنة ١٩٧٦ إيقاف الحرب الأهلية اللبنانية. لم يكن الأسد يجد أن هناك سببا قوياً للجري وراء اتفاقية مع إسرائيل وكان السوريون يعتقدون أن

السادات يرتكب خطأ كبيراً لمحاولة الوصول إلى حل تحت رعاية الولايات المتحدة واستبعاد الاتحاد السوفيتي من عملية مفاوضات السلام معناه ابتعاد صديق يدعم المواقف العربية .. وظل الأسد وفياً لمبادئ حزب البعث الذي يطالب بإنسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة. حتى يمكن التوصل إلى سلام .. وهذا السلام هو عبارة عن توقف مؤقت للحرب حتى يمكن استئناف الكفاح من أجل استعادة فلسطين .. وعندما عاد السادات إلى القاهرة استدعى محمود رياض لاسناد وزارة الخارجية إليه .. وقد كان فهمي يعتقد أن السادات لا يمكن أن يذهب إلى القدس وصرح في مؤتمر صحفي أن يوافق على عقد مؤتمر جنيف وعندما ذهب السادات إلى سوريا أحس فهمي أنه خدع .. وبعد رجوع السادات قدم فهمي استقالته التي قبلها السادات وكان فهمي دبلوماسياً له بعض الآراء المستقلة . وكان هو الذي رسم محاولة تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة حتى يمكن أن تضغط على إسرائيل لصالح القضايا العربية ولكنه لم يكن من المحبذين أن تضع جميع البيض في السلة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. وكان هذا في رأيه ما صنعه السادات. ويقول إسماعيل فهمي في كتابه "التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط" كانت المشكلة من وجهة نظر مصر هي أن السادات لم يستطع أبداً أن ينحي جانباً كراهية للسوفييت وأن يقوم بعمل يضع مصلحة مصر في الدرجة الأولى أي أن يقيم علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتي حتى يوازن الروابط الجديدة التي بدأت تنمو بين مصر والولايات المتحدة وكان فهمي يعتقد أنه من الأفضل تقليل تأثير النفوذ الأمريكي بدلا من زيادة هذا التأثير في مصر.

وكان هناك موضوعان رئيسيان بالنسبة لإسرائيل وهي زيادة الهجرة إلى إسرائيل والأسلحة الذرية الموجودة فيها. ولكن السادات لم يكن يهتم بالأسلحة الذرية الإسرائيلية وكان يعتقد أن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذا الموضوع في حين أن فهمي وكذلك هيكل كانا يعتقدان أنه لا يمكن أن يتحقق السلام مادامت إسرائيل تحتفظ بترسانتها النووية وقد شجع هيكل فهمي لأن يستقيل بينما السادات كان في سوريا. في حين نصح الباز بالتريث حتى يعود السادات من سوريا. وجاء رفض محمود رياض

منصب الوزير تعرية أخرى لسياسة السادات. وأما في بغداد فقد عبرت الصحف عن حدادها بعناوين سوداء ضخمة وخرج المتظاهرون في شوارع بغداد يهتفون "يسقط السادات الخائن"، وأما سوريا فقد أعلنت يوم الزيارة يوم حداد عام وأما إذاعة فلسطين فقد انتقدت زيارة السادات وهاجمته هجوماً عنيفاً ووصفته بأنه خان القضية الفلسطينية وتجمع الطلاب في احتجاجات على هذه الزيارة.

وفي الوقت نفسه وصلت برقيات ورسائل توافقه على محاولة الوصول إلى السلام واتصل تليفونياً مصطفى خليل بالسادات يهنئه على شجاعته ويطلب منه أن يضمه إلى الوفد المسافر إلى القدس. وشكره السادات وقاله له "إنك صديق مخلص" في نوفمبر سنة ١٩٧٧ هنأ كارتر السادات وبيجن تليفونياً .. وقال للسادات "إني أهنأك على هذا القرار الشجاع في أن تذهب إلى إسرائيل وتقابل بيجن .. إن عيون العالم كله مركزة عليك".

وفي المساء قابل السفير الأمريكي بيجن وقال أن الدعوة سلمت إلى السادات وأن السادات قادم إلى إسرائيل. وكان بيجن هو الوحيد في إسرائيل الذي يعرف متى سيأتي السادات. وفي محادثة مسبقة سأل السفير الأمريكي بيجن عن الموعد المناسب يوم السبت بعد أن ينتهي المراعاة الدينية يوم السبت .. وطلب نائب رئيس الجمهورية حسني مبارك هل يستطيع السادات أن يأتي الساعة ٦,٣٠ يوم السبت وبيجن استثنى مراجعة الدينين وقال أن السادات يستطيع أن يأتي إلى مطار بن جوريون الساعة الثامنة .. ودخل دكتور الياهو بن اليسار الرجل الملتحي البالغ خمسة وأربعين عاما وسأل بيجن "هل نعد استقبال عادي للسادات أم نعد له استقبالاً عظيماً فرد بيجن يعد له استقبال عظيم .. ودخل كذلك كولونيل وابر بوران المستشار العسكري لبيجن والذي عين رئيساً للجنة الاستقبال وسأل بيجن ما هو نوع الاستقبال للرئيس السادات فقال بيجن يقام به استقبال كأنه رئيس دولة صديقة.

لم يكن بيجن يشك في شجاعة السادات في اتخاذ هذا القرار الشجاع في الذهاب إلى إسرائيل ولكنه كان يشك فيما يريده السادات من هذه الزيارة، وقد ظن السادات أن

هذه الزيارة هي دليل على أن السادات ليس أمامه سوى طريق واحد لاسترداد سـيناء هو الطريق الدبلوماسي أو طريق المفاوضات .. فبعد حـرب ١٩٧٣ تأكـد أن الحـل العسكري لن يؤدي إلى هزيمة إسرائيل وأن أمريكا لن تسمح بهذه الهزيمة .. وقد حذر بعض المحيطين بيجن أن السادات يريد أن يظهر إسرائيل أمام العالم على أنها عقبة في سبيل السلام .. ولم يكن السادات غافلاً عما تثيره هذه الزيارة من شكوك ولكنه كـان يعتقد أن بيجن رجل شجاع وأنه قد تؤدي هذه الزيارة إلى أن يأخـذ بـيجن دور "دي جول" في إسرائيل فيسنحب من الأراضي التي احتلتها في سنة ١٩٦٧ كمـا انـسحب ديجول من الجزائر .. وقد حاول كل من القائدين أن يقرأ أفكار الآخر .. فقد صـرح السادات أنه درس شخصية بيجن وأنه قد درس كتابه (الثورة). وكذلك فإن بيجن طلب من مستشاريه تحليل شخصية السادات وقرأ كتابه "ثورة على النيل". فـدرس القائـدان تحليل الخبراء السياسيين والنفسيين واقتراحات المستشارين .. وإذا عدنا إلـى تـاريخ الرجلين فبيجن وصف في المجتمع الإسرائيلي بأنه محرض سياسي وإرهابي وهو وإن لم يكن يهودياً متعصباً إلا أنه كان يستشهد بآيات من التوراة ويعود إلى تاريخ اليهـود ويذكر أنبياءهم وزعماءهم. وكذلك السادات فإنه كان يستشهد بآيات من القرآن الكـريم .. ويحكي لنا جمال منصور في مذكراته عن أنور السادات فيقول في أغسطس سـنة ١٩٥٢ حضر خالد محي الدين إلى مكتبي في رئاسة الفرسان وقال لـي إنـي أود أن أتحدث معك على انفراد وأضاف: "لقد كثر الكلام واللغط عن أنور الـسادات ومـدى علاقته بالدكتور يوسف رشاد طبيب الملك الخاص وانتمائه إلى الحرس الحديدي قبـل الثورة". وسألني خالد عما إذا كان لدي معلومات عن حقيقة انتماء أنور السادات إلـى الحرس الحديدي فقلت لخالد أن لدي معلومات أكيدة في هذا الشأن وقد جـاءت علـى لسان أحد أعضاء الحرس الحديدي الذي عاش مع أنور السادات فتـرة انتمائـه لهـذا التنظيم ولكن أضفت قائلاً: "ولكني أود أن تبقى هذه المعلومات بيننا وألا يبوح بها لأحد وأن يقسم قسما عظيما على ذلك" وأقسم خالد وبدأت في سرد قصة الحرس الحديـدي كما رواها سيد جاد وعلاقة السادات بالدكتور يوسف رشاد منذ أن خرج من السجن بعد

براءته في قضية أمين عثمان وضمه إلى الحرس الحديدي".

واستمع خالد إلى ما قلت دون تعليق . ومرت ثلاثة أيام وإذا بجمال عبد الناصر يطلب حضوري للالتقاء به في مجلس قيادة الثورة وفي الشرفة المطلة على حديقة المجلس بدأ جمال عبد الناصر في الحديث عن أحلامه العظيمة في النهوض بالبلاد رغم الصعوبات التي تلاقيها الثورة. وفجأة شعرت بيد ترتب على كتفي والتفت لأجد خالد محي الدين وقد جاء من الغرفة المجاورة وطلب مني أن أعيد أمام جمال عبد الناصر ما قلته منذ ثلاثة أيام عن السادات. فحزنت في نفسي ولم أكن أتمنى أن أقف هذا الموقف وكنت أتمنى أن تبقى تلك المعلومات حبيسة بيني وبين خالد. فقلت لخالد لقد أقسمت على ألا تبوح بهذه الأسرار" وهنا تدخل جمال عبد الناصر وقال إني لابد أن أعرف كل كبيرة وصغيرة في كل من يتعاون معي في مجلس الثورة.

وإذا غابت عني هذه المعلومات فمن إذن يحق له معرفتها. وقال في حدة "مهما طالت هذه الجلسة فإنك لن تترك هذا المكان إلا بعد أن أعرف علاقة السادات بالحرس الحديدي فبدأت بسرد القضية كما رواها له اليوزباشي سيد جاد وقال جمال عبد الناصر كنا نعلم بعض هذه المعلومات عن السادات ثم أضاف جمال عبد الناصر وهو في غاية الضيق والانفعال "أنا مش عارف ابن .. ده لونه إيه ولا شكله إيه أنا مش عارف بعد لكن أنا حاعرف إزاي أكشفه". ولكن السادات لم يكن يعارض جمال عبد الناصر واستمر إلى جواره إلى آخر لحظة في حياة جمال بل وتم اختياره نائباً للرئيس .. وأما بيجن فعندما انتخب عضوا في الكنيست كان بن جوريون لا يناديه باسمه اطلاقا وإنما يقول العضو الذي يجلس بجوار العضو "باور".

ولم يكن السادات أو بيجن يعرف كثيرا عن ماضي وتاريخ الرجل .. فبيجن طبعا لم يأت إلى مصر بل أنه لم يتكلم حتى مع أي عربي وكذلك السادات فإنه لم يزر إسرائيل ويكاد لا يعرف تاريخ يهود أوروبا الشرقية التي أنتخبت معظم زعماء الصهيونية فبيجن ولد في بولندا في الربع الأول من القرن في بلد اسمها برسله وكان ذلك في أغسطس سنة ١٩١٣ وكانت هذه البلدة تخضع لبولندا في فترة ثم روسيا في

فترة أخرى ولألمانيا في فترة ثالثة وقد عرفت في نهاية الحرب العالمية الأولى لأنه على أرضها ثم توقيع اتفاقيات إنهاء الحرب في الجبهة الشرقية وأما محمد أنور السادات فقد ولد في مدينة ميت أبو الكوم وهي قرية من قرى المنوفية على ضفاف النيل.

والذي كان تضم الفلاحين الفقراء الذين يزرعون أرضهم والزراعة هي مصدر رزقهم وكواحدة من حوالي ٤٠٠٠ قرية في مصر يلعب الجامع الوحيد في القرية مصدر الإعلام الوحيد للفلاحين البسطاء .. ويذهب أطفال هذه القرى إلى الكتاتيب لتعلم القرآن وأما بيجن القادم من قرية (برست ينوفسك) وكان صغار الأطفال من اليهود يدرسون في معابدهم اعلام أحلام الصهيونية في حل مشكلة اضطهاد اليهود في أوروبا بالهجرة إلى فلسطين. والذين كانوا يتوجهون إليها في صلاتهم الصباحية بالرغم أنهم كانوا يجهلون هذه الأرض البعيدة وإنما يعرفونها من التوراة أو من القصص التي ينقلها الأجداد إليهم أو من الصحف العبرية التي تأتيهم من فلسطين . وعرف بيجن بحبه للعلم وللإطلاع وكان طالبا متفوقا وأما السادات فإنه كان طالبا عادياً كما وصف نفسه.

انضم بيجن إلى حركة زيف جابوتنسكي واستعد للهجرة إلى فلسطين وكانت لديه قدرة على الخطابة وتحريك الجماهير. والسادات كان وطنياً منذ شبابه يريد أن يحرر مصر من الإنجليز .. وفي سنة ١٩٣٠ بدأ بيجن يخطط لمستقبله السياسي وأختير قائداً لحركة بنعار وهي منظمة شباب الحركة الصهيونية التي كان يقودها ريف جابوتنسكي في بولندا والتي كانت تضم مئات الألوف من شباب اليهود، في سنة ١٩٣٦ كان السادات واحداً من الطبقة البورجوازية الصغيرة الذي قبل بالكلية الحربية التي كانت لا تقبل إلا أولاد الطبقة الأرستقراطية وكان طالبا متفوقا في الكلية الحربية. وقد استطاع بيجن أن يهرب من النازية التي قتلت بعض أفراد عائلته في (الهلوكوست). وهرب إلى روسيا حيث حاول أن يجمع بقايا فحول حركة الشباب التابعة لجابلنوسكي. ولكن السلطات الروسية لم تكن راضية عن هذا النشاط السياسي واعتقلته ونفته إلى معسكر اعتقال في روسيا.

وأما السادات فعندما قامت الحرب العالمية الثانية كان السادات يخدم كضابط صغير في سلاح الإشارة في منقباد وكان بها معسكر للجيش المصري. وهي بلدة صغيرة تبعد عن أسيوط حوالي ٧ كيلو مترات وفي هذا المعسكر قابل جمال عبد الناصر ودارت محاورات حول تحرير مصر من الإنجليز. وعندما عاد إلى القاهرة اتصل به أحد الجواسيس الألمان وكان يعمل بالمثل العربي القائل عدو عدوي هو صديقي وكان رومل على حدود مصر واشترك السادات في عدة عمليات حتى يقيم علاقات مع الألمان. وكان يعجب بهتلر ويتمنى أن ينهزم الإنجليز. في سنة ١٩٤٢ اكتشف الإنجليز صلته بالألمان فاعتقل وتركت زوجته الأولى وثلاث بنات بدون مساعدة مالية. في نهاية ١٩٤٢ أفرج عن بيجن من معسكر الاعتقال الروسي وسمح له بالهجرة إلى فلسطين حيث وجد زوجته التي كانت سافرت إلى فلسطين ووجد كذلك العديد من أصدقائه. وبعد قليل اختير ليرأس "أرجون زفاي ليومي" والتي كان الهدف الأساسي لها إنشاء دولة إسرائيل ومقاومة الوجود البريطاني في فلسطين. وقد استخدمت أسلحة الإرهاب ضد الجنود الإنجليز في فلسطين. وأصبح بيجن ارهابياً مطلوباً للقبض عليه فاختفى وتنكر تحت عدة أسماء ووظائف فهو في بعض الأحيان محامي أو حاخام ولم تستطيع القوات البريطانية في فلسطين اعتقاله.

وقد أصبح السادات رئيسا لجمعية سرية واعتقل وأرسل إلى سجن الأجانب. في سنة ١٩٤٨ دخلت مصر الحرب مع إسرائيل وذلك خوفا من أن يصبح الملك عبد الله هو محرر فلسطين من اليهود ورأى الملك فاروق من ناحية أن مصر لابد أن تخوض حرب فلسطين بالرغم من عدم استعداد الجيش المصري للحرب. وكانت الهزيمة التي حاقت بالجيش المصري والجيوش العربية الأخرى سببا في الانقلابات العسكرية التي أطاحت بالعرش المصري فيما بعد. وبعد أن انتهت الحرب في سنة ١٩٤٨ وضع السادات في السجن حيث استمر اعتقاله ٣١ شهراً ثم أفرج عنه .. وعندما أعيد إلى الجيش أعادوه إلى سلاح الإشارة الذي كان مقره في العريش.

ولو عدنا إلى بيجن بعد أن هاجر إلى إسرائيل أصبح أحد الوطنيين الذين

يستطيعون تحريك الجماهير بخطبهم .. وقد فاز حزبه بأربع عشر مقعدا في الكنيست ولكنه كان يخطب ويحرك الجماهير على أن إسرائيل لم تحقق الهدف من حرب ١٩٤٨ .. والعرب يتهمونه بأنه كان وراء مذبحة دير ياسين وهي قرية استولى عليها الجيش الإسرائيلي في بداية حرب ١٩٤٨ وكان بيجن يرغب في أن تستولي إسرائيل على كل الأراضي الفلسطينية.

وأما السادات فقد كان أحد الضباط الأحرار الذين قاموا بانقلاب ٢٣ يوليو وخلعت الملك فاروق عن عرشه وهو الذي قرأ الاعلان الأول للثورة والتي استطاعت أن تنجح في اليوم التالي.

ولقد كانت هناك أصوات سواء في مصر أو إسرائيل تنادي بالسلام أو تبحث عن وسيلة ما لوقف الحروب التي استنزفت.

فقد نادى مثلا الكاتب سلامة موسى بأن نعقد صلحا مع إسرائيل حتى نستطيع أن نوجه موارد الدخل القومي إلى التعليم وإلى الخدمات الاجتماعية والصحية. ولكن صوت سلامة موسى خفت تحت الشعارات الوطنية والعاطفية التي ألهبت مشاعر الحماسة الوطنية لدى جموع الشعب المصري وحتى يستطيع جمال عبد الناصر أن يحكم مصر حكما فرديا مطلقا فأعاد القضية الفلسطينية إلى مشاعر الشعب المصري .. وبذلك أصبح جمال عبد الناصر أمل الشعوب العربية في التوحيد القومي وأصبحت مصر قلب الكفاح العربي من أجل تحرير فلسطين. وعاشت مصر تحت هذه الشعارات الجوفاء حتى جاءت حرب ١٩٦٧ وحدثت الهزيمة المروعة لجيش مصر. ونعود هذا لما قاله محمد عبد الفتاح أبو الفضل في كتابه كنت نائباً لرئيس المخابرات فهو يحكي لنا مأساة ١٩٦٧ بوجهة نظره بكل مَا فيها من أسف وأسى وهو يروي قبل وقوع الحرب كيف أنه شاهد قوات الاحتياط في محطة سكة حديد القنطرة شرق في حالة يرثى لها من الفوضى فيقول "فوجئت في المحطة بحالة من الفوضى لقوات الاحتياط يعجز الإنسان عن وصفها والمفروض أنها على وشك الاشتباك في القتال في الجبهة كان الكل في ملابس مدنية ومعظمهم بجلاليبهم الريفية ويحملون بنادقهم وليس هناك أي

زي عسكري، جمعوا من قراهم على عجل، دون أي ترتيبات إدارية وشحنوا في السكة الحديد كالدواب دون أي تجهيز أو ترتيب إداري من مأكل أو مشرب أو راحة، وكانوا يندفعون لشراء طعامهم من الباعة الجائلين بالمحطة في فوضى شاملة لا يتعدى مظهرهم خفر الريف. إن لم يكونوا أقل مستوى من ذلك حشد هائل من الشباب والرجال الضائعين نتيجة استهتار واهمال سلطات القوات المسلحة بآدميتهم وإنسانيتهم انعكس الشعور بالضياع علي كرجل عسكري ومقاتل سابق".

وأما في إسرائيل فقد ضعف صوت من ينادي بالسلام وذلك لأن مصر بقيادة ناصر تدق طبول الحرب ويعلن قادتها أنها تستعد للمعركة الفاصلة. وهزم صوت المعتدلين الإسرائيليين الذين كانوا ينادون بالسلام كموسى شاريت وبدأ صوت الصقور في التأثير على الشعب الإسرائيلي. وصور الكتاب اليهود هذه الأيام أن إسرائيل دولة محاصرة وكانت سياسة بن جوريون أن يحقق أمن إسرائيل بجعلها أقوى دولة عسكرية في الشرق الأوسط بالتدريب الشاق وبالعلم وليس بشعارات عبد الناصر الجوفاء .. وليحقق هذا استغل بن جوريون كل الإمكانيات المتاحة. وكان حزبه الذي قاد ديموقراطية حقيقية في إسرائيل وليس ديكتاتورية فردية كالتي خلقها جمال عبد الناصر في مصر وأثبت الصراع أن الشعب الحر الذي يعيش تحت نظام يحترم الإنسان لابد أن ينتصر على نظام يحتقر حرية الفرد ويدوس على كرامته ويمارس عليه التعذيب في سجون ومعتقلات جمال عبد الناصر .. وبعد هزيمة سنة ١٩٦٧ وموت جمال عبد الناصر .. واجه السادات حالة اللاسلم واللاحرب وكانت إسرائيل ترقب السادات وأعلن موسى ديان أن الحرب بين مصر وإسرائيل قائمة لامحالة وإن الجيش المصري يستعد لتحرير سيناء بعد أن فشلت كل محاولات السادات في الوصول إلى حل سلمي.

وفي حرب ١٩٥٦ التي قادتها إسرائيل بالاتفاق مع انجلترا وفرنسا دعا بن جوريون مناحم بيجن لزيارته في منزله وأخبره بما اتفق عليه مع انجلترا وفرنسا للهجوم على مصر وكان بن جوريون راقدا على سرير المرض فقام مناحم بيجن وهنأه على شجاعته .. فانظر إلى الفرق بين الحكم الديمقراطي والحكم الديكتاتوري الذي كان

يقوده الزعيم الملهم كما كان يصفه أهل الرياء والنفاق. وفي الحقيقة أن الصراع بين إسرائيل مصر هو صراع حضاري من الدرجة الأولى. فالمجتمع المصري مجتمع متخلف يسيطر على نظامه السياسي فرد واحد. .. فالدستور الذي صنعه عبد الناصر أعطى لشخص رئيس الجمهورية سلطات واسعة وعندما عدل الدستور في عهد السادات سار على نفس المنوال . وقد أثارت ثورة ٢٣ يوليو آمالا في إسرائيل فقد ظنوا أن العلاقات بين مصر وإسرائيل بعد الثورة ستبدأ عهدا جديدا واقترح بن جورين أن يقوم حوار بين جمال عبد الناصر وبن جوريون. وبعد ذلك استقال بن جوريون وحل محله موسي شاريت. ولم يكن للسادات أي تأثير على مجريات الأمور لأن جمال عبد الناصر كان يمسك بجميع الخيوط . وقد لاحظ السادات الذي يرافق جمال عبد الناصر في جولاته أن الشعب ينصت لخطب جمال عبد الناصر ولكن لا يبدي حماسا إلا إذا هاجم ناصر إسرائيل وعندما زار جمال عبد الناصر تونس فإن خطبته كانت تقاطع بهتاف الجماهير .. ناصر ناصر لا تنسى قضية فلسطين.

وفي سنة ١٩٧٠ بعد هزيمة مصر المنكرة في سنة ١٩٦٧ وموت جمال عبد الناصر ورث السادات مصر المنهزمة .. التي تحطم فيها الكبرياء الشعبي تحت سياط الظلم والتعذيب الذي مارسه جمال عبد الناصر على معارضيه كما أن مصر نتيجة السياسات الاقتصادية الخاطئة للزعيم الملهم كانت على شفا الإفلاس .. وعاملت إسرائيل مصر بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ باحتقار شديد . وقد كتب أساتذة الجامعات الإسرائيلية أن شعب مصر "شعب حشاش وأنه خاضع لحكم بوليسي لا يعترف بأبسط حقوق الإنسان وأن نظام السادات سينهار في خلال شهور. ولكن السادات خلال أعوام قليلة استطاع أن يجعل من نفسه حاكما قويا واستطاع أن ينتصر في الصراع على السلطة الذي قام بينه وبين مراكز القوى الذي حاكمهم ووضعهم في السجن. ثم أكسبته حرب ٧٣ مجداً وأصبح بطلاً للحرب. وبعد أن ركز السادات سلطانه وأصبح حاكم مصر بلا منازع بدأ في تغيير مسار انقلاب ٢٣ يوليو بما سماه ثورة التصحيح .. وكان السادات يعلم أنه يسير على خط عبد الناصر ولكن في الحقيقة أنه كان يبتعد عن طريق

جمال عبد الناصر وما كان السادات يجرؤ على الذهاب إلى القدس إلا بعد أن ركز سلطانه ولم يعد هناك أي منافس للسلطة وعند ذهابه إلى القدس كان السادات يعبر عن حب الشعب في تحقيق سلام يحقق له الرخاء .. كما أن ذهاب السادات للقدس كان تعبيرا عن عدم إيمانه بسياسات الدول العربية بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي. وكان يعتقد أن العرب بدون مصر لا يمكن أن يخوضوا حربا ولا يمكن لهم أن يحققوا سلاما ومع ذلك فإن زعماء العرب أنكروا مبادرة السادات .. وفي خطبة عبر عن استيائه أن تدفع مصر وحدها الثمن من دماء أبنائها ومن مواردها التي كادت أن تنضب وأن يعيش المصريون في بؤس وحرمان بينما تتدفق أموال البترول على الدول العربية التي لا تساعد مصر بما فيه الكفاية. وكان واضحا أن الشعب المصري يزداد فقرًا بسبب استنفاد موارده في الحروب مع إسرائيل . فكان رحلته إلى القدس تعبيرا عن عدم رضائه عن سياسات الدول العربية تجاه تضحيات مصر .. وكذلك كان يعتقد أننا لن نستطيع هزيمة إسرائيل عسكريا فليس هناك وسيلة لاسترداد الأراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب ١٩٦٧ إلا بالمفاوضات، وأن الدول العربية الأخرى كشرق الأردن وسوريا ستتبعه في خطواته نحو السلام. وكان السادات يريد أن يعرف إذا كان بيجن يريد السلام وعما إذا كان على استعداد للتنازل عن الأرض في مقابل السلام وكان بيجن يريد أن يعرف إذا كان يستطيع أن يحظى بالسلام مع الاحتفاظ بالأرض وكان السادات يريد السلام مع إسرائيل مع المحافظة على حقوق الفلسطينيين وكان بيجن يريد العكس.

كان هناك تعارض بين أفكار السادات وأفكار بيجن في كيفية تحقيق السلام ولكن عندما أصبحت زيارة السادات حقيقة واقعة انبعث الأمل الحلو في تحقيق السلام ووقف الحروب التي سالت فيها دماء الشعب المصري والإسرائيلي أنهاراً .. وبدأ أمل حلو يلوح في أفق العالم الذي انتظر ما تحققه هذه الزيارة.

أطل على مصر صباح يوم الجمعة نوفمبر ١٨ ولم يبق على موعد زيارة السادات إلا ست وثلاثين ساعة .. كان الكثيرون في إسرائيل يعتقدون أن الزيارة لن تتم

.. وسيطر القلق على مشاعر الشعبين فلو أن الزيارة لم تتم بنجاح فماذا سيكون تـــأثير الفشل على الأمل في السلام. وقد بدأ الجنرال جازيت في تحليل ماذا لو تمت الزيـــارة ولم يتحقق السلام مما سيحدث في العلاقات بين البلدين . وكـــان الإســـرائيليون غيـــر مصدقين أن طائرة مصرية تقل رئيس جمهورية مصر العربية ستهبط في مطار اللـــد في إسرائيل. وها هي الطائرة تظهر في سماء إسرائيل تقل الرئيس محمد أنور السادات تهبط في المطار لقد نظر الإسرائيليون وشعوب العالم إلى هذا المنظر وكأنهم في حلم.

المشاهدون لا يصدقون أنفسهم وهم يرون العلم المصري يرفرف فـــوق ذيـــل الطائرة وتركزت جميع العيون على باب الطائرة. وها هي الطائرة توقفت تماما وفـــتح باب الطائرة وظهر حسن أحمد كامل أول شخص يخرج من الطـــائرة وهـــو رئـــيس الديوان الجمهوري وقد بدا عصبيا وهو يحاول أن يرسم ابتسامة على وجهه وعنـــدما نزل إلى أرض المطار لم يعرف من يصافح أولا فقد اقترب منه شخصان دكتور إلياهو بن اليسار مدير عام مكتب رئيس الوزراء وقد حل اليسار المشكلة فإن مد يده يصافحه .. لقد كان هناك اضطراب في إسرائيل منذ أن وصلت أنباء الزيارة فتم الاستعداد على عجل ويبدو أن المسئولين فوجئوا بموعد الزيارة. وكان على المسئولين في إسرائيل أن يعدو أنفسهم لاستقبال السادات .. وحين اجتمع المسئولون الإسرائيليون تذكر أحدهم أن أعظم استقبال قدمته إسرائيل لرتشارد نيكسون عنـــدما زار إســـرائيل فـــي ١٩٧٠ .. وتذكروا أن هناك ملفا خاصا بالاستقبال فطلبوا إحضار هذا الملف وأزاحوا الغبار عنه. وكانت المشكلة الكبرى هي الأمن .. فقد كان هناك كثيرون يريدون أن يقتلوا السادات فقد كان الفلسطينيون الذين يعيشون في الأرض التي احتلتهـــا إســـرائيل بعـــد ١٩٦٧ يعتبرون أن السادات قد خان القضية الفلسطينية وقرر المسئولون أن يحبطوا الـــسادات بدائرة من الحراسة لم تشهدها إسرائيل من قبل .. ووضعت الدبابات بـــين آلاف مـــن الجنود ومن البوليس ووضعوا الجنود لحراسة الطريق من المطار إلى القدس وكذلك في شوارع مدينة القدس .. وبذلت إسرائيل جهداً عظيماً في أن تحمي السادات أثناء الزيارة من أي محاولة لاغتياله .. وطارت طائرات مروحية على طول الطريق لاكتشاف أي

صواريخ قد تطلق على طائرة السادات وقبضت إسرائيل على كثير من العرب المقيمين في المنطقة لتمنعهم من القيام باضرابات أو القيام بعمل يفسد الزيارة. وقيل للذين اعتقلوا أنه سيفرج عنهم بمجرد انتهاء الزيارة. وبدأ هؤلاء القادة الذين يشرفون على الجيش الإسرائيلي في البحث عن نسخ من السلام الوطني المصري .. وقد سجل أحدهم السلام الوطني من راديو مصر .. واعتمد الإسرائيليون على هذا الشريط المسجل في حفظ السلام الوطني .. وبدأت في القدس عملية إنتاج أعلام مصرية حتى يلوح بها الإسرائيليون في استقبال السادات، وحتى ترفرف من على أعمدة النور في شوارع القدس. وكان فريق الحرس القادم مع السادات وقد منعوا من التحدث إلى الصحفيين وارتسمت على وجوههم الجدية والصرامة .. وقد استقبلهم بعض المسئولين بالترحاب والتصفيق وقادوهم إلى مطعم المطار ولكن هذا لم يأت بأي ابتسامة إلى وجوههم التي كان تبدو صارمة . ولقد سأل أحد المستقبلين واحدا من هذه الحراس "ما هو شعورك" شعوري إني قادم إلى أرض الأعداء ثم أضاف أن الناس قد ذهبوا للقمر مما هو العجب أن تأتي إلى أرض إسرائيل. وقد سر حسن كامل عندما علم أن السادات سيقيم في فندق الملك داود حيث قام نيكسون وكيسنجر. وقد أصر بيجن على إقامة السادات في فندق دافيد وفي نفس الجناح الذي أقام به نيكسون رغم أن قوات الأمن كانت تفضل هيلتون حيث أن الأخير أكثر أمناً. وقد سأل رئيس الديوان الجمهوري ما هي الأماكن التي سيزورها السادات والتي يفترض أن يزورها رؤساء الدول الغربية يزورون إسرائيل فأجاب بن اليسار "ياد فاشم".

"ولهذا" سأل رئيس الديوان الجمهورية فقال "أنه النصب التذكاري لضحايا الهلوكوستت في الحرب العالمية الثانية" وقد أقيم هذا النصب على قمة تل في مدينة القدس. وقد جمعوا في هذا النصب التذكاري كل الصور والمستندات التي تدل على موت ٦ ملايين يهودي على يد النازي .. وحتى تظل هذه المستندات والصور مصورة حتى تراها الأجيال القادمة. وعادة كل رئيس دولة زار إسرائيل أن يقضي بعض الوقت في زيارة "Yad Vashem" وكان بيجن يعطي أهمية قصوى لزيارة هذا النصب

التذكاري. وقد وافق رئيس الديوان على ذلك ولم تكن هناك مشكلة. وأما المكان الثاني فقد وضع أكليل من الزهور على قبر الجندي المجهول حيث توجد شعلة دائمة ووافق رئيس الديوان على ذلك. وكان اليسار يريد أن يعرف مدة الزيارة. واقترب من الموضوع في شئ من الدبلوماسية "فقال أننا نرحب بكم في إسرائيل ولكن نود أن تعرف إلى متى ستستمر هذه الزيارة حتى نعد جميع الترتيبات وهنا قال كامل أننا سنبقي حتى يوم الاثنين بعد الظهر حتى تهبط الطائرة في القاهرة في أثناء النهار. كان المصريون يريدون أن يعود السادات في النهار حتى تستقبله الجماهير المصرية بالترحيب والتأييد.

وعندما عادت الطائرة التي نقل السادات إلى مصر بسلام .. وكان المصريون يذيعون وقائع الزيارة مباشرة من التليفزيون المصري حتى يتابع الشعب كل وقائع الزيارة على التليفزيون مباشرة ..

ولعدة أيام حاول الإسرائيليون والمصريون أن يوقفوا كل أعمال التجسس على الحدود بين مصر وإسرائيل وأن يوقف كل عمل عدائي من مصر وإسرائيل. وأوقف الجيش الإسرائيلي طائرات التجسس الإسرائيلي. وأصدر مكتب وزير الدفاع أن يوقف أي عمل قد يقر أنه عمل عدائي من الطرف الآخر. ولكن في المساء قبل زيارة السادات جاء ايجال آلون نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع إلى مكتب بيجن في القدس وطلب إفرايم بوران وأرين نوز سكرتير بيجن لشئون الدفاع وقادهما إلى اجتماع في حجرة خاصة "أنا جئت من إجتماع مع رئيس الأركان الذي أخبرني أن الجيش المصري أعلن التعبئة العامة .. وكان هناك صمت في الحجرة قد يكون الأمر خطأ ولكن يجب أن نكون خديعة .. لقد كان بيجال يعاني مما حدث في حرب ١٩٧٣ واقترح بيجال أن نعلن إسرائيل التعبئة العامة وقال بوران وفور أن هذا يتطلب موافقة بيجن ووايزمان واستخدم بوران التليفون الخاص الذي يربط بيجن ورفض بيجن أن يسمح بهذه التعبئة العامة وأن تصرف مثل هذا قد يتسرب إلى الصحافة ويؤدي إلى قطع زيارة السادات وعندما سمع وايزمان هذا الذي كان ملازما للفراش نتيجة الحادث قال

أنا ذاهب لعملي في وزير الدفاع لقد صنع هذا الحماس شعبنا مثل هذا من قبل أنه لم يشف بعد من تأثير حرب ١٩٧٣.

إن الجيش المصري قد وضع في حالة تأهب لأن الجيش الإسرائيلي كان قد وضع في حالة تأهب قبل زيارة السادات وفي أثناء الزيارة خوفا من أن تحدث مفاجآت سواء من مصر أو من أحدى الحكومات العربية أو من منظمة التحرير الفلسطينية. وعندما علم الجمصي بهذا أمر أن توضع القوات الأمامية أن تكون في حالة تأهب .. هذه التصرفات تدل على عدم الثقة والخوف الذي يسود في الشرق الأوسط.

كان السادات في الإسماعيلية على ضفاف القناة قد قبل استقالة فهمي وزير الخارجية ولم يقبل رياض المنصب وكان السادات لا يريد أن يغادر مصر وليس معه وزير خارجية فعين بطرس غالي وزير دولة للشئون الخارجية وأعد بطرس غالي نفسه للذهاب مع السادات في زيارته التاريخية للقدس وأن يعد نفسه في خلال ساعات لمصاحبته في هذه الزيارة. وكان بطرس غالي مستعدا وقد كان بطرس غالي أستاذاً للعلاقات الدولية شعبة العلوم السياسية بجامعة القاهرة. ولم يكن بطرس غالي قد مارس أي منصب حكومي من قبل وكان جديداً على الحاشية التي تحيط بالسادات. وكان بطرس غالي هو المصري الوحيد الذي آمن أنه يمكن إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل وليس كشعار سياسي وإنما كواقع عملي. وكانت أفكار بطرس غالي أنه يمكن أن يقوم سلام بين العرب واليهود وأن تصبح إسرائيل دولة في الشرق الأوسط كباقي الدول لتعيش في سلام معها وأن هذا قد يؤدي إلى رخاء.

وكان جده بطرس غالي هو الذي أصدر قرارا بتشكيل المحكمة المخصوصة في حادثة دنشواي سنة ١٩٠٦ حين كان وزيراً للعدل بالنيابة ورأس هذه المحكمة بنفسه وقد استهل عمله في الوزارة التي رأسها بكبت الحريات وأصدر قانون النفي الإداري الذي يضع في يد السلطة الإدارية حق نفي الأشخاص الذين ترى أنهم خطرون على الأمن إلى جهة نائبه بالقطر المصري وختم حياته السياسية بدخوله مع شركة قناة السويس في مفاوضات لمد امتيازها أربعين سنة مقابل أربعة ملايين من الجنيهات.

وكان الحزب الوطني يرى أن الرجل قد خان وطنه وآذاه ولكن الصحف القبطية ومعها كثير من القبط كانوا يرون أن هذه الجريمة القذرة التي لم يسبقها نظير في تاريخ مصر الحديث لم ترتكب إلا بدافع من التعصب الديني ولم يقتل إلا لأنه قبطي.

وكان قاتله إبراهيم ناصف الورداني شابا في الرابعة والعشرين من عمره تلقى علوم الصيدلة في لوزان وفتح بعد عودته صيدلية وكان من المتحمسين لمبادئ الحزب الوطني. وقد عاون بطرس غالي الخديوي في التفاهم مع الإنجليز حيث كان وزيرا للخارجية في وزارة مصطفى فهمي وعندما أراد الخديوي تعيين رئيسا للوزراء قال جورست المندوب السامي البريطاني "ألا يحصل انتقاد من الأهالي لتعيين رئيسا قبطيا يرد عليه الخديوي" أنه مصري وأما نوبار باشا فلم يكن مصرياً[1].

لقد كان بطرس غالي بثقافته وتراث عائلته يدعمه لأن يلعب دوراً في الصراع العربي الإسرائيلي. فهو مسيحي من أسرة غنية لعب أفرادها أدوارا هامة في تاريخ مصر السياسي وفي سنة ١٩١٩ كان جده رئيسا للوزراء في مصر وقتله أحد الوطنيين المصريين لأنهم اعتبروه خائنا لقضية الوطن كما أن جده كان قد تفاوض مع هرتزل لاعطائه حق بناء مستوطنة في العريش على حدود مصر وسوريا وكان الأقباط متهمين دائما بميولهم نحو المستعمر البريطاني. ولكن استطاع سعد زغلول أن يعيد أقباط مصر إلى الوطنية فكانوا أبطالا في الصراع بين مصر وانجلترا للحصول على الاستقلال. كما أن بطرس غالي كان متزوجا من يهودية وكانت زوجته ليه نادلر ابنه أحد الرومانيين الذين هربوا من رومانيا وأقام في القاهرة وأنشأ مصنعا للحلويات وقد قابل بطرس غالي زوجته عندما كان يدرس في باريس .. وبمضي الوقت هاجر جميع أفراد عائلة زوجته من مصر وبعضهم استقر في باريس وبعضهم جاء إلى إسرائيل.

وفي الصباح لم تكن هناك قناة تليفزيونية في العالم إلا أذاعت الزيارة وتجمع في القدس أكثر من ألف مراسل صحفي وأذيعت وقائع الزيارة بالتفصيل وأخذ المعلنون

(1) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.

في الإذاعات يصفون الزيارة دقيقة بدقيقة وفي الساعة العاشرة صباحا عقد اجتماع في منزل بيجن من سيكون مين المدعوين في المأدبة الرسمية التي ستقام للسادات وكـان المجتمعون في منزل بيجن سعداء بهذه الزيارة وقدم بيجن لضيوفه كؤوسا مـن النبيـذ وقطعة من الكعكة التي صنعتها مدام بيجن. وفي اللحظة الأخيرة قرر بـيجن تغيـر الطريق من مطار اللد إلى القدس إلى طريق جديد لم يفتتح رسميا بعد وذلك لأسـباب أمنية. وأدى هذا القرار إلى نقل آلاف من جنود البوليس من الطريق القديم عندما أخبر بيجن المفتش العام للبوليس حاييم نابوري بهذا القرار.

وأما في مطار أبو صوير فلم يكن هناك أي احتفال قبل أن تقلع طائرة السادات في رحليها إلى مطار اللد الذي لم تكن تستغرق وقتا طويلا وقد بذل السادات جهدا ليبدو عاديا. في برج المراقبة الجوية في مطار بن جوريون .. سمع المراقب الجوي طيـار طائرة السادات وهو يعلن وصول الطائرة المصرية رقم واحد ويطلب التصريح بالهبوط في المطار. كانت الطائرة قد وصلت قبل الميعاد بدقيقتين وقد صرح للطائرة بـالهبوط وفي الساعة ٨,٥١ مساء مست عجلات الطائرة المصرية أرض المطار وبعـد ثلاثـة دقائق أخرى وقفت الطائرة في مكان الاستقبال. وكان أول من ظهر من الطائرة سـيدة مصرية بدينة من التليفزيون المصري حتى تعد تصوير بداية رحلة السادات التاريخية وتبعها عدد كبير من المصورين والصحفيين المصريين واستمروا حول الطائرة. وكان رئيس جمهورية إسرائيل ورئيس وزرائها وكبار زعمائها ينتظرون .. وملايين الأعين في جميع أنحاء العالم تسمرت نحو باب الطائرة .. ومرت دقائق لم يظهر أحد من باب الطائرة وبعد دقائق ظهر كبير الياوران في حلته العسكرية وخلفه رجـل فـي بدلتـه الرمادية وقد بدا على وجهه شئ من الجدية .. وفي هذه اللحظة التاريخية قفزت القلوب في مصر وإسرائيل عندما بدأت موسيقى السلام المصري والتصفيق يحي هذا الرجل.

رئيس جمهورية مصر محمد أنور السادات يقف على أرض إسرائيل.

لقد بكت بعض الإسرائيليات عندما ظهر أنور السادات على سلم الطائرة هن غير مصدقات وقالت سيدة إني بكيت عندما جرح ابني في حرب ١٩٧٣ وبكيت اليوم ولكن الدموع مختلفة هذا اليوم. وقد تأثر كثير من المصريين عندما شاهدوا الاحتفال العظيم الذي قدمته إسرائيل لرئيس مصر وقد توجه أمير مدير البروتوكول الإسرائيلي وقابل السادات قبل أن ينزل من سلم الطائرة وقال له السادات عندما عرفه أنه تحت أمره وقاد مدير البروتوكول السادات إلى حيث يقف رئيس اسرائيل ورئيس الوزراء وطبقا للبروتوكول صافح السادات رئيس اسرائيل (انزايم كاتزير) ثم صافح بعد ذلك رئيس الوزراء وقال بيجن وهو في قمة الانفعال "إني أنتظرك يا سيدي" كما "أن جميع الوزراء ينتظرونك" ونظر السادات وبيجن إلى بعضهما لمدة ثواني ولم يصرح بيجن ماذا فكر في بداية اللقاء .. وأن الجماهير المحتشدة في المطار كانت مندهشة وكأن الحقيقة أمامهم عبارة عن حلم .. وعزف النشيد المصري الوطني وتلاه عزف النشيد الوطني الإسرائيلي ثم انطلقت ٢١ طلقة تحية من المدفعية ووقف حرس الشرف لتحية رئيس جمهورية مصر .. وكان يقف بجوار السجادة الحمراء الوزراء ونواب رئيس الوزراء والسادات سأل أن يقدمه إلى جولدا مائير والذي صافحها بحرارة إني كنت أتمنى لقاءك منذ مدة طويلة فردت جولدا ولكنك يا سيدي الرئيس لم تحضر ورد السادات ولكن الآن أنا هنا وابتسم الاثنان في حرارة .. وأخذ السادات يتقدم وقد تعرف على بعض مستقبليه وعندما رأى شارون وزير الزراعة قال السادات أنني كدت أن آخذك أسيرا في الثغرة فرد شارون أني سعيد أن أرحب بك هنا في أرض إسرائيل. ونظر إلى جور أنني كنت صادقا في وعدي للحضور إلى هنا فضحك جور وابتسم السادات. وعندما قابل ديان لم يكن هناك شئ يقوله فصافحه وقال له موسى وكان التهامي وراء السادات الذي قابل ديان في مراكش فقال التهامي إنك قلت إنك تنتظر مكالمة تليفونية "نحن هنا الآن". بعد هزيمة ١٩٦٧ صرح موسى ديان أنه ينتظر مكالمة تليفونية من العرب لعقد صلحا معهم .. وقد كانت هذه الجملة دائماً تذكر لتدل على

غرور اسرائيل بعد انتصارها في حرب ١٩٦٧. وقد لاحظ السادات أنه لم يكن في استقباله أحد من العرب في الأراضي المحتلة. وجلس السادات وكاتزير في العربة الليموزين السوداء التي استعاروها من السفارة الأمريكية في إسرائيل.. وأخذت العربة تشق طريقها نحو القدس وقد كان هناك صمت بين الرئيسين ولكن السادات قطع هذا الصمت "سيدي الرئيس هذه المرة الأولى التي أصافح أناسا كنت أحاربهم طوال حياتي كيف حدث هذا" ولكن كاتزير استمر صامتا. ثم سأل السادات "اريل شارون" ماذا يصنع اليوم فقال الرئيس كاتزير أنه وزير الزراعة ونحن نحترمه كثيرا لجرأته وشجاعته. فقال السادات كم كنت أتمنى أن أقبض عليه في الثغرة فرد كاتزير إن تصرفه في حرب ١٩٧٣ هو تصرف الناس في الحرب. وعند ذلك رد السادات إن هؤلاء العسكريين الشجعان الذين يخوضون غمار الحرب بالعدوان يجب أن يحترس السياسيين منهم فأنا شخصياً أحترس حقا من الرجال العسكريين الأبطال. ثم تحدث السادات عن نفسه وأنه فلاح من قرية صغيرة وأنه لا ينظر لنفسه على أنه سياسي بل أنه ريفي. ثم تحدث السادات عن زوجته والذي مدحها بأنها موهوبة وأنها تحبه كثيرا وأنها بسبب دراساتها لا أراها كثيراً ولكن الحب يفعل المعجزات.

لقد خيم الليل والقدس تنتظر وصول السادات وقد كانت الرياح الباردة قد منعت عدداً كبيراً من الناس من الخروج إلى الشوارع. ومع ذلك فقد كان هناك عدد كبير من الناس على جوانب الطريق تحيي مركب السادات وهو يتجه إلى القدس.

ومن كل شقة وبيت كان أصوات المعلنين في التليفزيون والإذاعة تسمع وقد تسمر الذين لم يخرجوا لاستقبال السادات على مشاهدة هذا الحدث التاريخي. وفي هذه اللحظة كان هناك من يحمل صورا مشوهة للسادات ويسيرون في شوارع وهم يهتفون ضد السادات الخائن ورميه للشارات يلقونها في النار حتى تخترق .. وأما في ليبيا فقد خرجت الجماهير الغاضبة تريد أن تهاجم السفارة المصرية وهي تحمل لافتات تقول "السادات وبيجن سيسوي المعبد اليهودي" وكانت هناك معارضة كذلك في مصر فقد نظم الطلبة الفلسطينيون مظاهرة حملوا فيه نعشا للسادات وهم يهتفون "سنحفر قبرك يا

سادات" وقد ذكرت السيدة الفاضلة جيهان السادات في كتابها "امرأة من مصر" .. "إني علمت أنه من اللحظة التي أعلن فيها زوجي الذهاب إلى إسرائيل أنه سيقتل. لا أعرف متى سيحدث هذا وأين سيحدث هذا ومن الذي سيقتله ولكني كنت أعلم أن أيامي على الأرض مع زوجي أصبحت معدودة .. ومن هذه اللحظة منذ نوفمبر ١٩٧٧ حتى لحظة اغتياله لازمني الصداع الذي أصابني منذ مدة أصبح ملازما لي . ولم أعرف يوما واحداً من غير ألم.

وخرجت كذلك مظاهرات من شباب الجامعات وهي تهتف "لا إله إلا الله السادات عدو الله" وانبعثت الشتائم من راديو دمشق وبغداد وطرابلس .. وانطلقت ألفاظ العمالة والخيانة نصف السادات وهكذا حكام هذه الأمة يحكمون العاطفة ولا يحكمون العقل في الخلافات فلو علموا لم يكن السادات خائنا ولكنه كان بعيد النظر .. ودارس للعلاقات الدولية .. وأن الحرب لا تستطيع أن تحقق الجلاء عن الأراضي دائما معركة السلام قد تكون أشد ضراوة من معارك السلاح .. فإنها معركة لتغيير الرأي العام الأميركي والإسرائيلي ضد سياسات التوسع والاحتلال وكان السادات يخشى أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لا تقدر مبادرته فقد قرأ ما قاله جور في حوار مع إحدى الصحف وفهم أن رئيس الأركان يشك في أن السادات يريد السلام ويقول إنها خدعة جديدة من السادات. وعندما علم بحادثة وايزمان ظن السادات أن الحادث لم يقع وإنما هو وسيلة حتى لا يحضر وايزمان لاستقباله. وكان السادات يعلق أهمية كبرى على كسب ثقة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية . وفي السيارة في الطريق إلى القدس عبر السادات عن قلقه بأن تشك المؤسسة العسكرية في إيمانه السلام وأخبره رئيس إسرائيل كاتزير أن وزير الدفاع قد أصيب في حادث سيارة.

ولقد شاهد وايزمان مراسم الاحتفال وهو في سريره في المستشفى. وقد كان وايزمان يشعر بآلام ونصحه الأطباء أن يبقى في سريره على الأقل يوما .. ولكن هذا اليوم الذي سيأتي السادات ليلقي خطابه في الكنيست فأصر وايزمان على أن يحضر إلى الكنيست ليشاهد هذه اللحظة التاريخية. وتحدث وايزمان على أن يحضر إلى

الكنيست ليشاهد هذه اللحظة التاريخية. وتحدث وايزمان تليفونيا مع أطبائه أنه مصمم على الذهاب إلى الكنيست. وقرر أطباؤه حقنه بمخدر للألم ثم طلب وايزمان مكتبه لاحضار طائرة هليوكبتر لنقله إلى مراسم الاحتفال في الكنيست.

قاد بيجن الرئيس السادات إلى حجرته في فندق الملك داود وكان الزعيمان قد بلغ بهما التعب والارهاق ومع ذلك فقد ترك الزعيمان وحدهما. لم يكتب بيجن عن المحادثات التي جرت بينهما ولم يتحدث عن ذلك لأي شخص. ويمكن استنتاج ماذا دار بينهما من حديث مما نشرته الصحف الإسرائيلية في هذا الوقت.

لقد عقدت المحادثات في جو من الصداقة وقال السادات لبيجن أنه لا يستطيع أن يعقد صلحا منفردا مع إسرائيل وأنه جاء لإسرائيل ليناقش القضية الفلسطينية التي هي سبب الصراع بين مصر وإسرائيل .. وعبر بيجن أنه يأمل أن يذهب في زيارة للقاهرة. وقال أن هذه الزيارة تعبر عن تقديره لزيارة السادات وعن تقديره كذلك للشعب المصري. ولكن السادات لم يقدم له دعوة لزيارة القاهرة واعتقد أن زيارة بيجن للقاهرة قد تكون خطرا على حياته. وموضوع إعادة سيناء إلى مصر أثير في هذا الاجتماع وكان بيجن يقول أنه مستعد لاعادة معظم سيناء إلى الحكم المصري .. ولم يقل اعادة كل سيناء إلى مصر ولم يعلق السادات على الفرق بين معظم سيناء وكل سيناء. وقال السادات إن قواتنا المسلحة لن تستقر في سيناء بعد جلاء إسرائيل عنها حتى تكون مطمئنا على أمن إسرائيل. وبعد المحادثات قابل بيجن ايجال الون الذي كان يجلس في الحجرة المجاورة وقال بيجن لقد أثرت موضوع الأمن فقال السادات ممكن أن تكون هناك أربعون ميلا منزوعة السلاح وعندما قلت له إن هذا لا يكفي قال إنه يعتقد أن تبقى قواته المسلحة شرق الممرات.

ويعتقد البعض أن الجلاء عن سيناء قد عرضته اسرائيل على لسان موسى ديان قبل مقابلة السادات وبيجن عندما تقابل مع التهامي في مراكش فقد قال ديان إنك تريد سيناء ونحن مستعدون لاعطائكم سيناء. ويبدو أن هذا الموقف قد شجع السادات على زيارة إسرائيل. ومع ذلك فقد قامت عقبات تتمثل في المستوطنات في رفح وفي طلبات

الأمن الإسرائيلي ووجود قوات مصرية شرق الممرات. وقد كان بيجن يتخذ القرار بنفسه دون أن يناقش في مجلس الوزراء وقد انتقد بيجن لهذا السبب. وقد انتهت المقابلة بأن قال السادات "مهما حدث مستر بيجن فلنبق أصدقاء وتصافح الرجلان ثم قال بيجن وهو يبادر بمغادرة الحجرة "أنا رجل يفي بوعوده صدقني يا سيادة الرئيس".

ونظر السادات من نافذة جناحه في الدور الخامس من فندق الملك داود إلى القدس القديمة هذه المدينة المقدسة التي سالت دماء المسلمين أثناء الحرب الصليبية عندما استردها صلاح الدين ونظر كذلك إلى قبة الصخرة من مسجد عمر .. وتمنى السادات أن ينجح في اعادة القدس إلى الإسلام. وعاد بيجن إلى منزله وكانت عائلته وأصدقاؤه ينتظرون ليسمعوا ماذا قال السادات له وقال بيجن "أن المناقشات قد جعلتنا أصدقاء وأحسست أنه صادق في أنه يريد سلاما عادلا .. إن صداقة حقيقية نشأت بيننا وقد قص علي السادات بعض النكات وبعض ذكرياته فكانت المقابلة والأحاديث كلها شخصية. وفي صباح اليوم التالي ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ كان عيد الفطر وهو نهاية شهر رمضان وكان السادات حريصا على أداء فريضة الصلاة في المسجد الأقصى .. وقال بيجن أن ٥٠٠ شخص من العرب قد دعوا للمشاركة في الصلاة وذلك لأسباب أمنية واعترض السادات على ذلك وقال إن هذا سيفسر على أنه نجاح لمنظمة التحرير الفلسطينية التي دعت إلى مقاطعة الصلاة وبعد مناقشة ذلك فتح المسجد للصلاة وحضر الصلاة حوالي ٦٠٠٠ عربي – ومن هذا المسجد ذهب السادات إلى ياد فاشم وهو النصب التذكاري لليهود الذين قتلوا في الهلوكوست. وعندما وصل السادات إلى النصب التذكاري دفعوا إليه قلنسوة صغيرة فقال ما هذه فقالوا هذه Kppat غطاء للرأس تغطي به رأسنا عند الصلاة أو عندما ندخل إلى مكان الصلاة. انصت السادات ولم يقل شيئا. وهنا تحدث بيجن عن كيف عرف اليهود عن المعاهدة بين روسيا وألمانيا التي تمت بين ستالين وهتلر على تقسيم بولندا وكيف وصلت لهم وعندئذ أراد بيجن أن يشير إلى اضطهاد اليهود لأنه لم يكن لديهم دولة تحميهم ولذلك فقد عانى اليهود واضطهدوا في أوروبا .. فهز السادات رأسه وكتب في دفتر الزيارات "دعنا نضع النهاية لعذاب

الجنس البشري كان السادات يبدو متعبا عندما وصل إلى الغداء مع الإسرائيليين الرسميين.

وفي أثناء الغداء كان هناك نوع من الشك والريبة بين السادات ومستقبليه فقد بدا أن السادات لا يستطيع أن يثق فيهم. فقد أعد طعامه بواسطة طباخه الخاص وحتى الكوب الذي يشرب منه أتى به من القاهرة. وفي أثناء الغداء تحدث بيجن والسادات عن مرض القلب "أنك تبدو صحيحا بالنسبة لمريض بالقلب فرد بيجن أنك كذلك تبدو صحيحا بالنسبة لمريض بالقلب. وقال السادات ينصح بيجن "لا تأكل البطيخ لأن أليافه مضرة بالمعدة" وبعد انتهاء الغداء ذهب السادات إلى فندقه لاستكمال اعداد خطبته التي سيلقيها بعد قليل في الكنيست. أثرت زيارة السادات على الوزراء ورغم سرورهم بهذه الزيارة واحتفالهم كان لدي بعضهم قلق من أن تفشل الزيارة وكانوا يتمنون نجاحها فاقترح شارون أن يجتمع الوزراء في أثناء الزيارة ويقررون تسليم العريش للإدارة المصرية وأن يسمح للمصريين بالمرور في سيناء لإدارة العريش. وقد أعجب بيجن بالفكرة ولكن ديان اعترض عليها وقال "إن السادات لم يأت للحصول على أشياء صغيرة وأن هذا قد يسئ إلى زيارة السادات واعتبر الأمر منتهيا. وكان بيجن يريد أن يعرف ماذا سيقول السادات أمام الكنيست لكي يعد رده على خطبته ولكن السادات رفض.

وامتلأ الجو العام في الكنيست بالقلق لأول مرة في تاريخ الكنيسيت يسمح لهم بالتصفيق لزائر وبعض لوائح البروتوكول استبعدت لابداء احترام الكنيسيت للسادات رئيس جمهورية مصر العربية. دخول الرئيس السادات يتبعه رئيس اسرائيل كان منظرا تاريخياً فريداً. وقد استقبل أعضاء الكنيسيت السادات وقوفا ومع تصفيق استمر طويلاً حتى أن أحداً لم يلاحظ أن بعض الأعضاء لم يقوموا ولم يصفقوا تحية للسادات. وكان وايزمان بين الوزراء إنه كان يبتسم ولكنه لم يستطع إخفاء ألمه وقد أتى إلى مدخل القاعة على كرسي وسار إلى مكانه وهو يرتكز على عصاه.

الفصل السادس

خطبة الســــــادات

وتقدم السادات إلى المنصة ووقف أمام الميكروفون وهو لا يعلم أن هناك جهازا بالميكروفون يحلل مشاعر الخطيب وقد عرف بعد ذلك أن إبرة الجهاز تحركت عندما تحدث السادات عن المفاوضات. تكلم السادات باللغة العربية وقد استمع الحاضرون من الضيوف وأعضاء الكنيسيت إلى خطبة السادات من سماعات في الآذان .. وكان الحاضرون حوالي ٨٠٠ شخصاً. وركز السادات على النواحي الإنسانية "خطبة السادات".

فقد قالت جيهان قليلون أولئك الذين عرفوا مقدما نية السادات في الذهاب إلى القدس ولم أكن منهم ولو أن أنور ناقش قراره معي لأيدته فيه مائة في المائة وبالرغم من أني أدركت أنه سيفقد حياته إلا أنني أدركت أن السلام مع إسرائيل هو الطريق الوحيد أمام مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

"السيد الرئيس

أيها السيدات والسادة

السلام عليكم .. ورحمة الله

والسلام لنا جميعا .. بإذن الله

السلام لنا جميعا .. على الأرض العربية وفي إسرائيل .. وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير المعقد بصراعاته الدامية، المضطرب بتناقضاته الحادة، المهدد بين الحين والحين بالحروب المدمرة، تلك التي يصنعها الإنسان ليقضي بها على أخيه الإنسان. وفي النهاية، وبين انقاض ما بني الإنسان وبين

أشلاء الضحايا من بني الإنسان، فلا غالب ولا مغلوب، بل إن المغلوب الحقيقي دائماً هو الإنسان .. أرقى ما خلقه الله .. الإنسان الذي خلقه الله – كما يقول غاندي قديس السلام – "لكي يسعى على قدميه، يبني الحياة .. ويعبد الله".

مسئولية السلام

وقد جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين، لكي نبني حياة جديدة لكي نقيم السلام. وكلنا على هذه الأرض، أرض الله، كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود .. نعبد الله ولا نشرك به أحدا، وتعاليم الله .. ووصاياه .. هي حب وصدق وطهارة وسلام.

وإنني ألتمس العذر لكل من استقبل قراري عندما أعلنته للعالم كله، أمام مجلس الشعب المصري، بالدهشة، بل الذهول، بل أن البعض قد صورت له المفاجأة العنيفة إن قراري ليس أكثر من مناورة كلامية للاستهلاك أمام الرأي العام العالمي، بل وصفه بعض آخر بأنه تكتيك سياسي لكي أخفي به نواياي في شن حرب جديدة.

ولا أخفي عليكم أن أحد مساعدي في مكتب رئيس الجمهورية اتصل بي في ساعة متأخرة من الليل بعد عودتي إلى بيتي من مجلس الشعب، ليسألني في قلق: وماذا نفعل يا سيادة الرئيس لو وجهت إليك إسرائيل الدعوة فعلا؟ فأجبته بكل هدوء: سأقبلها على الفور.

لقد أعلنت أنني سأذهب إلى آخر العالم .. سأذهب إلى إسرائيل لأنني أريد أن أطرح الحقائق كاملة أمام شعب إسرائيل.

إنني ألتمس العذر لكل من أذهله القرار، أو تشكك في سلامة النوايا وراء اعلان القرار فلم يكن أحد يتصور أن رئيس أكبر دولة عربية، تتحمل العبء الأكبر والمسئولية الأولى في قضية الحرب والسلام، في منطقة الشرق الأوسط يمكن أن يعرض قراره بالاستعداد إلى الذهاب إلى أرض الخصم. ونحن لا نزال في حالة حرب، بل نحن جميعا لا نزال نعاني من آثار أربعة حروب قاسية خلال ثلاثين عاما، بل أن

أسر ضحايا حرب أكتوبر ١٩٧٣ لا تزال تعيش مآسي الترمل وفقد الأبناء واستـشهاد الآباء والأخوات.

كما أنني – كما سبق أن أعلنت من قبل – لم أتداول في هذا القرار مع أحد من زملائي وأخوتي رؤساء الدول العربية، أو دول المواجهة .. ولقد اعترض من اتـصل بي منهم بعد اعلان القرار، لأن حالة الشك الكاملة، وفقدان الثقة الكاملة، بـين الـدول العربية والشعب الفلسطيني من جهة وبين إسرائيل من جهة أخرى، لا تزال قائمة فـي كل النفوس، ويكفي أن أشهرا طويلة كان يمكن أن يحل فيها السلام، قد ضاعت سدى، في خلافات ومناقشات لا طائل منها حول اجراءات عقد مؤتمر جنيف، وكلها تعبر عن الشك الكامل، وفقدان الثقة الكاملة.

المخاطرة الكبرى

ولكنني – أصارحكم القول بكل الصدق – أنني اتخذت هذا القرار بعد تفكيـر طويل، وأنا أعلم أنه مخاطرة كبيرة، لأنه إذا كان الله قد كتب لـي قـدري أن أتـولى المسئولية عن شعب مصر، وأن أشارك في مسئولية المصير بالنسبة للشعب العربـي وشعب فلسطين، فإن أول واجبات هذه المسئولية أن استنفد كل السبل، لكي أجنب شعبي المصري العربي، وكل الشعب العربي، ويلات حروب أخرى محطمة، مدمرة، لا يعلم مداها إلا الله.

وقد اقتنعت بعد تفكير طويل، إن أمانة المسئولية أمام الله وأمام الشعب، تفرض علي أن أذهب إلى آخر مكان في العالم .. بل أن أحضر إلى بيت المقدس، لأخاطـب أعضاء الكنيسيت ممثلي شعب اسرائيل بكل الحقائق التي تعمل في نفسي، وأترككم بعد ذلك لكي تقرروا لأنفسكم وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء.

أيها السيدات والسادة:

إن في حياة الأمم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة أن ينظروا إلى ما وراء الماضي بتعقيداته ورواسبه من أجل انطلاقة جسورة نحو آفاق جديدة.

المسئولية وشجاعة القرار

وهؤلاء الذين يتحملون مثلنا تلك المسئولية الملقاة على عاتقنا هم أول من يجب أن تتوفر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية التي تتناسب مع جلال الموقف، ويجب أن نرتفع جميعا فوق جميع صور التعصب وفوق خداع النفس وفوق نظريات التفوق البالية فمن المهم ألا ننسى أبدا أن العصمة لله وحده.

وإذا قلت أنني أريد أن أجنب كل الشعب العربي ويلات حروب جديدة مفجعة، فإنني أعلن أمامكم، بكل الصدق، أنني أحمل نفس المشاعر، وأحمل نفس المسئولية، لكل إنسان في العالم وبالتأكيد نحو الشعب الإسرائيلي.

ضحية الحرب : الإنسان

إن الروح التي تزهق في الحرب، هي روح انسان، سواء كان عربيا أو إسرائيليا.

إن الزوجة التي تترمل .. هي إنسانة من حقها أن تعيش في أسرة سعيدة سواء كانت عربية أو إسرائيلية.

إن الأطفال الأبرياء الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم هم أطفالنا جميعا، على أرض العرب أو في إسرائيل لهم علينا المسئولية الكبرى في أن نوفر لهم الحاضر الهانئ والغد الجميل.

من أجل كل هذا ، ومن أجل أن نحمي حياة أبنائنا وأخواننا جميعا.

من أجل أن تنتج مجتمعاتنا ، وهي آمنة مطمئنة.

من أجل تطور الانسان واسعاده واعطائه حقه في الحياة الكريمة ..

من أجل مسئوليتنا أمام الأجيال المقبلة ..

من أجل بسمة كل طفل يولد على أرضنا ..

من أجل كل هذا اتخذت قراري أن أحضر إليكم - رغم كل المجاذير - لكي أقول كلمتي.

مسئولية تاريخية

ولقد تحملت وأتحمل متطلبات المسئولية التاريخية.

ومن أجل ذلك أعلنت من قبل ومنذ أعوام وبالتحديد في ٤ فبراير ١٩٧١، أنني مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل، وكان هذا هو أول إعلان يصدر من مسئول عربي منذ أن بدأ الصراع العربي الإسرائيلي.

وبكل هذه الدوافع، التي تفرضها مسئولية القيادة أعلنت في السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣ وأمام مجلس الشعب المصري، الدعوة إلى مؤتمر دولي يتقرر فيه السلام العادل الدائم.

ولم أكن في ذلك الوقت في وضع من يستجدي السلام، أو يطلب وقف النار.

وبهذه الدوافع كلها، التي يلزم بها الواجب التاريخي والقيادي، وقعنا اتفاق فك الاشتباك الأول، ثم اتفاق فك الاشتباك الثاني في سيناء. ثم سعينا نطرق الأبواب المفتوحة والمغلقة لايجاد طريق معين نحو سلام دائم عادل وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله لكي تتفهم دوافعنا، وأهدافنا، ولكي تقتنع فعلا، إننا دعاة عدل، وصناع سلام.

وبهذه الدوافع كلها، قررت بأن أحضر إليكم، بعقل مفتوح وقلب مفتوح وإرادة واعية، لكي نقيم السلام الدائم القائم على العدل.

تباشير الأمن والأمان والسلام

وشاءت المقادير أن تجئ رحلتي إليكم، رحلة السلام في يوم العيد الإسلامي الكبير عيد الأضحى المبارك•عيد التضحية والفداء، حين أسلم إبراهيم عليه السلام، جد العرب واليهود. أقول حين أمره الله، وتوجه إليه بكل جوارحه، لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة وعن اختيار حر للتضحية بفلذة كبده، بدافع من إيمانه الراسخ الذي لا يتزعزع بمثل عليا تعطي الحياة مغزى عميقا.

ولعل هذه المصادفة تحمل معنى جديدا، في نفوسنا جميعا، لعله يصبح أملا حقيقيا في تباشير الأمن والأمان والسلام.

الحقائق الخمس

أيها السيدات والسادة ..

دعونا نتصارح، بالكلمة المستقيمة، والفكرة الواضحة التي لا تحمل أي التواء، ودعونا نتصارح اليوم، والعالم كله بغربه وشرقه يتابع هذه اللحظات الفريدة، التي يمكن أن تكون نقطة تحول جذري في مسار التاريخ في هذه المنطقة من العالم، إن لم يكن في العالم كله.

دعونا نتصارح ونحن نجيب على السؤال الكبير: كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم العادل؟

لقد جئت إليكم أحمل جوابي الواضح الصريح على هذا السؤال الكبير، لكي يسمعه الشعب في إسرائيل، ولكي يسمعه العالم أجمع، ولكي يسمعه أيضاً كل أولئك الذين تصل أصوات دعوات أصواتهم المخلصة إلى أذني، أملا في أن تتحقق في النهاية النتائج التي يرجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخي.

وقبل أن أعلن لكم جوابي، أرجو أن أؤكد لكم، إنني أعتمد في هذا الجواب الواضح الصريح، على عدة حقائق لا مهرب لأحد من الاعتراف بها.

الحقيقة الأولى: أنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين.

الحقيقة الثانية: أنني لم أتحدث، ولن أتحدث بلغتين.

ولم أتعامل ولن أتعامل بسياستين.

ولست ألتقي بأحد، إلا بلغة واحدة، وسياسة واحدة، ووجه واحد.

الحقيقة الثالثة: إن المواجهة المباشرة، وأن الخط المستقيم، هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح.

الحقيقة الرابعة: إن دعوة السلام الدائم العادل، المبني على احترام قرارات الأمم المتحدة، أصبحت اليوم دعوة العالم كله، وأصبحت تعبيرا واضحا عن إرادة

المجتمع الدولي، سواء في العواصم الرسمية التي تصنع السياسة والقرار، أو على مستوى الرأي العام العالمي الشعبي، ذلك الرأي العام الذي يؤثر في صنع السياسة واتخاذ القرار.

الحقيقة الخامسة: ولعلها أبرز الحقائق وأوضحها، إن الأمة العربية لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم العامل، من موقع ضعف أو اهتزاز، بل إنها على العكس تماما تملك من مقومات القوة والاستقرار، ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو "السلام"، صادرة عن إدراك حضاري بأنه لكي نتجنب كارثة محققة، علينا وعليكم وعلى العالم كله، فإنه لا بديل عن اقرار سلام دائم وعادل، لا تزعزعه الأنواء ولا تعبث به الشكوك، ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا.

سلام دائم عادل

من واقع هذه الحقائق، التي أردت أن أضعكم في صورتها، كما أراها، أرجو أيضا أن أحذركم أن تطرأ على أذهانكم.

إن واجب المصارحة يقتضي أن أقول لكم ما يلي:

أولاً: إنني لم أجئ إليكم لكي أعقد اتفاقا منفردا بين مصر وإسرائيل. ليس هذا واردا في سياسة مصر، فليست المشكلة هي مصر واسرائيل، وأي سلام منفرد بين مصر واسرائيل أو بين أية دولة من دول المواجهة واسرائيل فإنه لن يقيم السلام الدائم العادل في المنطقة كلها. بل أكثر من ذلك، فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية، فإن ذلك لن يحقق أبدا السلام الدائم العادل الذي يلح العالم كله اليوم عليه.

ثانياً: إنني لم أجئ إليكم لكي أسعى إلى سلام جزئي، بمعنى أن ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة، ثم نرجئ المشكلة برمتها إلى مرحلة تالية.

فليس هذا هو الحل الجذري الذي يصل بنا إلى السلام الدائم.

ويرتبط بهذا إنني لم أجئ إليكم، لكي نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء، أو في سيناء والجولان والضفة الغربية، فإن هذا يعني أننا نؤجل فقط

اشتعال الفتيل إلى أي وقت مقبل.

بل هو يعني، أننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام، وأننا أضعف من أن نتحمل أعباء ومسئوليات السلام الدائم العادل.

لماذا جئت إليكم؟

لقد جئت إليكم، لكي نبني معا، السلام الدائم العادل، حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربي أو إسرائيلي.

ومن أجل هذا أعلنت أنني مستعد أن أذهب إلى آخر العالم.

وهنا، أعود إلى الإجابة على السؤال الكبير: كيف نحقق السلام الدائم العادل؟

في رأيي .. وأعلنها من هذا المنبر للعالم كله، إن الإجابة ليست مستحيلة ولا هي بالعسيرة، على الرغم من مرور أعوام طويلة، من ثأر الدم، والأحقاد والكراهية، وتنشئة أجيال على القطيعة الكاملة والعداء المستحكم.

الإجابة ليست عسيرة ولا هي مستحيلة، إذا طرقنا سبيل الخط المستقيم، بكل الصدق والإيمان.

العيش معا

أنتم تريدون العيش معنا في هذه المنطقة من العالم.

وأنا أقول لكم بكل الاخلاص : إننا نرحب بكم بيننا .. بكل الأمن والأمان.

إن هذا في حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة، من علامات تحول تاريخي حاسم.

لقد كنا نرفضكم، وكانت لنا أسبابنا ودعوانا ..

نعم.

لقد كنا نرفض الاجتماع بكم .. في أي مكان ..

نعم.

لقد كنا نصفكم باسرائيل المزعومة ..

نعم.

لقد كانت تجمعنا المؤتمـــرات أو المنظمات الدولية، وكان ممثلونـــا، ولا يزالون، لا يتبادلون التحية والسلام.

نعم.

حدث هذا ولا يزال يحدث.

لقد كنا نشترط لأي مباحثات، وسيطا يلتقي بكل طرف على انفراد.

نعم.

هكذا تمت مباحثات فض الاشتباك الأول، وهكذا أيضاً تمت مباحثـــات فض الاشتباك الثاني.

كما أن ممثلينا التقوا في مؤتمر جنيف الأول، دون تبادل كلمة مباشرة.

نعم.

هذا حدث.

ولكنني أقول لكم اليوم .. وأعلن للعالم كلـــه .. إننا نقبل بالعيش معكم فـــي ســـلام دائم وعادل، ولا نريد أن نحيطكم أو أن تحيطونـــا بالـــصواريخ المـــستعدة للتدمير، أو بقذاف الأحقاد والكراهية.

ولقد أعلنت أكثر من مرة، أن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعـــة، اعتـــرف بهـــا العالم، وحملت القوتان الأعظم مسئولية أمنها وحماية وجودها.

ولما كنا نريد السلام فعلا وحقا فإننـــا نرحب بأن تعيشوا بيننا فـــي أمـــن وسلام، فعلا وحقا.

وتحطم الجدار في عام ١٩٧٣

لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع، حاولتم أن تبنوه على مدى ربع قـــرن من الزمان، ولكنه تحطم في عام ١٩٧٣.

كان جدارا من الحرب النفسية المستمرة في التهابها وتصاعدها.

كان جدارا من التخويف بالقوة القادرة على اكتساح الأمة العربية من أقـــصاها إلى أقصاها.

كان جدارا من الترويج بأننا أمة تحولت إلى جثة بلا حراك، بل أن منكم من قال أنه حتى بعد مضي خمسين عاما مقبلة، فلن تقوم للعرب قائمة من جديد.

كان جدارا يهدد دائما بالذراع الطويل القادر على الوصول إلى أي موقع وإلى أي بعد.

كان جدارا يحذرنا من الإبادة والفناء، إذا نحن حاولنا أن نستخدم حقنا المشروع في تحرير أرضنا المحتلة.

الجدار الآخر

وعلينا أن نعترف معا، بأن هذا الجدار قد وقع وتحطم في عام ١٩٧٣. ولكن بقي جدار آخر.

هذا الجدار الآخر، يشكل حاجزا نفسيا معقدا بيننا وبينكم حاجزا من الشكوك، حاجزا من النفور، حاجزا من خشية الخداع، حاجزا من الأوهام حول أي تصرف أو فعل أو إقرار، حاجزا من التفسير الحذر الخاطئ لكل حدث أو حديث.

وهذا الحاجز النفسي هو الذي عبرت عنه، في تصريحات رسمية، بأنه يشكل سبعين في المائة من المشكلة.

وإنني أسألكم اليوم -بزيارتي لكم- لماذا لا نمد أيادينا، بصدق وإيمان وإخلاص، لكي نحطم هذا الحاجز معا؟

لماذا لا نتفق إرادتنا، بصدق وإيمان وإخلاص، لكي نزيل معا كل شكوك الخوف والغدر والتواء المقاصد واخفاء حقائق النوايا؟

لماذا لا نتصدى معا بشجاعة الرجال، وبجسارة الأبطال الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى؟

لماذا لا نتصدى معا بهذه الشجاعة والجسارة لكي نقيم صرحا شامخا للسلام، يحمي ولا يهدد .. يشع لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الإنسانية نحو البناء والتطور ورفعة الإنسان؟..

لماذا نورث هذه الأجيال نتائج سفك الدماء، وازهاق الأرواح، وتيتيم الأطفال، وترمل الزوجات، وهدم الأسر، وأنين الضحايا.

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق أوردها في أمثال سليمان الحكيم.

"الغش في قلب الذين يفكرون في الشر، أما المشيرون بالسلام فلهم فرح".

"لقمة يابسة ومعها سلامة، خير من بيت ملئ بالذبائح مع الخصام".

لماذا لا نردد معا من مزامير داود النبي.

"إليك يا رب أصرخ .. اسمع صوت تضرعي إذا استغثت بك، وارفع يدي إلى محراب قدسك، لا تجذبني مع الأشرار، ومع فعلة الاثم، المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم اعطهم حسب فعلهم، وحسب شر أعمالهم، أطلب السلامة واسعى وراءها".

لن يجدي التوسع شيئــــا

أيها السادة ..

الحق أقول لكم أن السلام لن يكون اسما على مسمى ما لم يكن قائما على العدالة وليس على احتلال أرض الغير.

ولا يسوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم.

وبكل صراحة، وبالروح التي حدت بي إلى القدوم إليكم اليوم فإني أقول لكم: إن عليكم أن تتخلوا نهائياً عن أحلام الغزو وأن تتخلوا أيضا عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب.

إن عليكم أن تستوعبوا جيدا دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئا.

ولكي نتكلم بوضوح فإن أرضنا لا تقبل المساومة. وليست عرضة للجدل.

إن التراب الوطني والقومي يعتبر لدينا في منزلة الوادي المقدس طوى الذي كلم فيه الله موسى عليه السلام "ولا يملك أي منا، ولا يقبل، أن يتنازل عن شبر واحد منه، أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه".

فرصة السلام

والحق أقول لكم أيضاً: أن أمامنا اليوم الفرصة السانحة للسلام وهي فرصة لا يمكن أن يجود بمثلها الزمان إذا كنا جادين حقا في النضال من أجل السلام.

وهي فرصة، لو أضعناها أو بددناها، فلسوف تحل بالمتآمر عليها، لعنة الإنسانية ولعنة التاريخ.

ما هو السلام بالنسبة لإسرائيل؟

أن تعيش في المنطقة مع جيرانها العرب .. في أمن وإطمئنان ..

هذا منطق أقول له نعم.

أن تعيش إسرائيل في حدودها، آمنة من أي عدوان.

هذا منطق أقول له نعم.

أن تحصل إسرائيل على كل أنواع الضمانات التي تؤمن لها هاتين الحقيقتين.

هذا مطلب أقول له نعم.

بل أننا نعلن أننا نقبل كل الضمانات الدولية التي تتصورونها وممن ترضونه أنتم.

نعلن أننا نقبل كل الضمانات التي تريدونها من القوتين الأعظم، أو من إحداهما، أو من الخمسة الكبار، أو من بعضهم.

وأعود فأعلن بكل الوضوح. إننا قابلون بأي ضمانات ترضونها لأننا في المقابل، سنأخذ نفس الضمانات.

خلاصة القول إذن عندما نسأل: ما هو السلام بالنسبة لإسرائيل؟

يكون الرد هو أن تعيش إسرائيل في حدودها مع جيرانها العرب في أمن وأمان وفي إطار كل ما ترتضيه من ضمانات يحصل عليها الطرف الآخر.

السلام مستحيل مع الإحتلال

ولكن كيف يتحقق هذا؟

كيف يمكن أن نصل إلى هذه النتيجة لكي نصل بها إلى السلام الدائم العادل؟

هناك حقائق لابد من مواجهتها بكل شجاعة ووضوح.

هناك أرض عربية احتلتها –ولا تزال تحتلها– اسرائيل بالقوة المسلحة ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية .. القدس التي حضرت إليها باعتبارها مدينة السلام . والتي كانت وسوف تظل على الدوام التجسيد الحي للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث.

وليس من المقبول أن يفكر أحد في الوضع الخاص لمدينة القدس في إطار الضم أو التوسع، وإنما يجب أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين.

وأهم من كل هذا فإن تلك المدينة يجب ألا تفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقراً ومقاماً لعدة قرون. وبدلا من ايقاظ أحقاد الحروب الصليبية، فإننا يجب أن نحيي روح عمر بن الخطاب وصلاح الدين .. أي روح التسامح واحترام الحقوق.

إن دور العبادة الإسلامية والمسيحية ليست مجرد أماكن لأداء الفرائض والشعائر بل إنها تقوم شاهد صدق على وجودنا الذي لم ينقطع في هذا المكان سياسيا وروحيا وفكرياً.

وهنا، فإنه يجب ألا يخطئ أحد تقدير الأهمية والإجلال اللذين نكنهما للقدس، نحن معشر المسيحيين والمسلمين.

لا أتقدم برجاء

ودعوني أقول لكم بلا أدنى تردد، أنني لم أجئ إليكم تحت هذه القبة لكي أتقدم برجاء أن تجلو قواتكم من الأرض المحتلة.

إن الإنسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ، أمر بديهي لا نقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد.

ولا معنى لأي حديث عن السلام الدائم العادل ولا معنى لأي خطـوة لـضمان حياتنا معا في هذه المنطقة من العالم في أمن وأمان، وأنتم تحتلون أرضاً عربياً بـالقوة المسلحة، فليس هنالك سلام يستقيم أو يبنى مع احتلال أرض الغير.

نعم. هذه بديهية لا تقبل الجدل والنقاش إذا خلصت النوايا، وصـدق النـضال لاقرار السلام الدائم العادل لجيلنا ولكل أجيال من بعدنا.

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية، فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلهـا، وليس هناك من يقبل اليوم في العالم كله شعارات رفعت هنا فـي إسـرائيل، تتجاهـل وجود شعب فلسطين بل وتساءل أين هو هذا الشعب؟

إن قضية شعب فلسطين. وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو إنكار من أحد.

بل لا يحتمل عقل يفكر أن تكون موضع تجاهل أو انكار.

إنها واقع استقبله المجتمع الدولي، غربا وشرقا. بالتأييد والمساندة والاعتـراف في مواثيق دولية، وبيانات رسمية لن يجدي أحد أن يصم آذانه عن دويها المسموع ليل نهار أو أن يغمض عينيه عن حقيقتها التاريخية، وحتى الولايات المتحـدة الأمريكيـة، حليفكم الأول التي تحمل قمة الإلتزام لحماية وجود إسرائيل وأمنها والتي قدمت –وتقدم إلى إسرائيل– كل عون معنوي ومادي وعسكري.

أقول حتى الولايات المتحدة اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع وأن تعترف بأن الشعب الفلسطيني حقوقا مشروعة وأن المشكلة الفلسطينية هي قلب الصراع وجوهره، وطالما بقيت معلقة دون حل، فإن النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ أبعـادا جديـدة، وبكل الصدق أقول لكم أن السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين وأنه لخطأ جسيم لا يعلم مداه أحد أن نغض الطرف عن تلك القضية أو أن ننحيها جانبا.

ولن أستطرد في سرد أحداث الماضي منذ صدر وعد بلفور لستين عاما خلت، فأنتم على بينة من الحقائق جيدا.

وإذا كنتم قد وجدتم المبرر القانوني والأخلاقي لإقامة وطن قومي على أرض لم تكن كلها ملكا لكم، فأولى بكم أن تتفهموا إصرار شعب فلسطين على إقامة دولته من جديد في وطنه.

وحين يطالب بعض الغالة والمتطرفين أن يتخلى الفلسطينيون عن هذا الهدف الأسمى، فإن معناه في الواقع وحقيقة الأمر مطالبة له بالتخلي عن هويتهم، وعن كل أمل لهم في المستقبل.

إنني أحيي أصواتا اسرائيلية، طالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، وصولا إلى السلام، وضمانا له.

ولذلك، فإنني أقول لكم أيها السيدات والسادة أنه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطيني وحقوقه في إقامة دولته وفي العودة.

لقد مررنا نحن العرب بهذه التجربة من قبل، معكم، ومع حقيقة الوجود الإسرائيلي وانتقل بنا الصراع، من حرب إلى حرب، ومن ضحايا إلى مزيد من الضحايا حتى وصلنا اليوم – نحن وأنتم – إلى حافة هاوية رهيبة، وكارثة مروعة إذا نحن لم نغتنم اليوم معا فرصة السلام الدائم العادل.

عليكم أن تواجهوا الواقع مواجهة شجاعة، كما واجهته أنا.

ولا حل لمشكلة أبدا بالهروب منها أو التعالي عليها.

ولا يمكن أن يستقر سلام، بمحاولة فرض أوضاع وهمية، أدار لها العالم كله ظهره، وأعلن نداءه الاجماعي بوجوب احترام الحق والحقيقة.

ولا داعي للدخول في الحلقة المفرغة مع الحق الفلسطيني.

ولا جدوى من خلق العقبات، إلا أن تتأخر مسيرة السلام.

أو أن يقتل السلام.

وكما قلت لكم، فلا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين، كما أن المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح.

والمواجهة المباشرة للمشكلة الفلسطينية، واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم عادل، هي في أن تقوم دولته.

ومع كل الضمانات الدولية التي تطلبونها، فلا يجوز أن يكون هناك خوف من دولة وليدة تحتاج إلى معونة كل دول العالم لقيامها.

وعندما تدق أجراس السلام فلن توجد يد لتدق طبول الحرب وإذا وجدت فلن يسمع لها صوت.

السلام كتابة جديدة للتاريخ

وتصوروا معي اتفاق سلام في جنيف ، نزفه إلى العالم المتعطش إلى السلام.

اتفاق سلام يقول على:

أولاً : إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية التي احتلت في عام ١٩٦٧.

ثانياً: تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير بما في ذلك حقه في إقامة دولته.

ثالثاً: حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقيق الأمن المناسب للحدود الدولية، بالإضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة.

رابعاً: تلتزم كل دول المنطقة بإدارة العلاقات فيما بينها طبقاً لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وبصفة خاصة عدم الإلتجاء إلى القوة، وحل الخلافات بينهم بالوسائل السلمية.

خامساً: إنهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة.

كتابة جديدة للتاريخ

أيها السيدات والسادة ..

أن السلام ليس توقيعا على سطور مكتوبة، بل أنه كتابة جديدة للتاريخ.

أن السلام ليس مباراة في المناداة به للدفاع عن أية شهوات أو لستر أية أطماع، فالسلام في جوهره نضال جبار ضد كل الأطماع والشهوات.

ولعل تجارب التاريخ القديم والحديث تعلمنا جميعا، أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية لا يمكن أن تقيم الأمن، ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الأمن.

وعلينا ..

من أجل شعوبنا ..

من أجل حضارة صنعها الإنسان، أن تحمي الإنسان في كل مكان .. من سلطان قوة السلاح.

علينا أن نعلى سلطان الإنسانية بكل قوة القيم والمبادئ التي تعطي مكانة الإنسان.

رسالة السلام

وإذا سمحتم لي، أن أتوجه بندائي من هذا المنبر إلى شعب إسرائيل .. فإنني أتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة إلى كل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل.

أنني أحمل إليكم من شعب مصر الذي يبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل السلام.

أحمل إليكم رسالة السلام رسالة شعب مصر الذي لا يعرف التعصب، والذي يعيش أبناؤه من مسلمين ومسيحيين ويهود بروح المودة والحب والتسامح.

هذه هي مصر، التي حملني شعبها أمانة الرسالة المقدسة .. رسالة الأمن والأمان والسلام.

نضال السلام

فيا كل رجل وامرأة وطفل في اسرائيل .. شجعوا قياداتكم على نضال السلام.

ولتتجه الجهود إلى بناء صرح شامخ للسلام، بدلا من بناء القلاع والمخابئ المحصنة بصواريخ الدمار.

قدموا للعالم كله، صورة الإنسان الجديد، في هذه المنطقة من العالم، لكي يكون قدوة لإنسان العصر .. إنسان السلام في كل موقع ومكان.

بشروا أبناءكم .. إن ما مضى، هو آخر الحروب ونهاية الآلام، وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة، للحياة الجديدة .. حياة الحب والخير والحرية والسلام.

ويا أيتها الأم الثكلى ..

ويا أيتها الزوجة المترملة ..

ويا أيها الابن الذي فقد الأخ والأب ..

يا كل ضحايا الحروب ..

املأوا الأرض والفضاء ، بتراتيل السلام ..

املأوا الصدور والقلوب ، بآمال السلام ..

اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر ..

اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال ..

وارادة الشعوب هي من إرادة الله ..

معركة السلام العادل والدائم

أيها السيدات والسادة ..

قبل أن أصل إلى هذا المكان، توجهت بكل نبضة في قلبي، وبكل خلجة في ضميري، إلى الله سبحانه وتعالى، وأنا أؤدي صلاة العيد في المسجد الأقصى، وأنا أزور كنيسة القيامة، توجهت إلى الله سبحانه وتعالى، بالدعاء أن يلهمني القوة، وأن يؤكد يقين إيماني، بأن تحقق هذه الزيارة أهدافها، التي أرجوها من أجل حاضر سعيد، ومستقبل أكثر سعادة ..

لقد اخترت أن أخرج على كل السوابق والتقاليد التي عرفتها الدول المتحاربة، ورغم أن احتلال الأرض العربية لازال قائماً، بل كان اعلاني عن استعدادي للحضور إلى إسرائيل مفاجأة كبرى هزت كثيراً من المشاعر، وأذهلت كثيرا من العقول، بل شككت في نواياها بعض الآراء، برغم كل ذلك فإنني استهلمت القرار بكل صفاء الإيمان وطهارته، وبكل التعبير الصادق عن ارادة شعبي ونواياه، واخترت هذا الطريق الصعب، بل أنه في نظر الكثيرين أصعب طريق.

اخترت أن أحضر إليكم .. بالقلب المفتوح والفكر المفتوح.

اخترت أن أعطي هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام.

اخترت أن أقدم لكم -وفي بيتكم- الحقائق المجردة عن الأغراض والأهواء.

لا مناورات لكسب جولات

لا لكي أناور.

ولا لكي أكسب جولة.

ولكن لكي نكسب معا، أخطر الجولات والمعارك في التاريخ المعاصر.

معركة السلام العادل والدائم.

إنها ليست معركتي فقط، ولا هي معركة القيادات فقط في اسرائيل. ولكنها معركة كل مواطن على أرضنا جميعا، من حقه أن يعيش في سلام.

إنها التزام الضمير والمسئولية في قلوب الملايين.

ولقد تساءل الكثيرون، عندما طرحت هذه المبادرة، عن تصوري لما يمكن انجازه في هذه الزيارة، وتوقعاتي منها.

وكما أجبت السائلين، فإنني أعلن أمامكم أنني لم أفكر في القيام بهذه المبادرة من منطلق ما يمكن تحقيقه أثناء الزيارة، وإنما جئت هنا لكي أبلغ رسالة.

ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

اللهم إنني أردد مع زكريا قوله: "احبوا الحق والسلام".

واستلهم آيات الله العزيز الحكيم حين قال: "قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما

أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أؤتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون".

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ..

وفي فندق الملك داود تقابل أنور السادات ومناحم بيجن منفردين وقال السادات إنه لم يأت للقدس إلا للمطالبة بحقوق الفلسطينيين. وليس لطلب صلح منفرد مع إسرائيل وعند ذلك قال بيجن إن إسرائيل على استعداد للجلاء عن سيناء في مقابل السلام. وقرر السادات أنه لن يحرك جيشه شرق الممرات حتى تطمئن اسرائيل لجدية مصر في حل المشكلة. بالمفاوضات والابتعاد عن الحرب. ومهما حدث فلنستمر أصدقاء بذلك صرح السادات وأما بيجن فقد صرح بأن صلة جميلة كانت بينه وبين السادات حتى أنهما تبادلا النكات.

وفي يوم ٢٠ نوفمبر في اليوم التالي لوصوله كان عيد الفطر كما ذكره فذهب السادات ليصلي في المسجد الأقصى وقد تولى الحراسة أكثر من ٦٠٠٠ جندي إذ أن الملك عبد الله قتل في هذا المكان من حوالي ٢٤ عاما وطالب الإمام في خطبة الجمعة أن ينقذ القدس الشرقية وأن يدافع عن حقوق الفلسطينيين. وبعد الصلاة توجه السادات بمصاحبة بيجن إلى "باد فاشيم" النصب التذكاري للهولوكست في القدس الغربية.

وكما ذكرنا لم يقبل السادات أن يلبس القبعة الصغيرة السوداء التي يلبسها اليهود عند دخول معابدهم، ربما خوفا من أن يأخذ أعداؤه هذه الصورة وينشروها على أنه لبس قبعة اليهود السوداء.

والحادث الرئيسي للزيارة وهي الخطبة التي سيلقيها في الكنيست مساء هذا اليوم. تكلم السادات باللغة العربية.

وقد سجلنا خطبة السادات كما خطبها لأنها وثيقة تاريخية هامة وأن دلت فإنها تدل على شجاعة السادات وإيمانه الحقيقي بالسلام ..

وقد أشار السادات إلى المبادئ العامة التي تؤدي إلى تحقيق سلام مبني على

العدل وهو جلاء القوات الإسرائيلية عن الأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ وحق الفلسطينيي في تقرير المصير. وحق جميع الدول في المنطقة أن تحيا في سلام وفي حدود آمنة وبضمان دولي ثم ناشد مباشرة الشعب الإسرائيلي بأن يشجع قيادته على السير في طريق السلام.

وبالرغم من أن السادات لم يذكر منظمة التحرير الفلسطينية وذكر حدودا آمنة وقد قال وايزمان أنه اندهش بالكلمات التي قالها السادات وأحس بأن هناك تهديدا تتضمنه هذه الكلمات ولكن ما خفف وقع هذه الكلمات أنه يقف هناك وحيدا أمام أعدائه يحمل غصنا من الزيتون".

وأما بيجن فقد كان غير متجاوب مع الطلبات التي جاءت في خطاب السادات وعدد الاعتداءات العربية التي نريد أن تقضي على الدولة اليهودية ثم أكد على رغبة إسرائيل في إقامة سلام. ثم علق قائلا أنه هناك اختلافاً بيننا وبين جيراننا العرب على الحدود الآمنة وأننا نترك الباب مفتوحا لحوار ومفاوضات في المستقبل وقال إن كل خلاف خاضع للتفاوض ثم أعلن أنه بالنسبة للقدس فإنها لن تعود مرة أخرى كمدينة منقسمة.

الخلافات بين السادات وبيجن كانت واضحة من البداية وستبدو هذه الخلافات أكثر وضوحا في السنتين القادمتين. إنهما يرغبان في السلام السادات يريد أن يحقق السلام سريعا وأما بيجن فهو يريد السلام ولكن يريد أن يتقدم خطوة بخطوة.

وعندما سمع المصريون خطبة بيجن أخذوا بنغمة التشدد وعدم المرونة خصوصا بالنسبة لحق الفلسطينيين في تقرير المصير والجمود في موقف اسرائيل الذي كان السادات يبحث عنه بزيارته للقدس.

وكان العشاء في تلك الليلة كان أعضاء الوفد المصري متأثرين بما قاله بيجن في خطبته وجلس الجميع صامتين يخيم عليهم الوجوم كأنهم عادوا لتوهم من جنازة وهذا ما سجله وايزمان في كتابه "المعركة في سبيل السلام" وقد زاد من المأساة والحزن المخيم عليه أقارب الذين قتلوا أو جرحوا في الحروب السابقة وتكلم وايزمان

عن ابنه الذي أصيب بجرح في رأسه أثناء حرب الاستنزاف وتحدث التهامي عن أخ السادات غير الشقيق الذي استشهد في حرب ١٩٧٣ وعن شقيق ديان وشقيق نائب رئيس الوزراء اللذين قتلا في حرب ١٩٤٨.

وبعد العشاء وايزمان وبادين اجتمعا مع بطرس غالي وزير الدولة للشئون الخارجية ومصطفى خليل السكرتير العام للحزب الحاكم .. واستمروا في الحديث حتى وقت متأخر من الليل وتكلم مصطفى خليل عن أن مصر لا تستطيع أن تتحمل نفقات الحرب. وأنه ليس هناك أي أمل في حل المشكلة بالقوة العسكرية وأن السلام أصبح ضروريا والبلدان مصر واسرائيل في حاجة ملحة للسلام.

وأحب السادات وايزمان وفي اجتماع في اليوم التالي تبادلا الذكريات وقال السادات أنه سينظم له اجتماعا مع وزير الدفاع المصري الجنرال الجمصي – وقابل السادات وفدا من سكان الضفة الغربية وغزة وبعضهم يؤيد منظمة التحرير الفلسطينيين وبعضهم يؤيد قيام حكومة فلسطينية .. وبعضهم يفضلون حكومة اتحادية مع الأردن.

وانتهت الزيارة بعقد مؤتمر صحفي ووقف الزعيمان مناحم بيجن وأنور السادات ووعد الزعيمان بأنه ليس هناك حرب أخرى بين البلدين وتحدث السادات عن اجتماع آخر في المستقبل.

وبالرغم من الهوة المتسعة بين مواقف البلدين وقد انعكس هذا الخلاف إذا قارنا بين خطبتي السادات وبيجن في الكنيست. فإن الزيارة كانت خطرة هامة على طريق السلام .

وكان هناك شبه اتفاق على أن تنسحب إسرائيل من سيناء على أن تصبح منزوعة السلاح.

وقد كان هناك تأثيرات عميقة للزيارة. وقد استمرت الحروب بين العرب واسرائيل، واليوم ها هو أكبر زعيم في العالم العربي يؤمن بالسلام ويضع روحه على كفه إيمانا به. ذلك القائد الذي خاض حربا كلفت اسرائيل كثيرا وانتصر فيها المصريون في عدة معارك على الجيش الإسرائيلي. وخلال هذه السنين منذ أن قامت اسرائيل في

١٩٤٨ لم يكن هناك زعيم عربي يجرؤ على أن يفاوض مباشرة مـع الإسـرائيليين. واليوم هناك زعيم عربي يتحدث بشجاعة ويريد أن يعقد سلاما مع إسرائيل.

وفي مصر أيضاً حطمت الزيارة الحاجز النفسي .. والنظرة التقليدية للحركـة الصهيونية التي كانت تشبهها بالشيطان تغيرت إلى نظرة معقولة .. وقد أخذ المصريون بلقاء الإسرائيليين لرئيسهم وترحيبهم به وتوقف راديو مصر على وصـف اسـرائيل بالعدو الصهيوني وجاء بعض الصحفيين المصريين حيث قـابلوا زعمـاء اسـرائيل والرسميين والرجال العاديين لأول مرة في التاريخ. وكتبوا عن اسـرائيل مقـالات تصفها كما هي وليسـت كالمقالات التي كانت تمليها الدعاية المعادية لإسرائيل.

وقد أصابت زيارة السادات العالم العربي بصدمة وظن المعارضون أنها مقدمة لبيع القضية الفلسطينية، وعقد صلح منفرد مع إسرائيل تبعد مصر وهي أكبـر دولـة عربية عن حلبة الصراع . وقد كان تأثيرها على الفلسطينيين أكبر فقد صـرح كمـال خالد (أبو داود) عضو منظمة التحرير بأن الدموع سالت من مآقي بعض الأعضاء وهم يشاهدون زعيم أكبر دولة عربية يخرج من الطائرة في مطار بن جوربون.

وفي ٢٢ نوفمبر أصدر الأسد وعرفات بيانا مشتركا ينكـران فيـه الزيـارة ويتوعدان بأنهما سيستخدمان كل ما لديهم من قوة لتصفية الآثار التي ترتبت على هـذه الزيارة.

وقد أهابا بالشعب المصري أن يقاوم الخيانة للأمة العربية . وفي اليوم التـالي أمر السادات بإغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وكذلك إذاعة صوت فلسطين.

الفصل السابع

أثر الزيارة في إسرائيل

إن زيارة السادات لإسرائيل كانت تشبه الزلزال الذي ضرب أرض إسرائيل وانطلقت الأقلام الإسرائيلية تكتب عن الآمال الذي سيحققها السلام والتعاون في مجالات الزراعة والعلم والثقافة. وفي تل أبيب نشرت إحدى شركات السياحة الإسرائيلية اعلانات عن زيارة الأهرام .. رحلة نبيلية وبدأت أغاني للسلام تصدح من الإذاعات الإسرائيلية وبدأت مناقشات عامة عما سيحدثه السلام في المنطقة من تغير وعن العلاقات بين المصريين الإسرائيليين وعن اندماج إسرائيل في المنطقة. وبدأ الرأي العام في إسرائيل يتحول إلى مآزرة السلام. وأما في مصر فقد بدأت المقالات التي تبشر بالرخاء الذي ستنعم به مصر بعد أن يتحقق السلام. وتغيير البرنامج الإذاعي "صوت من ميدان المعركة" إلى "أعلام السلام". ولم تعد الإذاعة المصرية ولا الصحافة المصرية تطلق على منظمة التحرير الفلسطينية أنها الممثل الأمين للشعب الفلسطيني.

لقد كان المصريون يخشون أن تقوم اسرائيل بإهانة رئيسهم بل كانوا كذلك يخشون أن تكون هناك محاولة اسرائيلية لقتله . ولكن هذا الاستقبال الحماسي والودي من الجماهير الإسرائيلية التي اصطفت على جوانب الطريق جعلت المصريين يشعرون بالسعادة ويحسون بالامتنان للإسرائيليين. وتوالت آلاف البرقيات من المثقفين في اسرائيل تحث السادات على أن يحقق السلام بدلا من الحرب التي يسقط فيها الشهداء على أرض سيناء.

وكتب الصحفيون الذين رافقوا السادات أن إسرائيل تتمتع بنظام ديموقراطي وأحسوا بالفرق بين التقدم والحضارة في أرض اسرائيل والتخلف في الأراضي الفلسطينية.

وبذلك يكون الصراع ليس بين جيشين وإنما الصراع بين الحضارة والتخلف بين حكام القرن الوسطى في العالم وحكام العصر الحديث بين أن يكون الحاكم كابن جوريون يبني دولة حديثة يسكنها مواطن له حقوق وبين دولة يحكمها ديكتاتور كجمال عبد الناصر ينشر فيها الخوف والرعب بن جوريون بعد أن بني دولة يستقيل من الحكم ويتولى بعده موسى شاريت وبين جمال عبد الناصر الذي قضي على كل منافسيه من محمد نجيب ورشاد مهنا وجميع من عاونوه ليستولي على السلطة وبدلا من تحقيق نظام ديموقراطي كرس حكم الفرد الذي قاد إلى هزيمة سنة ١٩٦٧. وقد كان هناك أصوات معارضة مثل إسماعيل فهمي الذي استقال من وزارة الخارجية ليحتج على زيارة السادات قال عن السادات إنه يريد أن يفتح مصحة عقلية ليعالج فيها الإسرائيليين وأنه هناك فرق بين مبادرة مخططة تخطيطا جيدا للوصول إلى هدف والتمثيل التليفزيوني. وأما الشيوعيون فقد وزعوا منشورات يعارضون فيه مبادرة السادات ولكن لا يعارضون السلام. واستقال سفير مصر في يوغسلافيا احتجاجا على هذه المبادرة. وأما الأمريكان ولو أنهم لم يعلنوها رسمياً اعتقدوا أنهم قد أبعدوا عن المفاوضات مادامت مصر اتصلت بإسرائيل مباشرة. وكان الأمريكان يريدون أن يشتركوا في المفاوضات بتفاصيلها وتكون لهم معرفة مسبقة بالاتصالات بين مصر واسرائيل. وأما الروس فقد عرفوا أن السادات لا يريد أن يكون لهم تأثير في المفاوضات .. وخشوا إذا ضغطوا على مصر أن يؤثر ذلك في سياسة المهادنة التي تمت بينهم وبين الولايات المتحدة. كما كان هناك بين الاسرائيليين خصوصا بين أتباع بيجن اللذين يعتبرون أن الضفة الغربية جزء من إسرائيل ويخشون أن تؤدي مباحثات السلام إلى التخلي عن الضفة الغربية وعلت صرخات الاحتجاج من جانب اليمين المتعصب وهم أنصار بيجن الذين أتوا به للحكم وملأ الخوف قلوب سكان المستوطنات التي أقامها المستوطنون في الأراضي المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ وخشوا أن يتنازل بيجن عن هذه المستوطنات في مقابل السلام وتحت الضغوط التي أثارتها زيارة السادات للقدس.

وعندما بدأ السادات يبحث عن تأييد الدول العربية بدأ بالمملكة السعودية لما لها

من تأثير مادي وسياسي في العالم العربي وعندما عاد السادات إلى مصر أرسل إلى الأمير فهد حتى يخبره بخطوات مصر ولكن السعودية تصرفت ببرود تام ولم تأخذ موقفا واضحا من مبادرة السادات وأعلنت الحكومة السعودية أنها لا تقبل إلا بجلاء القوات الإسرائيلية عن الأراضي التي احتلتها في سنة ١٩٦٧ وإعادة القدس الشرقية للعرب. ولم يتحرك السعوديون نحو مساعدة السادات أو الوقوف ضده بل آثروا الانتظار، وكانت المعضلة بالنسبة للسلام أن إسرائيل لا تريد الانسحاب من الضفة الغربية وأن القدس الشرقية لا يمكن أن تعود للعرب .. حيث أن الضفة الغربية هي جزء من الأراضي التي وعد بها الرب بني اسرائيل في الإنجيل كما أن لديها دوافع أمنية للاحتفاظ بالضفة الغربية والضفة الغربية ملاصقة لإسرائيل ويمكن الهجوم منها على اسرائيل، يهدد أمنها أو يهدد بقاءها كدولة. وبعد زيارة القدس لم يكن عند السادات أي أمل أن تتعاون هيئة التحرير الفلسطينية ولأن اسرائيل كذلك ترفض التعامل معها وتزعم أنها هيئة إرهابية .. واقترح السادات أن تعود الضفغة الغربية إلى شرق الأردن كمرحلة انتقالية .. وطالب السادات لقاء الملك حسين الذي قام به في ديسمبر سنة ١٩٧٧ وعرض السادات فكرة وضع الضفة الغربية تحت حكم شرق الأردن ولكن الملك حسين لم يبد حماساً وخاف أن يعارض العالم العربي إذا تعاون مع السادات كما ذكر السادات بقرار مؤتمر الرباط الذي أعلن أن الملك حسين ليس من حقه أن يحكم الضفة الغربية. وكان الملك حسين كارها أن يقف ضد العالم العربي وكذلك كان غاضبا من أن السادات لم يستشره في ذهابه للقدس ولكنه لم يعارض أو يوافق السادات ولكنه استمر في عمان ينتظر ربما تعلن اسرائيل بناء على ضغط من أمريكا مبادئ لفض النزاع خصوصا إذا تم الاتفاق بين اسرائيل ومصر بالنسبة للأراضي المحتلة من ١٩٦٧ مما سيؤدي إلى اشتراك الأردن في المفاوضات.

وقد أصدر الملك حسين بيانا يشيد بشجاعة السادات. ويركز على تضامن العرب حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى حل جماعي. وكان الملك حسين يخشى أن تفشل مبادرة السادات وكذلك كان يضع في اعتباره موقف سوريا والعراق ومنظمة التحرير

الفلسطينية.

والاجتماعات السرية بين الاسرائيليين بدأت حتى قبل حرب ١٩٦٧ وأول من قابل الملك حسين بعد حرب ١٩٦٧ هو ايجال ألون وزير العمل الإسرائيلي.

وكانت هناك خطة لايجاد حلول لمشاكل حكم الضفة الغربية وفي هذا الاجتماع الذي تم في أوائل سنة ١٩٧٨ عرض إيجال آلون هذه الخطة على الملك حسين. وبمساعدة خريطة وضح ألون النقط الأساسية لهذه الخطة .. وكانت الخطة ترمي إلى أن تتحكم اسرائيل في وادي الأردن وفي الممرات الموجودة في الضفة الغربية ولكن الخطة كانت لا ترمي إلى السيطرة على الناس في الضفة الغربية وفي محادثاته مع اسرائيل كان الملك حسين صريحا "أنه لا يستطيع أن يعقد أي اتفاق مع اسرائيل إلا إذا عادت جميع الأراضي التي احتلتها اسرائيل بعد ١٩٦٧ وخصوصا القدس الشرقية. إذا أراد الإسرائيليون عدم إعادة هذه الأرض فعليهم أن يبلعوا كبرياءهم ويتفاوضوا مع ياسر عرفات. وتقريبا معظم زعماء اسرائيل قد تقابلوا مع الملك حسين. وقد عقدت هذه الاجتماعات في عدة أماكن منها صحراء النجف وتل أبيب وقد قابل رئيس وزراء اسرائيل ايزاك رابين ثمانية مرات .. وقد أهداه الملك سيفا وأهدى آبا ابيان قلما من الذهب وأهدى رابين للملك حسين مسدسا مصنوعاً في اسرائيل. وقد عرضت خطة ايجال ألون على الملك حتى قال له رئيس الوزراء الأردني زيد الرفاعي "ايجال هذا يكفي فإن هذه الخطة لا يمكن الموافقة عليها وقد قال الملك حسين إلى رابين محذرا" إن السادات سيخونكم كما خانني، إن السادات مكار . وبينما كان يقول للإسرائيليين ألا يثقوا في السادات ألا أنه كان يخبر السادات باتصالاته الإسرائيلية وكان زيد الرفاعي يقول للإسرائيليين أنه لو عادت الضفة الغربية للملك حسين ستجدون سكانها يقفون صفوفاً لتحيته ولتقبيل يده.

لقد كان الملك حسين أول من أجري اتصالات سرية مع الاسرائيليين ولكنه كان حريصا على إحاطتها بالسرية التامة وعندما دعاه السادات للاشتراك معه في مبادرته لم يستجب. وكان هناك غضب عارم يشتعل في قلوب الجماهير العربية التي كانت

تتهمه بالخيانة. وكان السادات يتألم كثير عندما لم يتقبل العرب مبادرته وأحس بعزلته عن العالم العربي وصرح بأن السوريين يريدون أن نقوم بالأعمال القذرة نيابة عنهم" ثم أضاف "إني متقدم عنهم أكثر من مائة عام" واجتمع العرب في مؤتمر في طرابلس في ليبيا حيث كان العراقيون يشتمون السادات ومعمر القذافي يعلن أنه لا يكفي أن تقطع العلاقات الدبلوماسية بمصر بل إنه يجب على العرب أن يتحدوا لاسقاط نظامه. وقد حاول القذافي ذلك ولكنه لم ينجح. وانتهى المؤتمر والعرب مختلفون وترك العراقيون المؤتمر في غضب لرفض مقترحاتهم. ولم يظهر عرفات في الجلسة الأخيرة للمؤتمر وأرسل أحد معاونيه لتوقيع الاعلان النهائي للمؤتمر. وأعلن المؤتمر خلق جبهة الرفض وقرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر والتشديد على مقاطعة اسرائيل وقطع جميع العلاقات الاقتصادية مع مصر ونقل مكاتب الجامعة العربية إلى تونس وفصل مصر من الجامعة العربية. وعندما عاد السادات إلى القاهرة – دعا إلى مؤتمر لبحث مستقبل السلام وقد وجه الدعوة إلى كل الدول التي وافقت على الحضور إلى مؤتمر جنيف. ولم يكن السادات ساذجا فقد كان يعرف مقدما أن أي دولة عربية لن تحضر كما أن الاتحاد السوفييتي لن يحضر إلى مؤتمر يعقد في القاهرة. لقد قضت زيارة القدس على فكرة عقد مؤتمر جنيف نهائيا وعند ذلك صرح السادات "الدعوة ستوجه إلى الجميع ومن يريد أن يحضر فليحضر وكان السادات يعلم أنه لن يحضر أحد من الذين دعاهم سوى اسرائيل وربما الولايات المتحدة وهذا ما حدث بالفعل لم يحضر أحد. وكان رد السادات أن قطع العلاقات الدبلوماسية مع جميع الدول التي حضرت مؤتمر طرابلس وأغلق المكاتب الثقافية لدول الكتلة الشرقية التي عارضت مبادرته وفي نفس الوقت فتح القاهرة للصحفيين الإسرائيليين.

وبينما كان الصحفيون الإسرائيليون يتجولون في شوارع القاهرة في ديسمبر ١٩٧٧ سافر موسى ديان وزير الخارجية إلى الرباط حيث قابل سرا حسن التهامي .. وكانت المقابلة تتسم بالصراحة فقد عرض ديان أن يكون لمصر السيطرة على كل سيناء وهو يركز أن هذا اقتراحا وليس مشروعا للصلح. وسأل التهامي ما الفرق بين

الاقتراح والمشروع فقال ديان الاقتراح يتحول إلى مشروع إذا وافق الطرفان عليه أما إذا لم يوافق أحد الطرفين فيعتبر الاقتراح كأنه لم يكن وأما المشروع فهو ملزم لمن عرضه لو قبله الطرف الآخر أو لم يقبله. واقترح ديان أن تصبح المنطقة شرق الممرات منزوعة السلاح وتبقى المستوطنات الإسرائيلية في سيناء تحت علم وحماية الأمم المتحدة وإذا رفضتم هذا الاقتراح فلنفكر بطريقة أخرى. لقد جاء التهامي لتبادل الآراء وقدم له ديان عدة اقتراحات مكتوبة وطلب منه نقلها للسادات فقال التهامي إنه لا داعي لنقلها للسادات فأنا أستطيع أن أبت فيها. ونظر التهامي إلى هذه الاقتراحات وأبدى رأيه في كل اقتراح.

كان ديان يعتقد أن هذه الاقتراحات تصلح أساسا للتفاوض وكان هناك مناقشات بينه وبين التهامي في هذه المقترحات خصوصا ما قيل عن القدس. وبعد ذلك قال ديان لزملائه من الوزراء أن مصر تصر على الانسحاب الكامل من سيناء وأنها لن تقبل بأية حال بقاء أي مستوطنات على أرض سيناء وقال ديان إننا لا نريد البقاء في سيناء وإنما نحن نريد أن نطمئن بعد الانسحاب ألا يتم هجوم مفاجئ علينا منها.

كان السادات يريد أن يبرهن على أن مبادرته ليست للوصول إلى صلح منفرد مع اسرائيل فاتصل بياسر عرفات وطلب منه الموافقة على أن يشترك وفد فلسطيني في المباحثات على ألا يكونوا من أعضاء المنظمة وقائلا إننا نجد أن نبدأ بهذه الطريقة. ثم نصل إلى أهدافنا في المفاوضات. ولكن عرفات لم يكن موافقا على هذه الفكرة وقال إن مدافع السوريين موجهة إلى نافذة مكتبي. وأنا لا أستطيع تجاهل هذا الخطر.

ثلاثة أيام مرت على دعوة مصر لعقد مؤتمر في القاهرة لبحث السلام العادل في الشرق الأوسط .. وران صمت كامل على وزارة الخارجية الأمريكية وعلى البيت الأبيض. ووصلت الدعوة إلى بيجن عندما دخل مدير مكتبه الياهو بن اليسار ومعه بعض المستندات ليقرأها بيجن فقال له بيجن الياهو إنك سترأس الوفد الذي سيذهب إلى القاهرة .. لقد أخذت الياهو الدهشة ولكنه كان اختيارا لآلياهو الذي كان يمثل بيجن ويتحدث باسمه في مؤتمر الليكود وقد غضب السادات أن يكون رئيس الوفد الياهو بن

اليسار لأنه كان يأمل أن يرأس الوفد شخصية كبيرة .. ومعنى ذلك أن بيجن لا يهتم بهذه المفاوضات وردا على ذلك دعا السادات سفيره في الولايات المتحدة الدكتور عصمت عبد المجيد لرئاسة الوفد المصري. لم يكن لدى اسرائيل صورة واضحة لما يريد أن يناقشه المصريون في القاهرة. وقبل أن يغادر الياهو اسرائيل إلى القاهرة ناوله ديان خطابا يبين له ماذا عليه أن يفعله وحذره من إجراء مفاوضات في هذه المواضيع الثلاثة المشكلة الفلسطينية أية تنازلات عن الأراضي المحتلة أو عن عقد مؤتمر جنيف . وكان هناك موضوع واحد يمكن مناقشته في هذا المؤتمر وهو مشروع عقد معاهدة مع إسرائيل وقبل أن يغادر الوفد أرض اسرائيل كان هناك خوف من الاعتداء عليه من قبل الفلسطينيين أو الليبيين أو العرب الآخرين الذين يعارضون مبادرة السادات. ووافق المصريون على التعاون التام من أجل سلامة الوفد الإسرائيلي. وكان من ضمن الوفد المستشار القانوني لوزارة الخارجية الإسرائيلية دكتور وير روسين. والجنرال ابراهم تامير وحملت إحدى الطائرات الإسرائيلية وفد المفاوضات الإسرائيلي وقد كتب عليها بالخط العريض كلمة سلام باللغتين العربية والعبرية.

الفصل الثامن

تحت ظـلال الزمـن

كانت الرياح باردة والجو شديد البرودة وكانت أول طائرة إسرائيلية تحلق في سماء القاهرة تحمل أول وفد اسرائيلي للتفاوض مع مصر. واستقبل الوفد الإسرائيلي ببرود فلم يكن هناك سوى بعض الموظفين من وزارة الخارجية وبعض المراسلين الصحفيين وكان هناك عدد كبير من جنود البوليس أحاطوا بطائرة العال. ولولا أن الوفد الإسرائيلي كان مضطربا لأنه يرى القاهرة لأول مرة لنعكس هذا الاستقبال البارد على تصرفاتهم .. وركب الوفد الإسرائيلي سيارة تحيط بها سيارات البوليس، وانطلق الموكب حتى وصل إلى شارع الأهرام، وآلاف من جنود البوليس يحرسون جوانب الطريق، حتى وصل الوفد إلى فندق مينا هاوس حيث يقيم الوفد وينعقد المؤتمر. وعندما دعا السادات إلى هذا المؤتمر حاول الصحفيون الإسرائيليون الوصول إلى مصر ولم يكن هناك طريق مباشر بين مصر واسرائيل فذهبوا إلى أثينا ومنها إلى القاهرة. أهود باري واحد منهم وهو يعمل في التليفزيون الإسرائيلي وشارك في إصدار كتاب (سنة الحمائم) مع ايثان هابر وزيف شيف وسافر مع المنتج اليكس جيلادي. وعندما اقتربت الطائرة الأمريكية من سماء القاهرة قال أهود باري للمضيفة الأمريكية أننا صحفيان اسرائيليان، وأننا لا نتوقع أن تكون هناك مشكلة في دخول القاهرة، ولكنا نحب أن يعلم الطيار هذا"، وفي مطار القاهرة وضع الصحفيان الباسبور الأزرق وعليه علامة دولة اسرائيل أمام المسئول المصري. نظر الضابط المصري إلى الباسبورت الإسرائيلي وابتسم وقال "أهلا وسهلا" وأخذ الضابط الباسبور الإسرائيلي وهو يعلن أن الإسرائيليين قد وصلوا وران صمت على صالة الاستقبال ثم تبع هذا الصمت تصفيق

من المصريين.

ورافق الصحفيين الإسرائيلين عدد من ضباط بوليس أمن الدولة وهم ضباط مثقفون ومهذبون وكانت مهمتهم مرافقة الصحفيين الإسرائيليين وتذليل جميع العقبات التي تقابلهم وقد كتب الصحفيان الإسرائيليان على أن ضباط البوليس كانوا يلبون طلباتهما في مقابلة أكبر الشخصيات وكبار الكتاب. فقد كانت الكارنيهات التي يحملونها لها فعل السحر وهذا يدل على أن مصر دولة بوليسية بالرغم من اعلان السادات أنها دولة مؤسسات لأن مهمة هؤلاء الضباط كانت في الواقع تحديد الشخصيات التي يقابلونهم والأماكن التي يزورنها. وكانوا يتصلون برؤسائهم ليقدموا لهم تقريرا تفصيليا عما يحدث وكذلك يكتبون تقريرا بكل التفاصيل. وقد حاول هؤلاء الضباط بكل أدب إبعاد كل من كان يعارض السادات وابعادهم كذلك من أن يدخلوا الحواري والأزقة كما كان واجبهم أن كل من كان يتصل بهؤلاء الصحفيين يتصرف نحوهم تصرفا مهذبا – وقد كان المصريون يحاولون أن يقنعوهم أنهم من أنصار السلام، وأن الحروب التي قامت بين مصر واسرائيل وأدت إلى آلاف الضحايا من قتلى ومعوقين يجب أن تتوقف.. وأن إسرائيل قد حاولت أن توقف البروجرام التليفزيوني الذي أعده يوري وطالب ديان أن يعود الصحفيان فورا إلى إسرائيل وقال إن هذا قد يؤثر على المفاوضات. وقد ثارت مناقشات في اسرائيل واضطرت الوزارة الإسرائيلية أن تذيع البرنامج. وقد نظمت الحكومة المصرية مظاهرات تهتف للسلام وبلغ الخداع أشده عندما حملوا هؤلاء الصحفيين على الأكتاف وهم يهتفون للسلام. ومع ذلك فإن فعلا الشعب المصري كان يريد السلام ولم يكن السادات قادراً أن يخرج هؤلاء الملايين بالضغط على (زر).

لقد كان السلام في حد ذاته حلما لكل المصريين فقد جعلت الحروب التي خاضتها مصر من الأسباب التي جعلت الحياة اليومية صعبة ومضنيه لكل المصريين، قد أهملت المرافق وأصبحت المياه تنقطع عن الشقق والعمارات معظم الوقت .. والتليفونات بلا حرارة والكهرباء تنقطع عدة مرات كل يوم وظن المصريون أن السلام

سيكون سببا في الرخاء، وفي تخفيف المعاناة اليومية للمصريين هذا بالنسبة للمصريين إما بالنسبة للإسرائيليين فلم يكن هناك حماسة للسلام حيث أنها تحتل سيناء وتتمتع بالحصول على بترولها. ولكن الصحافة المصرية لم تعد تهاجم اسرائيل وأخذت تصور أن إسرائيل شاهدت زلزالا بعد زيارة السادات، وصورت شعب اسرائيل أنه يريد السلام وهو سيجبر حكومته اجباراً على تحقيق السلام. وكان السادات لا يريد أن يصور مصر على أنها تستجدي السلام وأكد ذلك في معظم خطبه. وعندما حضر الصحفيون الإسرائيليون كانوا يريدون ألا تقيد حركتهم بواسطة البوليس المصري بل أنهم كانوا يريدون أن يروا مصر على حقيقتها. وقد ملأت الحيرة عقولهم عندما رأوا الفقر الشديد الذي يعيش فيه الشعب ومستوى المعيشة المنخفض حتى أنهم لم يصدقوا أن هذا الشعب هو الذي استطاع أن يخوض جيشه معركة ١٩٧٣ فحول مقابر وجوامع السلاطين يعيش الشعب المصري في حالة من الفقر لم يشاهدها هؤلاء الإسرائيليون. فالشوارع في منتهى القذارة ومياه الطفح تغطيها. وأما الأتوبيسات التي تطلق بخارا أسودا تتنفسه المارة فهي مكدسة بالبشر بطريقة غير إنسانية، ويركب المصريون فوق أسطح القطارات في أيام الشتاء وتصفع الرياح الباردة وجوههم وترى الرعاع في كل مكان. والمقاهي مكدسة بالجالسين. ومما لاشك أن الصحفيين الإسرائيليين قد عبروا عن كرم المصريين وعن الترحيب بهم ولكنهم شاهدوا كيف يعامل البوليس المصري الباعة الجائلين وكيف يخضع المصري للقوة فقد كتب أحد الصحفيين الإسرائيليين مقالا تحت عنوان الخوف والفزع يقول كنت أتجول في ميدان الجامع في مصر الجديدة وكان يجلس على الأرصفة باعة يبيعون الفاكهة والخضار .. وفجأة حل نوع من الفزع فإذا بهؤلاء الباعة يجمعون بضائعهم القليلة من خضار وفاكهة ويتساقط بعضها على الرصيف ووقفت بعيدا انظر إلى البوليس وهو يجمع هذه الفاكهة أو الخضار ويلقيه في سيارة نقل قذرة ومن يقع في أيديهم من هؤلاء الباعة يضربونهم بعصبهم .. وقفت أشاهد هذا المنظر وأنا أتعجب. هذه المقالات التي نشرها الصحفيون الإسرائيليون لم تجعل الإسرائيليون ينظرون باحترام إلى مصر . وقد حاولت السلطات المصرية أن

تمنع الإسرائيليين من رؤية الواقع الأليم للشعب المصري أو الجانب الأسود من الصورة بمنع الصحفيين الإسرائيليين من التجول دون موافقة بوليس الأمن المصري .. وحاولت السلطات أن تحيل إقامتهم بفندق مينا هاوس مثالية بقدر الأمكان .. وجميع التكلفة تحملتها الحكومة المصرية بالطعام الفاخر على الطريقة الأوربية. وفي المساء تقام حفلات ترقص فيها الراقصات ومنع بوليس الأمن .. أن يذهب الصحفيون إلى القاهرة بدون مرافقة منهم .. ولم يكن هذا المؤتمر له أي قيمة سياسية وقد عرف المراسلون هذا منذ البداية فكانوا يرسلون إلى صحفهم بعض الحوادث التي لا أهمية لها.

وقبل أن يبدأ المؤتمر في صالة عمر الخيام لاحظ بن اليزار أن هناك منضدة كتب عليها منظمة التحرير الفلسطينية وهناك طلب اليزار أن ترفع هذه اللافتة من فوق المنضدة ورفض المصريون وقال اليزار الوفد لن يدخل القاعة مادامت هذه اللافتة موجودة ورفض المصريون واستمر النقاش يوما كاملا وانتهى برفع اللافتة حتى لا ينهار المؤتمر قبل انعقاده. وقد لاحظ بن اليزار أن الفندق قد رفع أعلاما على واجهة الفندق وحاول الإسرائيليون أن يكونوا دبلوماسيين لقد شاهدنا الاعلام في واجهة الفندق وهناك علم مرفوع وهو علم لا ينتمي إلى الدول التي تشترك في المؤتمر لذلك يجب أن تستبعد هذا العلم قبل أن تدخل إلى قاعة المؤتمر وحرصا على أن يستمر المؤتمر رفعت جميع الأعلام من على واجهة الفندق.

وقد صرح رئيس الوفد المصري الدكتور عبد المجيد "أننا لابد من الوصول إلى نتائج إيجابية وبدون تأخير، وصرح ألفريد أثرتون رئيس الوفد الأمريكي أن اسرائيل يجب ألا تفلت مثل هذه الفرصة .. وكان من مصلحة الوفود الثلاثة أن يتصرفوا بنوع من الهدوء وتقليل الضجة الإعلامية لأن المؤتمر كان من البداية فاشلا. فالسادات غضب لأن اسرائيل لم ترسل وفدا على المستوى المطلوب والأمريكان حاولوا أن يأجلوا المؤتمر لأنهم كانوا لا يعلمون ما هي النتائج التي سيتوصل إليها المؤتمر. وكانت الأوامر للوفد الإسرائيلي ألا يتخذ أية قرارات. وقد عرف الوفد الإسرائيلي أن

وفد وزارة الخارجية هو الوفد المتشدد وأما أعضاء الوفد من مكتب السادات كانوا أقل تشددا فقد فرض وفد وزارة الخارجية على الدكتور عصمت عبد المجيد أن يؤكد على حل القضية الفلسطينية وأنه ليس هناك حل منفرد بين مصر واسرائيل. وقد أثبت هذا المؤتمر عناد الإسرائيليين وعدم وجود نية لديهم للتنازل عن الأرض التي احتلتها سنة ١٩٦٧ في مقابل السلام العادل الشامل فقد كانوا يضيعون الوقت في مناقشات لا طائل منها .. وكل اقتراح يقدم من الوفد المصري يعارضه الوفد الإسرائيلي. ولم يكن هناك أي إيجابية للمفاوضات بين الوفدين ولكن التقدم الملموس هو أنه أصبح التفاوض مباشرة بين المصريين والإسرائيليين وليس عن طريق طرف ثالث. وقد أحس الوفد الإسرائيلي أن المصريين يريدون سلاما وهم يظنون أن السلام سيحقق لهم ارتفاعا في مستوى معيشتهم أو حلاً لما يعانونه من مشاكل مزمنة تنغص حياتهم. فالسلام مع اسرائيل قد يحل أزمة المساكن ويحل أزمة المواصلات وأزمة الطعام وسيحقق لهم ولأبنائهم مستوى معيشة أفضل.

وكان الوفد الإسرائيلي يقابل بمظاهرات الترحيب وبالهتاف لبيجن والسادات: وهذه الهتافات والمظاهرات تتم بأمر الحكومة وتنظيمها ولقد حاول بن اليزار أن يكون لطيفا ومؤدبا فقد ذهب الوفد الإسرائيلي لمقابلة حسن كامل رئيس الديوان "سيدي أنت تعلم أننا سعداء هنا وأننا نشكر الحفاوة التي غمرتمونا بها ولكن لدي الوفد رغبة في زيارة ميت أبو الكوم ذلك البلد الذي ولد فوق ثراه الزعيم السادات. وكان بن اليزار يعرف ما يحمل السادات من حب لقريته. وكان رد حسن كامل مهذبا وإيجابيا. فقد ذهب الوفد الإسرائيلي لزيارة ميت أبو الكوم ومعهم وفد كبير من المراسلين والمصورين.

وقابل رئيس الوفد الإسرائيلي حسن كامل مرة أخرى وشكره على تلبية رغبة الوفد في زيارة ميت أبو الكوم وقال له هناك طلب آخر ثاني .. أن الأسرى الذين كانوا في خط بارليف فقدوا التوراة التي كانت معهم وهم يودون لو يستطيعون أن يستردوها وذلك لأسباب دينية وقال حسن كامل سنبحث هذا الموضوع وإذا وجدت التوراة

فسنعيدها إليكم ولكن لم توجد هذه التوراة ولم يعثر لها على أثر. نتائج حرب أكتوبر قد نوقشت مع الأعضاء العسكريين من الوفدين فقد كان رئيس الوفد الإسرائيلي البربجادير ابراهام تامير .. ولم تكن هذه المرة الأولى التي يواجه فيها وفدا عسكريا للتفاوض فهو كان أسيرا في حرب ١٩٤٨ كما أنه كان من ضمن الوفد العسكري الذي جلس للتفاوض مع الوفد العسكري المصري في جنيف.

وعلى الجانب المصري كان هناك اللواء طه المجذوب الذي لعب دورا مهماً في إعداد حرب ١٩٧٣. وكان صديقا ومساعدا للفريق الجمصي، وعين بعد الحرب سكرتيراً لمجلس الأمن القومي الذي كان رئيسه السادات. والمجذوب رأس الوفد العسكري المصري في الوصول إلى الاتفاق العسكري المؤقت في جنيف. ولخبرته الاستراتيجية أخذته سوريا كمستشار للمفاوضات في فك الاشتباك العسكري في الجولان. وأما العضو العسكري الثاني فقد كان البريجادير محمد هويدي الذي كان خبيرا بالشئون الإسرائيلية وقد كان ضابطا بالمدفعية واشترك في عدة حروب مع اسرائيل. وكان الإسرائيليون يخشون أنه قد درس العبرية فيعلم ماذا يقولون .. وقد تقدمت المحادثات بين هؤلاء العسكريين بسرعة ولكن بحذر. وكان كل وفد عسكري يريد أن يعرف بالضبط المواقع بالخرائط ولم يبد أي وفد اهتماما بالشئون السياسية وكان المصريون قد أعدوا خطة تفصيلية لانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء. وقد أكد العسكريون أنهم لا يستطيعون أن يتركوا شبرا واحد من سيناء وأن هذه مسألة شرف وكرامة .. أنت لا تستطيع أن تسمح لأنفسنا بالموافقة على هذا. وقد شرح المجذوب وهويدي أن السلام الحقيقي سيتحقق وكأنك تبني منزلاً فالخطوة الأولى هي وضع الأساس ثم إقامة الجدران ثم تركيب النوافذ والأبواب وبعد أن يكتمل البناء يمكن أن تدخل المنزل فعملية السلام هي عملية تشبه بناء هذا المنزل. وقد حاول الوفد الإسرائيلي أن يزور حارة اليهود في مصر واسكندرية وأن يتقابل مع بقايا اليهود الموجودين في مصر ولم يكن في مصر أكثر من ٣٠٠ يهودي مرضى وكبار في السن وكانوا يخافون أن يتحدثوا مع الوفد وبعضهم أعطى رسالات للوفد لتوصيلها لأقاربهم

في اسرائيل.

وفي أثناء انعقاد المؤتمر أذاع راديو القاهرة أن السادات قد قابل وزير الدفاع وايزمان وقد كان السادات قد وعد وايزمان عندما كان في اسرائيل أن يرتب اجتماعا بينه وبين الجمصي وزير الدفاع المصري وفعلا أرسل السادات بعد عودته دعوة لوايزمان عن طريق السفارة الأمريكية ولم يستطع وايزمان تلبية الدعوة لأن رجله كانت موضوعة في (الجبس) ولم يرد وايزمان أن يخطو على أرض مصر ورجله مكسورة وتأجلت الدعوة حتى تماثل للشفاء واستطاع تحقيقها أثناء وجود الوفد الإسرائيلي في مصر.

وكان وايزمان وعمره ٥٣ سنة وعين وزيرا للدفاع وهو من أسرة معروفة في اسرائيل فقد كان عمه الدكتور وايزمان من زعماء الصهيونية الذي لعب دوراً مهماً في إصدار وعد بلفور وأصبح أول رئيس لإسرائيل وفي أثناء الحرب العالمية الثانية تطوع وايزمان في الجيش البريطاني كطيار. واشترك في الحرب ومنح وساما من بريطانيا وعندما عاد إلى اسرائيل بعد الحرب كان واحداً من الطيارين القلائل في قوة الطيران الإسرائيلية. وأصبح قائدا لسلاح الطيران الإسرائيلي.

ويعتبر مهندس انشاء سلاح الطيران الإسرائيلي والتي أصبحت أكبر وأقوى سلاح طيران في الشرق الأوسط. وكانت قيادته والتدريبات التي أجراها سلاح الطيران الإسرائيلي سببا مهما في هزيمة مصر سنة ١٩٦٧ وفي أواخر الستينيات انضم إلى هيروت (حزب بيجن) وأصبح وزيرا للمواصلات في حكومة جولدا مائير الاتحادية. وبعد أن ترك الحزب الحكومة عارض وايزمان بيجن وترك الحزب وبدأ يعمل كرجل أعمال وفي ليلة انتخابات ١٩٧٧ أصبح نشطا في حزب الليكود وهو الذي قاد الحملة الانتخابية التي أدت إلى فوز حزب الليكود وكان بيجن ملازما للفراش لإصابته بأزمة قلبية.

وقد كان وايزمان محبوبا وعرف بصراحته وقد أحبه السادات منذ أن قابله أول مرة.. وقد طلب المصريون من اسرائيل أن تعلن المقابلة بين السادات ووايزمان سرية.

وأخبر وايزمان بعض أصدقائه المخلصين بالزيارة وطلب من صديقه دافيد كووليز اعداد هدية للسادات ليحملها معه عند مقابلته وقام دافيد وزوجته بشراء ساعة ذهب بـ ١٢٥ دولار وحفرت هذه السطور عليها "للرئيس السادات الزعيم الذي حرك عقارب الساعة إلى الأمام" واتصل وايزمان تليفونيا بمردخاي هود وطلب منه شراء (غليون) من لندن على أن يكون من أجود الأنواع. وعرضت السفارة الأمريكية أن تنقل وايزمان والوفد المرافق له على متن طائرة عسكرية DC9 أتت من فرانكفورت ونزلت في مطار داخل اسرائيل. واختفى وايزمان والوفد المرافق له داخلها. وقد أخذ معه البريجادير هرزل شابير رئيس الأركان وبريجادير شدلمر جارنيت رئيس المخابرات .. وهبطت الطائرة في مطار ألماظة وكان الجمصي ينتظره في المطار. وقال له الجمصي "لقد سمعت السادات يتحدث عنك كثيرا وقال وايزمان إن لديكم رئيسا عظيما. وأخبره الجمصي أن المحادثات ستتم في الاسكندرية. والجمصي كان من ضباط القوات المسلحة الأكفاء .. وقد اشترك في محادثات السلام مع السادات ومع كيسنجر في أسوان وروي تفصيلات حواره مع كيسنجر وشعر بتحيز كيسنجر لإسرائيل وترك هذا الاجتماع بانفعال. وقد اكتشف الجمصي أن السادات مصمم على السير في اتجاه السلام مهما كان الثمن. وقد شرح وجهه نظره من الناحية العسكرية للسادات. ويحكي لنا الجمصي في مذكراته "استدعاني الرئيس إلى مكتبه في استراحة أسوان وكنا وحدنا السادات وأنا فقط بادرني بقوله إنه علم بغضبي أثناء جلسة مباحثات أمس وعدم موافقتي على تخفيض حجم القوات بالقدر الذي اتفق عليه مع كيسنجر وكان يري أن حجم القوات في شرق القناة لا يكون عائقا أمام اتفاق فك الاشتباك وبالتالي يكون عائقا أمام الاستراتيجية السياسية التي يضعها مع كيسنجر لتحقيق السلام في المنطقة على المدى البعيد كما كان يرى أن عمل قوات الطوارئ الدولية في المنطقة العازلة بين القوات المصرية والإسرائيلية يكفل عدم استئناف القتال". ويقول الجمصي أن مناقشاته مع وايزمان كانت قد وصلت إلى طريق مسدود. ثم يحكي لنا الجمصي في مذكراته فيقول "كنت بمنزلي بعد ظهر يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٧٨ عندما اتصلت به سكرتارية

الرئيس السادات تليفونيا من سالزبورج وكان الرئيس السادات في زيارة هناك. وطلب الرئيس توجيه الدعوة إلى وايزمان لمقابلته في سالزبورج في اليوم التالي ١٣ يوليو وأن أتوجه إلى المدينة في نفس اليوم لحضور المقابلة".

"وصلت إلى سالزبورج صباح يوم ١٣ حيث كان في استقبالي بالمطار سفيرنا في النمسا حيث اصطحبني إلى الفندق الذي يقيم فيه الرئيس ويقضي فترة راحة في هذا المكان الجميل الذي يطل على بحيرة واسعة تحوطها بعض الجبال التي تكسوها النباتات الخضراء وجدت المدينة هادئة والمنازل تزين شرفاتها الورود وهو طابع مميز لهذه المدينة وكنت أنا لا أتوقع أن يكون هناك مباحثات عسكرية قبل أن تتم المفاوضات السياسية التي كانت ستعقد في لندن ويحضرها محمد إبراهيم كامل وديان وفانس.

وعندما تقابل الجمصي مع وايزمان وقبل أن تبدأ المحادثات قال الجمصي سنطير إلى الاسماعيلية لأن السادات يريد أن يراك ولقد كانت مقابلة السادات لوايزمان في القدس لقد خلقت بينهما علاقة شخصية من الاعجاب. وكان السادات ووايزمان يخافان من الصقور الاسرائيلية أن تقف ضد السلام وضد الانسحاب من الأرض المحتلة. وقد كان السادات يظن أن وايزمان من الصقور الذين لا يريدون سلاما وإنما يريدون الاستيلاء على الأرض ولكني بعد الحديث معه وجدوه أكثر مرونة واعتدالا من تصوير الصحافة الإسرائيلية له.

وقد قابل السادات وايزمان بحرارة وقال إني أنتظر وأمل في تحقيق سلام وأنه يجب على الاسرائيليين أن يعلموا هذا ولكن في البداية كانت المناقشة حامية فقد قال إن السلام لن يتحقق مادام الإسرائيليون يحتلون أرضا عربية وقال السادات إني أعرف ما يقبله المصريون وما يعارضونه وإذا أجبرتهم على أن يقبلوا شيئا لا يعتقدون به فإن تصرفهم في المستقبل سيكون عنيفا .. وكانت المحادثات تنعقد في حديقة الاستراحة ولم يكن هناك سوى حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية والجمصي وزير الدفاع وقد وضع السادات طلبات الانسحاب الكامل من جميع الأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ وفك المستوطنات في رفح ولم يدهش وايزمان من هذه الطلبات فقد كرر السادات ذلك

وأعلنها في خطبته في الكنيست ولكنه كان يائسا من الطريقة التي تكلم بها السادات. فقد كان يتوقع أن يكون السادات أكثر اعتدالا خصوصا في المقابلات الشخصية.

وأما المقابلات التي كانت بين الجمصي ووايزمان كانت أكثر تقبلا فقد رحب الجمصي بوايزمان وشكره على حضوره لمصر وقال له أن الترحيب بالسادات عند ذهابه للقدس قد ترك أثراً عميقاً في قلوب المصريين جميعاً "فيجب أن تعلموا أننا نتطلع فعلا إلى سلام حقيقي ونحن نستقبلكم بقلوب مفتوحة. وقال وايزمان إني أشكرك على هذه الكلمات الرقيقة ولكنكم تعلمون أنكم هاجمتونا في سنة ١٩٧٣ وأنا أهنئكم على هذه المفاجأة في حرب ١٩٧٣ ولكن يجب أن تعلموا أننا أمة صغيرة وأننا لو خسرنا حربا واحدة فإنها النهاية لنا ولاسرائيل .. إن لدينا في إسرائيل ست مطارات ولكن لدينا قوة طيران وأنتم لديكم أربعون مطارا في مصر وسوريا والأردن. وأخذ وايزمان يردد ما قاله السادات في القدس ونحن نعلم مقدار الضغط العربي على السادات ولكن بيجن كذلك عليه ضغوط من داخل اسرائيل ويجب أن تعلم أن هذه المعاهدات تعقد بين الأمم وليس القادة .. فالقادة ذاهبون والأمم باقية.

لم يكن وايزمان يعرف أن المصريين قد فهموا موقفه عندما قال ذلك أن إسرائيل لها متطلبات أمنية يجب أن يتجاوب معها المصريون. وأن هذه الطلبات ليست لكي تستمر سنين قليلة بل أنها ستبقى مدة زمنية طويلة طالما أن الدولتين ملتزمتان بها. وأن هذه الطلبات ستستمر بعد أن يذهب الزعماء السادات وبيجن ستبقى الشعوب ونأمل أن يستمر السلام بين الدولتين حتى يزدهر الشرق الأوسط. قال الجمصي نحن نعرف مشاكل الأمن بالنسبة لإسرائيل فعندما عاد السادات من القدس حدثنا طويلا عنها ولكن يجب أن أؤكد هنا أن هناك مشاكل للجانبين. لقد ذكرت قوة الطيران الإسرائيلي ونحن يجب أن يكون لنا الحق في الدفاع عن أنفسنا ضدها.

ونحن لا نقبل أبدا أن يكون هناك تغيير في الحدود .. لا يمكن أن نتنازل عن شبر واحد من حدودنا التاريخية. إذا نوقش هذا الاقتراح بعد أن يستمر السلام لمدة ثلاثين عاما أما مناقشته في الوقت الحالي فإنه يصبح عقبة في سبيل السلام. إن تغيرا

في الحدود في هذه الأيام يعتبر ضم هذه الأراضي بالقوة وهذا ما لا يقبله أي مصري. وقد اعترى اليأس وايزمان فهو لا يريد مناقشات لا تسفر عن نتائج، وإنما يريد اقتراحات تفصيلية قد تؤدي إلى نتائج إيجابية. وأراد أن يعرف رأي العسكريين في مناقشة الاقتراح الذي سبق أن ناقشه الجيش الإسرائيلي وهو أن يبتعد الجيش المصري بقدر الإمكان عن حدود إسرائيل. فمنذ ١٩٦٧ الجيش المصري يستعد للحرب وهو موجود حول قناة السويس وقال الجمصي إذا تم عقد معاهدة سلام فالجيش المصري سيغير خططه الإستراتيجية وأماكن تواجده حتى يكون قادرا عن الدفاع عن مصر. قال وايزمان "هل أنقل هذا رسميا لحكومتي" قال الجمصي يمكن. ولكن ذلك في حالة عقد معاهدة رسمية. قال وايزمان إنما نود كذلك أن نناقش عن احتياجاتنا إلى مطار في سيناء وأنا أحب أن أذكركم أن السادات قد وعد بيجن بألا يعسكر الجيش غرب الممرات فرد الجمصي قد يكون السادات وعد برفضه لأنه صادق النية في تحقيق السلام .. ولكن نحن نريد كذلك الدفاع عن وطننا .. وقد افترضت اسرائيل عدم وجود قوات من الجيش المصري في سيناء .. فرفض الجمصي وقال أنه لن يوافق على أي فكرة تقلل من سيادة مصر على سيناء وتحدث اللواء الجريدلي هل توافق اسرائيل على أن تصبح ايلات وبير شبعا منزوعين السلاح وذلك رداً على أن تصبح سيناء منزوعة السلاح. وأكمل الجريدلي قوله "إننا نود أن نستطيع تنظيم قوة الاحتياط وتنظيمها كما فعلتم أنتم ولكننا للآن لم ننجح في هذا.

فقال وايزمان نحن نستطيع أن نساعدكم في هذا. فأجاب الجريدلي إن أي قيود تفرض علينا بالنسبة لتحركات الجيش لها تأثير نفسي كبير علينا وقد تعجب وايزمان عندما قال الجمصي أنه يمكن أن نترك المستوطنات اليهودية في العريش وحول إيلات إذا خضعوا السكان اليهود للسلطة المصرية. وكان هذا الموقف مختلفا عما أعلنه السادات من أنه لن يسمح بأي مستوطنة إسرائيلية على أرض مصر. وقد علل وايزمان هذا الاختلاف بعدم التنسيق بين الجمصي والسادات. وكان أحد أعضاء الوفد الإسرائيلي يعتقد أن السادات والجمصي يلعبان دورا محددا لكل منهما. وعلى كل حال الوفد

الإسرائيلي لا يهتم كثيرا بآراء الجمصي لأنهم يعرفون أن في مصر السادات وحده هو الذي يتخذ القرار النهائي. وآثار الجمصي موضوع الأسلحة الذرية فقال له وايزمان أن لديكم سلاح ذري أو على الأقل أنكم تستطيعون إنتاجه فيجب أن يكون هناك اتفاق بيننا على هذا الموضوع ونظر الجمصي إلى وايزمان ليعلم مدى تأثير هذا القول عليه ولم يبد على وايزمان أي تغيير بل قال "أنه من الأفضل أن تتحدثوا عن ذلك مع العراق وليبيا. ورد الجمصي أن العراق وليبيا ليسا لديهما أسلحة ذرية. وفي سنة ١٩٧٣ عندما أحست اسرائيل قبل أن تدخل أمريكا بإمدادها بالسلاح وعندما تقدمت الجيوش السورية في الجولان نصح السوفييت السوريين بألا يتقدموا داخل اسرائيل حتى لا تستغل اسرائيل أسلحتها الذرية في الحرب وقاد ناقش المحللون السياسيون العرب هذا الموضوع وقالوا أن إسرائيل لن تستطيع استعمال القنابل الذرية إلا إذا تهدد بقاؤها وجعل ذلك العرب يحسون أن أملهم في القضاء على اسرائيل أصبح ضئيلاً.

ومن الناحية العملية لم تستطع الدول العربية الاتفاق على وسيلة للتعاون في مجال الانتاج الذري وقد حاول القذافي شراء قنبلة ذرية ولكن لم ينجح وحاول العراق أن يقوم بعمل مفاعل ذري وانطلقت الطائرات الاسرائيلية لتقوم بتحطيم هذا المفاعل وفرضت الولايات المتحدة على العراق العقوبات وحطمت جيشه في حرب الخليج ثم انتهت السياسة الأمريكية تحت قيادة بوش الصغير باحتلال العراق وسقوط نظام صدام وانتهت محاولة القذافي بتسليمه جميع البحوث الذرية وابتعد عن محاولاته في الوصول إلى سلاح ذري في جمهورية ليبيا العظمى. ولم يعد عند أي من العرب أي محاولة للوصول إلى أسلحة ذرية.

وكانت مصر قد طلبت من اسرائيل أن تكون المباحثات بين الجمصي ووايزمان سرية وفوجئ الوفد الاسرائيلي براديو القاهرة يعلن تفاصيل المفاوضات .. ولم يعرف الوفد الاسرائيلي السبب في ذلك.

وفي اليوم التالي دعي وايزمان لمقابلة السادات .. الذي كان يبدو متصلبا فقد قال لوايزمان إنه لا يمكن أن يتركوا أرض مصر مع وجود المستوطنات بأن تنسحب

اسرائيل تدريجيا من سيناء ولكنها يجب أن يبدأ الانسحاب فوراً ولا يمكن أن تبقى قوات دولية على أرض مصر لأن هذا يمس سيادة مصر وأنه لن يسمح بهذا.

وقد تعجب الوفد الاسرائيلي من تشدد السادات الذي بدا أنه لن يتراجع عنه ويبدو أن السفير الأمريكي كان قد قابل السادات وأخبره بخطة بيجن والتي لا تريد أن تسحب المستوطنات وأن تبقى في أرض مصر كما وضح له أن خطة بيجن في الانسحاب من سيناء تدريجية وتستمر ثلاث سنوات. وهنا نعود إلى كتاب وايزمان المعركة في سبيل السلام" وهو يحكي عن أول مقابلة للسادات وعن وصوله إلى مصر – في يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٧٠ وكان مازال الوقت مبكرا عندما جاء سائقي لينقلني من منزلي في رامات هاشهرون إلى مكتبي في وزارة الدفاع في تل أبيب في بناية هاكريا Hakirya الحكومية – ولكن على غير العادة اتجه إلى مطار بن جوريون ووقفت السيارة على الطريق السريع المؤدي إلى المطار حيث تركت السيارة واتجهت إلى العربة الأخرى التي كانت تقف على جانب الطريق تحت ظلال الأشجار وكانت هناك عربة حراسة وضعت تحت أمري وكانت هناك ستائر سوداء على نوافذها .. وبعد أن انتقلت إلى السيارة الأخرى عاد السائق بالسيارة الأولى لوزارة الدفاع أسرعت السيارة الأخرى التي تقلني إلى المطار وعندما وصلت إلى هناك لم يكن أحد يودعني أو ينتظرني حيث أحيطت الرحلة بالسرية التامة. أن تعبيرات وجهي في هذا اليوم من ديسمبر كانت تدل على ما أشعر من قلق وتوتر. لم أستطع أن أخفي اضطرابي بل لم أحاول في صباح هذا اليوم من ديسمبر. وأما أعضاء عائلتي فقد لاحظوا ذلك زوجتي روما Ruema وابني شول Shaul وأنا أذرع الحجرة شمالا وجنوبا. وكذلك لاحظ ذلك بعض أعضاء الوفد العسكري الذي سيرافقني في هذه الزيارة وكنت أنظر إلى سائقي وكأن الوقت لا يمر أو كأن يمر بطيئا بطء السلحفاة . وبالرغم من أن خدمتي العسكرية الطويلة جعلتني أقوم في الصباح مبكرا دون الحاجة إلى منبة يدق جرس أو تليفون لايقاظي فأنا قد تعودت على القيام مبكرا. قبل أسابيع انقلبت سيارتي وأصبت في حادث وخرجت من الحادث برجل مكسورة وكنت لم أشف تماما وكان هناك بعض الألم

في ضلوعي وكنت أود أن أؤجل هذه الزيارة حتى أشفى تماما ولكني لم أستطع أن أؤجل هذه اللحظة التاريخية. في مصر واسرائيل كان هناك الملايين الذين ينتظرون هذه اللحظة التاريخية فإن زيارة السادات في نوفمبر سنة ١٩٧٧ كانت أكبر حدث تاريخي في القرن العشرين. وكنت أريد أن تستغل هذه الفرصة التاريخية لتحقيق السلام بين مصر واسرائيل وكنت أعتقد أننا كوزير للدفاع الإسرائيلي والجمصي وزير الدفاع في مصر لابد أن نلتقي. وكان الهدف أن نضع الأساس في العلاقات بين الجيشين حتى لا يحدث أي سوء تفاهم بين البلدين من الناحية السياسية أو العسكرية مما يؤدي إلى قيام حرب أخري بين البلدين. فقد كانت حروب عديدة وعداوة بين البلدين استمرت أكثر من ثلاثين عاما لذلك كانت هذه الفكرة معقولة ويجب أن تتم بأسرع ما يمكن. فإن أي تحركات عسكرية في سيناء أو على ضفاف القناة قد تعطي انطباعا سيئا وقد تقود إلى حرب أخرى فمنذ حرب ١٩٧٣ كان الجيشان لا يتركان شيئا للصدفة فحركة واحدة قد تقتل هذا السلام قبل ميلاده.

وعندما استدعاني مناحم بيجن إلى مكتبه في القدس وأخبرني أن استعد للسفر إلى القاهرة لمقابلة وزير الدفاع المصري ولم تكن هناك اتصالات مباشرة بين مصر واسرائيل وإنما كانت الاتصالات تتم عن طريق السفارة الأمريكية. وكانت كل الاستعدادات لزيارتي القادمة للقاهرة تتم في سرية تامة.

وقد كنت أتألم من الإصابات حتى كدت لا أتحملها. وقد كان الأطباء في مستشفى تل هاشهومر "Tell Hashomer" يقولون لابد من مرور ست أسابيع حتى نستطيع أن "تفك جبيرة العظام من الرجل المكسورة وهذا ما تقوله كتب الطب. فصرخت في هذه الحالة إئتوا بكتاب جديد وكنت أريد أن أعود إلى حالتي الطبيعية وكانوا يجيبون لماذا هذا التسرع ولماذا هذه العجلة. وبعد أن أخذت أتوسل إليهم أمر الأطباء أن أخرج من المستشفى بعد أربعة أسابيع. لم يكن الأطباء يعرفون السبب في تعجلي للخروج من المستشفى. وبعد أن أكد الأطباء لي أنه يمكنني الخروج بعد أربعة أسابيع أصدرت أوامري لمعاوني في وزارة الدفاع أن يتصلوا بالسفارة الأمريكية

ويحددون لي ميعادا للسفر إلى القاهرة. وبدأت البرقيات ذات الشفرة السرية ترسل إلى القاهرة وتأتي من القاهرة حتى استطعنا إعداد الترتيبات العملية للزيارة. وقد راجعت كل التفاصيل مثل طريق الطائرة ووسيلة الاتصال بإسرائيل. والملابس المناسبة وقد أمرت أحد الحراس المرافقين لي بأن يقص شعره وكنت لا أريد أن يكون هناك أي نقص أو عيب لزيارة أول وزير اسرائيلي لمصر.

وقبل أيام من سفري .. توجه الوفد الإسرائيلي الذي كان يضم دكتور الياهو بن اليسار مدير عام مكتب رئيس الوزراء ودكتور ميسر روش الذي كان المستشار القانوني لوزارة الخارجية والجنرال إبراهام تامير وقد شاهد الإسرائيليون على شاشات التليفزيون الوفد الاسرائيلي المتوجه للقاهرة بشئ من التعجب والسرور.

وكنت ذاهبا لمقابلة وزير الدفاع الفريق الجمصي ولكن من الطبيعي أن أقابل السادات وأخذت أفكر ماذا سأقول له وهل من المناسب أن أحمل معي هدية رمزية لهما.

واستعنت بزوجتي ريوما "Reume" فقالت زوجتي أنه من رأيي أن تشتري ساعة حائط جميلة وتنقش عليها إلى الرئيس السادات الذي دفع عقارب الزمن إلى الأمام ووجدت أنه من المناسب كذلك أن أشتري غليونا من النوع الفاخر "دينهل" ولذلك اتصلت بصديقي موتى هود Motti Hod وطلبت منه شراء "بيب" فاخرة وكان يزور باريس وأما الجمصي فقد أهديته مسدسا وكتبت عليه "إني آمل ألا نستعمله أبدا".

وحيث أن المواضيع التي يمكن أن تأتي في المناقشات قد تكون محتاجة رأي الخبراء العسكريين فقررت أن يضم الوفد جنرال شومر جازيت وهرزل شابير وقد عمل الاثنان كرئيسين للمخابرات العسكرية وكقائدين للقطاع الجنوبي وهذان القائدان كانا مسئولين عن رصد تحركات الجيش المصري وتفسير هذه التحركات.

ومن بداية الأمر واجهتنا عقبة كيف نصل إلى مصر. نصح المصريون أن تأتي على متن طائرات شركات طيران أوربية. وقد رفضت هذا لأن وزير الدفاع الاسرائيلي لن يذهب إلى مصر بجواز سفر مزور كما أن خبراء الأمن عارضوا هذا

الاقتراح بحجة أنه يمكن لأي مجموعة ارهابية أن تخطف الطائرة ويصبح وزير الدفاع الاسرائيلي أسيرا لديهم.

وكان هناك اقتراح آخر أن نطير فوق خليج السويس بواسطة طائرة مروحية ليلا حتى نصل إلى مطار أبو رديس شرق خليج السويس وتأتي طائرة مصرية لتحملنا إلى القاهرة واستبعد كذلك هذا الاقتراح. وأخيرا قررنا أن نستعين بالسفارة الأمريكية.

وعندما وصلت إلى مطار بن جورين في صباح اليوم الذي سنذهب فيه إلى مصر اتجهنا إلى مهبط للطائرات في آخر المطار حيث كانت تنتظرنا طائرة عسكرية أمريكية من طراز دس ٩ والتي وصلت في اليوم السابق من فرانكفورت. ولم يكن يعلم طاقم الطائرة لماذا أمروا أن يذهبوا إلى اسرائيل ثم أن يتوجهوا إلى مصر. وبعد أن ودعت نائب وزير الدفاع وقائد الأركان موردخاي جور قفزنا من السيارة ودخلنا إلى الطائرة العسكرية. في هذه الدقائق من خروجي من السيارة ودخولي إلى الطائرة تنفست الصعداء. وأخذت نفسا عميقا لرائحة الوقود الخاص بالطائرة هذه الرائحة التي يعرفها من أمضى حياته في الطيران.

وارتفعت الطائرة إلى السماء في طريقها إلى مصر.

في خلال أيام حياتي طرت آلاف الساعات سواء كطيار عسكري أو كمدني على الطائرات المدنية ولكن لم ينتابني هذا الشعور عندما بدأت عجلات دسُ في الدوران على أرض المطار كان هناك ألم في رجلي ولكن شعوري بالاضطراب كان أقوى.

أعادت لي الذكريات عندما كنت طيار حربيا طار ليقابل الطيارين المصريين في حرب ١٩٤٨. وكانت اسرائيل تحارب عن وجودها عندما قامت الدول العربية بمهاجمة اسرائيل للقضاء عليها. في يوم ٢٦ مايو بعد أسبوعين من اعلان إنشاء دولة اسرائيل وكان يبدو أن اسرائيل في خطر القضاء عليها. وكان الجيش المصري قد تقدم حتى أصبح على مشارف تل أبيب.

فقد أصبح الجيش المصري على بعد ٢٠ ميلا من اسرائيل لولا أن الجيش

الإسرائيلي حطم الكوبري الذي يقود إلى المدينة. ولو أن الجيش المصري أقام الكوبري لم يكن هناك من يمنعه ولدخل تل أبيب وقضي على قيام دولة اسرائيل في مهدها.

في هذا الوقت كان سلاح الطيران يتكون من أربع طائرات ميسرشمت ١٠٩ سي (Messerschmitt 109s) التي أمدتنا بها تشيكسلوفاكيا والتي كانت من أوائل الدول التي اعترفت بإسرائيل وقد أرسلت الطائرات ٣ أجزاء في الصناديق وجمعت في قاعدة الطيران في تل أبيب.

وكانت الطائرات مستعدة للعمل ولكن بناء على أوامر من القيادة العليا فكنا نحس أننا نمتلك طائرات حتى نفاجأ بها العدو في الوقت المناسب. ولكن لم يكن لدينا اختيار يوم الأحد في نهاية شهر مايو والجنود المصريون يقتربون من تل أبيب فصدرت الأوامر باستخدام الطائرات في مهاجمة الجيش المصري وكان اضطرابنا عظيما ونحن ننظر فوق الخرائط ونختار مسار الطيران ونختار كذلك.

وفي غبشات الفجر طرنا نحن أربع طائرات وعليها أربعة طيارين عسكريين وكانت المسافة قصيرة من "تل نوف" إلى أرض المعركة قرب ميناء اسدود وما أن امتطينا الطائرات حتى كنا فوق الجيش المصري. وما إن رآنا الجيش المصري حتى انطلقت المدافع المضادة للطائرات وعندما نظرت إلى قوة الجيش المصري امتلأ قلبي بالخوف فقد كان هناك مئات الألوف من الجنود المصريين وكان حجمها يفوق كل توقعاتي فقد كانت هناك آلاف السيارات المدرعة تملأ الطريق إلى تل أبيب. وأسقطت القنابل وابتدأت في الارتفاع وكانت طلقات المدافع المضادة للطائرات تتبعني وغادرت بعيداً عنها ثم هاجمت مرة أخرى وشاهدت الجنود المصريين يهربون في جميع الاتجاهات وعندما ارتفعت مرة أخرى نظرت إلى الطائرة الأخرى الذي كان يقودها "إيدي كوهين" والذي كان متطوعا من أفريقيا الجنوبية وقد شاهدت الطائرة وقد أصابتها القذائف المضادة للطائرات تسقط وكانت طلعة كوهين الأولى هي طلعته الأخيرة كذلك.

وكان هجومنا ناجحا فقد تعطل تقدم القوات المصرية. وقد كان هذا النصر يختلط بالجنون والأسى على فقد هذا الطيار الصديق وعلى فقد ربع قوة الطيران

الاسرائيلي في هذا الوقت. هذه المواجهة الأولى مع المصريين ومازلت أذكر الأسى الذي اعتراني عن فقد هذا الزميل العزيز الذي أسقط المصريون طائرته. وكانت المواجهات الأخرى تحمل نفس الأسى خصوصا ما أسقطته الصواريخ المصرية في ١٩٧٣.

وهاأنذا الآن سأواجه المصريين ولكن بطريقة أخرى وتحت ظروف مختلفة. وكانت الطائرة الأمريكية سي د ٩ ترتفع في الجو. وقد عرفني طاقم الطائرة وبدأت بتعريف المرافقين لي فهذا جنرال حازيت وشابير وهذا سكرتيري العسكري كولونيل إلان ناهيلا وحارس انتدبته مكاتب الأمن لمرافقتي. وشاركنا طاقم الطائرة في مشاعرنا نحو زيارة مصر. وأحس الأمريكان بأنهم يشاركون في هذه اللحظة التاريخية لإقامة السلام بين مصر واسرائيل فكان ذلك مدعاة فخر لهم. وأما المضيفة فقد أتت بزجاجة من النبيذ وأخذ مرافق الطيار صورا من آلات التصوير للاحتفاظ بها للذكرى وحتى تتمكن أسرهم من مشاهدة هذا الحدث التاريخي. واتجهت الطائرة إلى الممر الجوي الذي يقود إلى قبرص لأنه لم يكن قد حان الوقت لتطير فوق سيناء متجهة إلى مصر مباشرة. وعندما وصلنا إلى الشاطئ المصري أخذ الجميع ينظرون من نافذة الطائرة وتذكرت الصور التي كانت تأتي بها طائرات التجسس وكانت تتحول في أذهاننا إلى خطط فقد كنت أنظر إلى أرض مصر خلال العيون العسكرية وأنا واثق كذلك أن مرافقي كانوا مثلي.

ولكن في هذا الصباح الشتوي الجميل كنا ننظر إلى أرض مصر وكأنها هدف عسكري. ونظرت إلى الجنرال شولومو جارنيت وإن كان مثلي ينظر من النافذة وكأنه يخشى ألا يرى حد رمل من هذه الصحراء الواسعة أو قطرة من قطرات النيل الذي يجري في وسط الدلتا. وكنا نترك هذا المنظر الجميل منظر الخضرة والصحراء لتبادل المعلومات عن مطار بلبيس هو مكان التدريب للقوات المصرية ديسمبر ١١ مطار الشاطئ الذي أمطرته اسرائيل بالقنابل عدة مرات. وهذه هي حلوان في سنة ١٩٦٣ أرسلنا طائراتنا إلى حلوان لترصد لنا أماكن وجود بطاريات الصواريخ وكذلك كانت

حلوان مكانا لصناعة الصواريخ وتطويرها ولصناعة الذخيرة لم يفهم الأمريكان شـيئا مما كنا نتحدث به ولكن من ابتساماتهم ربما كانوا فهموا ماذا نعني.

في الساعة العاشرة والنصف صباحا وكانت الأهرامات تبدو واضحة تماما في التصوير الجوي العسكري وكنا قد صورناها ونشرنا الصور علانية بعد حرب ١٩٦٧ لنجعل المصريين يعرفون ضعفهم. وازداد شعورنا بالاضطراب لكما هبطت الطـائرة هذا هو وزير الدفاع الاسرائيلي على متن طائرة أمريكية يرى أهرامات الجيزة من كان يصدق هذا.

أنا لست غريبا عن مصر ففي سنة ١٩١٠ عندما كان الطيار رقـم ٧٧٥٨٦٢ بالسلاح الجوي الملكي البريطاني يشارك بمجهوده المتواضع في الحرب ضـد العـدو الألماني وعندما كنت أعمل في مصر فقد تجولت فـي مـصر فـزرت الاسـكندرية وبورسعيد. وفي إحدى جولاتي من القاهرة إلى الاسكندرية نظرت إلى الأهرامات وهو منظر كأنه من عالم آخر. وكان وايزمان يريد أن يقول أن اليهود هـم الـذين أنـشأوا الأهرام وهي مغالطة تاريخية واضحة فلم يكن هناك يهود فـي مـصر عنـدما بنـى المصريون الأهرام. ثم عاد وايزمان واعترف أنه كان مخطئاً.

إن عملي في مصر لم يجعلني أحب مصر ولكن كان عنـدي اعجـاب كبيـر بشعب مصر لأن كانوا يرحبون بي وكان لديهم حب للمرح وكانوا يبدون مقتنعين بمـا يصيبهم من بؤس وهل تستطيع هذه السنوات الطويلة من الاعتـداءات الإسـرائيلية أن تغير من طبيعتهم؟

طلب طيار الطائرة ٩ د سي السماح له بالهبوط في مطار القاهرة الدولي فـي أثناء عملي كطيار حربي في القاهرة كنت لا أحب القاهرة أثناء النهـار فقـد كانـت الحرارة شديدة. ومثلي مثل الملايين من سكان القاهرة كنت أقضي النهار فـي الظـل هاربا من الحرارة ماذا هبط الليل فإني أتجول في القاهرة. وسنة ١٩٤٢ كانت مدينـة جميلة. ولم يكون لدي أي رغبة أن أنظر إلى هذه الأيام الجميلة بأي شئ من الأسى.

وعندما كنت أخدم في القاهرة عشت في بيت عم لي كان قد هاجر إلى مـصر

في أوائل القرن وكان لديه قصر جميل في الزمالك ٢٦ شارع الجزيرة.

وبعد أن قامت الحرب بين مصر واسرائيل هاجر أقاربي إلى سويسرا ولا أعرف ماذا حدث لهذا القصر الذي كنت أعيش فيه.

وعندما اقتربت الطائرة من المطار الدولي هزتني مناظر المآذن الشرقية الجميلة وكان هناك مطار آخر ومازلت أذكر كيف صورنا هذا المطار بكافة ممراته ومبانيه وطائراته وكيف قامت الطائرات المهاجمة الإسرائيلية بتدميره في صباح يوم ٥ يوليو وحولناه إلى كومة من الحطام. ومازلت أذكر أسماء الطيارين الذين هاجموا هذا المطار. ونظرت إلى لحظة للطائرات الروسية وهي رابطة صفوفا على أرض المطار وبجوارها بعض الطائرات الأمريكية وقد انتشرت صواريخ أرض جو على أرض المطار وهي متجهة إلى السماء. وعندما مست عجلات الطائرة أرض المطار وبدأت في التوقف هاأنذا أرى نفسي في مطار دولة كان بيننا وبينها عداوة وحروب. ونظرت فوجدت طائرة سعودية تبدأ في الإقلاع نحو دمشق وطائرة أخرى كويتية ستتجه إلى الكويت بعد قليل وطائرة من البحرين. طائرات كلها من دول حاربت اسرائيل ونظرت إلى هؤلاء الجنود المصريين يصطفون لحراستنا.

منذ ميلادي وأنا احيا وأعيش بين العرب. وقد عشت أيام طفولتي بينهم. كانت أيام طفولتي في حيفا وكانت مدينة يختلط فيها العرب واليهود ولم تكن كالقدس أو تل أبيب حيث يعيش العرب واليهود منفصلين. فقد كان "ياهيل Yehil" يقوم بالتعامل مع العرب بل في بعض الأحيان كان له شريك عربي وأصدقاء عرب كانوا يزورونا في منزلنا من آن لآخر. وكان أبي يذهب كثيرا في تجارته إلى كثير من القرى العربية وكان كثيرا ما يأخذني معه من قرية إلى قرية وكنت كطفل أرى هذه القرى العربية فأرى أنها تختلف عنا كثيرا. ولم يكن حتى هذا الوقت قد نشأت الكراهية بين اليهود والعرب التي قامت من أجلها الحروب. وكنا قبل ذلك ... نذهب إلى بيروت أو دمشق بدون أي متاعب أو خوف. ولكن الأحوال تغيرت فقد أطلق الرصاص على عمي دنيا (Dunya) وقتل في شوارع حيفا. وعندما كنت طفلا كانت أمي تحذرني من الذهاب إلى

قلب مدينة حيفا بقولها أنهم يقتلون اليهود. خصوصا بعد أن يخرج المصلون من صلاة الجمعة بعد أن يسمعوا خطبة الجمعة فكنا نبقى في المنزل ولا نخرج منه. ومع ذلك فإن عائلتي كانت تحاول أن تقيم صداقات بين جيراننا العرب وكان أبي قد جاء من إحدى المدن الصغيرة في أوروبا الشرقية وسرعان ما تأقلم مع هذا الجو.

وكان أخوه عمي شايم وايزمان Chaim Weizman يرأس الكفاح السياسي لإنشاء الأمة اليهودية وقد اختير أول رئيس لجمهورية اسرائيل وكان رجلاً يكره الضعف ويود أن يكون هناك سلام بين العرب واليهود. وأما عائلة والدتي فكانت من أرض اسرائيل وقد كانت تتكلم اللغة العربية بطلاقة وقد حاولت أن تعلمني أنا وأختي اللغة العربية.

في صباح مايو سنة ١٩٤٨ عندما تجمعت الدول العربية لمهاجمة اسرائيل ملأني هذا العمل بالدهشة. وبالنسبة للمصريين بالذات لم أعرف ماذا دفعهم إلى هذا فما هي المصالح التي جعلتهم يحاولون التدخل في النزاع في فلسطين .. إني اعتقد أنهم قد ارتكبوا خطأ فادحا في الدخول إلى حرب لا علاقة لهم بها. وفي هذه الأثناء لم أكن أتصور فداحة الثمن الذي سيدفعونه بسبب هذه الغلطة وبمرور الوقت اكتشفنا أن المصريين أصبحوا غارقين في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني بجوانبه السياسية والنفسية والعاطفية. ففي هذه الحروب قتل ٨٠,٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠ وأصبح هناك مليون لاجئ من مدن القناة بعد حرب ١٩٦٧ والحروب التي سبقت الهزيمة العسكرية. إن قدري إني شاركت في هذه الحروب التي أسالت كثيرا من الدماء. في خلال حرب ١٩٥٦ كنت قائدا لقاعدة جوية. وفي خلال الفترة من ١٩٥٦ حتى ١٩٦٧ أصبحت قائدا لسلاح الطيران الإسرائيلي الذي قضى على الطائرات المصرية وهي في أرض المطارات وكان هذا السبب في الهزيمة الساحقة التي حطمت جيش مصر خلال أيام من الحرب. وفي حرب ١٩٧٣ كنت مستشارا لرئيس الأركان ومن أسرتي شارك ابني Shaiul – شؤول في الحرب وأصيب فيها بجرح في رأسه. وابنتي ميشال كانت ضمن سلاح الطيران. وتزوجت من طيار مقاتل. ليس هناك أحد في اسرائيل لم تمر به هذه التجربة

القاسية لهذا النزاع كمقتل ابن أو صديق أو يرى إنسانا معوقا بسبب هذه الحروب.

إن تسعين دقيقة طيران بين مصر واسرائيل عبرت ثلاثين عاما من الحروب ومئات الآلاف من القتلى والجرحى. إنها كانت فترة قصيرة من الطيران على طريق طويل طويل. وفي حالة قيام حرب أخرى فإن من واجبي كوزير للدفاع الإسرائيلي أن أقوم بالانتقام من الجيوش العربية. وفي خلال الثلاثين عاما الماضية اشتركت في التخطيط وفي القرارات التي أدت إلى خسائر مؤلمة للمصريين. وها هم الآن على بعد خطوات سيقومون بالترحيب بي ويقابلوني باحترام.

لقد عبر قائد الطائرة الأمريكي عن أمله في أن يكون لي حظ سعيد في هذه الزيارة ودعاني للنظر إلى أرض المطار من كابينة المطار. وعندما نظرت عرفت الرجل الذي كان واقفا ينتظرني محمد الجمصي وزير الدفاع المصري. لقد عرفته من الصور التي نشرت في الجرائد بعد حرب ١٩٧٣. لقد كان نحيفا طويل القامة ويبدو صارما. وقد وقف وحيدا لم يكن هناك أحد بجواره.

وقد اختلج قلبي وبدأت رجلي المصابة في إيلامي وكانت الضمادات الملفوفة حولها تعوق حركاتي. واعتمدت على العصا وبدأت في التحرك على أرض المطار. وقبل سفري بعدة أيام طلبت من المخابرات العسكرية –والتي تعتبر من أحسن المخابرات في العالم– أن توافيني بالملف الخاص بالفريق الجمصي حتى أكون على معرفة جيدة بشخصيته. كنت أريد أن أعرف كل شئ عنه وبكل التفاصيل الدقيقة. وكانت المعلومات التي جمعت في ملف المخابرات العسكرية تصفه بأنه رجل وطني متعلم وأنه قليل الصحاب. وفي كل الصور التي كانت في الملف لم تكن هناك ابتسامة واحدة. وقد كان الوصف لشخصيته مناقضا تماما لشخصيتي. فأنا شخص ملئ بالمرح وهو شخص منطوي على ذاته ومتحفظ. وفي الكيلو ١٠١ التي كانت مكان لمفاوضات فض الاشتباك عقد الجمصي محادثات طويلة مع الجنرالين أهارون ياريف Aharon Yaref واسرائيل تال. وعلى كل حال لم أسأل أي منهما عن انطباعاته لأني كنت أريدأن أحفظ سرية هذه الزيارة ..

والآن وأنا أقابل الجمصي فإني كنت قلقا. وكما وصفوه بأنه رجل ذو حماس ووطنية ومحافظ فكيف سأبدأ حديثي معه. وكادت الإثارة من هذا اللقاء لم تصنع شيئاً لتنسيني رجلي الموجوعة. لقد صافحني الجمصي وسأل "كيف كانت الرحلة؟" ثم مضى ليصافح بعض أعضاء الوفد وكما توقعت كان اللقاء باردا.

وقال الجمصي أشكرك على خطابك الرقيق وأشكرك كذلك على تمنياتك الطيبة بشفاء زوجتي. في محاولة من الجمصي في إذابة برودة اللقاء .. أشار إلى هذا الخطاب التي كنت قد أرسلته له عندما علمت أن زوجته أصيبت بمرض في الكلى. وقال قد سمعت عنك كثيراًمن الرئيس السادات من زيارته للقدس وهل تعلم أنني عندما علمت بالحادث الذي أصابك ظننت لأول وهلة أن هذا كان عذرا لعدم مقابلة السادات. إنما أعلم الآن أنني كنت مخطئا. وإني أعلم أن السادات قال لبيجن إن وايزمان مثير للحرب .. وقبل أن نبدأ محادثاتنا قال الجمصي أن الرئيس السادات يريد أن يراك. وتعجبت لأني لم أكن أتوقع أن أقابل السادات بهذه السرعة. وأخرج سكرتيري العسكري الان تهيلا Ilan Tahila قدم لي صندوق الهدايا. وتركنا هزرل تابير وشلومر جازيت واتجهنا نحو الطائرة الهليوكبتر التي كانت تقف على مسافة قريبة .. وعندما دخلنا الطائرة قابلنا قائد الطائرة "كابتن" منير بابتسامة وصافحنا. وقال مرحبا على متن الطائرة. ثم بدأت الطائرة في الاقلاع. وكانت الطائرة الهليوكبتر المخصصة لكبار الشخصيات فاخرة من الداخل. وفي المدخل في دولاب صغير به الزجاج نسخة من القرآن وعلقت لوحة كتب عليها بخط جميل "بسم الله الرحمن الرحيم" وأردت أن أبدأ حوارا مع الجمصي فقلت له أن بسم الله الرحمن الرحيم مثل ما نقوله نحن باللغة العبرية "B'Shem elohum" بشم ألوهيم فهز رأسه بأدب.

استنزفت الرحلة لقصر الرئاسة في الاسماعيلية حوالي ٤٠ دقيقة وفي أثناء هذه الفترة كنت أشاهد من النافذة بعض معالم الطريق كنت أعلم من التقارير العسكرية أننا نطير فوق الدبابات ومواقع الصواريخ وحيث كان يجلس أمامي وزير الدفاع فقد حاولت ألا يلاحظ هذا وكنت أكتفي بنظرة سريعة. ليس هناك شئ أكثر من أن ترى الأشياء

بنفسك. كنت أعرف أن هناك معسكرات عسكرية في الصحراء بين القاهرة والاسماعيلية ولكني ملأتني الدهشة من عدد الجنود الذين رأيتهم. فكل المنطقة تناثرت المعسكرات وقواعد الصواريخ والسيارات المصفحة وآلاف الفرق العسكرية ولم أشاهد أية إنشاءات مدنية وطبقاً للتقارير العسكرية كانت هذه الصحراء مقرا للفرقة الرابعة المدرعة وعندما هبطت الطائرة في مطار الاسماعيلية كانت هناك عربة مرسيدس سوداء تنتظرنا وركبناها وانطلقت بنا عبر شوارع المدينة إلى مقر الرئيس. ذكرياتي عن الاسماعيلية تختلف تماما عما أشاهده اليوم. فنحن لم يكن لدينا رحمة على الاسماعيلية ففي خلال حرب الاستنزاف حولناها إلى كومة من الحجارة فلم يكن هناك منزل واحد قائما. وفي إحدى الغارات قتل رئيس أركان الجيش المصري مما أدى إلى هبوط الروح المعنوية للجيش المصري. ولكن في سنة ١٩٧٧ كانت الاسماعيلية مدينة مختلفة تماما فقد أعيد إنشاءها وبدت المدينة مليئة بالحياة وليس هناك ما يدل على ما عانته المدينة من القصف الإسرائيلي المتواصل عليها.

مقر إقامة السادات كان يقع على ضفاف القناة ونزل قائد السيارة ولكن الجندي الواقف أمام الباب لم يتحرك ولم يفتح الباب ولم يتحرك من على كرسيه. وعند ذلك نظر الجمصي من نافذة السيارة وصرخ في العسكري افتح البوابة أنا الجمصي وقفز العسكري وذهب ليفتح البوابة وتخيلت نفسي وكأني في اسرائيل فابتسمت ونظرت إلى الناحية الشرقية حيث يبدو جزءا من خط بارليف وقد تحطم منظراً بعث في نفسي الذكريات المؤلمة لحرب ١٩٧٣ وكذلك أعاد النظر إلى الضفة الشرقية للقتال الذكريات المؤلمة ففي إحدى هذه الحصون خدم ابني أثناء حرب الاستنزاف وكان جندياً شجاعاً فقد خدم منذ ١٩٦٩ وعندما أنهي خدمته العسكرية قلت لزوجتي "ريوما" Re'uma أن لدي أمل ألا يذهب للحرب كما ذهبنا نحن. وقد سألت نفسي هذا السؤال لماذا كتب علينا أن نحارب؟ ولكن لم أجد جوابا على هذا السؤال. لقد كان شاؤول في وسط معمعة القتال وقد كنت قلقا عليه. وعندما تركت الجيش سألت معروفا من هرزل شابير أن يخبرني أين يوجد شاوول إني أريد أن أعرف. وفي يونيو سنة ١٩٧٠ أصيب شاوول

برصاصة وهو موجود بإحدى حصون خط بارليف. وطلبني الجنرال بارليف بالتليفون عندما كنت أتناول طعام الغداء بإحدى مطاعم القدس. وفي هذه الثواني لأصل إلى التليفون قلت لنفسي لا يمكن أن يكون شاوول قد قتل فلو أنه قتل لا ينقل هذا الخبر بالتليفون فقد جرت عادة الجيش الاسرائيلي أن يخبروا أهل المقتول شخصيا. وكنت في بعض الأحيان أستيقظ خائفا أن يأتي ضابط من الجيش ليخبرني أن شاوول قد قتل. وكانت تمر بي الذكريات المؤلمة عندما كنت أكلف بنقل خبر موت ضابط أو جندي فأذهب إلى منزله لمقابلة عائلته لأخبرهم بهذه المصيبة التي وقعت فوق رؤوسهم، لقد جرح شاؤول ومنذ هذه اللحظة عاشت أسرتي تحت ظلام هذا المأساة .. فقد أصابت الرصاصة رأسه فأوجدت عنده عجزا في المخ، وسببت له صعوبة الحركة. وبعد مدة سأله المذيع الأمريكي مايك والاس هل تكره ذلك الشخص الذي سبب لك هذا؟ فأجاب شاؤول كيف أكره شخصا لا أعرفه. وقد أسعدتني إجابة شاؤول وكنت أتمنى كذلك أن أكون قادرا على عدم الكراهية. قد يبدو هذا غريبا ولكن لم أحمل كراهية لهؤلاء العرب الذين سببوا كثيرا من الألم لاسرائيل بل لعائلتي. وفي الحقيقة لقد كنت أحتقر الزعماء العرب الذين يقودون شعوبهم إلى حروب دون استعداد كامل للانتصار فيخوضون حربا بلا أمل في النصر. ولكن على العموم فإني كنت أحترم الشعوب العربية معارضا لكثير من الإسرائيليين الذين كانوا ينظرون إليهم كأعداء. منظر الحصون المحطمة من خط بارليف على الجانب الشرقي من القتال وذكرى إصابة ابني شاؤول كانت تمر بذهني في هذه اللحظة التي أحاول الخروج فيها من السيارة.

فوق الحشائش الخضراء كان يجلس السادات وكان يلبس بدلة خفيفة زرقاء ويدخن غليونه. وصوت فرامل السيارة جعله ينظر إلينا. كانت رجلي تؤلمني فأخذت عصاي لأتوكأ عليها. "يا عزرا" قال السادات بصوت عال. لقد أخطأ السادات في اسمي فعزرا كان اسم مشهوراً لدي اليهود المصريين" مازلت تتوكأ "على هذه العصا" لقد ضغطت على أسناني حتى كادت تحدث صريرا. وزير الدفاع الإسرائيلي يعرج وهو يقابل الرئيس المصري لم تكن فكرة مقبولة لدي. فرميت بالعصا بعيدا وقلت باللغة

العربية "يخرب بيتها هذه العصابة". وعند ذاك كان هناك صمت تام واتسعت أعين السائق والحراس المصريين بالدهشة وأما إلان وأموس فقد بدت الدهشة عليهما. واتسعت عينا الجمصي. واستمر الصمت دقيقة أو دقيقتين ثم انفجر السادات بقهقهة بصوت عال وأخذ باقي الحضور يضحكون.

مفاوضات صعبة

عندما عاد وايزمان إلى إسرائيل أحس أن المصريين لن يتنازلوا عن أي شئ وأن المفاوضات ستكون معركة صعبة وقد تصل إلى طريق مسدود. وقد يؤدي ذلك إلى قيام حرب أخرى بين مصر واسرائيل كان بيجن طول كفاحه السياسي يرى أن اسرائيل الكبرى هي الحلم الذي ملأ فكره وأراد أن يحققه بضم غزة والضفة الغربية إلى اسرائيل ولكن كان هناك الكثيرون من أصدقائه الذين يعلمون أن هذا سوف لا يتحقق إلا بضحايا وشهداء ودماء تتدفق على الطريق. ولكن عندما أختير بيجن رئيسا لوزراء اسرائيل وهو إرهابي سابق كانت هناك معارضة كبيرة، وعرف أن الحقائق الدولية المحيطة به لن تسمح بتحقيق هدفه بضم هذه الأراضي التي استولت عليها اسرائيل خلال حرب ١٩٦٧، كما أن زيارة السادات للقدس زادت من الضغط الداخلي والخارجي على ألا تضيع فرصة السلام التي بدأت في الأفق فتخلص من الحلم وقابل الحقيقة كرئيس لوزراء اسرائيل فعليه أن يختار بين الأرض والسلام. وفكر بيجن في الخروج من هذا المأزق الذي وضعه فيه السادات كيف يحتفظ بالضفة الغربية ولا يضيع فرصة السلام التي بدأت في الأفق فدعا إليه مدير مكتبه موهيل كاوتساي وسكرتيره العسكري افرايم لوران "أن الوسيلة الوحيدة أمامنا أن نعطي الفلسطيني حكما ذاتياً تحت إشراف اسرائيل وبذلك نكون أعطينا أنفسنا أمنا وحكماً ذاتياً لهم. كاوشاي سحب دفترا ذا ورق أصفر وبدأ يكتب ما يمليه بيجن وأخذ بيجن يسير جيئة وذهابا ويملي على مدير مكتبه فصلا بعد فصل. وقد كان بيجن يؤمن بأنه من حق اليهود أن

يعيشوا في أي مكان فوق أرض فلسطين خصوصا في الضفة الغربية التي احتلتها منذ حرب ١٩٦٧. ومنذ أن انتخب رئيسا للوزراء وهو يعطي اليهود الحق في إقامة أي مستوطنات في أي بقعة في أرض اسرائيل. ولكن حزبه نظراً لعدم وجود مستوطنين لم يستطع إقامة سرى مستوطنات معدودة في هذه الأراضي المحتلة. وقد غضب العرب من اقامة هذه المستوطنات التى اعتبروها دليلا على أن اسرائيل تريد أن تبتلع هذه الأراضي المحتلة واعتبروها كذلك رمزاً للاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي. والحكم الذاتي لم يكن شيئا جديدا فقد كان موسى ديان الذي كان وزيرا للدفاع في الحكومة السابقة يقلل كثيرا من التدخل الإسرائيلي في مشكلات الحياة اليومية للعرب. وكان يترك هذه الأمور للإدارة العربية تحت قيادة الاحتلال العسكري، واتبع شيمون بريز نفس السياسة. وعندما كان بيجن زعيما في ١٩٧٥ للمعارضة رفع فكرة الحكم الذاتي ولكنه لم يستطع اقناع الحكومات بها فقد أضاف بيجن لمبادئ حزب الليكود فصلا يقول فيه أنه يجب على اسرائيل أن تعطي العرب الذين يعيشون في الأراضي المحتلة حكما ذاتياً، وحق اختيار نوع التعليم الذي يتفق مع ثقافتهم وتقاليدهم. وبعد زيارة السادات قرر بيجن أن يعطي الفلسطينيين حكما ذاتياً وأن ينظر في ذلك بعد خمس سنين. وكان الهدف الأساسي من سياسة الحكم الذاتي التي قدمها بيجن للأراضي الفلسطينية المحتلة هو أن تبقى هذه الأرض تحت سيطرة اسرائيل. وقد احتفظت اسرائيل بحقها في شراء الأرض وإقامة المستوطنات في مناطق الحكم الذاتي. وقد ترك بيجن للفلسطينيين أن يصبحوا رعايا للأردن أو يحصلوا على الجنسية الإسرائيلية. ولهؤلاء الذين يحصلون على الجنسية الأردنية الحق في التصريت والترشيح في الأردن وأن يكون لهم حرية الانتقال بين الضفة الغربية والأردن. ولكن مشكلة بيجن كانت في زيادة السكان الفلسطينيين فلو استمرت معدلات الزيادة بنفس النسبة لأصبح الفلسطينيون في المستقبل أغلبية. كما أن اللاجئين الفلسطينيين الذين فروا في سنة ١٩٤٨ ومازالوا يعيشون يحدوهم الأمل في الرجوع إلى بيوتهم المغتصبة وكان بيجن يخشى أن يقود الحكم الذاتي إلى تفكيرهم في العودة مرة أخرى إلى أرض فلسطين ولذلك فقد وضع شرطا أن

تكون هناك لجنة اسرائيلية تسيطر على عودة اللاجئين. ومن وجهة نظر بيجن كان لخطة الحكم الذاتي مزايا عدة. فهي لا تسمح للأردن بأن تكون له قوة سياسية في الأرض المحتلة كما أن اسرائيل ستصبح لها السلطة العليا في الأراضي المحتلة، وذلك للمحافظة على أن اسرائيل. كما أنها ستحول التأثير من منظمة التحرير الفلسطيني إلى الفلسطينيين الذين يعيشون في الأرض المحتلة. وكان الحكم الذاتي يعطي الفلسطينيين بعض الاستقلال في إدارة شئونهم فهم يستطيعون أن يحددوا إنشاء مدرسة أو مستشفى ولكن ليس لديهم الحق في انشاء جيش أو إقامة دولة أو رفع علم أو خلق نشيد وطني أو إصدار عملة.

وكانت خطة حكومة بيجن في الوصول إلى اتفاق مع مصر بخصوص إعادة سيناء إلى مصر أقل تعقيدا. فهو يعترف بسيادة مصر على سيناء، ويقرر الانسحاب إلى الحدود الدولية. على أن يتم الانسحاب على مرحلتين، فالمرحلة الأولى الانسحاب من العريش إلى رأس محمد وهو يعطي العريش لمصر وهي المدينة الرئيسية في سيناء، ويبقى في شرم الشيخ حتى يضمن المرور إلى ميناء إيلات وحرية الملاحة إلى خليج العقبة.

وأما المرحلة الثانية فإنها ستكون أكثر تعقيدا وستوجد بعض المشاكل عندما ينسحب الجيش الإسرائيلي إلى الحدود الدولية .. فكان بيجن يريد الاحتفاظ بالمستوطنات المقامة في رفح، ويريد أن يحتفظ بالمطارات الثلاث الموجودة في أرض سيناء حتى ٢٠٠١ في منطقة تكون تحت إشراف الأمم المتحدة. وكان بيجن يظن أنه بالاعتراف لمصر بالسيادة الكاملة على سيناء فإن السادات سيوافق على هذه الطلبات. وأما المطارات فستحول اثنان منهم إلى مطارات مدنية ويبقى مطار واحد تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي، وكان بيجن يريد الاحتفاظ بثكنه عسكرية لحماية المطارات والمستوطنات. وفي خطة بيجن تأخذ المرحلة الأولى حوالي ثلاث سنوات أو خمس سنوات من تاريخ توقيع الاتفاق على أن يعاد النظر فيها في سنة ٢٠٠١. وقد قرر بيجن عرض هذه الخطة على المستشارين وعلى بعض الفلسطينيين حتى تصبح الخطة

كاملة ولم يعرض بيجن هذه الخطة على مجلس الوزراء لأنه كان يريد أن يعرض الخطة على الرئيس الأمريكي كارتر. واستشار بيجن سفير اسرائيل في الولايات المتحدة سيمحا دنتز عندما كان في زيارة رسمية في لندن. وقال دينتز "إنه لا يظن أنه يمكن الوصول إلى اتفاقية بدون موافقة ومعاونة الولايات المتحدة ولذلك فإنني أرى أن تعرض الخطة على الرئيس كارتر حتى يمكن الحصول على موافقته على هذه الخطة. وحتى يمكن لكارتر إذا وافق عليها أن تستبعد فكرة عقد مؤتمر جنيف. وقرر بيجن الذهاب إلى واشنطن لعرض الفكرة على كارتر. وقبل ليلة رحيله إلى واشنطن عرض الخطة على وزرائه ولم يكن أحد منهم قد شهدها سوى ديان. لم يعط بيجن وزراءه خطة مكتوبة وإنما تحدث عنها شفويا ولم تناقش خطة الانسحاب من سيناء. ولما كان الوزراء لم يعلموا سلفا بهذه الخطة فلم يكن هناك شيئا يستطيعون مناقشته في هذا الاجتماع لأن بيجن فاجأ الوزراء بأن الخطة كاملة وأنه يريد أن تبقى سرا حتى يعرضها على كارتر وكان لوايزمان بعض الملاحظات.

وأما يادين فقد قال أن خطة الحكم الذاتي فعلا فكرة عظيمة وأنا أوافق عليها تماما. ولكن لابد من أخذ رأي أعضاء الحزب واستمر الاجتماع حوالي سبع ساعات، وانتهى الاجتماع بتحذير من بيجن "إننا لابد إذا كنا نريد سلاما أن نأخذ بعض المخاطرة. وهذه الخطة قد تؤدي إلى سلام مع مصر، دون أن يكون هناك قرار نهائي بالنسبة للضفة الغربية". ولما كان بيجن لم يستشر جور رئيس الأركان ولا رئيسه وزير الدفاع في تفاصيل هذه الخطة. فقد أراد جور أن يذهب مع بيجن إلى واشنطن كمستشار عسكري. وقد عارض وايزمان هذا الاقتراح ووافق بيجن على رأي وايزمان. وأخذ جور هذه كإهانة شخصية أو كنوع من الانتقام منه لأنه أدلى بحديثه يوم رحلة السادات إلى القدس. فقد كانت طبيعة جور أنه لا يكتم رأيه لنفسه. وكان من رأيه أنه في الظروف الحالية ليس هناك أمل في الوصول إلى سلام دائم مادامت المشكلة الفلسطينية لم تحل، وكل ما نريده الآن هو اتفاقية منفردة مع مصر نترك سيناء تحت سيطرة اسرائيل، وتبقها منزوعة السلاح حتى يستطيع الجيش الإسرائيلي الدفاع عن اسرائيل

في حالة حدوث حرب. لم تعجب كلمات جور القيادات الجديدة المسئولة عن سياسة اسرائيل. وقد رد موردخاي نائب وزير الدفاع على جور "إني أحب أن يفهم وإلى الأبد أن هنا البلد لا يحكمه الجنرالات".

وعندما وصل بيجن إلى الولايات المتحدة قدم إلى كارتر خطة بعضها مكتوب بالآلة الكاتبة والبعض الآخر مكتوب بخط يده. وتحدث معه عن تصوره للحكم الذاتي الفلسطيني وللمرة الأولى قد قدمت اسرائيل لواشنطن خطة كاملة للسلام. وكان كارتر ينصت باهتمام ومن وقت لآخر كان يقاطع بيجن بقوله "أنا موافق" ولم يبد كارتر أو معانوه أي اعتراض على الخطة التي قدمها بيجن بخصوص سيناء. وقدعلق على خطة الحكم الذاتي للفلسطينيين بأنها خطوة هامة أو تقدم ملموس نحو السلام. وقد سأل كارتر عدة أسئلة. هل ستبقى قوات اسرائيل في المنطقة .. وما مصير المستوطنات الإسرائيلية. أنا لا أريد صراعا بين السكان والجيش الاسرائيلي فأنا سأنقل الجيش بعيدا عن المدن، ويتمركز في قواعد قليلة وأضاف ديان أن الجيش الإسرائيلي غير موجود في المدن. وأما بالنسبة للمستوطنات فإنها ستبقى في أماكنها لأننا نريد أن نعيش سويا" وعند ذلك أخذ برزنسكي مستشار الأمن القومي " يسأل عدة أسئلة ضايقت الإسرائيليين فسأل " ما هي الجنسية التي سيتمتع بها سكان الأرض المحتلة." ورد بيجن هم الذين يختارون بين الجنسية الإسرائيلية أو الأردنية أو الفلسطينية وقال برزنسكي "هؤلاء الذين سيحصلون على الجنسية الإسرائيلية هل يستطيعون أن ينتخبوا أعضاء الكنيست فقال بيجن أن الذين يختارون الجنسية الإسرائيلية هم وحدهم الذين يستطيعون أن ينتخبوا أعضاء الكنيست" فقال برزنسكي إذن تصبح اسرائيل كجنوب أفريقيا إنك تأخذ حق التصويت من الناس. وهنا رد بيجن بغضب "هل يستطيع السود في جنوب أفريقيا أن ينتخبوا أو لهم له حق اختيار الجنسية. إننا نقول من يريد أن يصبح مواطنا اسرائيليا سيتمتع بكافة حقوق المواطن الإسرائيلي فنحن لا نفرض شيئا على أحد. واقترح فانس وزير الخارجية أن ينص على أن من يريد الجنسية الأردنية يسمح له بذلك حتى تشجع الملك حسين للانضمام إلى خطة الحكم الذاتي للفلسطينيين قال بيجن إن هذه المرة

الأولى التي أعطى الفلسطيني حكما ذاتيا. وقيل أن ينهي الاجتماع توجه بيجن إلى كارتر قائلا:

"سيدي الرئيس ألا تظن معي أن هذه الخطة أساس عادل للمفاوضة بين الدول العربية واسرائيل، فرد كارتر بالتأكيد بالتأكيد ومن ردود الرئيس كارتر ومستشاريه اقتنع بيجن أن الخطة مقبولة من الولايات المتحدة وأشار بيجن أنه لابد من موافقة الحكومة الإسرائيلية عليها. وعندما قابل بيجن في اليوم أربعة أعضاء مهمين من مجلس الشيوخ الأمريكي قال لهم أن كارتر قال أن الخطة أساس عادل للمفاوضات. وأرسلنا مبادئ الخطة من البيت الأبيض إلى الرئيس السادات. وقد قال برزنسكي لمساعديه أن خطة بيجن تماثل الخطة التي قدمها برزنسكي وأنه سعيد أن يكون بيجن هو الذي قدمها. وبعد ذلك عرض بيجن خطته على رؤساء الدول الأوربية وأوحى أنهم جميعا امتدحوها وأثنوا عليها. وعندما عاد بيجن إلى اسرائيل وكانت قد تسربت بعض المعلومات عن الخطة اعترض كثير من أصدقاء بيجن عليها.

وقد انتقد أعضاء حزب العمل خطة الحكم الذاتي التي ستقود في النهاية إلى حكومة فلسطينية. وفضل حزب العمل أن يكون هناك تنازلات عن الأرض واتفاقيات مع الأردن لممارسة الحكم في الأراضي المحتلة التي ستتخلى عنها اسرائيل.

في ديسمبر نوقشت الخطة في مجلس الوزراء الإسرائيلي واستمرت المناقشات سبع ساعات وبحضور وايزمان وجور. ولقد عارض وايزمان وبين بعض الأخطاء في الخطة ولكنه في النهاية وافق عليها. ومن ضمن الأخطاء التي ظهرت نتيجة للمناقشات أن الخطة لم تذكر شيئا عن المياه. وفي نهاية اجتماع مجلس الوزراء أرسلت برقية إلى دينتز السفير الإسرائيلي في واشنطن تخبره أن هناك إحدى عشر تعديلا على الخطة التي قدمت إلى كارتر وتعديل واحد مهم، وعشرة تعديلات على خطة الحكم الذاتي وأضيفت خمسة أقسام لم تكن موجودة في الخطة الأولى المقدمة لكارتر. وكان التعديل الأهم هو أن الخطة لا تنفذ إلا عند إحلال السلام. وقد أخذت اسرائيل على عاتقها ضمان الأمن واحترام القانون. وأن اللاجئين لا يعودون إلا بأرقام معقولة على أن

توافق اللجنة المشتركة بين الإسرائيليين والفلسطينيين على عودتهم. وأما بالنسبة لسيناء فتبقى المستوطنات في العريش تحت الإدارة الإسرائيلية وخاضعة للقانون الإسرائيلي وقد كانت هذه التعديلات تكاد تلغى خطة الحكم الذاتي للفلسطينيين وتحتفظ لإسرائيل بحق الفيتو خلال المرحلة الأولى من الخطة.

عندما كان بيجن في واشنطن أعرب عن رغبته في عرض الخطة على السادات أنشئ خط ساخن بين البيت الأبيض في واشنطن والقصر الجمهوري في القاهرة. واتفق السادات وبيجن على عقد لقاء بينهما بعد أن توسط السفير الأمريكي في ذلك وبعد أن أصبح واضحا فشل مؤتمر مينا هاوس.

وقد كان هيرمان ايلتس على علاقة طيبة بالسادات وهو دبلوماسي قدير ومحترف خدم مدة طويلة في البلاد العربية فقد خدم كسفير في السعودية ولبنان ثم مصر. وكان طويل القامة مع شارب رفيع وابتسامة دائمة. وفي أثناء خدمته في القاهرة فإنه لم يتحدث إلى الصحافة مطلقا. وكان يتحدث مع السادات تليفونيا يوميا من الخط المباشر بينهما. وكان إيلتس يجيب على أسئلة السادات فورا. ومنذ أن عين سفيرا في مصر فإنه كان يعتبر نفسه شريكا في صنع السلام، وكان دائما يقول "إني سأستمر هنا حتى يتحقق السلام. وفعلا رفض ايلتس ترقيه ليصبح وكيلا لوزارة الخارجية لشئون الشرق الأوسط، وذلك حتى يستمر في منصبه كسفير في القاهرة. وقد قرر ايلتس أن السادات يريد حلا للقضية الفلسطينية حتى لا يظهر أمام الأمة العربية أنه يعقد صلحا منفردا مع اسرائيل، وكان السفير يعتقد أن لقاء بيجن والسادات في الاسماعيلية قد يسفر عن اعلان المبادئ التي ستتم بمقتضاها مفاوضات السلام. وكانت نقطة الضعف في السادات أنه كان يظن أن إقدامه على زيارة القدس قد تؤدي إلى إزالة العقبات في سبيل السلام. وكان السادات يعلن مبادئ عامة ثم يترك لوزارة الخارجية إعداد التفاصيل التي كانت دائما لا تعكس خطط السادات في الوصول إلى السلام العادل والشامل في الشرق الأوسط. وكان السادات يعيش في وهم كبير. وكان ايلتس ينتقد اسرائيل التي كانت في رأيه لم تصنع كثيرا لتدعيم السادات أمام الدول العربية. ونظم لقاء السادات وبيجن في

ديسمبر على أن يتم في جزيرة الفرسان في الاسماعيلية، ولكن في النهاية عقد الاجتماع في مقر السادات الصيفي في الاسماعيلية. وقد انتظر الإسرائيليون بفارغ الصبر هـذا اللقاء .. وامتلأت النفوس بالأمل أن يحرك هذا اللقاء عملية السلام .. أما في مصر فقد كان المصريون يشكون في أن إسرائيل تريد سلاما. وزينت الإسماعيلية بأعلام مصر وبصور للسادات في حلته العسكرية ولم يكن هناك علم اسرائيلي واحد أو صورة واحدة لبيجن .. أو أي إشارة عن أمل المصريين في السلام .. وبذلك ازداد القلـق حتـى أن كاتب في النيويورك تيمز كتب أن السادات بيجن يمـثلان صـاروخين علـى وشـك الانطلاق وأنه من الصعب أن تتنبأ بنتائج اجتماعات هذين القائدين.

الفصل التاسع

لقاء الإسماعيليــــة

كانت الطائرة التي ستقل مناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيلي إلى أرض مصر المقدسة رابضة بمطار بن جوريون .. واستقلها بيجن وهو يبدو متعبا وما أن جلس في الطائرة أقبلت عليه المضيفة وقالت له أن هذا اليوم عيد ميلاد زوجي الذي مـات فـي الحرب مع مصر سنة ١٩٧٣ وأخضلت عيناها بالدموع وتأثر بيجن بدموع المـضيفة التي قالت مرة أخرى "إن إسرائيل تعتمد عليك لتحقيق السلام".

وعندما دخلت الطائرة المجال الجوي المصري قال بيجن "إن موسى قام بهـذه الرحلة منذ ٣٥٠٠ سنة ونحن اليوم نقتفي خطواته هو خرج من مصر ونحـن نـدخل مصر. وبعد خمسة وأربعين دقيقة من انطلاق طائرة العال هبطت الطائرة في مطـار أبو صوير العسكري. قرب الاسماعيلية وقرب شواطئ قناة السويس. وكان مطار أبـو صوير قد دمرته الطائرات الإسرائيلية في حرب ١٩٦٧ وتركتـه مـصر ولـم تقـم بإصلاحه إلا قبل حرب ١٩٧٣ خرج بيجن من الطائرة وكان يبدو عليـه التعـب. إن الإرهاق في الأسابيع الماضية قد بدأ تأثيره عليه. كان استقبال المصريين بـاردا فلـم يعزف النشيد القومي لإسرائيل أو ترفع أعلامها .. ولـم يكـن هنـاك صـحفيون أو كاميرات التليفزيون ولم تكن هناك ترتيبات تليفزيونية لنقل هذا الحـدث إلـى العـالم. وكانت الإسماعيلية مليئة بأقواس النصر وصور السادات وتحتها عناوين بطل المعركة وبطل السلام. وقد وجد الإسرائيليون وقال ديان ليس هناك أي علامات ترحيـب بنـا" وهو يلتفت لبيجن. وقد وقف السادات ليستقبل ضيوفه في شرفة الفيلا التي يقـيم فيهـا والتي كانت شركة قناة السويس أقامتها خارج مدينة الإسماعيلية لإقامة رؤساء مجالس إدارتها. وكان آلاف من جنود البوليس يحيطون بالفيلا وكان السادات يرتدي حلة أنيقة

وخرج ليصافح بيجن ونظر بيجن إلى السادات نعم ولنرى كيف ستتقدم هذه الاتصالات؟ هذا السؤال الذي كان يفكر فيه ديان بل إنه كان قد وضع هذا السؤال أمام بيجن فقد قال له أنني لست متفائلا من هذه الاتصالات. إن إسرائيل عليها أن تتنازل عن الكثير حتى يمكن تحقيق السلام مع مصر وكان يرى أن الولايات المتحدة تقف في صف مـــصر. وبدا على ديان الحزن. وأما وايزمان والذي كان غير متوقع أن يدعوه بيجن لمصاحبته في هذه الزيارة كان يعتريه قلق كذلك. فعند مقابلته للجمصي والسادات قد كان اصرار السادات على الجلاء الفوري عن سيناء واعطاء الحكم الذاتي للفلسطينيين، ولكن كـــان تشاؤمه ممزوجا بأمل أن مقابلة السادات في الاسماعيلية ستحدد ما إذا كانت المفاوضات مع مصر ستستمر أم ستتوقف؟ وأرجو بعد لقاء الإسماعيلية أن تستمر وكان وايزمـــان قد طلب من مساعديه إعداد ملف كامل عن الانسحاب من سيناء وعـــن تكـــاليف هـــذا الانسحاب.

وبالرغم من أن بيجن عندما عرض خطته على بعض زعماء أوروبا وعلـــى كارتر فإنهم جميعا امتدحوا هذه الخطة. ولكن قبل رحيله إلى الاسماعيلية فقـــد بـــدا أن هناك عيوبا كثيرة في هذه الخطة وأن مصر لن تقبل بأي خطة لا يكون فيه انـــسحاب كامل من الأراضي التي احتلتها اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧، وقد صرح بذلك الـــسفير الأمريكي لدي اسرائيل صمويل لويس، وحتى قبل وصول بيجن إلى الإسماعيلية صرح السادات أنه لن يقبل بأي حال من الأحوال وجود عسكري اسرائيلي في مناطق الحكـــم الذاتي الفلسطيني .. وقد انطبقت تصريحاته على التقرير الذي قدمه وايزمان لرئيـــسه عن محادثاته مع الرئيس السادات والجمصي في مصر قبل زيارة بيجن. وقـــد غـــادر بيجن إلى الاسماعيلية وهو عازم على أن تكون المحادثات بينه وبين السادات لابـــد أن تقوم على أساس الخطة التي قدمها لكارتر ولكن السادات كان قد أعلن مفاجأة لبـــيجن. فقد وجد بيجن نفسه في حجرة وحيدا مع عدد كبير من المصريين يحضر مراسم حلْف يمين وزير الخارجية الجديد محمد إبراهيم كامل الذي حل محل اسماعيل فهمي وزيـــر الخارجية السابق الذي استقال احتجاجا على زيارة السادات للقدس "جاء هذا في كتـــاب

The year of the dove ص ١١٦" وقد أنكر محمد إبراهيم كامل هذه الواقعة. وبعد هذا اجتمع السادات مع بيجن وحدهما لمدة ٢٢ دقيقة وكان معاونوهم ينتظرون خارج الحجرة. واجتمع مئات من الصحفيين في مركز صحفي أقيم في أحد المباني الخاصة بقناة السويس وعندما خرج الزعيمان من اجتماعهما كان وجه بيجن مشرقا وأما وجه السادات فقد كان لا يعبر عن شئ وعند ذلك صرح بيجن أننا اتفقنا على انشاء لجنتين أحداهما عسكرية والأخرى سياسية حاول الصحفيون الاتصال بجرائدهم لاعلان الخبر ولكن التليفونات لم تكن تنطق.

اجتمع الوفدان المصري والإسرائيلي حول منضدة طويلة في مقر السادات وجاء جرسون وصب شاياً للسادات وللضيوف. وارتشف السادات من كوبه ثم قال "إني في القدس شربت شاياً أفضل ابتسم بيجن لهذه الجملة .. وقف السادات ثم بدأ يتكلم " باسم شعبي وحكومتي باسمي إني أرحب بك بحرارة في أرض مصر. وأنه من السعادة أن نستقبلكم هنا. ويمكن أن نقول إن هذه الأيام من أحسن أيام حياتي. أننا لابد أن ننهي الخلافات بين شعبينا. ولقد عبر الشعب المصري عن مشاعره وموافقته على إقامة سلام بيننا قائم على العدل.

وكانت الحجرة ممتلئة واتجه السادات ناحية النافذة وقال أنه منذ أن عبر موسى إلى سيناء من مكان قريب من هنا لم يكن هناك اتصال بين شعبينا لابد أن نعمل سوياً من أجل السلام. لا مكان لهذه الكراهية التي استمرت أكثر من ثلاثين عاما بعد الآن. إن العالم ينظر إلينا فدعنا نرى العالم إننا قادرون على تحقيق هذا السلام العادل. ثم نظر إلى وايزمان وقال "إني ووايزمان كان بيننا حديث مستمر وقد اتفقنا على بعض المواضيع واختلفنا على بعضها الآخر.

وجاء دور بيجن في الحديث فوقف وقال "دعني أنتهز هذه المناسبة فأهنئك بعيد ميلادك التاسع والخمسين .. سيدي الرئيس لقد ولدت في قرية صغيرة من قرى مصر ووصلت بكفاحك ونضالك إلى أعلى مركز في بلادك وأصبحت من زعماء العالم المعدودين. إننا نقدرك زعيما وقائدا شجاعا. إن موسى قد عاش مائة وعشرين عاما

ونحن اليوم نتمنى لك حياة مديدة فأنت الآن في منتصف العمر. وعندما ترك موسى مصر إلى صحراء سيناء أمضى أربعين عاما ليصل إلى أرض إسرائيل أما نحن فدخلنا أرض مصر في أقل من أربعين دقيقة .. ونحن دخلنا في بداية المفاضات التي أرجو أن تستمر .. إن مصر والعالم يحتاجان إليك وإني أمل أن نحقق السلام قبل أن يصل عمرك إلى ستين عاما. لقد جئنا إليك بقلب مفتوح ومملوء بالثقة. لقد قلت أن العالم كله ينظر إلينا. إنها لحظة تاريخية. ونأمل من أعماق قلوبنا ألا تكون هناك حروب أخرى وألا تكون هناك كراهية ولن تكون هناك إسالة دماء. دعنا نصبح أصدقاء. ثم أضاف أننا بدأنا خطوات السلام بالرجل اليمنى وليكن هذا فأل طيب للمستقبل. لقد أتيت لك بخطة للسلام ثم اخرج الأراق واستمر يقرؤها واستنفذت هذه القراءة ساعة من الزمان. وقد كان بيجن يقرأ كل جملة ببطء وكأنه يؤكد كل نقطة فيها. وقد بدأ الحاضرون من الوفدين يبدو عليهم الضجر وكان وايزمان قلقا وهمس ديان لماذا يريد أن يقرأ الخطة كلها ولكن بيجن استمر في القراءة حتى انتهى.

لقد حاول بيجن أن يلفت نظر السادات لمقدار التنازلات التي قدمها في هذه اللحظة أننا سنلغي هذا الشرط التي كان مجلس الوزراء الإسرائيلي قد وضعه بألا تتنازل عن أي جزء من سيناء قبل أن توقع مصر معاهدة سلام مع اسرائيل أننا قد تراجعنا عن هذا القرار ونحن لن نطلب منك توقيع أي معاهدة سلام مادام هناك أي جزء من سيناء تحت سيطرة اسرائيل. وإننا نقترح أن نوقع معاهدة سلام قد تستمر لأجيال قادمة وإن كنا نوافق على مراجعتها في سنة ٢٠٠١ سأل السادات أحد الجرسونات أن يملأ غليونه بالدخان وارتشف الشاي الأخضر من الكوب الموضوع أمامه وانعكست على وجهه علامات الضجر. واستكمل بيجن حديثه قائلا أننا نخاطر ولكننا لدينا ثقة فيك وفي حبك للسلام فدع أطفالنا وأطفالكم يعيشون في سلام ولنجعل الابتسامة تبدو فوق وجوههم.

وقد بدا على الوزراء والمساعدين علامات الارتياح عندما أحسوا أن محاضرة بيجن على وشك الانتهاء. ورفع السادات يده إلى أعلى فجاء أحد الأشخاص وأشعل

غليونه. وكانت المنضدة مليئة بالبسكويت والبرتقال وأما "التورتة" التي أرسلتها إدارة قناة السويس بمناسبة عيد ميلاده فلم يمسسها أحد. ثم تحدث بيجن مرة أخرى موجهاً حديثه للسادات. السيد الرئيس هل تريد التعليق على الخطة الخاصة بسيناء أما تفضل أن تسمع الجزء الثاني من الخطة الخاصة بالحكم الذاتي للمناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ فقال السادات لا من فضلك استمر في عرض الجزء الخاص من الخطة.

واستمر في عرض الجزء الثاني من الخطة وكأنه يبدأ من بداية الطريق إن إسرائيل لها حق السيادة على جوديا وسماريا وغزة هذه أرض أجدادنا. ديان أمسك رأسه بكلتي يديه وأما وايزمان فقد نظر إلى الحاضرين ليعرف تأثير هذا الكلام عليهم. وقد بدا على ممثلي وزارة الخارجية أنهم لا يوافقون على هذا الكلام. وحيث أن هناك آخرين يدعون السيادة على هذه الأرض فلنناقش هذا الموضوع. وأعلن بيجن وهو يتكلم ببطء وكأنه يؤكد كل كلمة يقولها لو وافقتم على هذه الخطة فيكون السكان العرب قد تمتعوا لأول مرة في التاريخ بالحكم الذاتي المستقل وكنا نحن قد حصلنا على أمن اسرائيل. صفق السادات فظهر خادمه على الفور ووقف بجانبه وطبقا لأوامر السادات ذهب الخادم ليفتح النافذة وكان هواء الحجرة قد تشبع بدخان السجائر " وبعد أن أتم بيجن عرض خطته قال للسادات " إني أحب أن أقول لك إني عرضت هذه الخطة على كارتر وعلى نائبه مونديل وعلى وزير الخارجية فانس . وقد أكد لي كارتر وبعض أعضاء مجلس الشيوخ أنها خطة عادلة. ولكن هذه الخطة لم تقابل بالرضا من الإسرائيليين فقد نظم المعارضون الاضرابات حول مكتبي وحول منزلي. وقال وايزمان مؤيدا بيجن إن وفدا جاء إلى مكتبي ليعبروا عن معارضتهم لهذه الخطة.

والتفت بيجن إلى وايزمان وقال إنك سعيد الحظ لأنهم ارسلوا وفداً ولكن بالنسبة لي لقد ثارت المظاهرات ضدي .. لقد كان الوقت ظهراً وقد بدا القلق على الوفد المصري عندما أخبرهم أن هذه الخطة قد عرضت على كارتر وظنوا أن زيارة بيجن لأمريكا معناها أنه أخذ موافقة الولايات المتحدة على خطته. وخشى السادات أن تكون هناك جبهة اسرائيلية أمريكية قد تكونت ضده. ولم يكن السادات سعيدا بما قد سمعه

"فقال لبيجن إني لست سعيدا بما أسمع ولذلك قال بيجن "لا تتضايق فكل شئ خاضع للنقاش والتفاوض". وبدأ السادات كلامه "لقد تحدث بيجن بصراحة وقد سمعنا كلماته. ولكننا سنقدم نحن كذلك خطتنا في أثناء المفاوضات.

نحن نختلف على عدة مواضيع ولكني أعتبر أن اجتماعنا اليوم خطوة ناجحة على الطريق بالرغم من الاختلافات التي بيننا. وعند سمع الوفد الإسرائيلي تعليق السادات بدا على الوفد الارتياح ولاحظ السادات تأثير كلماته على الوفد الإسرائيلي واستمر السادات في قوله "أن رئيس الوزراء تكلم على الصعوبات التي قابلها عندما عارض بعض الإسرائيليين خطته المقترحة .. ولكن أنا كذلك لدى صعوبات .. إن لمصر واجبات للعالم العربي .. فمثلا العالم العربي يؤمن بأن اسرائيل يجب أن تنسحب لحدود ١٩٦٧ والحاجة كذلك لحل المشكلة الفلسطينية .. هذا ما يجب أن نناقشه بشئ من التفصيل . هذا ما يجب أن نناقشه عندما نصوغ إعلان المبادئ التي على أساسها يقوم السلام. لقد أخذ الوفد الإسرائيلي بنوع من الدهشة لأن السادات ركز على أن اعلان المبادئ هو ما يجب أن يسفر عنه لقاء الإسماعيلية .. ومن هنا بدأ الخلاف واضحا .. بيجن يريد مناقشة خطته والسادات يريد أن يكون هناك اعلان مبادئ. وكان من الصعب أن يكون هناك توافق بين الهدفين.

وقال السادات أن إعلان المبادئ سيؤدي إلى تقدير مؤتمر مينا هاوس أو يؤدي إلى الذهاب إلى مؤتمر جنيف. إن زيارتي للقدس كانت للتغلب على الصعوبات التي تقف في طريق السلام. وقام السادات من على كرسيه وكأنه يريد إنهاء الاجتماع. ولم يكن لدي الإسرائيليين النية في اعلان المبادئ وكان موسى ديان هو الذي جعل السادات يجلس مرة أخرى "السيد الرئيس معنى ذلك أنك توافق بالنسبة لموضوع الفلسطينيين أننا توصلنا إلى اعلان مبادئ ولكن لا نناقش التفاصيل هنا في الاسماعيلية" وعند ذاك قال السادات "أنني أميل إلى أن نحقق اتفاقا عاما على المبادئ أن هناك مواضيع كثيرة لا نستطيع أن نناقشها مثل ترتيبات الأمن في الضفة الغربية أو في مرتفعات الجولان لأن هذا موضوع يخص السوريين وأما بالنسبة للفلسطينيين فإنه أمر مختلف أننا لابد من

الوصول إلى اتفاق على المبادئ. لأن هذا أمر مهم. وسأل ديان متى تجتمع اللجنتان؟ "فأجاب السادات بمجرد أن نتفق على إعلان المبادئ فإننا ندعو اللجنتين للاجتماع. وعند ذاك أحس الوفد الإسرائيلي أنه وقع في فخ فهم لا يريدون إعلان مبادئ واللجان لا تجتمع إلا إذا اتفق على إعلان المبادئ فقد كان الاتفاق على اللجان يعتبر انجازاً كبيراً والآن إن الأمل يتبخر كدخان غليون رئيس جمهورية مصر. وكأن رأي السادات الذي أبداه إذا لم يكن هناك اعلان مبادئ فلن يكون هناك لجان "حاول وايزمان أن يقود المناقشة إلى موضوع آخر ونجح في ذلك حين قال "إن مناقشاتي مع الجمصي عرفت منه أنك تريد أن تكون لك قوات عسكرية شرق الممرات حين يمكن لك الدفاع عن قناة السويس. إننا نحتاج إلى المطارات الموجودة في سيناء" وعند ذلك سأل السادات "لماذا تريد المطارات في سيناء؟ فرد وايزمان "لندافع عن أنفسنا؟

سادات إننا نريد سلاما

وايزمان ولماذا تريد جيشا شرق الممرات

سادات لندافع عن قناة السويس

وايزمان ضد من

سادات ضدكم

وايزمان ولكننا نقيم سلاما

سادات أنت على حق فأنا لا أريد أن أبقى جيشا كبيرا في سيناء لأن هذا يكلفني كثيرا .. أنا لا أريد سوى كتيبة واحدة .. وإذا تحقق السلام فنحن لا نحتاج إلى جندي واحد.

لقد دخل أحد المساعدين وهمس في أذن السادات وعند ذاك قال السادات "إن كارتر على التليفون رفع السادات سماعة التليفون ولكن لم يسمع شيئا وهو يقول آلو .. ولكن لم يكن بالتليفون حرارة .. لقد كانت التليفونات في مصر بلا حرارة .. وبعد ذلك وضع السادات سماعة التليفون وقد بدا عليه الضيق. ودعى الوفدان للغذاء وفي أثناء الطعام بدأ التوتر الذي كان بين الوفدين يتلاشى وكان الحديث أثناء الغداء المكون من

أوراق العنب المحشي (وسلطة المشروم) وشرائح البتلو وعصائر التفاح والبرتقـــال .. وأخذ اليسار الذي جاء من القاهرة ووايزمان الذي كان قد زار الإسماعيلية مـــن قبـل يتحدثان عن نظام التليفونات المصري وتوالى انقطاع الحرارة وأخذ بعض الحاضرين يتساءلون عما كان كارتر يريد أن يقول للسادات وبيجن. خارج الاجتماعات كان مئات الصحفيين يلعنون القائدين لأنهم أفسدوا عليهم أجازة أعياد الميلاد .. وقد زاد من حيرة هؤلاء المراسلين أنه ليس هناك أنباء يستطيعون ارسالها إلى صـــحفهم . فقــد وضـــع الصحفيون في إحدى مباني قناة السويس ومنعوا من الاقتراب من الفيلا التي تجري فيها المفاوضات .. وفجأة بدأ المصورون يأخذون صورا حيث دخل السادات عربته السوداء الكبيرة وأخذ مكان السائق وطلب من بيجن أن يجلس بجواره وجلس وايزمان وديان في السيارة من الخلف وانطلق بها السادات في شوارع الإسماعيلية. وتبع الـــسيارة التـــي قادها السادات سيارات الأمن وجري المصورون الصحفيون عسى أن يلتقطوا صـــورة للرئيس السادات مع ضيوفه الإسرائيليين. لقد أصر السادات منذ البداية على أن يعلـــن قرار المبادئ، لأنه اتهم من الدول العربية بأنه يسعى إلى صلح منفرد مع إسرائيل فهو يريد أن ينفي ذلك بإعلان المبادئ التي تذكر فيها القضية الفلسطينية، ويبدو أنه يبحـــث عن حل لهذه القضية التي هي أصل الصراع بين العرب واسرائيل. ولكن بيجن والوفد المرافق له لم يكن باستطاعتهم أن يقبلوا ذلك لأن من مصلحتهم أن تنفصل مصر عـــن أمتها العربية لأن هذا التفرق والاختلاف يضعف هذه الأمة وهذا ما تتمنـــاه اســـرائيل. وأخذ بيجن أنه لن يقر أي نوع من اعلان المبادئ بالنسبة للقضية الفلسطينية حتى لـــو أدى ذلك إلى فشل المفاوضات. ونتيجة لذلك بدا أن فشل اجتماع الإســـماعيلية أصـــبح حقيقة واقعة. واقتنع بيجن بأن إنشاء لجنتـــين للمفاوضـــات كـــان نجاحـــا لاجتمـــاع الإسماعيلية، وقد شرح بيجن لمعاونيه لماذا اعتبر إنشاء اللجنتين نجاحا للاجتماع.

أولاً: أختيرت القدس مقراً لاجتماع اللجان. وكـــان قبـــول مـــصر لأن نعقـــد اجتماعات اللجان في القدس يعتبر نجاحا في حد ذاته .. لأن بلاد صـــديقة لإســـرائيل كالولايات المتحدة رفضت عقد اجتماعات في القدس وكون مصر توافق علـــى عقـــد

اللجان في القدس يعتبر اعترافا ضمنيا بأن القدس عاصمة لاسرائيل.

ثانياً: أن انعقاد اللجان بين مصر واسرائيل يعتبر تحقيقا لمطلب اسرائيل في عقد مفاوضات مباشرة بينها وبين الدول العربية وفي هذا اعتراف بإسرائيل كدولة.

وقد بدا أن هناك حلا بدا في الأفق إذ وافق بيجن على أن اعلان مبادئ بالنسبة للقضية الفلسطينية .. وكان لا يحوي أي تنازلات من اسرائيل. وعرض بيجن بعض اقتراحاته بالنسبة للقضية الفلسطينية" قضايا الضفة الغربية وغزة تتناقش مع مجموعات مكونة من مندوبين من الأردن ومصر واسرائيل والفلسطينيين بغرض ايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية. ومن العجيب أن السادات وافق على هذا البيان الذي لم يكن به أي تنازلات أو أي تصرف إيجابي وبدا أن الصخرة التي كانت سيتحطم عليها مؤتمر الإسماعيلية قد أزيحت ولكن في المساء طلبت وزارة الخارجية من السادات عدم الموافقة على اقتراح بيجن . وعرف بيجن والوفد المرافق له أن وزارة الخارجية طلبت أن يكون هناك مبادئ معينة ينص عليها البيان. فهذا البيان الذي قدمه بيجن لا يفيده بأي شئ وإنما يعد بأن تكون هناك مفاوضات وهو لم يعد بأي شئ.

وعندما اجتمع الوفدان في المساء كان السادات شبه منفعل وقال "دعنا نتكلم بصراحة فليس هناك شئ نخفيه" وكانت سحابات فشل المؤتمر تخيم على المكان وقال السادات "إني عندما ذهبت إلى القدس كان الهدف الأساسي هو أن نبني جسور الثقة بيننا ونهدم الشكوك والخوف. وعندما عدت من زيارتي خرج خمسة ملايين مصري يهتفون بحماس للسلام ولكن هذا الشعب لن يقبل أن يتنازل عن شبر من أرض سيناء وليس من الممكن أن يخرج هؤلاء الناس إذا لم يكونوا يؤمنون بالسلام وأنهم كرهوا هذه الحروب المستمرة .. والدماء التي تسيل فيها".

لقد بدأت تباشير الفشل تلوح في الأفق ولكننا يجب ألا نسمح لمؤتمرنا هذا بالفشل وازداد صوت السادات حدة "وهو يقول "إننا الآن في صراع لأن بن جوريون كان يريد أن يفرض سلاما على العرب وعندما كنت صحفياً في الخمسينيات كتبت عن هذا الموضوع نحن كنا لا نريد أن نقيم أي علاقات معكم كما أن بن جوريون لم يكن

يريد سلاما. وواصل السادات كلامه "إنني قيل لي أنه عندما زار اليهود معبد القاهرة كان بين الزوار ضابط اسرائيلي فرحب به المصريون وعانقوه . إنها علاقة حقيقية لصداقة الشعب المصري نحن جميعا أبناء إبراهيم . فنحن أبناء عم .. لقد أصبحت مصر بلداً ديمقراطياً والصحف تكتب ما تشاء وأما باقي الدول العربية فهما إما ملكيات أو ديكتاتوريات. ولكن بعد ذلك بدأ السادات في أن يقول كلمات صريحة وغاضبة إذا قلت لقومي أن بيجن يريد أن يترك مستوطنات في سيناء وأن الجيش الإسرائيلي سيحمي هذه المستوطنات إن شعبي سيرجمني أن عرض بيجن ليس كافياً خصوصاً وأنا أواجه العالم العربي. وأنا لا أستطيع عقد صلح منفرد مع إسرائيل حتى لو رغبت . إن مصر زعيمة العالم العربي ولذلك فإني كما قلت لا أستطيع أن أقيم صلحا منفردا مع اسرائيل. ومع ذلك فنحن يجب أن نناقش مقترحاتكم ومقترحاتنا. ثم عاد السادات إلى اقتراحه الأول فنحن ما طلبناه منكم من خلال الولايات المتحدة هو "اعلان مبادئ" إني لا أريد أن أناقش مواضيع لا تخصنا. لقد قلت لأعضاء الوفد المصري أن بيجن يضعني في موقف صعب عندما يقول كيف نحل مشكلة الأمن في الضفة الغربية إنني ليس لدي إجابة معقولة عن هذا السؤال.

إننا يجب أن ندرس المشاكل بطريقة حضارية وليس هناك ضرورة أن تتدخل القوى العظمى في المفاوضات. أنا أريد "اعلان مبادئ" به جملة محددة عن انهاء احتلال الأرض المحتلة وعن حل عادل للقضية الفلسطينية. وكل طرف من أطراف النزاع يتفاوض مع اسرائيل على قضية الأمن. إني أوافق السيد رئيس الوزراء أن يطلب الأمن مني إني أريد اعلان مبادئ تقرر فيه ما يطلبه الشعب العربي والذي يعتقد أنه يستحقه. وقد كانت خطة السادات منطقية ومنظمة بطريقة جميلة وهو يخاطب بها الوفد الإسرائيلي الجالس أمامه ثم بعد ذلك تقدم السادات بعروض مغرية للإسرائيليين. لقد سألني عزرا عن إقامة علاقات دبلوماسية. كما حدثني كارتر على السلام في الشرق الأوسط. ولقد قلت لعزرا إني أوافق على إقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل بل إني أوافق على إقامة علاقات اقتصادية وأتمنى أن تقوم علاقات طيبة بين الشعبين. وأنه

لابد من إقامة خط طيران يربط مصر بإسرائيل. إن العالم كله الآن يركز نظره علينا وأنا أؤكد إننا قد قامت بيننا حروب وكم سالت فيها دماء .. وأنا مؤمن بأنه يجب أن تتوقف هذه الحروب. لقد قلت للوفد المصري قبل القدوم إلى هنا أنا مستعد لإقامة علاقات دبلوماسية. وقد قلت لازرا أننا لا نريد قوات من الأمم المتحدة بالعكس دعنا نجعل قوات مصر اسرائيلية مشتركة على جانبي الحدود. وعاد السادات إلى الحدة "إني ما قد سمعته من جانبكم أصابني بنوع من اليأس كي تفرض شيئا على مصر يكون غلطة. فإن الشعب المصري لن يقبل إطلاقاً أن يتنازل عن شبر واحد من أرضه. لذلك فإن اعلان المبادئ لابد أن ينص على الإنسحاب من الأرض المحتلة. وأن يوجد حل للقضية الفلسطينية بأن ينص على حق الفلسطينيين في التفاوض واعطائهم حق تقرير المصير .. بهذا يمكنني أن أرد على الجبهة العربية التي تصف نفسها بالجبهة المحافظة على حقوق الفلسطينيين .. وأستطيع أن أقول أن السلام في مصلحة شعب مصر. لقد كانت الخطبة طويلة وحماسية قد انتهت بكلمات هي عبارة عن دفاع عن موقفه الثابت تجاه القضية الفلسطينية وعن الانسحاب من الأراضي المحتلة وفي نهاية الخطبة "ويصبح الشعب المصري بأكمله صديقا لكم لقد قلت أزرا " إنكم يجب أن تحاولوا أن تكسبوا ود الشعب المصري وإذا نجحتم في هذا فإن ذلك سيكون انجازا عظيما. إنني لا يمكن أن أنسى حفاوة الشعب الإسرائيلي بي أثناء زيارتي. ولقد سرت هذه الحفاوة شعب مصر وهو يريد أن يكون صديقا لكم. إننا نريد حباً ينشأ بين الأجيال القادمة بدل الكراهية والحروب إني أريد سلاما مبنياً على العدل وسأقولها وإن أدى ذلك إلى أن أترك منصبي.

وأراد بيجن أن يرد على السادات بنفس الطريقة. لقد فهم الإشارات الخفية التي حفلت بها خطبة السادات وطلباته وكذلك ما حفلت بها من صداقة وإيمان بالسلام مثال "سيدي الرئيس أنت على حق عندما قلت إننا الآن نعيش في لحظة تاريخية وإننا نواجه أقسى لحظة في حياتنا السياسية إننا حاربنا من أجل استقلالنا . لم يقدمه أحد لنا فوق طبق. إن اليهود والمصريين شعبان قديمان. وإنها فرصة ذهبية أن نحقق سلاما بينهما.

وأنا شخصياً أريد أن أذهب غداً لدمشق من أجل السلام مع سوريا ولكن هل يرضى الرئيس الأسد ولكن يجب أن تعلم أننا لا نستطيع التفاوض مع سوريا مادامت سوريا لا تريد التفاوض معنا ولا تريد أن تجلس معنا على مائدة المفاوضات. كانت هذه الملاحظة من بيجن تشير إلى إمكان عقد معاهدة منفردة مع مصر والتي كان السادات يريد أن يتجنبها وكانت مصر ليس أمامها سوى طريق السلام مادامت اسرائيل لا تريد أن تجلس مع هيئة التحرير الفلسطينية ومادامت سوريا وشرق الأردن لا تريدان التفاوض. ورد كذلك بيجن على ما ذكره عن بن جوريون "إنك تعلم إني وبن جورين كنا خصمين سياسيين ولكن إنها ليست من الحقيقة في شئ أن تقول أنه كان يريد أن يفرض سلاما على العرب إننا يجب أن نتذكر الفترة التاريخية التي عاش فيها بن جوريون. لقد وصلنا من أوروبا ومازالت حوادث الهلوكوست الرهيبة مازالت في أذهاننا. بعد يوم واحد من اعلان الاستقلال في مايو ١٩٤٨ لقد هوجمنا من جميع الجوانب. جميع الدول المجاورة لنا هاجمتنا ومن ضمنها مصر عندما كان الملك فاروق حاكما لها. ولم يكن لدينا أسلحة ندافع بها عن أنفسنا. ها نحن نواجه التصفية مرة أخرى. لقد فقدنا ١% من شعبنا في هذه الحرب. لقد كان هناك معارك بيننا وبين العرب ارتكبت فيها مذابح من الطرفين وكل ما أريد أن أقوله أن بن جوريون لم يحاول أن يفرض سلاما على العرب. إنه كان يرغب في السلام ولقد سأل ناصر أن يقابله ولكن ناصر رفض مقابلته".

وبالرغم من أن بن جوريون كان خصما سياسياً لبيجن وكان لا يذكر اسمه بل كان يقول العضو الجالس بجوار فلان إلا أنه دافع عنه وعن سياساته حيث أن بن جوريون كان أول رئيس لإسرائيل وكان وزير الدفاع أثناء حرب ١٩٤٨ . وقد حمل بيجن عدة سنوات كراهية بن جوريون له. وبعد أن أصبح رئيساً لوزراء اسرائيل بعد موت بن جوريون غفر له بيجن عداوته السياسية. وهو الآن في الإسماعيلية دافع عن سياسات بن جوريون. وخاف بيجن أن يفشل مؤتمر الإسماعيلية فقال لقد جئنا إلى هنا برغبة ملحة في السلام والتعاون. ولابد أن نغتنم هذه الفرصة فدعنا نترك القضايا

المتنازع عليها للجان . وأنا شخصياً يا سيدي الرئيس على استعداد لمقابلتكم في أي مكان وفي أي وقت.

وحاول بيجن أن يعود إلى "موضوع الرئيس فقال "أنا قدمت لك اليوم مسودة اعلان مبادئ. تحدثت المسودة عن ضرورة إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية وأن القضية تناقش من مجموعة ستكون من مصر واسرائيل والأردن وممثلين للشعب الفلسطيني واعترض السادات "هذا صحيح . هذا ما تحدثنا به ولكن الشعب المصري...

كان هناك جواً من الاضطراب في حجرة المؤتمر. وقفز السفير المصري في الأمم المتحدة عصمت عبد المجيد من كرسيه وهو يقول "إن إعلان المبادئ المقدم لنا لا يمكن الموافقة عليه" وكرر كذلك الدكتور أسامة الباز "أنه لا يمكن الموافقة عليه" وكان الممثل الثالث لوزارة الخارجية الدكتور بطرس غالي علق بهدوء ولكن كلماته ضاعت في جو الاضطراب الذي ساد في حجرة المؤتمر.

بيجن أنت تريد حكومة فلسطينية برئاسة عرفات.

سادات أنا لا أتحدث عن عرفات الموضوع هو حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني

بيجن حق تقرير المصير معناه إقامة حكومة فلسطينية وأنا لا أستطيع الموافقة على ذلك.

السادات إنه من صالحك أن أظل قائدا للعالم العربي لابد من وجود شئ ملموس وإلا فإنهم سيرجموني.

لقد أصبح الجو متوتراً وساخناً وقال ممثلو وزارة الخارجية على إذن السادات وتحدثوا معه.

بيجن إنه ليس هناك مكان واحد في فلسطين لم يطلق عليه اسم عبري هل أنت تعرف أن قرية باطير القريبة من القدس.

السادات لا

بيجن باطير هي باثار وأخذ بيجن يقص ثورة اليهود في بار كوشيعا على

الرومان بعد تحطم المعبد الثاني وكيف قادهم أكيبا للإستيلاء على القدس وكيف سكوا العملة وأقاموا حكومة في القدس إلى أن جاء الرومان بقيادة سيفاروس وكيف صمدوا واستشهدوا ولم يستسلموا للرومان.

السادات ينفخ في غليونه ولم ينبس بأي كلمة ومن وقت لآخر وهو يستمع يبتسم وهو يستمع إلى تعليق بيجن الطويل ومن آن لآخر كان يطلب بعض المشروبات وكان يشير للدكتور عصمت عبد المجيد فيذهب مندوب وزارة الخارجية ليطلب بعض المشروبات. وتقدم عصمت بورقة إلى بيجن وقال هذه مسودة إعلان المبادئ.

وقال السادات "إني أطلب من الدكتور عصمت عبد المجيد أن يشرح مشروع المبادئ لكم إن ممثلي وزارة الخارجية هم المحامون الذين يدافعون عني.

وقرأ عبد المجيد اعلان المبادئ ومنذ اللحظة الأولى بدا على الوفد الإسرائيلي أنهم لا يوافقون. وكان اعلان المبادئ يطالب الإسرائيليين بالإنسحاب من الأراضي التي احتلت في سنة ١٩٦٧ من سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان وذلك طبقا لقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ والذي قرر أنه لا يمكن الاستيلاء على الأراضي بالقوة والتي أشار كذلك إلى إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية على أساس إعطاء حق تقرير المصير إلى الفلسطينيين وذلك بمفاوضات مشتركة بين مصر واسرائيل وشرق الأردن وممثلي الفلسطينيين.

بيجن نحن على استعداد للموافقة على القرار ٢٤٢ بدون المقدمة ونطبقه على المفاوضات بيننا وبين مصر.

السادات لا إن المقدمة مهمة جداً فقد نصت على عدم الاستيلاء على الأراضي بالقوة.

بيجن السؤال هنا أي حرب تشير إليها حرب دفاعية أم هجومية.

السادات أنتم هاجمتم مصر في سنة ١٩٦٧

بيجن إنه من الأحسن أن ننظر إلى ما كتب في صحفكم في هذا الوقت وما فعلتم في مضيق تيران وكيف طلبتم من القوات الدولية مغادرة سيناء .. وأرسل ناصر قواته إلى سيناء وقامت الأردن وسوريا بمهاجمتنا .. إننا نعد هذه الحرب دفاعية.

السادات إني أعلم .. إني أعلم

بيجن بقاؤنا في سيناء شرعي من ناحية القانون الدولي الذي يسمح باحتلال الأرض حتى تتم معاهدة صلح.

وأصبح الجو في المؤتمر ساخناً وبدأت الحيرة على السادات

السادات كل هذا حدث قبل زيارتي للقدس إني قبل ١٩ نوفمبر الآن كل شئ قد تغير.

بيجن هذا صحيح ولكنا لن نستطيع أن نهمل مقاييس أمن اسرائيل.

السادات كذلك لا تنسى أنني لابد أن أحافظ على مكانة مصر في العالم العربي.

وبدا بيجن عنيداً ومتصلباً وأخذ يقرأ فقرات من القانون الدولي كان قد أعدها سلفا من كتابات لويرياخ أو بنهيم. وأخذ الزعيمان يناقشان الفرق بين حرب الغزو وحرب الدفاع .. هذه الفقرات الطويلة من القانون الدولي جعلت السادات متضايقا خصوصا وأن المناقشات كانت طويلة والساعة كانت تأخرت فتدخل وايزمان وقال "دوبنهايم .. دعنا نفتح النافذة .. لقد أصبحت الدنيا حارة هنا . وكان السادات المعروف عنه كرم الضيافة مهذبا ولكنه كان ينظر ببرود .. وكان يريد أن ينهي هذه المناقشات بأقصى سرعة.

وأخذ بيجن "اعلان المبادئ" المقدم من الوفد المصري ثم علق على ذلك بأننا يجب أن يكون هدفنا الوصول إلى معاهدة سلام وليس اتفاقية سلام. وبدأ الهمس عاليا في حجرة الاجتماع وكان أعضاء وفد وزارة الخارجية المصرية يتناقشون فيما بينهم.

إن وفد وزارة الخارجية المصرية قد لا يوافقون ولكن هناك اختلاف بين اتفاقية

سلام ومعاهدة سلام وعلق أعضاء وفد وزارة الخارجية أنه لا يوجد في بنود القـــانون الدولي أي لختلاف بين اتفاقية سلام ومعاهدة سلام.

وكان الوفد المصري يعمل على أن تكون هذه اتفاقية سلام وليست معاهدة سلام لأنه طبقاً للدستور المصري فإن معاهدة السلام لابد من موافقة البرلمان المصري عليها أما اتفاقية سلام فيكفي أن يوقع عليها رئيس الجمهورية.

لقد ضاق السادات بهذه المناقشات وكان يعلم أن المناقشات حول هذه النقطة قد دارت لمدة أسبوعين في مؤتمر مينا هاوس وقد عكست تعاليم وجهه سأمه وقال "معاهدة أو غير معاهدة فلتكن معاهدة" خيم الصمت على وفد الخارجية المصرية وبدا الــضيق واضحا على وجه الدكتور عصمت عبد المجيد والذي يعتبر من أكفأ رجال الدبلوماسية المصرية. فقد كان عصمت عبد المجيد قد قام بعدة لقاءات سرية مع سفير اسرائيل في الأمم المتحدة حايم هونزوج وأصبح عصمت عبد المجيد وزيراً للخارجيـــة ثـــم أمينـــا للجامعة العربية فيما بعد. كان الوقت قد تأخر وبدأ المستشار القانوني للوفد الإسرائيلي يشرح أن القرار ٢٤٢ لأن الرئيس السادات وافق على هذا القرار من قبل .. وعند ذاك تدخل السادات وقال: "إني أقترح أن يختار كل وفد عضوين لصياغة "اعلان المبـــادئ" على أن يظهر فيه مبدأ الإنسحاب وحل القضية الفلسطينية . وبالنسبة للقضية الفلسطينية لابد من النص على حق تقرير المصير للفلسطينين. وليس من المهم أن يمثل عرفـــات الوفد الفلسطيني بل يمكن أن يكون الأردن وفلسطينو الأرض المحتلة ممثلين لهم. لابد من وجود هذا في اعلان المبادئ حتى يمكن لي أن أجابه جبهة الرفض وحتى لا أتهـــم أنني قد بعت القضية الفلسطينية.

تبادل أعضاء الوفد الإسرائيلي بعض الملاحظات وطلبوا من بيجن أن يفـــض الاجتماع حتى يمكن التشاور فيما بينهم. وبعد أن تفاوضوا اتفقوا على رفض اقتـــراح السادات بأن يعطي حق تقرير المصير للفلسطينيين وعندما عـــاد الوفـــد الإســـرائيلي للاجتماع قال:

ديان: إن الموافقة على هذا الاقتراح يحمل خطراً كبيراً على اسرائيل مـــن

الناحية العملية إن هذا عبارة عن هجوم على مراحل على اسرائيل.

السادات: أنا أوافق معكم على عدم إعطاء المتطرفين الفرصة لمهاجمة اسرائيل وأوافق معكم أن هناك اعتبارات لأمن اسرائيل أن المتطرفين من الطرفين يسببون لنا متاعب كما أنهم يمثلون خطراً على المنطقة برمتها خصوصاً بعد مؤتمر طرابلس. فجورج حبش أعلن عن نفسه أنه ماركسي يعنيني لكل هذه الأسباب يجب أن يكون للفلسطينيين حق تقرير المصير.

بيجن: إن شيئا من هذا يعني إقامة دولة فلسطينية . لن يوافق عليه سوى خمسة أعضاء من الحزب الشيوعي في الكنيست.

لقد أصبح السادات متعبا ووضع يديه حول رأسه وقال "أنني لا أريد أن أحصل على موافقة خمسة أعضاء من الكنيست

بيجن: سيدي الرئيس إنك يجب أن تفهم معنا أن النص على حق تقرير المصير يمثل لنا خطراً كبيراً.

لقد وصلت الساعة العاشرة مساءً وأصبح من الواضح أن المؤتمر قد فشل وأنه لا يوجد اعلان للمبادئ وأنه ليس هناك اتفاق بين الوفدين وأخيراً اتفق الوفدان على أن يكون هناك اعلان على قيام المفاوضات على أساس القرار ٢٤٢ وكان الوفدان قد بلغ بهما التعب.

بيجن: سيدي الرئيس دعني أقص عليك قصة إن لي صديقا كانت ساعته دائماً لا تعطي الوقت الحقيقي. ولكنه كان يعرف الوقت الحقيقي.

السادات: كيف ذلك.

إنه يجب أن يأكل كل ثلاث ساعات.

السادات: حسنا سيدي رئيس الوزراء دعنا نتوقف الآن .. فإننا يجب أن نأكل الآن. وسنتقابل غدا في الصباح.

وبعد ذلك توجه بيجن إلى حجرته وكان النور ساطعا في حجرته وحاول أن

يطفئ أنوار حجرته فلم يستطع لأنه لم يجد المفتاح الكهربائي وظل ساهرا طول الليل.

وذهب ثلاثة أعضاء من الوفد الإسرائيلي موسى ديان وماير روخين ويهودا اتز. تقابلوا مع بطرس غالي وعصمت عبد المجيد في الليل وحاولوا الوصول إلى صياغة مناسبة خصوصا وأن المؤتمر الصحفي الذي به مئات الصحفيين من جميع أنحاء العالم سوف يعقد غدا صباحا. ولكن أوغل الليل وبدت تباشير الفجر ولكن الأعضاء لم يصلوا إلى اتفاق. وهنا استقر الرأي على أن يصوغ كل وفد قراره ويعلنه وحيدا في المؤتمر الصحفي. وجلس الوفد الاسرائيلي في بناية ديلسبس وأخذ التليفون يدق بلا انقطاع وإذا رفع التليفون لا يرد أحد وأخيراً صمت التليفون.

وأما الوفد المصري فلم ينم أيضاً وإنما استمروا في مناقشات حتى الساعة الرابعة صباحا في محاولة لايجاد حل مناسب وكان ديان قد جاء لمقابلتهم ولكنه لم يستطع إقناعهم.

وعند تناول الإفطار كان الوفد الإسرائيلي صامتا. كان المؤتمر الصحفي قد حدد ميعاده في الظهر، وكان كل أعضاء الوفد يحاولون الوصول إلى اتفاق ليعلنوا بيانا مشتركا أمام الصحفيين. وقد اقترحوا أن يقول بيجن بيانا عن خطر ازدياد النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط، ولم يوافق بيجن على ذلك وقد بدا عليه التعب من قلة النوم. وقد اقترح مستشاره للشؤون العربية الدكتور موسى شارون الذي أراد أن يقدم للسادات الجملة التيَ تقرر حق تقرير المصير للفلسطينيين على أن تصاغ بطريقة تفقدها المضمون، ويجعل الرئيس المصري لا يستطيع أن يستغلها. ومع ذلك لم يوافق بيجن على ذلك وبعد أن استشار أعضاء الوفد بدأ بيجن يتحرك في الحجرة وهو مستغرق في التفكير .. ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منه. فقد بدا عليه اليأس. فقد أحزنه الاستقبال البارد الذي استقبل به في الاسماعيلية بينما كان مصاحبا للسادات في جولة. حول شوارع المدينة كانت هناك لافتات ترحيب بالسادات ولم تكن هناك لافتة واحدة ترحب به أو بالوفد المرافق له . وقد سأل بيجن الذي لم يكن يعرف العربية مستشاره الدكتور موسى شارون الذي يعرف العربية أليس هناك لافتة واحدة ترحب بنا. في أثناء اجتماع

الصباح اقترح بيجن على السادات أن يعلنا بيانا مشتركا يتضمن القضايا التي وصلوا فيها إلى اتفاق، والقضايا التي لم يصلا فيها إلى اتفاق ستوالي اللجان مناقشتها حتى يصلوا فيها إلى اتفاق. وعند ذلك صرح ديان الذي كان طول الاجتماعات يبدو متشائما "لماذا تهتم بالبيان المشترك؟ نحن باقون في سيناء وفي الجولان. إذا وافقوا على البيان المشترك كان بها وإن لم يوافقوا. ما معنى هذا تأتي إلى هنا في زيارة ولا يرفرف علم اسرائيل تجولنا ولا يوجد أي إشارة للترحيب بنا فإما أن نعلن بيانا مشتركا أو تغادر – القاهرة بدون أي بيان. وحاول وايزمان أن يعارض ديان وأما المستشار القانوني للوفد إهارون باراك فقد جلس صامتا. وعند هذا قال بيجن أنه سيقترح اعلان بيان مشترك على السادات فإن لم يوافق سنترك المؤتمر بدون بيان. لقد بدأ الاجتماع متأخرا نصف ساعة. وكانت هناك سياسة متبادلة لأن أعضاء الوفدين حاولوا أن يكونوا على جانب من الود. قال بيجن أننا قطعنا شوطا لا بأس به ونحن لدينا مسودة إعلان. وبدأ المستشار القانوني لوزارة الخارجية في قراءة مسودة الاعلان. وقد وافق السادات على نص الاعلان وعندما وصلت القراءة إلى القضية الفلسطينية شرح بيجن أن الفلسطينيين لأول مرة في التاريخ سوف يصبح لديهم حكم ذاتي وهذه تعتبر لحظة تاريخية هامة وعند ذلك قال السادات أننا نريد شيئا أكثر وضوحا.

إذا لم يكن هناك بيان مشترك فإن كل وفد يشرح مواقفه وأنا أقترح أننا لم نصل إلى اتفاق بالنسبة للقضية الفلسطينية فإسرائيل تريد الحكم الذاتي للفلسطينيين ومصر تريد حكومة فلسطينية ونعلن هذا في بيان مشترك .. وقد اندهش السادات لأنه لم يتكلم إطلاقا على حكومة فلسطينية. واستمر السادات يستمع إلى بيجن وهز رأسه وقال "حسنا" وقال عصمت عبد المجيد إن هذا مستحيل .. إن الورقة التي قرأها دكتور روزين غير مقبولة إطلاقاً وإذا لم يكن هناك اتفاق على القضية الفلسطينية فإنه لا يجب أن يكون هناك بيان مشترك إن هذا مستحيل .. إن هذا يكون اعلان استسلام ثم نظر إلى الرئيس السادات "سيدي الرئيس إنك تخاطر بمكانتك في العالم العربي. وعند ذلك نظر بطرس غالي إلى ديان وقال له "لقد قلت في الليلة السابقة "إن إعلان مبادئ لا

تنص على حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم لا يمكن أن نوافق عليه.

وهنا تدخل الدكتور عصمت عبد المجيد فقال لابد من اعلان بيان مشترك. وهنا قال بطرس غالي لقد قلت لديان أن اسرائيل موقفها كذلك. وتبودلت الاقتراحات والمناقشات وتحدث بيجن مع ممدوح سالم رئيس الوزراء. وكان عبد المجيد يشرح شيئا للسادات. وبدأ الجميع يتكلمون. وكان هناك رجل صامت لم يتكلم ولم يقل كلمة واحدة وهذا الرجل هو ممدوح سالم. وهنا صرخ بيجن غاضبا إذا كان إصدار بيانا مشتركا شئ صعب إذن فلا داعي لإصدار بيان مشترك. سنذهب إلى الصحافة بدون بيان مشترك. وليتحدث كل من الجانبين ليعبر عن مواقفه. كان السادات ينظر وليس هناك أي تعبير على وجهه. وكان يبدو متعبا وحزينا ولذلك فقد كان يريد انهاء الاجتماع فقال أن إصدار بيان بدون حق الفلسطينيين يضعف موقفنا في العالم العربي. لذلك فإني أقترح أن نعلن القضايا التي اتفقنا عليها والقضايا التي مازلنا مختلفين عليها وإننا اتفقنا على استمرار مؤتمر القاهرة. وقال بيجن "أنا أقترح أننا سنواصل المجهود للوصول إلى سلام كامل وعادل. وإننا اتفقنا على كثير من القضايا طبقاً لقراري مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ وفي المؤتمر الصحفي سنعلن رأينا في القضية الفلسطينية ونعلن كذلك إنها ستناقش في اللجنة السياسية وقام بيجن وهو يقول "بالطبع نحن سنحقق السلام" وقام السادات وهو يقول "نعم . نعم . وكانَ نوع من الضيق يسيطر على الوفد الإسرائيلي، واقترح موسى شارون أن يجتمع السادات وبيجن وحدهما للانتهاء من هذا الخلاف. وقبل أن يذهبا للمؤتمر الصحفي قدم بيجن للسادات هدية عيد ميلاده فقد قدم له ميدالية ذهبية صنعت كتذكار لزيارته التاريخية للقدس .. لم يبق إلا عدة دقائق قبل انعقاد المؤتمر الصحفي وحاول الدكتور أسامة الباز الوصول إلى صيغة يوافق عليها الوفدان وهنا قال موسى شارون "دعنا نقرر أننا لا نغادر هذا المكان قبل الوصول إلى اتفاق".

وهنا قاطعه ديان "إذا لم يكن الوفد المصري لا يريد فهذا غير مهم لنا. وهنا سأل السادات بيجن أن يمضي عدة دقائق وحيدا معه. وقال السادات له أن مستشاريه

من وزارة الخارجية الذين طلبوا منه ألا يتراجع عن حــق الفلــسطينيين فـــي تقريـــر مصيرهم . وقد قال السادات أن بيجن حاول أن يقنعه برأيه. وعندما عاد بيجن قال إننا لم ننجح في الوصول إلى اتفاق.

وفي المؤتمر الصحفي الذي حضره مئات الصحفيين من جميع أنحاء العـــالم. قال بيجن أن الأمم المتحدة والولايات المتحدة تشتركان في محادثات السلام. وكان هذا مفاجأة للسادات وطلب بيجن من السادات أن يقرأ ملخصا لما تم عليه الاتفاق وقد قـــال السادات بدون أن يلاحظ ذلك فأطلق على الضفة الغربية جوديا وسماريا.

وامتلأت قلوب المصريين بالغضب وقالوا إن بيجن استغل أن الــسادات كـــان متعبا. لأن السادات تحت أي ظرف لم يكن ليطلق على الضفة الغربية اسمها اليهودي. وكانت الأسئلة التي وجهها الصحفيون عادية وكذلك كانت الإجابات. لقــد كـــان مـــن الصعب اخفاء مدى فشل الاجتماع عن الصحفيين.

وقد رافق السادات بيجن إلى باب الطائرة الهليكوبتر التي سنطير به إلى المطار العسكري. وكان يبدو التعب والإرهاق على وجهه .. ورافقه رئيس الوزراء ممـــدوح سالم ووزير الحربية الفريق الجمصي إلى طائرة العال وودعاه بحرارة. وقد كان اليأس يخيم على جو الطائرة وهي تحلق عائدة إلى مطار بن جوريون. وقال بيجن للصحفيين المرافقين له "إنه سعيد" ولكن ديان الذي كان يجلس بجواره بدا متشائماً.

وأما السادات فقد بقي وحيداً في منزله في الاسماعيلية وهو يعتقد أنه لـــم يحقـــق شيئا. لقد أثر عليه فشل المؤتمر وقد شعر المصريون والإسرائيليون أنهم فقـــدوا هـــذه اللحظة التاريخية لتحقيق السلام. وقد ادعى الجانبان فيما بعد أنه لو تم تحقيق السلام في مثل هذا الاجتماع لما دفعت الشعوب ثمنا غاليا لتحقيقه فيما بعد. خصوصا أن جبهـــة الرفض لم تكن منظمة. وأما بيجن فقد كان يفكر بطريقة أخرى "إنهم كانوا يطلبون منا التقهقر على جميع الجهات وإعلان مبادئ بالنسبة للقضية الفلسطينية ثم أضاف "إننا لا نستطيع قبول ذلك".

الفصـــل العاشر

بعد القـدس

معظم موظفي الإدارة الأمريكية علتهم الدهشة لزيارة السادات واعتبروها عقبة في عقد مؤتمر جنيف .. وفي هذا الاتصال المباشر بين اليهود والمصريين في بعـض الأحيان كان الأمريكان يشاركون في هذه الاتصالات وفي كثير من الأحيان كـانوا لا يشاركون. ولكن نتيجة لهذه الزيارة وللخطب التي ألقيت في الكنيست لتشجيع الاتصال بين البلدين لتحقيق السلام، حتى يتوقف نزيف الدم في المستقبل. وفي ديـسمبر ١٩٧٧ كانت واشنطن تعتقد أن المصريين والإسرائيليين مقبلون على عقد معاهدة منفـردة .. وقد اعتقد الأمريكان أن هذا ربما يشجع الأطراف الأخرى كالفلسطينيين والأردن ولبنان وسوريا على عقد اتفاقيات مماثلة. وكان هناك خوف بعدم نجاح اتفاقيات مماثلة. وكان هناك خوف بعدم نجاح اتفاقيات بين البلدين دون حل لمشكلة فلسطين.

ولكن حكومة بيجن كانت تعتقد أن احتلال الضفة الغربية وغزة هي رسـالتها التاريخية.

وأما بيجن وزملاؤه فإنهم كانوا يتحدثون عن الضفة الغربية وقطاع غزة على أنها الأرض المحررة وليست أراضي محتلة. وحتى لا تجابه اسرائيل العالم وبإلحـاح من الدبلوماسية الأمريكية كان بيجن يريد أن يعطي حكما محليا محددا للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة والذي كان يطلق عليهما جوديا وسماريا. وكان هذا الحكـم المحلي لا يتطلب جلاء الاحتلال الإسرائيلي عن هذه الأرض[1].

---

(1) Haber, Eitan, Ehud Ya'ari and Zeev Schiff. The year of the dove, (Hel) Tel Aviv: Zmora Bitan, Modan 1980.

وفي ٢ ، ٣ ديسمبر قابل التهامي موسى ديان سرا في قصر الملك الحسن التهامي أخبره ديان عن خطة الحكم المحلي وقال ديان أن اسرائيل تريد أن تكون هناك علاقات عادية مع مصر وعلى استعدادها للجلاء عن سيناء في مقابل السلام مع مصر ولكنها تريد أن تحتفظ ببلدة ياميت التي أقامتها بغرب رفح والأراضي الزراعية من حولها.

وهنا قال التهامي إن جميع المستوطنات على أرض سيناء لابد أن تزال وقال "أن الرئيس والشعب المصري لن يقبلا وجود أي مستوطنة على أرض سيناء أو وجود جندي اسرائيلي واحد" وكذلك أبدى التهامي رفضه لاقامة سلام بين مصر واسرائيل دون أن تحل المشكلة الفلسطينية وأن يكون هناك استقلال فلسطيني.

وبدا أن هذا الاختلاف بين التهامي وديان سيوقف عملية السلام. وطالب ديان من أمريكا أن تبقى وراء عملية السلام إذا قدر لها أن تنجح، وإلا توقفت العملية برمتها. وعندما دعا السادات إلى مؤتمر مينا هاوس ودعا الولايات المتحدة واسرائيل والأمم المتحدة وقد حضره بعض الرسميين وليس على مستوى وزراء الخارجية. وبدا أن الجانبين لم يحققا أي تقدم في المفاوضات ولم تشترك أي دولة عربية في هذا المؤتمر. والدول التي سمت نفسها دول الرفض سوريا والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية اجتمعت في ليبيا وقررت قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر.

وكان رد فعل السادات هو قطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول التي حضرت مؤتمر ليبيا ولكن السعودية والأردن انتظرت لما تسفر عنه المفاوضات(١).

ولكن بيجن كان قد وصل إلى قرار الجلاء عن سيناء في مقابل السلام ولم يستشر في ذلك العسكريين أو وزير الدفاع أو مجلس الوزراء. وفي ١٣ ديسمبر عرض هذه الخطة على لجنة وزارة الدفاع وعارض رئيس الأركان جور وقال أن نظام الحكم الذاتي قد يؤدي إلى قيام حكومة فلسطينية. وطالب أن تحتفظ اسرائيل بسيناء الشرقية

---

(1) Dayan, Moshe, Break Through: A Personal Account of the Egypt-Israel Peace Negotiations London: Widenfield & Nicolson, 1981.

ولكن صوت الوزراء بالموافقة على خطة رئيس الوزراء[1].

وقد طار بيجن إلى واشنطن حتى يحصل على تأييد الولايات المتحدة على خطته وفي واشنطن شرح بيجن لكارتر أن اسرائيل ستجلو عن سيناء على مراحل قد تستغرق من ثلاث إلى خمس سنوات وكل مرحلة يقابلها تطبيع العلاقات بين البلدين كتبادل السفراء والعلاقات التجارية وتصبح لمصر السيادة على سيناء على أن تبقى المستوطنات في حماية القوات الإسرائيلية وقوات الأمم المتحدة .. ولا تفرض اسرائيل سيادتها على الضفة الغربية وغزة وتمنح الفلسطينيين الحكم الذاتي ولكن ستبقى القوات الاسرائيلية في غزة والضفة الغربية وفي ٢٠ ديسمبر طار وايزمان للإسماعيلية لمقابلة السادات ونائب الرئيس حسني مبارك – وهو مثل وايزمان كان قائداً للطيران – ووزير الدفاع الجمصي. ودارت المفاوضات في مقر رئاسة السادات وهي فيلا تطل على القناة وكان المفاوضون يجلسون في (الفراندة) ومنها يرى حصن من حصون خط بارليف الذي تحطم في خلال الحرب. ويقول وايزمان لقد كنت أختلس بعض النظرات إلى هذا الحصن المحطم وقلت لنفسي أن هذا الاجتماع لم يكن ليتم لولا عبور المصريين القناة وإن كان الثمن الذي دفع غاليا وقد كتب الجمصي أنني كنت راضيا عندما نظر وايزمان إلى حصن خط بارليف الذي حطمته القوات المصرية التي عبرت القناة وربما يكون هذا دافعا للإسرائيليين على أن يطلبوا السلام بدلا من تكرر عدوانهم على الدول العربية.

وقد وافق السادات على تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل بعد أن يتحقق السلام ومن ضمن ذلك تبادل السفراء وقد كان يعارض الفكرة من قبل. ولكنه لم يتراجع عن معادلته التي كانت الجلاء عن كل شبر من الأرض التي احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧ إذا أرادت اسرائيل تحقيق السلام وتطبيع العلاقات فعليها اقتلاع جميع المستوطنات في شمال اسرائيل.

---

(1) Bar, Shamuel (Hels) The Yum Kibbur war in Arab Eyes. Tel Aviv: Marachats, 1986.

وكان الجمصي أحد قواد معركة أكتوبر سنة ١٩٧٣ المجيدة دبلوماسياً حين التقي وايزمان وحيدا. فقد اعترف بمشاكل اسرائيل الأمنية وقال يمكن أن تبقي المستوطنات تحت السيادة المصرية كاليهود المقيمين في القاهرة وبعد عقد اتفاقية السلام يمكن لمصر أن تسحب معظم الجيش من سيناء وفي مقابل ذلك يجب أن تخفض قوة الطيران الاسرائيلي ولكن الجمصي أصر على وجود مطار وجنود في العريش وعندما قال وايزمان أن السادات وافق من حيث المبدأ على عدم وجود أية قوات عسكرية شرق المضايق وعند ذلك كتب الجمصي في مذكراته عندما سمعت هذا كان مبلغ اندهاشي وتعجبي أن السادات لم يستشرني ولم يوافق الجمصي في هذا اللقاء على إقامة محطات إنذار مبكر في سيناء لملاحظة النشاط العسكري المصري في سيناء. إما بالنسبة للأراضي العربية المحتلة الأخرى فإن الجمصي كان مصراً على سحب القوات الإسرائيلية وبدون تغيير في الحدود وكذلك على أن توقع اسرائيل معاهدة التسليح الذري.

وكان اجتماع السادات الجمصي وايزمان مقدم لاجتماع السادات وبيجن في الاسماعيلية في ٢٥ ديسمبر . وكانت هذه الزيارة الأولى لبيجن.

ولم يستطع الرجلان الاتفاق على أي شئ ذي أهمية(١) وقدم بيجن خطة الانسحاب من سيناء مع الاحتفاظ بقوات شمال رفح لحماية المستوطنات واعطاء حكم ذاتي محدود للفلسطينيين مع وجود قوات عسكرية في الضفة الغربية وغزة وتركت مشكلة السيادة لم تناقشها بيجن ووصف وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل أن هذه الخطة اهانة لدمائنا. وعلى أي حال شرح السادات خطة مصر على أساس الانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة وإقامة حكومة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة. وبذلك لم يحدث أي تقدم في المفاوضات وترك للجان العسكرية والسياسية.

وقد كان لقاء بيجن والسادات يمثل فشلاً ذريعاً في مفاوضات السلام. وقد كان السادات يظن أن اسرائيل ستقدم شيئا نتيجة لزيارته للقدس ولكن بيجن لم يقدم شيئا

---

(1) Harber, Ya'ari and Schiff 167-171.

وصورت الصحف المصرية بيجن كشيلوك اليهودي الذي يريد أن يمتص دم العـرب. وعند ذلك تأكد العرب أن أمريكا وحدها هي التي يمكن أن تدعو اليهود ليكونوا أكثـر مرونة.

وفي ٤ يناير سنة ١٩٧٤ في طريقه من الرياض لأوروبا قابل كارتر السادات في أسوان وأصدرا بيانا عرف بعد ذلك "باعلان أسوان".

السلام أولاً يجب أن يبنى على العلاقات العادية بين الأطراف ثانياً لابـد مـن انسحاب اسرائيل من الأراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧ والاتفاق علـى حـدود آمنـة ومحددة لكل الأطراف وثالثاً لابد من حل للقضية الفلسطينية مبنـى علـى الاعتـراف بحقوقهم الشرعية وأن يكون لهم الرأي النهائي فيما يتعلق بمستقبلهم[١].

كان هذا الاعلان واعتراف أمريكا بحق الفلسطينييـن نجاحا مؤقتا للسـادات ولكن في نفس اليـوم ذكرت الأخبار على أن اسـرائيل بـدأت فـي إقامـة أربـع مستـوطنات في سيناء وكان لهذه الأخبار أثر سيئ على السادات وجعلـت كـارتر يحس أن بيجن شخص لا يحترم كلمته[٢].

وفي الاجتماع الذي تم يوم ١٦ ، ١٨ يناير وكان سيروس فانس برأس الوفـد الأمريكي لم يتقدم خطوة واحدة نحو السلام واقتنع الوفدان المصري والأمريكـي بـأن المفاوضات بهذه الطريقة لن تقود إلى أي سلام.

فقد أصر الإسرائيليون على بقاء المستوطنات وقواعد الطيران في شرق سيناء ولم يكن هناك أي مرونة بالنسبة للضفة الغربية وغزة وعند ذلك استدعى السادات وفد المفاوضات وقال السادات لكارتر في محادثة تليفونية أن بيجن يفـضل الأرض علـى السلام.

وحتى وايزمان الذي وصفه كارتر فيما بعد أنه من القلائل في زعماء الـشرق الأوسط الذي يعالج الأمور بموضوعية. كان له نفس الموقـف المتـشدد فـي لجنـة

---

(1) Carter 303.
(2) Quandit.

المفاوضات العسكرية وقد انتهت المفاوضات في هذه اللجنة بالفشل التام وعلق وايزمان بعد ذلك أنه كان اجتماع بين عقلية الشرق الأوسط وعقلية شرق أوربا يقصد بالعقلية المصرية والعقلية الإسرائيلية.

وبعد يومين من سحب اللجنة السياسية فكر كارتر على دعوة بيجن والسادات إلى كامب ديفيد وعرض ذلك على برزنسكي الذي أظهر حماسه لهذا الاقتراح[١]. ولكن كان يجب أن ينتظر عدة شهور حتى تتضح الفكرة وبعد أن دعا كارتر السادات للحضور إلى واشنطن لمواجهة بيجن ويعاونه كارتر في هذا المواجهة إذ أبدى كارتر تفهما لموقف السادات وانكاره لموقف بيجن ووجه السادات أنها فرصة لا يمكن تفويتها وأطلق وليام كاترين عليها خيبة الشرق الأوسط وبرزنسكي الاستراتيجية السرية للتعاون مع مصر[٢].

والذي حرك هذه السياسة هو يأس السادات واعتبار أن زيارته للقدس فشلت وحديثه لكارتر عن تفكيره في الاستقالة .. وهذا جعل أصدقاءه من الأمريكان يحاولون اعادة الحياة لمحاولة كسب السلام.

وفي يوم ٣ فبراير وصل السادات إلى كامب دافيد وصرح بأنه كان يعتزم قطع كل المحادثات مع الجانب الإسرائيلي والولايات المتحدة هي وحدها القادرة على اغراء بيجن بتغيير موقفه. وقد وافق كارتر على هذا ولكنه لا يريد أن يظهر أن موقفه مع مصر ضد بيجن لأن هذا سيحرك غضبا سياسيا في داخل الولايات المتحدة ويعطل كل تحرك نحو السلام. ولكن بعد نهاية المحادثات عبر كارتر عن موافقته مع السادات على عدة نقاط. فأعلن أن إنشاء المستوطنات فوق الأرض المحتلة غير شرعي وعقبة في سبيل السلام وكذلك أعلن أن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ بالإنسحاب من جميع الأراضي المحتلة وليس بسيناء وحدها. وفي هذه الأثناء كان السادات يغزو قلوب الأمريكان في سلسلة من المحادثات التليفزيونية كما عبر عن ذلك موسى ديان.

---

(1) Carter 305.
(2) Quandit 82 Quandit, William Camp David Peace making and Politics, Washington D.C.: Brookings Institution, 1986.

وبعد مرور عدة شهور وحيث أن منظمة التحرير أخذت في مهاجمته واتهامه بخيانة القضية العربية وموقف بيجن المتشدد من الانسحاب من الضفة ومن غزة جعلته يظن أنه يمكن انسحاب اسرائيل من سيناء يمكن تحققه تحت هذه الظروف. ولم يكن الأمريكان يشعرون بأي تغير في موقف السادات لأنه لم يعبر عن ذلك اطلاقا[1]. وفي خلال الفترة من زيارة السادات للقدس في نوفمبر سنة ١٩٧٧ وتوقيع اتفاقية كامب دافيد في سبتمبر ١٩٧٨ كانت هناك هجمات إرهابية ضد مصر وإسرائيل وبعض الدول الغربية. والحادث الذي أثر في السادات هو اغتيال يوسف السباعي في ١٨ فبراير ١٩٧٨ رئيس تحرير جريدة الأهرام وقد كان ضمن الوفد الذي سافر معه إلى القدس وبالرغم من أن قتلة السباعي كانت جماعة أبو نضال إلا أن منظمة فتح قادت عدة مظاهرات في البلاد العربية وحرقت فيها دمي تمثل أنور السادات.

وأعلن السادات أنه يستبعد منظمة التحرير من مفاوضاته لأنهم بهذا السلوك قد استبعدوا أنفسهم من المفاوضات. وأخبر وايزمان بعد ذلك أنه لا يجب أن يكون هناك حكومة فلسطينية وأن تنضم غزة والضفة إلى الأردن ويمثل الفلسطينيين وفد من الذين يعيشون في الأراضي المحتلة[2].

وفي هذا الشهر قام بعض الفلسطينيين بعملية فدائية لافشال مفاوضات السلام في يوم ١١ مارس قام بعض الفدائيين بالهجوم على ساحل جنوب حيفا مستعملين في ذلك قاربا من المطاط واستطاعوا قتل سيدة أمريكية وهاجموا "أتوبيسا" وأطلقوا النيران على السيارات في طريق رفج – تل أبيب .. وعندما حضر البوليس تبادل إطلاق النار مع الفدائيين وألقيت عدة قنابل يدوية وفي خلال لحظات لقي ٣٧ من ركاب الأتوبيس مصرعهم وكذلك صرع الفدائيون برصاص البوليس. وبعد ثلاثة أيام هاجم الجيش الإسرائيلي جنوب لبنان وهدموا قواعد منظمة التحرير واحتلوا الجنوب تحت نهر الليطاني وقد أدى ذلك إلى إحراج السادات. وكرد فعل لهجوم الفدائيين قامت اسرائيل

---

(1) Dayson 1981-119.
(2) Weirzman.

بقتل مئات من العرب المدنيين والأطفال وأخذت الدول العربية تندد بموقف السادات الإسرائيليون التي تريد أن تقيم سلاما معهم يقتلون الأبرياء ويعتدون على دولة عربية ويحتلون أرضها. وقد اضطرب كارتر لعدم تناسب الرد من اسرائيل على هجوم هؤلاء الفدائيين وتوقفت محادثات السلام نظراً لاتساع هذا الخلاف بين مصر واسرائيل.

وقد أدى ذلك إلى حيرة السادات فبعد خمسة أشهر من زيارته للقدس لم يكن هناك أي مبادرة من بيجن بل أن سياسات اسرائيل ازدادت عنفا. وهدد وايزمان بالاستقالة عندما أصر شارون وديان على انشاء مستوطنات جديدة في الضفة الغربية. واقترح وايزمان اشراك حزب العمال في الحكومة زاد من حدة الخلاف بين وايزمان وبيجن(1).

وفي الشهور الأولى من ١٩٧٨ ازداد الضغط على السادات داخليا وخارجيا للانسحاب من محادثات السلام.

وقد خالف هيكل السادات وقال أنه كان من البداية فكرة زيارة القدس لا تستطيع التحليق عاليا وبعيدا مهما كان الصخب الإعلامي الذي يحيط بها لأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو صراع تاريخي هو صراع حياة أو موت. ولأن الصراعات التاريخية أعقد بكثير وأصعب من أن يجري حلها في استوديوهات الإذاعة والتليفزيون وأمام الميكروفونات والعدسات. وليس هناك مثل هذا الصراع دفعت فيها الأمة العربية ومازالت تدفع ثمنا باهظا فقد تعطلت التنمية وتحملت الجماهير ووئدت الديمقراطية وأنشأت ديكتاتوريات عسكرية أو فعلية ومارست سلطة فوق القانون وصبرت الجماهير.. وموارد الأمة العربية هائلة ولكن كما أستنتج هيكل أن القصور ليس في الموارد وإنما القصور في إدارتها.

وقبل زيارة السادات اعتقد السادات أن الحاجز النفسي يمثل ٧٠% من المشكلة وأن الزيارة قد تسقط هذا الحاجز النفسي ليسقط ٧٠% من أسباب تعثر عملية السلام.

وقد قام هيكل بجولة في دول الخليج وكان السؤال الذي سمعه كاتبنا الكبير أكثر

---

(1) Quandit.

من غيره هو:

- أين مصر؟
- وماذا حدث للشعب المصري؟
- وكيف قبل الناس بهذا كله؟
- وما الذي جري؟ وكيف جري؟ ولماذا جرى؟

وكان رد هيكل في كل الأحوال

مصر بخير وشعبها كما عهدتموه دائما[1]

وقال إن هناك ثلاث أسباب رئيسية لما حدث أخطاء في الفكر والعمل السياسي المصري.

والسبب الثاني : طول الصراع وما تكلفته مصر من مالها ودم أبنائها.

والسبب الثالث: الجو النفسي الذي أحاط بالتطورات الأخيرة.

ومن الموائم للنفس أن يقول الياهو بن إلياس أنه سمع هتافا باسم بيجن عندما كان يزور المعبد اليهودي في شارع عدلي وهذا ما لم يحدث حتى في اسرائيل.

وهنا لنا أن نتساءل هل فشلت مبادرة السادات خصوصا وأن الأردن والسعودية ظلت بعيدتين عن محاولات السلام. وبدأ كذلك بيجن يشعر بأن الرأي العام الاسرائيلي كان غاضبا من عدم انتهاز فرص السلام المضيعة .. وبدأت الصحافة الإسرائيلية تكتب إنه بسبب عناده وتصلبه كان بيجن يضيع هذه اللحظة التاريخية في إقامة سلام مع مصر.

وسأناقش في الصفحات التالية مبادرة السادات وكيف أنها غيرت وجه التاريخ ومما لاشك فيه أن اسرائيل لم تكن حريصة على السلام لأنها تريد ابتلاع فلسطين وقد قال بن جوريون وهو الباني الفعلي لدولة اسرائيل كاشفا عن هذه الحقيقة فقال:

" لا تتعبوا نفسكم في البحث عن حل ليس هناك حل .. الأرض واحدة وطالب الأرض اثنان .. ولابد أن تكون لواحد منهما هو هذا الواحد الذي يحصل على الأرض

(1) هيكل: حديث المبادرة ص ٦٣

ويملكها والحل الوحيد بالنسبة له .. إذ كان هناك حل أن يسعى بكل الوسائل بما فيها القوة والسياسة وحتى الخديعة ليجعل الطرف الآخر يتنازل عن مطلبه "[1]

وعندما كان المصريون يحلمون بالسلام هاجمت اسرائيل لبنان واحتلت بيروت وكنا نحن نقول إن حرب ٧٣ آخر الحروب ولم تكن هذه آخر الحروب بالنسبة لهم فقد فرضوا بقوة السلاح خروج منظمة التحرير من لبنان. وكان الإسرائيليون منذ أن وطأت أقدامهم أرض فلسطين لهم خطط مرحلية ينفذونها وأما نحن فلم يكن لدينا تخطيط أو استراتيجية وهم تصوروا السلام بصورة تختلف تماما عن تصور العرب للسلام وذلك برفضهم هذا التصور وقد شرح بيجن تصوره للسلام بقوله[2]:

إني أريد السلام ولكن أريد سلاما حقيقيا.

إن السلام بالنسبة لإسرائيل مخاطرة وأنا على استعداد لقبولها ولكن الناس لا يقبلون المخاطرات إلا إذا كانت فرص النجاح ظاهرة أمامهم وعواقبها مأمونة والسلام بالنسبة لي أمان أرض إسرائيل وأمن شعب إسرائيل".

وأما التصور العربي للسلام ويبدو لأول وهلة أنه ليس هناك تصور عربي للسلام بل هناك عدة تصورات فتصور سوريا للسلام هو انهاء حالة الحرب وهناك تصور مصري للسلام وهو أن السلام يمكن أن يضمن بجوار انهاء الحرب بعض العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية وهناك تصور ثاني يحاول الهروب من كل موضوع للسلام وهناك تصور ثالث يعتقد أن السلام[3] ليس احتمالا مطروحا هناك صراع بين طرفين على قطعة أرض وهذه الأرض لا يجب أن يعيش فيها واحد من أطراف الصراع إما فلسطيني إما إسرائيلي هناك حق لا تسنده قوة وباطل تسنده قوة عسكرية وهكذا. فإن الطريق إلى السلام مسدود وكل تصور للسلام في ظل هذا الأمر الواقع ضرب من الوهم.

---

(1) هيكل: حديث المبادرة ص ٢٦

(2) هيكل: حديث المبادرة – دار الشروق – القاهرة ١٩٩٨

(3) هيكل: حديث المبادرة

وهذا التصور للسلام هو نفس تصور اسرائيل للسلام. وهم يتصورون أن السلام مع العرب لابد أن يحمل في طياته تغييرات اجتماعية عميقة الجذور في المجتمعات الأمية خصوصا وأنها تجاور دولة ديمقراطية تحدث فيها انتخابات وتتغير فيها الوزارات بناء على رغبة الشعب وتقابلها في العالم العربي شعوب مغلوبة على أمرها ليستمر فيها الحاكم سواء أكان منتخبا أو معينا من قبل الاستعمار القديم أو نتيجة صراع قبلي ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين تقع السياسات العربية في المحظور وهو اختزال الوطن في رجل .. واختزال الدولة في قرار يأمر به[1].

وكيف يقوم السلام بين دولة لديها قنابل ذرية والسلاح ميسر لها وتحصل عليه من حليفها الاستراتيجي الولايات المتحدة وبين دول لا تصنع السلاح ولا تستطيع الحصول عليه إلا إذا تحددت سياستها بما تقبله الدولة المصدرة للسلاح وبذلك فإن زيارة القدس لم تكن تحمل معها رؤية حل للصراع الإسرائيلي ولم تكن هناك استراتيجية توضح طريق التفاوض.

وحيث أن الاعلام العربي عاش ومازال تحت أنواع من الرقابة مما زلنا ونحن في القرن الواحد والعشرين تعيش تحت ظل قانون طوارئ وهكذا ذهبت المبادرة إلى التاريخ وبقي للسادات أنه استطاع استرداد سيناء.

ولا يمكن أن يغفل أن زيارة السادات حركت مجموعات من شعب اسرائيل ضد سياسة بيجن ولذلك فحركة (السلام الآن) ظهرت كتعبير للشك والحيرة التي امتلأت بها قلوب الطبقة المتوسطة الاسرائيلية طبقة الاشكنازي وقد ولدت هذه الحركة بعد نشر الخطاب الذي وجهه ٣٤٨ من احتياطي جيش اسرائيل وكان من بين الموقعين على هذا الخطاب ضباط وجنود وبعض اللواءات ومن بينهم بعض أبطال الحرب وتاريخ هذا الخطاب ٧ مارس ١٩٧٨ وجاء فيه:

إنا نرى من واجبنا أن نقول لك أن تتجنب اتخاذ خطوات يكون سببا في ندم وحسرة أجيال عديدة من وطننا . إن الدولة التي تفضل أن تعيش في حدود اسرائيل

---

(1) هيكل: حديث المبادرة

الكبرى على الدولة التي تعيش آمنة في حدود معترف بها من جيرانها وفي سلام دائم معهم سوف توقظ فينا شكا في عدالة قضيتنا[١].

وسرعان ما تكونت حركة حول هذا الخطاب وحول موقعيه وآلاف أضافوا أسماءهم إلى هذا الخطاب الذي بدأ توزيعه في كل أنحاء اسرائيل.

وفي يوم ٣٠ مارس عندما قامت الحركة بأول مظاهرة حول بيت مناحم بيجن في القدس ظهر اسم الحركة على الأعلام التي حملها المتظاهرون .. وبعد أيام اتخذت الحركة عنوانها (السلام الآن) وفي ٣٠ أبريل تجمع حوالي ١,٤٠,٠٠٠ في مظاهرة تحت أعلام الحركة وكانت أكبر مظاهرة شهدتها اسرائيل وفي نهاية مايو وصل الذين وقعوا الخطاب إلى ١٠٠,٠٠ وقد اتهم بيجن قادة الحركة من أنهم من الشيوعيين أو من أعدائه من حزب العمل ولكنه لم يستطع تجاهل أن السلام أصبح مطلبا لعدد كبير من اسرائيل وأنه لا يستطيع أن يستمر في تجاهل الرأي العام خصوصا وأن هذه الحركة وجدت أنصاراً كثيرين من المتعلمين ومن المثقفين ومن رجال الجامعات. ومن مارس إلى أغسطس لعبت الدبلوماسية الأمريكية دوراً هاماً في تقريب وجهات النظر بين المصريين والإسرائيليين وخففت اسرائيل من موقفها ووافقت على الجلاء عن غزة والضفة الغربية ولكن على مراحل مع إعطاء بعض الحكم الذاتي للفلسطينيين وتحدث الأمريكان والإسرائيليون عن خمس سنوات وبدأ المصريون في تقبل هذا الرأي.

ولكن الإسرائيليين رفضوا إعلان أن إنسحابهم من الضفة الغربية وغزة خلال خمس سنوات يعقبه تسليم السلطة للفلسطينيين وإنما أعلنوا أنه بعد هذه الفترة يتم التفاوض على الوضع النهائي للأراضي المحتلة ورفضوا حتى اعلان انسحابهم من شرق سيناء وعندما قابل وايزمان السادات في منتصف يوليو ١٩٧٨ قال إنه إذا لم يحدث أي تقدم في المفاوضات حتى أكتوبر فإنه سيقدم استقالته[٢].

طلب وايزمان من بيجن أن يوافق على رأي السادات بأن تجلو اسرائيل عن

---

(1) Quandit 1984.
(2) Harber, Ya'ari and Schiff 286

العريش أو سانت كاترين لتبرهن على حسن نيتها ولكن بيجن رفض وأعلن وايزمان إنه لا يعرف إذا كانت الحكومة تريد السلام أم لا .. ووصل الخلاف بينه وبين بيجن إلى نقطة قطع العلاقة بينهما .. والمفاوضات التي تمت في يوليو خاصة بالأراضي الفلسطينية المحتلة لم تسفر عن أي نجاح . وقد رفضت مصر كل المقترحات الإسرائيلية بالنسبة للضفة الغربية وأصر كامل وزير خارجية مصر على انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية وغزة واعطاء حكم ذاتي للفلسطينيين وبذلك توقفت المفاوضات ولم تتقدم ولو خطوة واحدة وعند هذه النقطة قال موسى ديان إن إسرائيل عليها أن تسحب وعدها بالانسحاب من سيناء(١).

وفي نهاية يوليو كان السادات قد اقتنع تماما بأن المفاوضات مع اسرائيل غير مجدية ولذلك فإنه قال لكارتر إنه ليس هناك فائدة من المفاوضات بين مصر واسرائيل وربما كان هدفه أن تتحرك الولايات المتحدة وقد نجح السادات في ذلك. ففي يوم ٣٠ أبريل قال كارتر لمعاونيه أنه يفكر في عقد مؤتمر ثلاثي بينه وبين السادات وبيجن في كامب دافيد وقد كتب كارتر عن ذلك فيما بعد أنه لم يكن هناك أي واحد منا يعتقد أن هذا الاجتماع الثلاثي سيؤدي إلى أي نجاح. ولكن كارتر قرر أن يحاول هذه المحاولة الأخيرة. وقد شعر كارتر أن السادات نتيجة هجوم منظمة التحرير الفلسطينية ووصفه بالخيانة والعمالة أصبح ليس لديه قضية أهم من جلاء اسرائيل عن سيناء وأن ذكره لفلسطين إنما هو ورقة التوت حتى لا يقال أن مصر قد سعت إلى عقد صلح منفرد مع اسرائيل. كما أن بيجن كان غلى استعداد لترك سيناء بعد أن كان يعلق أنه لن يجلو عن شرق سيناء ولا عن المستوطنات بدأت أفكاره تتغير ويبدو أنه يمكن أن يجلو عن سيناء إذا تأكد من دواعي أمن اسرائيل. وأما بيجن فقد كان يعتبر أن الضفة وغزة أرض اسرائيل التي تحررت ومن هذا الموقف اعتقد كارتر أن يمكن أن يكون هناك اتفاق بين مصر واسرائيل وعندما وجه كارتر دعوته للسادات وبيجن قبلا هذه الدعوة لأن

---

(1) Harber Ya'ari & Schiff.

القائدين كانا يريدان السلام وذلك انعكاسا لرغبة شعبهما. وفي الحقيقة أن بيجن في هذه اللحظات كان يريد السلام وأن هذا الاجتماع يقدم فرصة تاريخية لتحقيقه ولم يكن لدى أي خيار لأنه إن لم يقبل دعوة كارتر فسيفهم أنه يعرقل عملية السلام. وكانت حركة السلام الآن تمارس عليه ضغطا داخليا ذا تأثير قوي على الرأي العام في اسرائيل وفي يوم سفره إلى الولايات المتحدة نظمت حركة السلام الآن مظاهرة تضم ١٠٠,٠٠٠ شخصا في تل أبيب. واعترف وايزمان وموشى آرتز سفير اسرائيل في الولايات المتحدة أن هذا الاضراب من حركة السلام الآن ساعدت على أن يحاول المتفاوضون الوصول إلى سلام. وكان هناك ضغط آخر على بيجن فقد هدد حزب داش المعتدل أن يترك الائتلاف الحكومي إذا لم ينتهز بيجن هذه الفرصة لتحقيق السلام ولو انسحب هذا الحزب من التحالف فإن ذلك سيؤدي إلى إجراء انتخابات مبكرة وهذا ربما أدى إلى عدم انتخاب بيجن. كما أن العلاقات بين بيجن وكارتر قد تفسد إذا رفض حضور هذا المؤتمر ولم يكن يستطيع أن يقول لا للرئيس الذي يهدد مستقبله السياسي ومكانته في هذا الموضوع. كما كان هناك دافع شخصي أن يذكر في التاريخ أنه هو الذي حقق السلام فيغير من صورته أنه الارهابي بيجن سينظر إلى نفسه كأنه الزعيم اليهودي الذي اختاره الله لانقاذ شعب الله المختار.

وعند الاستعداد لكامب دافيد توحد الزعماء الاسرائيليون على هذه النقاط لا انسحاب للجنود ولا للمستوطنات في الضفة الغربية وغزة ، لا حكومة فلسطين والمطارات والمستوطنات في شرق سيناء يجب أن تبقى.

وكان السادات مصرا على ألا تبقى مستوطنة واحدة في سيناء ولابد من الانسحاب من كل سيناء. وكان السادات مصرا كذلك على الانسحاب من غزة ومن الضفة الغربية .. ولكن بدا أن السادات أصبح مهتما بالجلاء عن كل سيناء[١]. وأنه يود معاهدة سلام حتى لا يقال أنه أضاع كل شئ بمبادرته[٢].

---

(1) Quandit 1986.
(2) Carter Center 123.

وقد ذهب كارتر إلى كامب دافيد بقلب مفتوح وأمل في أن ينجح في إقامة سلام دائم. وخطط لاقامة اجتماعات تستمر ثلاثة أيام وأسبوع على الأكثر ولكن في النهاية لقد أخذت أكثر من أسبوعين للوصول إلى اتفاقية. وترحيب كارتر بالسادات ترحيبا حارا حتى أنه عانقه يوم وصوله ٥ سبتمبر بالرغم من البروتوكول جعلت بيجن يحس أن كارتر سيضغط عليه للوصول إلى اتفاق. وكان بيجن حساسا لأي تصرف من كارتر نحو السادات وحتى تكون هناك ألفة فقد سأل الضيوف يوم التصوير بليس رباط عنق ولكن بيجن كان يلبس بدلته كاملة ورباط عنقه وكان المصريون يرتدون بدلا في منتهى الأناقة.

وقد سأل الوفدان إلا يدلوا بتصريحات صحفية أو يناقشوا معهم موضوعات عن المحادثات وأن يستمر إخبار الصحفيين عن طريق سكرتير كارتر الصحفي. كما أنه لم تكن مواعيد رسمية للاجتماعات. وكان هناك حمام سباحة ودار سينما ومنضدة للعب البلياردو وكان برزنسكي يلعب شطرنج مع آخرين. ورفض كارتر رأي برزنسكي في وضع أجهزة تصنت لمعرفة ما يدور من أحاديث في الجانبين[١].

ووفد السادات كان يضم محمد كامل وبطرس غالي وأسامة الباز وأما وفد بيجن فكان يضم ديان ووايزمان والمحامي العام أهارون باراك وكان مع كارتر برزنسكي وفانس وهارولد سوندرز وكيلي وزارة الخارجية الأمريكية وكان السادات يتخذ القرار وحده وأما بيجن فإنه كان يعتمد على استشارة أعضاء الوفد. وكان كارتر سعيدا لأن السادات كان أكثر مودة من الوفد المرافق له إذ كان يرغب في الوصول إلى اتفاق ولما في حالة بيجن فإن الوفد كان أكثر مرونة ويود الوصول إلى اتفاق. ولكن بيجن كان يستمع إلى ابنه بنيامين بيجن الذي كان يدرس دكتوراه في الجولوجيا في جامعة أمريكية وكان ينصحه بعدم الرضوخ إلى أية آراء لا يوافق عليها. وقد وصف برزنسكي فريق بيجن بأنه وفد غير منسجم أو غير متضامن. فقد كانت هناك بين ديان

---

(1) Brezenusky, zibgrmow, Power and Principles memoir of the National Security Advser 1977-1981 London: Widen field November 1983.

ووايزمان شيئا من سوء التفاهم وكان بيجن لا يأخذ آراء وايزمان بجدية وكان يظن أن ديان مخادع وأما وايزمان فإنه كان يظن أن بيجن يضيع هذه الفرصة التاريخيـة فـي تحقيق السلام.

وكانت العلاقة بين السادات وكارتر علاقة ود وتفاهم ولذلك فقد قال فانس فـي كتابة "اختيارات صعبة سنوات حاسمة في العلاقات الخارجية الأمريكية" ص ٢٢٠ أننا كنا نرى السادات يحاول أن تنجح المفاوضات بينما بيجن يتصلب في كل آرائه وكـان العلاقة بين كارتر وبيجن علاقة ينقصها الود وأصبحت سيئة إلى حد ما كلمـا مـرت الأيام في هذا المؤتمر. وكان كارتر قد أنفق الثلاث أيام الأول في خلق علاقة تفاهم بين السادات وبيجن وفي يوم ٥ سبتمبر قال السادات لكارتر أن بيجن تملؤه عقـد نفـسية كثيرة وأنه تجاهل مبادرتي في الذهاب إلى القدس. وبدأت المفاوضات بلقـاء كـارتر والسادات الذي قال أن سيكون متساهلا في كل شئ إلا الأرض والمستوطنات وسـيادة مصر على سيناء[1]. ثم قابل كارتر بيجن محاولا أن يستبعد مخاوفه مـن أن كـارتر سينحاز إلى السادات وحتى يعيد ثقته في الولايات المتحدة. ولم يكن هذا بالأمر الـسهل لأنه كانت هناك مشاعر من عدم الثقة التي تراكمت في الاجتماعـات الـسابقة نظـراً لتمسك بيجن بالمستوطنات التي يريدها أن تبقى على أرض سـيناء بحمايـة الجـيش الإسرائيلي. وفي هذا الاجتماع حاول كارتر أن يرضي بيجن وأن يقول له أنـه لـيس هناك مفاجآت. ولكن المحادثات أظهرت بعض الخلافات بالنسبة للمستوطنات ومساعدة النصارى في جنوب لبنان وعندما قال أنه يريد اتفاقية على المبادئ العامة ثـم يتـرك لوزراء الخارجية والدفاع الاتفاق على التفاصيل. ولكن كارتر قـال بـصراحة أننـا سنخرج من هذا الاجتماع باتفاق كامل تفصيلي وإذا فـشلنا فإنهـا الفرصـة الأخيـرة المتاحة. إن عقد اتفاق بين مصر واسرائيل أهم لدى من إعادة انتخابي.

وفي اليوم التالي تقابل السادات وكارتر وبيجن وسلم السادات مسودة عنوانهـا "مذكرة عن اتفاقية السلام الشامل لمشكلة الشرق الأوسط". وكانت هذه المذكرة توضـح

---

(1) Carter, 329.

موقف مصر من محادثات السلام وقد وجد كارتر أن المذكرة مليئة بالمواقف المتشددة والألفاظ العربية البليغة ولكن السادات ناوله مذكرة أخرى من ثلاث صفحات للمواقف التي لا يمكن مصر أن تتنازل عنها وبعد ذلك قابل كارتر بيجن وحذره من أن مذكرة المصريين عنيفة وأنه يجب عليه أن يتمالك أعصابه فكل ما فيها خاضع للمفاوضات.

وفي المقابلة التي تمت بين الزعماء الثلاث أخذ السادات ٩٠ دقيقة في قراءة المذكرة التي أعدها الوفد المصري وأنصت بيجن لعبد المجيد وقال كارتر إن بيجن لو وقع على هذه المذكرة فإن هذا سوف ينهي المحادثات ويوفر وقت الجميع – وضحك الجميع(١) وانتهى الاجتماع وقد سادته روح طيبة. وقال بيجن أنه سيعد الرد على ورقة العمل المصرية في الغد. وقد كتب كارتر بعد ذلك يقول إن عدم رد بيجن كان نتيجة للتشدد في ورقة العمل المصرية .. وبعد ذلك تحدث كارتر تليفونيا مع بيجن وقال له إن ورقة العمل المصرية هي ورقة متشددة ولكن بيجن والوفد المرافق له أنكروا ورقة العمل المصرية(٢).

وتقابل السادات وبيجن في يوم ٧ سبتمبر ولكن كان هناك مناقشة حامية بين كارتر وبيجن بدون المصريين. أنكر بيجن ورقة العمل المصرية وقال بيجن أن الإسرائيليين مصممون على الاحتفاظ بالمستوطنات في سيناء وبالجيش في الضفة الغربية وغزة وهنا قال كارتر "لبيجن أنك تريد الأرض ولا تريد السلام وأن الحكم الذاتي للفلسطينيين كان كلاما حتى تستطيع اسرائيل أن تحكم قبضها على الأراضي المحتلة. وهناك قال بيجن أنه سيرفض المذكرة المصرية ولكن كارتر اقترح عليه أن يقول إن المذكرة المصرية لا تصلح أساسا للمفاوضات(٣).

وقال بيجن إن زيارته للقدس قابلها الإسرائيليون بالحفاوة وفوق المذكرة المصرية وقال إنك تعامل اسرائيل كأنها أمة منهزمة (Routed Nation) وقد ظن السادات أنه يقول أن مصر أمة منهزمة باستشاط غضبا وقال نحن لسنا أمة منهزمة

---

(1) Harber, Ya'ari and Schiff 313
(2) Quandit 1984.
(3) Carter 395-351

لسنا أمة منهزمة كل الدبلوماسية قد ذهبت وحل الغضب محل التفاهم واحمرت الوجوه وذهبت اللغة الدبلوماسية وبدا كل شئ على أن المفاوضات لن تستمر. وقال كارتر إني فكرت أن السادات قد فقد أعصابه ويكاد ينفجر غضبا ودق المنضدة بيده وصرخ أن الأرض ليست موضع مفاوضات. وطلب السادات أن تدفع اسرائيل تعويضات عن خسائر الحرب وعن البترول الذي حصلت عليه من سيناء منذ ١٩٦٧ وتعالت الأصوات بيجن يصر على الاحتفاظ بالمستوطنات والسادات يصر على أن الأرض ليست خاضعة لأية مفاوضات وطالب السادات أن تقتلع المستوطنات من سيناء وأنكر على إسرائيل هجومها على لبنان. ولكن بيجن نظر إلى كارتر لقد تدخلت إسرائيل في لبنان لانقاذ المسيحيين ولو لم تساعدهم اسرائيل لما ساعدهم أحد .. وتوقف الاجتماع والكل في حالة غضب[1].

واجتمع الزعماء الثلاثة بعد الظهر وتركزت المحادثات على المستوطنات في سيناء وقال السادات إني وشعبي لا يمكن أن نوافق على وجود مستوطنات فرد بيجن "أننا لن نوافق على ترك المستوطنات. وهنا رد كارتر إذا تحطمت المفاوضات على المستوطنات فإنك ستجد أغلبية في الكنيست توافق على ترك المستوطنات وانتهى الاجتماع بدون أي نجاح وترك السادات وبيجن الاجتماع دون أن يتحدثا .. وانتهى الاجتماع وهناك حالة من الغضب واليأس ولم يتقابلا مرة أخرى وبعد عشرة أيام قال كارتر أن المفاوضات فشلت".

ولكن بيجن والسادات لم يتركا كامب دافيد لأن الزعيمين كان يعرفان أن الثمن السياسي لمن يبدأ بالانسحاب وأنه سبب الفشل كان يبدو لكليهما عظيما . وكان على كارتر أن يحاول التوفيق بين الزعيمين. وبدأ الفريق الأمريكي بقيادة كارتر محاولات لكسر الجمود بين السادات وبيجن . وقد لعب كارتر دوراً كبيراً في سبيل نجاح المفاوضات وأعطاها من وقته أربع وعشرين ساعة. وفي يوم ٨ سبتمبر قال كارتر لبيجن أن المذكرة المصرية كانت تعبر عن المطالب الأولية ولكن هناك تراجع من

---

(1) Carter.

الجانب المصري للوصول إلى اتفاق لم يعد هناك سوى أمل واحد أن تقوم الولايات المتحدة مقترحات حتى يمكن أن يتحقق السلام. وأنا لا أرى طريقة أخرى لنجاح المفاوضات.

وقام الأمريكيون بإعداد مسودة للمفاوضات واقتراحات وفي اليومين الماضيين قابل وايزمان السادات بناء على اقتراح كارتر. لم يكن السادات مرنا على المستوطنات أو المطارات في سيناء ولكنه قال أنه يمكن أن يسمح لاسرائيل بالجلاء من هذه المطارات على مراحل تستغرق سنتين. وقال كارتر أنه يرى أنه يمكن أن نعقد اتفاقا بين مصر واسرائيل في هذه المرحلة لعمق الخلافات في النواحي الأخرى الخاصة بغزة والضفة الغربية.

وعندما قدم الأمريكان مقترحاتهم للإسرائيليين أخذ بيجن يناقش كل كلمة فيها خصوصاً الفقرة التي تقول عن عدم مشروعية الاستيلاء على الأراضي بالقوة وعند ذلك قال كارتر إذن أنت لا توافق على القرار ٢٤٢ أن ما تقول يؤول لي ما قاله السادات إنك تفضل الأرض على السلام. ولكن بيجن لم يرد وقال إنه يجب ألا نشير إلى القرار ٢٤٢ وعند ذلك قال كارتر لو أنك رفضت هذا القرار وأعلنت ذلك ما كنت قد دعوتك إلى كامب دافيد. لم يرد بيجن وابتلع هذه الاهانة وقال كارتر إني لو كنت عربيا لفضلت الاحتلال على المقترحات الإسرائيلية وقد وصف كارتر بيجن فيما بعد بهذه الجملة.

I am not sure if he is rational .

أي أنني لا أظن أنه عاقل

وأخذ كارتر ديان جانبا وكان يظن أنه معتدل في آرائه وقال إن بيجن متشدد وطلباته غير معقولة وعقبة في سبيل السلام. وجلس مع ديان أمام كوخ كارتر حتى الساعة الرابعة صباحا. وأكد ديان لكارتر أن بيجن يريد اتفاقية وأنه سيعمل ما في وسعه لاقناع بيجن. وكان نتيجة هذا الاجتماع مع ديان فقد اعتقد كارتر أن ديان صديق وحليف ويمكن الاعتماد عليه وقد قال فانس أن ديان كان لماحا وذكياً وأميناً وكان

متعاونا خصوصا في ساعات اليأس الحالكة وكذلك أقام كارتر وفانس علاقة وثيقة مع باراك الذي كان لا يتحدث في أية اجتماعات والذي قال إن معظم مواقف بيجن هي الحقيقة عقبات نفسية.

في يوم ١١ سبتمبر قال السادات لبيجن أن المستوطنات الإسرائيلية لابد أن تختفي اليهود يستطيعون أن يعيشوا في القاهرة وأسوان ولكن ليس في سيناء وأشار كارتر أن هذا غير منطقي وعند ذلك رد السادات أنه في الشرق أشياء كثيرة غير منطقية ووجود المستوطنات هي واحدة منهم. وبناء على اقتراحات كارتر وافق السادات على أن يمد الانسحاب من سيناء إلى ثلاث سنوات بدلا من سنتين واستمر الإسرائيليون في رفض اقتلاع المستوطنات المحيطة برفح. وسبب هذا وضحه باباراك اقتلاع هذه المستوطنات سوف يكون سببا كذلك في اقتلاع مستوطنات الضفة الغربية وغزة وإذا خالفت مصر الاتفاقية وأرسلنا جيشا بعد المضايق في سيناء الشرقية فيكون هذا مبررا لارسال الجيش الإسرائيلي للدفاع عن المستوطنات وحماية اليهود المقيمين بها. وإذا لم يكن هناك مستوطنات فإنه يكون من الصعب على اسرائيل أن ترسل جيشها لسيناء. وعند هذه النقطة شجع ديان أمريكا على إصدار مسودتين إحداهما خاصة بالعلاقة بين اسرائيل ومصر والأخرى خاصة بالأراضي المحتلة غزة والضفة والسلام مع الفلسطينيين. وقد أصاب المصريين اليأس لأن مسودة الاتفاقية الخاصة بالضفة وغزة أغفلت ماذا سيتم بعد خمس سنوات وتركت الباب مفتوحا للسيطرة الإسرائيلية وأما بخصوص السلام بين مصر واسرائيل فقد اقترب الطرفان من عقد اتفاقية. كما أن المسودة الخاصة بالفلسطينيين أغفلت ذكر القدس الشرقية ومستشارو السادات الباز وكامل نصحوا السادات بأنه يجب أن يتشدد بالنسبة للفلسطينيين ملاحظين في ذلك ضغوط العالم العربي[1] خصوصا السعودية.

وقدم كارتر مسودة اتفاقية على سيناء أن تظل السيادة لمصر على كل سيناء وتزيل إسرائيل المستوطنات وقد قرأها السادات ووافق عليها.

---

(1) 141 Carter.

ولكنها لم تكن مفاوضات سهلة فقد قال بيجن لبرزنسكي أن عيني تخرج من محجرها ويدي تقطع ولا أهدم أية مستوطنة يهودية. وكان يتحدث عن سيناء وعن الضفة الغربية وغزة. وعندما جلس بيجن مع كارتر ليس هناك أي تنازل عن أرض في الضفة الغربية وغزة وقال كارتر لبيجن إني أعرف أن مواطني اسرائيلي يرغبون في السلام ولا يمكن أن نترك هذه الفرصة للسلام مع مصر من أجل عدد صغير من المستوطنين في سيناء.

وفي الأيام المقبلة شعر الأمريكان أن المحادثات وصلت إلى طريق مسدود. ولكن بمساعدة باراك والباز وصلوا إلى اتفاق عن القضايا الفلسطينية وأما عن سيناء فقد قال وايزمان إذا أردتم سلاما فلابد من الجلاء عن سيناء وهدم المستوطنات ولم يوافقه بيجن ولم يبد ديان رأياً لأنه لا يريد أن يصطدم مع بيجن وعارض بيجن بغضب هذه الفكرة. وبدأت في هذا الوقت أزمة. في يوم ١٥ سبتمبر قابل السادات ديان الذي أصر على بقاء المستوطنات والمطارات في سيناء تحت السيادة الإسرائيلية. أعلن السادات أنه لا أمل في المفاوضات وأن المصريين سيغادرون كامب دافيد. وقد كان السادات دائما لا يحب ديان ربما لأنه كان القائد الذي هزم مصر في ١٩٥٦ و ١٩٦٧[١]. وقد أثارت هذه المقابلة في السادات مزيجا من الغضب واليأس. وأحس بأنه محصور بين مطرقة أمريكية وسنديان إسرائيلي في كلمات كامل وكذلك أحس كأن كامب دافيد سجن وكذلك بيجن فقد بدأ يحس أنه معتقل.

وفي اليوم التالي أعلن وزير الخارجية كامل عن نفسه الاستقالة لأن السادات رضخ لضغط كارتر وبيجن. ومما لاشك فيه أن الضغط على السادات من داخل الوفد المصري كان له تأثير كبير على السادات. وفي اجتماع في هذه اللبلد وصف السادات كامل بأنه أحمق وطرد من كوخه جميع أعضاء وفد وزارة الخارجية. وقد احتج وزير الخارجية على هذه المعاملة[٢].

(1) Harber Karmel Dagan.
(2) Kamel, Mohamed Ibrahim, The Camp David Accords a Testimony London: KPI, 1986.

وفي اليوم التالي حاول وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل أن يثني السادات عن التوقيع على المعاهدة ولكنه لم ينجح وأعلن استقالته. وأدى كل هذا إن السادات قرر ترك كامب دافيد وأسرع فانس ليخبر كارتر بذلك الذي أسرع إلى كابينة السادات راجيا منه عدم ترك المفاوضات الآن لأن مصر سوف تلومه على فشل المفاوضات وأن العلاقات الأمريكية المصرية ستسوء وأن الاتحاد السوفييتي سيعود إلى الشرق الأوسط وأن أعداء السادات الذين عارضوا سفر السادات إلى القدس ومحاولات السلام سيفرحون ويقولون أنهم كانوا على حق منذ البداية. وأشار كارتر أن فشل المفاوضات في كامب دافيد قد تؤدي إلى نهاية السادات كما أنها ستؤثر على كارتر في انتخابات الرياسة وأنها تؤثر على صداقتهما. كما أنه لا يستطيع أن يتقدم بالمعاونات إلى مصر لأن الكونجرس لن يوافق عليها. وقد وافق السادات على أن يبقي ولكن على أساس ألا يسأل عن تنازلات أخرى وكان لابد من ارضاء بيجن الذي وافق على الجلاء عن سيناء وهدم المستوطنات في مقابل ألا يتنازل عن أية أرض من الضفة وغزة وكان فشل المفاوضات سوف يخلق نزاعا شخصيا بين كارتر وبيجن وسيسبب سوءا في العلاقات بين مصر والولايات المتحدة وربما تشتعل حرب جديدة في الشرق الأوسط.

وحتى تنجح المفاوضات التي تمت بين فانس ووايزمان وبرون وزير الدفاع الأمريكي وافق الأمريكان على الفكرة بإعطاء اسرائيل ٣ بليون قرضا بشروط سهلة لانشاء مطارين في صحراء النجف بدلا من المطارين اللتين سيتم اخلاءهما وقد تكلم شارون وزير الزراعة أنه إذا كان هناك سلام بين مصر واسرائيل وتم الجلاء عن سيناء والمستوطنات فلابد أن يكون هناك ثمن لذلك(١).

وفي المساء عندما قابل بيجن كارتر أخذ يردد أن الجلاء عن المستوطنات وتحطيمها هو انتحار سياسي ولكنه سرعان ما تراجع وقال أنه سيعرض الأمر على الكنيست وعليه أن يقرر الجلاء عن المستوطنات في مقابل السلام. ورفض بيجن أن يذكر كيف سيصوت على هذا الأمر ولكنه قال أن أعضاء الحزب سيتركون أحرارا

---

(1) 176 Quandit, Weizman.

ليصدقوا على هذا الرأي أو ذاك.

وفي اليوم التالي وعد وايزمان كارتر أن يعمل ما في وسعه حتى يجعل الأعضاء يوافقون. وكان هذا التراجع كما ظن كارتر سيجعل السادات يوافق على الاتفاقية وهذا ما كتبه كارتر في مذكراته. وكان تغير بيجن في موقفه عن المستوطنات نتيجة للضغط عليه وكذلك الاختلاف بين القيادات الإسرائيلية ومنها وايزمان الذي قال أما السلام أو المستوطنات فإني أفضل السلام. ومكالمة شارون من القدس وإصرار كارتر على ازالة المستوطنات وكذلك عندما تحقق أن السادات لا يمكن أن يقبل وجود المستوطنات وأن الفرصة التاريخية لاقامة السلام بين مصر واسرائيل على وشك أن تضيع. وبالرغم من أن بيجن قبل حضوره إلى كامب دافيد عندما قابله وفد يمثل سكان المستوطنات أنه سيحزم حقائبه ويعود ولن يوافق على اجلاء المستوطنات ولتسهيل إمضاء مشروع الاتفاقية بالنسبة للفلسطينيين تركت نقاط الخلاف ووافق بيجن على أن يلحق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ولكن بعد حذف الجلاء عن الأراضي المحتلة والاستيلاء على الأراضي بالقوة. وأما موضوع القدس الشرقية فقد حل بأن يتبادل الرسائل وكل دولة تقرر في رسالتها موقفها من قضية القدس الشرقية ووافق بيجن على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين التي كان يعارضها من قبل. وطبقا لما قاله كارتر أن بيجن وافق على التوقيع على خطاب يقرر فيه وقف بناء المستوطنات حتى يتم مفاوضه الحكم الذاتي وأما بيجن فقال إنه وافق على تجميد بناء المستوطنات لمدة ثلاثة شهور.

وفي يوم ١٧ سبتمبر.كان كل الأشخاص الموجودين في كامب دافيد قد أرهقتهم المفاوضات بعد أن استمرت اجتماعاتهم لأكثر من ثلاثة عشر يوما. وأخبر كارتر السادات بموافقته على اجلاء المستوطنات والمطارات من سيناء وأخذ الأمريكان في كتابة مسودة الاتفاق لآخر مرة ولكن مازال هناك بعض العقبات وذلك بخصوص الخطاب الخاص بمستقبل القدس الشرقية التي جاء وصفها فيه بأنها أرض محتلة. وخاضعة للمفاوضات في المستقبل قرر بيجن حزم حقائبه والعودة إلى اسرائيل .. وتراجع الأمريكان وقرروا تعديل الخطاب بالإشارة إلى مؤتمر جنيف الذي وصفت فيه

القدس الشرقية بأنها أرض محتلة ودون أن يذكر هذا في الخطاب وكانت محتويات رسالتي بيجن بخصوص المستوطنات وسيناء وتجميد بناء المستوطنات في الضفة ولم تكن مطابقة لما تم الاتفاق عليه في المفاوضات ولكن كان الوقت يمر وأمر كارتر معاونيه بكتابة الاتفاقية وأعلن أنه قد تم الاتفاق وعندما عرضت الصياغة النهاية للاتفاقية على السادات لم يكن متحمسا وكذلك بيجن فكل واحد منهما كان يعتقد أنه هزم في هذه الاتفاقية وفي الساعة ٥,٣٠ أصبحت بنود الاتفاقية كاملة الصياغة وأعطي كارتر الضوء الأخضر للاحتفال بتوقيع الاتفاقية. وتحدث بيجن الذي وصفه كانديت في كتابه سلام كامب دافيد والسياسة بأنه أقدر مفاوض كان في كامب دافيد خاطب السادات في التليفون وجاء إلى كابينة السادات وهنأه على توقيع الاتفاقية. وكانت هذه أول مرة يتقابلان بعد عشرة أيام.

وفي الساعة العاشرة مساء من يوم ١٧ سبتمبر اجتمع السادات وبيجن وكارتر في الجناح الشرقي للبيت الأبيض للتوقيع على الاتفاقية. لقد وصلا إلى اتفاق بين مصر واسرائيل وعلى أسس المفاوضات بين فلسطين واسرائيل لحل مشكلة الضفة وغزة وإرساء حكم ذاتي للفلسطينيين. وبالرغم من الارهاق والتعب فإنهم كانوا سعداء وكما قال كارتر أن كل واحد يشعر بالفخر لما أسفرت عنه المفاوضات من نجاح لم يكن يتوقعه أحد.

ووقعت الاتفاقية بين بيجن والسادات وشهد عليها كارتر ولم تكن الاتفاقية معاهدة كاملة التفاصيل ولكنها كانت تضع المبادئ والأسس التي سيتم عليها ابرام المعاهدة بين مصر واسرائيل وقد سارت على منوالها المعاهدة بين الأردن واسرائيل في سنة ١٩٩٤ كما سارت على منوالها اتفاقيات أرسلوا في سنة ١٩٩٢ بعد عشر سنوات من كامب دافيد.

ومما لاشك فيه أن وزير خارجية مصر. لم يوافق على هذه الاتفاقية وإذا رجعنا إلى ما كتبه محمد إبراهيم كامل عن هذه المفاوضات في منتصف الثمانينات عن مفاوضات وقعت أحداثها في نهاية السبعينيات ومما لاشك فيه أن إبراهيم كامل لم يكن

على اتصالات بالصراع العربي الإسرائيلي إذ أنه قبل اختياره وزيرا للخارجية كان سفيرا لمصر في ألمانيا ويقرر محمد إبراهيم كامل أن السبب في اختياره وزيرا للخارجية جاء نتيجة لهذا الحوار الذي دار بينه وبين السادات في ألمانيا سنة ١٩٧٧ حين كان السادات يزور ألمانيا قبل مبادرة السلام الشهور. في ذلك الوقت كان الرئيس السادات عائدا من الولايات المتحدة حيث توقف في ألمانيا الاتحادية وحيث قابل محمد إبراهيم كامل وذهبا معا لقضاء يوم في الغابة السوداء بولاية باون فريمبرج وكان مناحم بيجن نجح في الانتخابات الإسرائيلية وحل حزب الليكود محل حزب العمل الذي حكم اسرائيل منذ إنشائها في ١٩٤٨ وسأل الصحفيون السادات عن رأيه في فوز مناحم بيجن فأجاب أنه لا فرق لديه بين بيجن أو بيريز أو رابين أو جولدا مائير أو أي شخص آخر ينتخبه الشعب الإسرائيلي. وقد آثار محمد إبراهيم كامل الموضوع مع السادات وقال له إنه كان من الأنسب التحفظ في الاجابة حيث أن بيجن من المنادين بإسرائيل الكبرى وبإبتلاع الضفة غزة ويقول عليها إنها الأرض المحررة كما أنه من غلاة الارهابيين والمسئول عن مذبحة دير ياسين وأنه كان ممنوعا من دخول انجلترا لأنه كان مطلوب القبض عليه وأن الرئيس السابق كيندي عندما كان عضوا في الكونجرس ١٩٥٤ أرسل برقية ينسحب فيها من عضوية اللجنة المشكلة لاستقبال مناحم بيجن عند زيارته للولايات المتحدة بوصفه من محرري إسرائيل لجمع التبرعات[١].

ومما لاشك فيه أن كامل كان مقتنعا بمبادرة السادات وكان يقول لزملائه من السفراء العرب اللذين يحملون له ودا ومحبة حتى من كانوا يمثلون دولا تناصب السادات العداء وكان دائما يكرر أن خطاب السادات في الكنيست كان قوياً ولم يقدم أية تنازلات أو تفريطا في الحقوق العربية ولكن رد بيجن على السادات بدل ما تركه خطاب السادات في نفس كامل من ارتياح واعتراه خوف من أن تؤدي هذه الزيارة بل هذه المغامرة إلى هدم صرح القوة العربية والتضامن الذي حققته حرب أكتوبر المجيدة. وعندما تقرأ مذكرات ابراهيم كامل فإنك لا تتمالك إلا احترام السادات ففي نهاية الحوار

(1) د. محمد الجوادي من أجل السلام معارك التفاوض.

الذي دار بينه وبين السادات.

كامـــل: إنك إذا وقعت على اتفاقية على أساس المشروع الأمريكي فسيكون حلا منفردا بكل المعايير ولن تنجح في خداع أحد بغير ذلك وأفضل لنا أن نقول ذلك بصراحة على أن تختبئ وراء مسرحية الحكم الذاتي كما وردت في المشروع.

السادات: بل إني أسير على استراتيجية بعيدة المدى تنتهي بالحل الشامل في الشرق الأوسط وسيكون معنا الرئيس كارتر وستنضم إلينا السعودية والملك حسين.

كامـــل: إذا وقعت مثل هذا الاتفاق فلن يستطيع كارتر عمل شئ. ولن يجذب ذلك السعودية والأردن بحال. أرجو منك أن تعيد النظر في الأمر ولنعد إلى مصر وتجري مشاورات مع الدول العربية لنرى ماذا تكون خطوتنا الثانية.

السادات: لا إني أعلم ماذا أفعله وسأمضي في مبادرتي إلى النهاية.

كامـــل: إذن أرجو أن تقبل استقالتي.

السادات: كنت أعلم إنك تلف وتدور لتقول هذا في النهاية.

كامـــل: لا .. لقد حاولت اقناعك بما أراه وفشلت فلم يبق أمامي إلا هذا المخرج فأنا لا أستطيع أن أوافق على شئ يبدو من المؤكد خطؤه وخطره ولا أستطيع أن أغشك وأغش نفسي وضميري فإنه داخلي يعيش معي ليل نهار.

السادات: إذا كان هذا يريحك فإني أقبل استقالتك وكل ما أطلبه منك هو أن تدعها بيننا في الوقت الحالي ولا تخبر أحدا بأمرها حتى نعود إلى مصر.

كامـــل: سأفعل ذلك فليس قصدي إحراجك.

السادات: إذن اتفقنا ولتهدأ أعصابك وسيكون كل شئ على ما يرام في النهاية.

وهذا هو الحوار الذي ذكره كامل في مذكراته ومما لاشك فيه أن محمد إبراهيم كامل كان في هذا الوقت مخلصا للسادات وكان يظن أن الانسحاب من المفاوضات هو الرأي الصواب ويمكن أن نقول هنا أنه لم يكن بعيد النظر لأنه لو فشلت المفاوضات لاستمر الاحتلال الإسرائيلي لسيناء ولاستمروا في بناء المستوطنات .. وكان منطق السادات هو أنه بالحرب لن نستطيع تحرير سيناء مادامت أمريكا خلف اسرائيل بالمعونات العسكرية والمالية واستمرار الاحتلال فيه خسارة كبيرة على مصر ولم يكن نظرة كامل إلا من ناحية واحدة وأما نظرة السادات فقد كانت شاملة وكان ينظر إلى علاقات مع أمريكا التي كانت مهددة بأنه لو انسحب فإن العلاقات بينه وبين أمريكا ستسوء.

ومن العجيب أن محمد كامل في ٢٠٠١ عندما سأل كانت لديه الشجاعة الأدبية بأن يقول إنه كان مخطئا وكان السادات أبعد نظرا منه وكان على صواب ولو لم تنجح المفاوضات لكانت سيناء مازالت محتلة إلى الآن وكما ذكرنا سابقا لقد عرف العرب بعد نظر السادات ففي مفاوضات أوسلو ١٩٩٢ لم يصلوا إلى ما كان قد قدم السادات لهم في ١٩٧٦. وسيظل التاريخ يذكر للسادات هذا الموقف العظيم والإنساني ونحن نقص قصة رجوع ابراهيم كامل بعد استقالته .. حدث كل هذا بعد فترة قصيرة من حكم الفرد الذي رزحت تحته مصر ومازلنا نتذكر عندما اختلف وزير المعارف الدكتور حلمي مراد مع جمال عبد الناصر واستقال وترك لحلمي مراد إنه لم يذكر نبأ الاستقالة وإنما جاء في جريدة الأهرام نبأ إقالة حلمي مراد. وعندما نزل حلمي مراد لم يجد السيارة المخصصة ولا السائق وأخذها سيرا على الأقدام من سراي القبة حتى ميدان سراي القبة حيث ركب تاكسي.

وأما أنور السادات فقد عذر محمد ابراهيم وعندما علم محمد ابراهيم كامل أن السادات أبلغ وزير الخارجية الأمريكي بنبأ استقالته ذهب كامل لمقابلته وكتب "توجهت في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي إلى السفارة وكان السادات مجتمعا مع صديقه هنري كيسنجر وعندما خرج وقد دهش لرؤيتي وقال: فيه حاجة يا محمد فقلت:

نعم لقد طلب فانس مقابلتي أمس قبل مغادرتنا وأخبرني أنك قد أخبرته باستقالتي رغم أنك طالبت مني الاحتفاظ بها سرا. وعلمت أنك اجتمعت برؤساء الصحف المصرية وأنك حددت موعدا لمذيعة التليفزيون بربرا والترز سيحل بعد نصف ساعة من الآن وسوف تسألك قطعا على موضوع استقالتي فماذا ستقول لها وسكت قليلا ثم قال سأقول لها إننا بلد ديمقراطي وأن من حقك أن تبدي رأيك وتستقيل دون أن أضعك في معسكر اعتقال وقلت شكرا وكنت أهم بمفاتحته له موضوع عودتي إلى مصر ومدى بعد هذه المقدمة عندما سألني وماذا تنوي أن تفعل الآن.

قلت: لا شئ سأذهب وأعيش مع عائلتي وولدي اللذين لم أقم معهما منذ عشر سنوات. بسبب وجودي في الخارج وقد كبرا وأريد أن أستمتع بالمعيشة معهما قبل أن يأخذ كل منهما طريقه في الحياة ويستقيل.

قال: أختر أي سفارة تريدها.

قلت: ليس لي رغبة في العمل كسفير لقد شبعت من ذلك.

قال: وتظل عاطلا بدون عمل اختر أي سفارة الآن

ولم يسجن محمد ابراهيم كامل وكتب مذكراته التي اقتبس منها هذه الفقرة.

ومع ذلك فقد مضى السادات في معركة السلام وكانت الاتفاقية ترسم شكلا للاتفاقيات القادمة فقد قررت المبادئ العامة بأن اسرائيل ستجلو عن سيناء على شرط اعتراف مصر بإسرائيل وإقامة علاقات دبلوماسية معها وإقامة علاقات طبيعية معها وفي خلال شهرين يقوم الطرفان بعقد معاهدة عدم اعتداء مبنية على مبادئ القرار ٢٤٢. وبنود المعاهدة سيتم تنفيذها في خلال سنتين أو ثلاث سنوات. وتجلو جميع القوات الإسرائيلية من سيناء ويسمح لسفن إسرائيل أن تمر قناة السويس ومن مضيق تيران وخليج العقبة وتكون سيناء منزوعة السلاح على أن يسمح لفرقة من ٤٠٠٠ جندي مصري وعدد محدود من الدبابات ولكن قوات البوليس لها الحق في الوجود في كل سيناء وأن تكون هناك قوات دولية بالقرب من حدود العريش .. وتحدد القوات الإسرائيلية على الحدود المصرية بأربعة كتائب واشتملت مبادئ الاتفاق على رحيل

القوات الاسرائيلية في المرحلة الأولى من العريش إلى رأس محمد وتنشأ مصر علاقات دبلوماسية مع اسرائيل والمرحلة الثانية يتم الجلاء عن باقي سيناء.

وأما الجزء الثاني من المبادئ الذي أعلن أن قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ – ٣٣٨ يجب أن يكون القاعدة في حل النزاع بين إسرائيل هو أن تبقى كل دولة آمنة داخل حدودها وأن المعاهدة يجب أن تقرر بعض الأراضي التي تكون منزوعة السلام كما قررت هذا الاطار العام أن تقوم علاقات طبيعية بين اسرائيل ومصر وذلك بالاعتراف الكامل بإسرائيل وتطبيع العلاقات والغاء المقاطعة الاقتصادية وأملت على الولايات المتحدة أن تشترك في المفاوضات ومن مجلس الأمن أن يضمن تنفيذ بنود المعاهدة.

وأما الإطار العام للسلام فقد اشتمل جزء كبير منه على إقامة سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين وهذه المفاوضات يجب أن تشترك فيها مصر والأردن والفلسطينيون وتأخذ ثلاث مراحل. المرحلة الأولى لكي تنتقل السلطة في الضفة الغربية وغزة لابد من وجود اتفاقيات مرحلية تتحقق على خمس سنين وعلى اسرائيل أن تسحب قواتها من الأراضي المحتلة ويتمتع الفلسطينيون بحكم ذاتي كامل وتنسحب الإدارة الإسرائيلية ويحل محلها سلطة فلسطينية منتخبة والمرحلة الثانية: تشترك الأردن ومصر في المفاوضات التي يتم بها إنشاء هذه السلطة المحلية ومسئوليتها السياسية. المرحلة الثالثة: وتبدأ مدة الخمس السنوات منذ إنشاء سلطة الحكم الذاتي وفي أقل من ثلاث سنوات تبدأ المفاوضات بين مصر والأردن وممثلين منتخبين عن اتباع الأرض المحتلة في فلسطين وبعد أن تمر خمس سنوات على الحكم الذاتي الفلسطيني تجري مفاوضات بين اسرائيل ومصر والأردن وفلسطين ومنتخبين من الأراضي المحتلة للمفاوضة على الوضع النهائي. وستبني هذه المفاوضات على مبادئ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ وستحدد المفاوضات الحدود وترتيبات الأمن وستعترف بالحقوق الشرعية لشعب فلسطين. وبهذه الطريقة يشترك الفلسطينيون في تقرير مصيرهم وهذه الفقرة أضافها السادات برغم معارضة بيجن وذلك بعد أن رفض بيجن رفض تام الإشارة إلى قيام حكومة فلسطينية كما طالب السادات. والإطار العام للسلام وضع الأسس لعودة

اللاجئين الذين تركوا الضفة الغربية وغزة بعد حرب ١٩٦٧ على أن تنظم هذا لجزءين الفلسطينيين والإسرائيليين. كم عدد الذين سيسمح لهم بالعودة ترك غير واضح وأشار هذا الإطار إلى عودة اللاجئين الذين فروا في ١٩٤٨ ولكن لم يحدد كيف سيعودون ومتى ومن الذي سيقرر عودتهم.

وقد تضمنت هذه الاتفاقية بعض الخطابات من بيجن لكارتر ومن سكرتير الدفاع الأمريكي براون لوزير الدفاع الإسرائيلي وايزمان ومن كارتر إلى السادات ومن السادات إلى كارتر. ووعد بيجن بأن يقدم اتفاقية الجلاء عن سيناء خلال أسبوعين من عودته إلى الكنيست. وأعلن السادات أنه إذا لم يوافق الكنيست على هذا الاتفاق فكل ما اتفق عليه يصبح لاغيا وأكد السادات على أن القدس الشرقية جزء من الأراضي المحتلة وأكد بيجن أن القدس الموحدة هي العاصمة الأبدية لإسرائيل. ووعد براون أن اسرائيل والولايات المتحدة سيتفاوضان في تقدير تكاليف المطارين التي وعدت أمريكا بإنشائهما. تعويضا لها عن ترك المطارات الموجودة في سيناء.

وقد رحبت الدول الأوربية بالاتفاق وأما الاتحاد السوفييتي فانتقد هذه الاتفاقيات وقال إن إسرائيل اكتسبت كل شئ ولم يكتسب العرب شيئا وقد طلبت من كارتر عدم الموافقة على هذه الاتفاقية التي تجاهلت الاتحاد السوفيتي[1]. وأما في الشرق الأوسط فكان الاعتراض على هذه الاتفاقيات قويا خصوصا من الدول التي عرفت بأنها دول الرفض وأما الدول الأخرى كالأردن وملكها حسين والسعودية وملكها فهد والمغرب وملكها الحسن اعتبروا أن هذه الاتفاقيات صلحا منفردا من مصر مع اسرائيل[2] على حساب الفلسطينيين.

وأما في مصر فقد كان أثر هذه الاتفاقيات مختلطا فقد استمرت الحرب بين البلدين لأكثر من ثلاثين سنة وعشرات الألوف قد استشهدوا أو جرحوا في هذه الحروب وسببت هذه الحروب كوارث اقتصادية. وحتى ١٩٧٠ كان لا يجرؤ أحد أن

---

(1) Vance 224.
(2) Dayan – Quandit 1981 171-172 – 1986 238 Carter 392

يعلن عن احتمال قيام سلام مع إسرائيل. ولكن بعد الانتصار في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وعقد اتفاقيات فض الاشتباك شجعت الاتجاه نحو السلام. وحيث أن دولة كمصر تملك فيها السلطة كل وسائل الاعلان من صحافة وإذاعة وتليفزيون كان من السهل أن يقنعوا الشعب الذي ضحى كثيرا في هذه الحروب أن السلام سيحقق الرخـاء وعنـدما عـاد السادات قابله الشعب بالفرحة صحيح إن بعض هذه المظاهرات حركت بواسطة الحزب ولكن الشعب في مجموعه كان فرحانا ومعتقدا أن السلام سيحقق الرخاء. وكثير مـن أفراد الشعب كانوا ينظرون إلى هذه الاتفاقيات كنهاية للمعاناة ولسفك الدماء فحيو فجر السلام وتوقعوا تحسنا في الخدمات وكأن السلام هو بداية عهد الرخاء بعد نزيف الـدم وقد يكون مخرجا من حالة الفقر والعدم الذي يعيش فيها أغلب الشعب المصري وبدأت الجرائد المصرية في الكتابة عن الرخاء القادم لم يعد هناك حرب تسفك فيهـا الـدماء ويسقط فيها الشهداء. وكتبت مقالات كثيرة عن السادات بطل السلام. الـذي اسـتطاع كذلك أن يحصل للفلسطينيين على الحكم الذاتي وعلى حق تقرير المصير ولكن كـان هناك معارضة لهذه الاتفاقيات من اليمين واليسار فالحزب الشيوعي المـصري أعلـن معارضته لهذه الاتفاقيات وأما صحف الأخوان المسلمين فقد عارضوا اتفاقيـة كامـب دافيد واعتبروها أنها خيانة للقضية الفلسطينية وكذلك فعل الناصريون وكان هيكل مـن أكبر المعارضين لهذه الاتفاقية وأما في الجامعات فقد علقت لوحـات تنـدد بالاتفاقيـة وبدأت في الجوامع خطبا من الوعاظ تعارض الاتفاقية ووزعت هـذه الخطـب علـى (كاسيتات) تعارض السادات وتصفه بالخيانة وتصف معاهدة السلام على أنها استسلام وخيانة للقضية العربية[1].

وبالإضافة إلى ذلك أن معظم خبراء وزارة الخارجية لم يكونوا سـعداء بهـذا الاتفاق فقد استقال وزير الخارجية واستقال كذلك بعض أعضاء الوفد أثناء المفاوضات معبرين عن رفضهم .. وعندما حاول أحد الدبلوماسيين الاعتراض على أحد البنود بأنه يمس سيادة مصر .. غضب السادات وطرده من الحجرة .. ولم يحضر أسـامة البـاز

---

(1) Harber, Schiff 354-5 Carter.

حفل توقيع الاتفاقية وقد صرح بعض أعضاء الوفـد متهامـسين أن الـسادات بـاع الفلسطينيين وقالوا إن عودة سيناء لمصر مع عدم قدرة مصر على إرسال جيشها أرض سيناء هي سيادة منقوصة. وأن تواجد قوات الأمم المتحدة على أرض مـصر دون أن يكون هناك قوات لها على أرض إسـرائيل تمثل سيادة منقوصة على أرض سـيناء والذين رددوا كل هذه الافـتراءات على الســادات قد نـسوا الواقـع. فعلـى أرض الواقع لن تستطيع مصر استرداد سيناء بالقوة العسـكرية وذلك لسبب معروف هو أن الولايات المتحدة وراء إسرائيل وتقوم بتسليحها وأن مصـر وقد ساءت العلاقات بينها وبين الاتحاد السوفييتي لم يعد لها أمل أنها بالقـوة العسكرية تستطيع تحريـر الأرض ومعنـى فشل مفاوضات السادات أن تبقى سيناء أرضـا محتلة وقد علمنا التاريخ أن المعاهدات السياسية هي قصاصات من الورق تعكس القوة العسكرية للدولة، فعندما قويت ألمانيا عسكريا تحت قيادة هتلر مزقت معاهدة فرساي التي كانت تمنعهـا من انشاء جيش قوي.

لم يشترك الجمصي في مفاوضات كامب دافيد ولكن السادات دعا الجمصي يوم ٣ أكتوبر وأخبره أنه قد أقاله من منصبه كوزير للدفاع[١] ولم يكن هذا بسبب معارضة الجمصي لاتفاقية كامب دافيد وإنما لخلافات بينه وبين حسني مبارك وقد ذكر الجمصي في مذكراته أن معاهدة كامب دافيد أخرجت مصر من الصراع العربـي الإسـرائيلي وبذلك أضعفت العالم العربي سياسيا وعسكريا. وأعطت لاسرائيل الفرصة لابتلاع بقية فلسطين وأنها حصلت في مقابل ذلك على سيناء ولكنها منقوصة السيادة. وفي الحقيقـة أن هذا الانتقاد صحيح فقد قامت اسرائيل بغزو لبنان واحتلال بيروت وطـرد ياسـر عرفات وقواته من لبنان ولم تستطع مصر أن تتحرك لأنها مقيدة بمعاهدة كامب دافيد. وضربت اسرائيل عرض الحائط باتفاقيات السلام مع الفلسطينيين ولم تحتـرم مبـادرة السلام التي وافقت عليها القمة العربية في بيروت. واحتلت أراضي السلطة[٢] وحطمت

(1) Harber.
(2) Gams.

مقر عرفات ووقف العرب يشاهدون المآسي اليومية التي يعـاني منهـا الفلـسطينيون ومحاربتهم وهم عزل من السلاح بالدبابات والطائرات ليجعلوا من حياتهم جحيما على أرض فلسطين الباقية وهي تمثل ٢٢%. وسياسة بناء المستوطنات كلها تمت في غياب مصر.. ومصر التي تعاني من الجمود الاقتصادي ويعاني شعبها من البطالة لا تستطيع أن تصنع شيئا .. ويبدو أن هناك مخطط اسرائيلي لابتلاع فلسطين فهناك تخطيط مـن الجانب الإسرائيلي وارتحال وتخبط من الجانب العربي وخلافات بين الـدول العربيـة وكل دولة عربية وكل حاكم عربي في المنطقة يود أن يبعد شر العملاق العالمي عـن بلاده. وقد اكتشف هذه الحقيقة الدكتور أحمد أمين في كتابه عن حياته الذي قرر فيـه عندما ذهب في رحلة بالقطار مخترقا صحراء سيناء ويمر علـى غـزة ثـم بعـض المستعمرات الصهيونية ويستمع إلى بعض الأحاديث عن منشآتهم ومستعمراتهم فيشعر الخوف من المستقبل حتى وصل إلى محطة اللد واستقل قطارا آخر للقدس وبين اللـد والقدس يستمتع بالمناظر الطبيعية من جبال ووديان وهي مناظر تملأ القلـب روعـة رهيبة حتى نصل إلى القدس فيستقبله بعض علمائه وأدبائه وعلى رأسـهم المرحـوم إسعاف بك النشاشيبي وقد بالغ في إكرامه والتقى بالأستاذ السيد الحسيني مفتي فلسطين فيوحي إليه منظره بقوة وإرادة وتصميم عزم ونفس لا تهدأ حتى تتسلط وينتهز الفرصة ليجتمع برؤساء بعض الأحزاب في فلسطين ويستمع إلـى أحـاديثهم ويعـرف كيـف يتنازعون على المصالح الشخصية لا على المبادئ العامة فيرثي لحالهم ويتوقع من ذلك الشر لبلادهم. وتمر الأيام فيتحقق ما تنبأ به كاتبنا الكبير أحمد أمـين[١] وعنـدما زار السادات القدس وأتى للفلسطينيين بالحكم الذاتي قاطعوا المحادثات واعتبـر أن الحكـم الذاتي هو تغطية لبقاء الاحتلال الفلسطيني ودعوا لاضراب عـام يـوم ٢٠ سـبتمبر واعتبروا أن اتفاق كامب دافيد وكأنه مؤامرة على فلسطين[٢].

---

(1) Cobban, Helena. The Palestinian Liberation.

(2) Cobben, Helena. The Palastinian Liberation Organization: People, Power and Politics. Cambridge, England: Cambridge University Press, 1984.

وفي اجتماع القمة العربية التاسع في بغـداد ١٩٧٨ والتـي حـضرته الأردن والسعودية قرروا عدة عقوبات على مصر إذا مضت قدما في توقيع المعاهدة. وطـرد مصر من الجامعة العربية وقرروا نقل مقر الجامعة العربية من مصر وقرر العـرب مواصلة مقاطعة اسرائيل وقطع المعونات العربية لمصر. وقد رحـب الاسـرائيليون بالمعاهدة ولكن قابلت اسرائيل الوفد ببرود. ولم يكن هناك إلا عدد قليل من حزب ليكود الذي عارض الاتفاقية وانتقد شيمون بيريز بيجن لأنه لم يستطع الحصول على تنازلات أكبر في المفاوضات. وعرضت الاتفاقية على الكنيست الذي استمر يومين في مناقشتها وانتهت المناقشة بموافقة ٨٤ عضواً ومن أعضاء الليكود الـ ٤٦ فـي الكنيـست ٢٠ صدقوا بنعم و٧ بلا و١٩ أعضاء غابوا عن الجلسة ومن حزب العمل الـ ٣٤ أربعـة وعشرون صوتوا بنعم و٧ صوتوا بلا وثلاثة غابوا عن التصـويت. وعارض بيجن أن يصوت الأعضاء على أجزاء ويوافقـوا على أجـزاء وطلب بيجن أن يـصوت الأعضاء على الاتفاقية ككل. وقد عكس التصويت حالة الرأي العام. وفـي اسـتطلاع الرأي العام في اسرائيل الذي أجري قبل التصويت ٨٧% أبدوا رضـاهم على نتائج محادثات كامب دافيد وأيدوا التنازلات التي حدثت في المفاوضات. وأما أعضاء حزب الليكود فقد كانوا غير سعداء بالحكم الذاتي خائفين أن يتحول الحكم الذاتي إلى حكومـة فلسطينية. وهنا نقف لنقرر أنه بعد أن مرت عشر سنوات وافق الفلسطينيون في أوسلو على أقل مما كان سيحصلون عليه في اتفاقيات كامب دافيد وبعد أن وافق الكنيست على الاتفاقية قامت إضرابات بواسـطة جـوش أمنيـوم (Gush Emmuium) وناشـطو إسرائيل العظمى ولكنهم لم يجدوا استجابة من الرأي العام الأسرائيلي وكذلك عـارض الاتفاقية المستوطنون اليهود في سيناء. وقد عارض بعض من اليسار "أصـدرت هـي أنوراه".وعلى كل حال إن الذي أنشأ المستوطنات في سيناء هو حزب العمل، وكانـت هذه أول مرة في تاريخ الصهيونية توافق على إزالة مستوطنات أقامتهـا علـى أرض فلسطين، وكان هناك كثير من الأستياء بين جنرالات اسرائيل الذين كانوا يعتقـدون أن نهر الأردن هو خط استراتيجي دفاعي طبيعي. ولكن الاتفاق وقع على احتمال الجـلاء

عن جميع الضفة الغربية وهذا الجلاء يجعلها تفتقد عمق الأرض ووقوع الحرب بعيدا عن أرض اسرائيل. كما أنها تفتقد قواعدها العسكرية فيها وأرضا يمكن أن يتمرن فيها الجيش والطيران كما أن الخطر اقتراب الحدود التي لا تبعد إلا ٥٠ ميلا من تل أبيب.

ويعتبر السادات هو الزعيم العربي الوحيد الذي اخترق الغرب وعرف كيف يخاطبه بلغته وقد كان كاتب هذا السطور في أمريكا حينما اغتيل السادات وكانت النساء الأمريكيات تبكي عليه وظلت الصحف الأمريكية لعدة أيام وعليها صورة السادات الذي اعتبروه بطلاً للسلام.

وكان السادات عليه رحمة الله داعيا أن[1] الحرب التي وقعت على أرض فلسطين منذ عام ١٩٤٨ وما قبلها وما بعدها لم يقع بين كذا جندي عربي وبين كذا ألف جندي اسرائيلي كلا إنما كان الصدام بين أوروبا بقوتها الحضارية والمادية بسلطتها السياسية وخبثها الدولي من جهة وبين العرب بدولهم المفككة ونظمهم الإقطاعية وخنق الحريات.

كانت الصهيونية تمثل الغرب بكل قوته ومعرفته بأدوات العصر الحديث السياسية والعلمية والحضارية بينما كان الشعب يحكم بواسطة ديكتاتوريات تخنق شعوبها ولا تسمح له بالحرب وتمتهن حقوقه حتى نظام جمال عبد الناصر الذي يتشدق بها المتشدقون كان أسوأ من حكم الإقطاع. في خنق الحريات وما كان ليجرؤ كاتب أن يقول كلمة الحق أو يطالب بالحرية. وحتى القضاء الذي يحمي صفوف الشعب لم يتركه جمال عبد الناصر. ومازلنا نذكر بالأسى والحزن "مذبحة القضاء".

---

(1) بهاء الدين أحمد: اسرائيليات وما بعد العدوان، القاهرة. كتاب الهلال.

الفصل الحادى عشر

المعاهـــدة

إن اجتماعات كامب دافيد والمبادئ العامة التي توصل إليها الطرفــان مهــدت الطريق إلى السلام ولكنها لم تضمن أن تبرم معاهدة لتحقيقه فهذه المبادئ العامة كانت لابد أن تترجم لاتفاقيات تفصيلية على أرض الواقع. وبعد أن عاد السادات إلى مــصر هاجمه كثير من القادة العرب واتهموه بأنه خان قضية فلسطين وانتقده كثيــرون فــي داخل مصر كذلك من الناصريين والشيوعيين والإخوان المسلمين واتهموه بأنه تــرك البلاد العربية الأخرى تواجهه اسرائيل بدون مصر وبذلك فقد باع الفلسطينيين واضطر بعد ذلك أن يتشدد في موقفه من أنه لابد من وجود صلة واضحة في معاهــدة كامــب دافيد وقضية فلسطين. وبالرغم من أنه كان يصف الحكام العرب بأنهم مجموعة مــن الأقزام فإنه كان في حاجة إلى إضفاء شرعية على ما صنعه ويريد أن يثبت أنه لم يخن القضية الفلسطينية. وأما في اسرائيل فإن المعارضة للمعاهدة لم يكن لها تــأثير علــى الرأي العام الذي كان يرغب في السلام.

وقد حاول بيجن أن يضخم متاعبه الداخلية حتى لا يطالبه الأمريكان بتنازلات أخرى. وكانت مشكلة بيجن ليست في اقناع الإسرائيليين بالاتفاقيات بــل فــي اقنــاع ضميره وهذا الاقناع كان هو مشكلته الحقيقية فقد تراجع في موقفه بعد ما وعد شــعب اسرائيل أنه لن يمس مستوطنات اسرائيل في سيناء وخشي أن هذا المسلك قد يطبق فيما بعد على مستوطنات الضفة الغربية. كما أنه ترك موقعا عسكريا هام في شرق ســيناء وهو كذلك وافق على الحكم الذاتي للفلسطينيين الذي قد يؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية. وكما قلنا أن مشكلة بيجن أن بعض التنازلات كانت ضد وعوده للــشعب الإســرائيلي وأخذ يحاول أن يتراجع في بعض البنود الذي اتفق عليها وأصر أنه ليس هناك علاقــة

بين الجلاء عن سيناء والحكم الذاتي.

وكان هناك حادث خارجي أثر على هذه المحادثات وهي الثورة الإسلامية في إيران التي طردت الشاه وأسقطت حكمه وأطلقت على أمريكا الشيطان الأكبر وعلى أسرائيل الشيطان الأصغر. وقالت أن مصر تريد أن تبرم اتفاقية مع الشيطان الأصغر بمساعدة الولايات المتخدة الشيطان الأكبر .. وكان لدي السادات خوف أن إطالة المفاوضات قد تأخذ وقتا طويلاً وقد ينتخب رئيسا جديدا للولايات المتحدة وتبدأ القصة من جديد.

ولقد حاول الأمريكان إغراء بيجن بإيقاف المستوطنات حتى تتم مفاوضات الحكم الذاتي ولكنهم فشلوا في ذلك وحاول فانس وزير خارجية الولايات المتحدة أن يغري ملك السعودية أو الأردن أن يعلنا موافقتهما على اتفاق كامب دافيد أو يغري الملك حسين على الاشتراك في عملية السلام ولكنه فشل في ذلك.

وقد أعدت وزارة الخارجية الأمريكية معاهدة السلام بين مصر واسرائيل. وبالرغم من موافقة مصر واسرائيل على اتفاق كامب دافيد إلا أن الثقة كانت معدومة بين الأطراف. فكانت مصر تظن أن اسرائيل تريد معاهدة منفردة مع مصر أو لا تريد سلاما وظن الإسرائيليون أن مصر تريد أن تسترد سيناء وبعد ذلك تمزق المعاهدة. ومن البداية طالبت اسرائيل بتطبيع العلاقات مع مصر وعلى أن يتم تبادل السفراء بعد أول حركة إجلاء عن سيناء ولكن مصر طالبت أن يتبادل السفراء عند بداية مفاوضات الحكم الذاتي وأن تحدد اسرائيل متى ستبدأ في تطبيق هذا الحكم الذاتي.

وقد ثار موضوع هام جدا والذي سموه "Priority of obligation" ومعنى هذا أن تكون المعاهدة بين مصر واسرائيل تنص صراحة أن هذه المعاهدة تلغي كل ارتباطات مصر السابقة والتي تنص على أن مصر تأتي لمساعدة أي دولة عربية يعتدي عليها وقد وجد السادات صعوبة في تقبل مثل هذا الشرط. ومن أكتوبر ١٩٧٨ حتى مارس ١٩٧٩ لم يكن بيجن ولا كارتر ولا السادات مشتركين شخصيا في المفاوضات فقد اختار كارتر فانس وزير الخارجية ليرأس الفريق الأمريكي ومثل ديان

وايزمان اسرائيل كما اشترك في الوفد باراك ومائير رويس المستشار القانوني لوزارة الخارجية الإسرائيلية وأعطاهم بيجن صلاحيات محدودة وأن الوفد المصري قد مثله وزير الخارجية الجديد كمال حسن علي وبطرس غالي وأسامة الباز وبدأت الوفود اجتماعاتها في ١٢ أكتوبر ١٩٧٨ وبعد خمسة أيام من مفاوضات غير ناجحة تدخل كارتر وعرض مسودة معاهدة وافق عليها الطرفان في ٢٢ أكتوبر.

وبالرغم من وجود بعض القضايا التي لم تحل بعد إلا أن بيجن عرض الاتفاقية على مجلس الوزراء الإسرائيلي.

ولم يكن عند بيجن أية رغبة في التنازل عن أي أرض في الضفة الغربية وحتى يمنع الأردن والفلسطينيون من المشاركة في عملية السلام ولكي يرضي ضميره في ابتلاع هذه الأراضي وبالرغم من أنه كان قد وافق على تجميد المستوطنات قرر أن يوسع المستوطنات الموجودة على أرض فلسطين[1]. وقد ساعده في النجاح رفض الأردن والفلسطينيين الانضمام إلى عملية السلام.

وغضب كارتر وكتب لبيجن في ٢٦ أكتوبر "في الوقت الذي نحاول أن نبدأ في تنظيم المفاوضات الخاصة بالضفة الغربية وغزة فتوسيع المستوطنات في هذا الوقت بالذات معناه تحطيم كل محاولة لاقامة السلام. وأريد أن أخبرك أن هذا يثير قلقي وأن هذه الخطوة سيكون لها تأثير كبير على علاقتنا. وقد منحت جائزة نوبل للسلام لكل من بيجن والسادات في اليوم التالي.

بدأت المفاوضات من جديد في نهاية أكتوبر وكانت العقبة الرئيسية في المفاوضات هي غزة والضفة الغربية وسافر ديان ووايزمان إلى واشنطن وقد شك زملاؤهم من الوزراء أنهم يريدون إتمام المعاهدة حتى ولو ضحوا بمصالح اسرائيل. وإلى حد ما كان وايزمان وديان في حالة عدم توافق كامل لأن كل واحد يشك في الآخر. ولما كانت اسرائيل غير جادة في محادثات السلام وهي تريد ابتلاع الضفة الغربية فقد قامت ببناء سلسلة من المستوطنات (١٨-٢٠) في الحدود الشرقية للضفة

(1) Carter, Bar Sumon.

الغربية. وأحست واشنطن أن بيجن يحاول التراجع فيما التزم بـــه مـــن عـــدم بنـــاء مستوطنات.

وأصبح موقف السادات صعبا فإسرائيل لا تريـــد أن تتنـــازل عـــن أي شـــئ بخصوص القضية الفلسطينية وفي ٥ نوفمبر انعقد مؤتمر القمة العربي في بغداد ونـــدد باتفاقيات كامب دافيد وبالمعاهدة المتوقع إبرامها مع اسرائيل. ورد الـــسادات أن هـــذا "فحيح الأفعى". ولكن هذا الانتقاد كان له تأثير فقد طالب السادات أن يبدأ الحكم الـــذاتي ويجب أن نتفق على موعد إجراء الانتخابات في الضفة الغربية على موعد الانـــسحاب من سيناء وهذا الموقف سانده المبعوث سعودي الذي وصل إلى واشنطن في نـــوفمبر والذي أعلن أن السعودية ستشارك في كامب دافيد إذا كان هناك صلة بينه وبين القضية الفلسطينية وشك الفلسطينيون أن هناك اتجاها للاعتراف بحقوقهم المشروعة.

وأخذ كذلك تشدد يقع من الجانب الإسرائيلي وفي ٥ نـــوفمبر عنـــدما وصـــل وايزمان ليقدم تقريره إلى مجلس الوزراء الإسرائيلي عن المحادثات وقبل أن نفتح فمه بادره وزير التعليم ديفولين هامر بقوله "ماذا بعث اليوم يا وايزمان"[١] وقـــد عـــارض بيجن أن يحدد يوما للحكم الذاتي بالرغم من أن ديان قد وافق من قبل على تحديد موعدا محددا للانتخاب. وعارض كذلك أن يكون هناك أي صلة بين الانسحاب مـــن ســـيناء والحكم الذاتي الفلسطيني ولم يوافق على الانسحاب الفوري من جزء من سيناء كاثبات لحسن النية كما اقترح ديان ولكن اسرائيل وافقت على الخطة الأمريكية المعاهدة آخذة في اعتبارها المبلغ الذي وعدت به أمريكا وقدره ٣,٨ بليـــون دولار وتعهـــد مـــصر بإمدادها البترول بدلا من البترول الذي ستفقده من آبار سيناء خـــصوصا وأن الثـــورة الإيرانية كانت قررت عدم بيع البترول لاسرائيل بعد سقوط الشاه ولكن مصر كانـــت ترفض أن تلتزم بأن تمد اسرائيل بالبترول[٢].

وقد زادت معارضة اليمين في ١٩ نوفمبر ألقى المتظاهرون البيض والطماطم

---

(1) Bar Suman.
(2) Ali, Kamal Hassan (Hel).

بواسطة (Gush Emunium) بواسطة مظاهرات جوش أمونيم وأطلق البعض على بيجن (الخائن) وقد يكون بيجن قد تأثر بهذه المظاهرات ولكن زاد عناده وأرضى ضميره بأن ما فعله هو في مصلحة اسرائيل وشعبها ووقف نزيف دم شبابها لذلك لم يتراجع وكما أعلن في اللجنة المركزية لحزب هيروت وهو حزب الأغلبية في ائتلاف الليكود.

"في كل السنين السابقة كان المنافسون يكذبون ويرددون أني رجل حرب وفي كل مرة كنت أقول أن حزب هيروت هو حزب السلام وكان من واجبي أن أضع النهاية للحروب. لقد كان هناك ألم عظيم في ذلك. ولكن هناك محاولة جادة للوصول إلى السلام فلابد أن نأخذ قرارات مؤلمة". وقد نال أغلبية كبيرة ٣٠٦ صوتاً في مقابل ٥٣ وبذلك كان لديه تفويض كامل من حزبه للسير في هذه المفاوضات[(١)].

في نهاية نوفمبر طلب السادات في رسائل مرسلة إلى كارتر وبيجن إنه لم يعد يوافق على تبادل السفراء عندما تتم المرحلة الأولى من الانسحاب وكذلك أبدى اعتراضه على تحديد القوات المصرية في سيناء إلى الأبد وطالب بأن يكون هناك ضباط مصريون في أثناء مفاوضات الحكم الذاتي في غزة كما عارض أن تكون مسئولية مصر في اتفاق مصر واسرائيل فوق كل مسئوليات مصر قبل شقيقاتها العربيات ولكن مجلس الوزراء عارض بأدب كل هذه المطالب[(٢)]. حتى يكسر هذا الجمود طار فانس إلى الشرق الأوسط وعندما قابل السادات في يوم ١٠ و ١٢ نوفمبر أبدى السادات موافقته على بعض المطالب ولكنه أصر أنه يمكن تبادل السفراء عندما ينشأ الحكم الذاتي في غزة والضفة. وقابل بيجن فانس وأنكر بعض المواقف التي تبنتها الولايات المتحدة. وأحس بأن اسرائيل الآن تواجه التحالف المصري الأمريكي.

وعندما توجه فانس إلى اسرائيل أعلنت الحكومة الاسرائيلية أنها ترفض اتجاهات وتفسيرات حكومة الولايات المتحدة لاقتراحات مصر. وظل الجمود مستمرا.

---

(1) Bar, Suman, TOV.
(2) Bar Suman TOV.

مرة أخرى كان السادات وبيجن يقفان متعارضين وظلت الولايات المتحدة تنظر من منهما سيتراجع. وكان عنصر الوقت للسادات مهما إذ أن يوم انتخاب رئيس جمهورية الولايات المتحدة يقترب وأما بيجن فلم يكن يهتم بذلك وظل السادات وهو تحت تأثير الضغط العربي أن مبادرته فشلت وأنه لم يأت لمصر ولا للفلسطينيين بأي جديد.

وفي نهاية ١٩٧٨ احتمال أن يتحقق سلام بين اسرائيل والعرب في الشرق الأوسط بدا ضئيلا ولكن هذا الجمود انكسر بما حدث في إيران أكثر من القدس وواشنطن والقاهرة.

الثورة التي قامت في ايران وأسقطت عرش الطاووس وجعلت الشاه يهرب من طهران يوم ١٦ يناير سنة ١٩٧٩ مما جعلت موقف أمريكا يتزعزع في الشرق الأوسط أجبرت كارتر أن يحاول أن يحقق اتفاقا في الشرق الأوسط بأي ثمن[1].

وقد فكر السادات أنه لو لم ينجح في اجلاء اسرائيل عن سيناء في هذه الظروف فقد ينجح وجه التعصب في اجتياح الشرق الأوسط ومما يؤدي إلى فشل محادثات السلام وتستمر اسرائيل في احتلال سيناء وتفقد مصر الفرصة في عودة سيناء إلى السيادة المصرية في المستقبل القريب.

وكان من أثر الثورة كذلك أن مصر لابد أن ترى العالم الإسلامي أنها تبحث كذلك عن مصالح الفلسطينيين وأنها لا تقوم بإبرام معاهدة منفردة مع إسرائيل وكان كارتر في منتهى الذكاء فقد وجد أنه من السهل أن ينجح في اقناع السادات بألا يربط الاتفاق المصري الاسرائيلي بالحكم الذاتي الفلسطيني عن أن يجعل بيجن يتراجع عن رأيه.

ودعا كارتر بيجن للحضور إلى واشنطن وعندما حضر بيجن وحيدا ولم يكن معه وايزمان ولا ديان وقد كانت هذه علامة سيئة وبدأ بيجن بأن اسرائيل هي الحليف الاستراتيجي الأول في الشرق الأوسط والتي تقف في وجه روسيا في الاستيلاء على

---

(1) Quandit.

السعودية ورفض أن يكون هناك أي رباط بين الجلاء عن سيناء والضفة الغربية وطالب أن تكون مسئولية مصر في معاهدة السلام مع اسرائيل فوق مسئوليات المعاهدات الأخرى وأن تتعهد مصر بإمداد اسرائيل بالبترول من سيناء وأنه ليس لديه أي نية في مناقشة الوضع في الضفة الغربية ما لم يشترك الأردن في المفاوضات. وقال بيجن لكارتر بأن السادات يريد أن يحطم اسرائيل وقد تعجب كارتر من هذا وقال له لقد برهن السادات على أنه يريد السلام.

وقد شعر كارتر أنه قرب نجاح ابرام المعاهدة فقد أرسل برزنسكي إلى القاهرة ليوافق السادات على ما وافق عليه بيجن وقد سر كارتر عندما علم أن السادات وافق وكذلك بيجن جمع الوزراء الإسرائيليين وأخبرهم بالموافقة على التعديلات وطلب منهم الموافقة.

وبعد أن وافق السادات على هذه التعديلات دعا كارتر أن يأتي إلى القاهرة لتوقيع المعاهدة وقد قضي كارتر ثلاثة أيام في القاهرة وكان هناك احتفالات كثيرة به وكان يتوقع أن المعاهدة ستوقع خلال يومين أو ثلاثة.

وفي يوم ١٠ مارس طار كارتر إلى اسرائيل وطلب من بيجن التوقيع على المعاهدة ولكن بيجن قال له إنه لا يمكن التوقيع على المعاهدة أثناء رحلة كارتر لأن مجلس الوزراء لابد أن يدرسها قبل أن يوافق عليها وكذلك يجب أن تعرض على الكنيست لمناقشة بنود الاتفاقية ثم بعد ذلك يصدر قراره .. وهذا يستغرق على الأقل أسبوعين وغضب كارتر غضبا شديدا وسجل في مذكراته "وسألته إذا كان صحيحا يريد معاهدة سلام لأن انطباعاتي أنه يعمل كل شئ ليعارض تحقيق السلام ولكن جاء واقتربَ مني ونظر في عيني وقال إنه يريد السلام أكثر من أي شئ في العالم"(١).

ورفض كارتر أن يغير أي شئ في المادة ٦ لكي تنص على إقامة حكم ذاتي في غزة ورفض وجود ضباط مصريين لمراقبة إجراء الانتخابات وعند ذلك تأكد كارتر أن بيجن يريد الاحتفاظ بالأرض المحتلة باستثناء سيناء. وبعد زيارة كارتر

(1) Carter 420-21 Harber 376-7 Quandit 303-4.

Yad Vashen عرض كارتر بعض الاغراءات حتى تم توقيع المعاهدة اليوم ستضمن الولايات المتحدة إمداد اسرائيل بالبترول ومصر ستتبادل السفراء بعد المرحلة الأولى من الجلاء عن سيناء. وستوقع الولايات المتحدة واسرائيل اتفاقا بالعمل إذا خالفت مصر بنود المعاهدة وقد عرض كارتر كل هذه الاغراءات ولكنه يريد أن توقع المعاهدة اليوم وقال كارتر "إني لا أستطيع أن أترك اسرائيل بلا شئ في يدي إنه يجب عليكم أن توقعوا المعاهدة هذا ما صرح به كارتر في اجتماع الوفد الأمريكي مع مجلس الوزراء الإسرائيلي في ١١ مارس.

وقد كان كارتر يأمل في هذا الاجتماع أن يواجه الوزراء ويقنعهم بأن مصلحة اسرائيل في التوقيع على المعاهدة وقد تراجع الوزراء بامنعاص وظنوا أن كارتر يملي عليهم سياسته وهنا تدخل بيجن وقال: "أيها الرئيس أرجو أن تقبل مني معذرة إننا لن نوقع إلا ما نريد أن نوقع عليه ولن نوقع على أي شئ لا نريد أن نوقع عليه. وهنا قال شارون إن فلسطين هي شرق الأردن وأنه خلال عشرين سنة سيكون في الضفة الغربية مليون يهودي وأن الضفة الغربية جزء لا يتجزأ من اسرائيل.

وقضي الوفدان الأمريكي والاسرائيلي بقية اليوم يبحثون في القواميس عن الفرق بين كلمة derogate و contravene في المادة ٦ . ورفضت اسرائيل أن توافق على وجود مصريين في غزة وطلبت ضمانات من مصر لبيع البترول لاسرائيل وتبادل السفراء وفي هذا اليوم كذلك واجه كارتر وبيجن أعضاء الكنيست وكان بيجن يقابل بمعارضته من أعضاء الكنيست الذين يعارضون المعاهدة طبقاً لسياسة النظام الديمقراطي في اسرائيل وليبرهن على ما يواجهه من معارضة للمعاهدة.

وفي يوم ١٢ مارس عقد جلسة محادثات والاسرائيليون يرفضون التنازل عن أي موقف من مواقفهم فرفضوا وجود ضباط القتال في غزة وطالبوا بأن تتعهد مصر ببيع ٢,٥ مليون طن من البترول لاسرائيل وقد بدا واضحا لكارتر أنه لا توقيع على المعاهدة سيتم اليوم أو غدا وقرر كارتر وقد خامره اليأس أن يغادر إلى أمريكا صباح اليوم التالي. وبدأ رافضو المعاهدة يبدون رفضهم وهدد وايزمان بالاستقالة وطالب ديان

مقابلة فانس. وفي يوم ١٣ مارس لاح أمل في الأفق فقد تراجعت اسرائيل عن طلب البترول على أن يتراجع المصريون عن تبادل السفراء وعن وجود ضباط القتال في غزة وطار كارتر إلى مصر وأخبر السادات بنجاحه. وفي يوم ٢٠ – ٢١ مارس بعد مناقشات طويلة وصاخبة وافق الكنيست على المعاهدة ٩٥ في مقابل ١٨ وكان مجلس الوزراء قد وافق عليها باستثناء وزيرين كان أحدهما شارون وطار بيجن والسادات إلى واشنطن وفي الساعة الثانية يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ وقعت المعاهدة وملحقاتها في خيمة أقيمت في حديقة البيت الأبيض وشهد على المعاهدة كارتر وتصافح الزعماء الثلاثة وكتب برزنسكي

"لم يكن هناك سرور فقط بل كان هناك ارتياح كبير وكان وايزمان مع أنه وقد أشار السادات إلى حقوق الفلسطينيين وقد اندهشنا أن بيجن كان هادئا ولم يرد على السادات وقد ملأتني الدهشة .. إن السلام يمكن أن ينتقل وكأن الهواء به نوع من الكهرباء وشعور بالسعادة وكان الناس يصافحون بعضهم بعضا ويربتون بعضهم على ظهور بعض فكانت لحظة من السعادة".

معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل

وفي مقدمة معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية وحكومة اسرائيل أشارت إلى ضرورة إقامة سلام عادل وشامل ودائم طبقاً لقرارات الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ وتكلم عن المعاهدة وكأنها خطوة هامة في الطريق نحو السلام والدول العربية الأخرى مدعوة للمشاركة في السلام طبقاً لاطار كامب دافيد.

وقد نصت المعاهدة على انسحاب كل القوات الإسرائيلية العسكرية وكذلك المدنيين ولمصر السيادة على كل سيناء. وأن الحدود القديمة والدولية بين مصر وفلسطين وبدون أن يكون هناك أي تأثير على قطاع غزة وعلاقة طبيعية تنشأ بين الدولتين مع الاعتراف الكامل وإيجاد علاقاتً ثقافية واقتصادية وانهاء المقاطعات الاقتصادية وحرية الانتقال للناس والبضائع وتمر سفن اسرائيل من قناة السويس وحرية الملاحة والطيران مسموحة لكل الأطراف وتمر السفن من مضيق تيران وخليج العقبة ونصت المادة ٦ على أن يمارس الطرفان مسئوليتها تحت هذه المعاهدة بحسن النية وإذا تعارضت مسئولية أحد الطرفين بمسئولية نحو طرف آخر تكون مسئولية المعاهدة فوق أي مسئولية أخرى.

وأنشأت المعاهدة مناطق بها قوات محدودة وطالبت بقوات للأمم المتحدة في سيناء. وملحق ١ بالمعاهدة ينص على انسحاب القوات الاسرائيلية خلال ثلاث سنوات وخلال تسعة أشهر تجلو القوات الإسرائيلية عن العريش ورأس محمد وخلال ثلاث سنوات للحدود الدولية لمصر القوات العسكرية المصرية في غرب سيناء (في منطقة A) لا تزيد عن فرقة ميكانيكية واحدة ولا يزيد عدد الدبابات عن ٢٣٠ دبابة ولا تزيد عن سبع كتائب مدفعية وعن سبع كتائب مضادة للطائرات وفي وسط سيناء (منطقة B) أربعة كتائب من قوات الحدود وفي شرق سيناء (منطقة E) لقوات البوليس المصرية وفي المنطقة (D) منطقة حوالي ثلاثة أميال وأقل حدود إسرائيل الدولية لا يسمح

لاسرائيل إلا بأربعة كتائب مدفعية ولا يسمح لمصر بوجود طيارات مقاتلة داخل سيناء وأن كان يسمح لها بالطيران في المنطقة (A) ولا يجوز لاسرائيل أن يكون لها مقاتلات في (المنطقة D).

ووافق الطرفان على انشاء علاقات دبلوماسية وتبادل السفراء عند استكمال المرحلة الأولى في الانسحاب. المقاطعة الاقتصادية تلغي وتنشأ علاقات اقتصادية وخلال خطابات من كارتر إلى بيجن ومن بيجن لكارتر ومن كارتر للسادات ومن السادات لكارتر يلتزم الطرفان بأن يقوما بتنفيذ ما اتفق عليه في كامب دافيد بالنسبة لغزة والضفة الغربية ومفاوضات الحكم الذاتي تبدأ خلال شهر من تبادل المعاهدة مع دعوة شرق الأردن للاشتراك ويكون الفلسطينيون داخل الوفدين المصري والأردني على أن تنتهي المفاوضات بأسرع ما يمكن أو في خلال سنة. ويبدأ الخمس سنوات من يوم إنشاء السلطة الفلسطينية لحكم الضفة الغربية وغزة.

وفي خطاب من كارتر إلى بيجن في ٢٦ مارس ١٩٧٩ وفيه يلتزم كارتر بأن ينشأ قوة دولية إذا رجع مجلس الأمن عن قراره في إنشاء قوة من الأمم المتحدة في شرق سيناء. وفي الحقيقة لقد كانت قوة دولية معظم جنودها من الأمريكان التي أرسلت إلى الحدود بين مصر واسرائيل والتي مازالت باقية إلى اليوم. وأرسى السادات في نفس اليوم خطابا لكارتر يخبره فيه أنه في خلال شهر من أول مرحلة لانسحاب اسرائيل من سيناء أنه سيرسل سفيرا لاسرائيل ويستقبل سفير اسرائيل في القاهرة. ووزير الدفاع الأمريكي برون أرسل خطابين لوزيري الدفاع الاسرائيلي والمصري بعد اسرائيل بمعونة قدرها ٣ بليون دولار ٨٠٠ مليون كمنحة والباقي دينا حتى تغطي نفقات ميناء مطارين في صحراء النجف بدلا من المطارات التي ستتركها في سيناء ومنح مصر ١,٥٠٠ بليون كمنحة.

وأخيراً وقعت اسرائيل والولايات المتحدة اتفاقا وضحت به الخطوات التي ستتخذها الولايات المتحدة في حالة مخالفة مصر لبنود المعاهدة وفي مذكرة أخرى تعهدت الولايات المتحدة بمد اسرائيل بالبترول بالرغم من أن مصر تعهدت بمد

اسرائيل ببترول سيناء بسعر النفط العالمي. واستطاع الأطراف الثلاث أن يتخطوا جميع العقبات وبذلك استرد السادات سيناء وتخففت مصر من الانفاق العسكري وحقق كارتر هذا النصر التاريخي عندما وقعت المعاهدة التي مرت عليها السنون. وتوقف نزيف الدم المصري والإسرائيلي وكذلك ابتعد خط المواجهة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ونجح بيجن في تحقيق السلام مع مصر وقل خطر الحرب في الشرق الأوسط لأنه من المستبعد أن تقوم حرب في الشرق الأوسط بدون مصر. وقد نجح بيجن نظراً لأن الأردن والفلسطينيين لم يشتركوا في مباحثات السلام في الاحتفاظ بالضفة الغربية وغزة وفي الحقيقة أن السادات لم يكن في يوم من الأيام يريد أن يعقد صلحا منفردا مع اسرائيل ولكن موقف الفلسطينيين الرافض لهذه المعاهدة جعل الواقع يملي على السادات أن يسير في طريق السلام حيث أنه الوسيلة الوحيدة المتاحة لاعادة سيناء إلى الوطن الأم – وعندما تحرك الفلسطينيون في أوسلو في سنة ١٩٩٢ لم يحصلوا على ما كانوا قد يحصلون عليه لو أنهم انضموا إلى السادات ويذكر كاتب هذه السطور أن الدكتور نبيل شعث جاء لأمريكا وقامت الجالية الفلسطينية بدعوته لالقاء محاضرة وحضرها كثير من الفلسطينيين الذين يعيشون في أمريكا ودعى الكاتب بصفته رئيسا لتحرير صوت السلام إليها كذلك وكان قد تم الاعلان عن اتفاق أوسلو ووجه الكاتب إليه سؤالا "سيدي إن ما حصلتم عليه في أوسلو أقل مما كنتم ستحصلون عليه لو سرتم مع السادات في مبادرته .. ولم يرد الدكتور نبيل شعث على الكاتب لأنها كانت هي الحقيقة المرة ومما يذكره الكاتب بشئ من الألم .. هو الموكب الذي حضر به هذا الوزير من سيارات المرسيدس الفاخرة .. وتعجب كيف تنفق منظمة التحرير هذه الأموال الطائلة على المظاهر والأبهة .. وقال لنفسه ليتهم أنفقوا على تعليم الشعب أو على تسليحه ولكنها هي العقلية العربية التي قادتنا إلى الهزائم والنكسات وقد طلب أحد الحضور الكلمة ويبدو أنه كان معارضا لياسر عرفات وكادت أن تنشب معركة بالأيدي بين المؤيدين والمعارضين وتدخل البوليس الأمريكي لفض هذه المشاجرة وأعود إلى مذكراتي التي كتبتها في هذا اليوم.

"تألمت كثيراً من تصرف الفلسطينيين الغير حضاري وهو الضيق بالرأي المعارض ومحاولة اجهاضه بالقوة ولكنها العقلية العربية التي أنتجت أمثال الحجاج والتي أنتجت في تاريخ المسلمين الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية والتي سالت فيها دماء الشهداء من أجل السلطة مازالت هذه العقلية هي المسيطرة فمثلا ياسر عرفات وهو يسير من فشل إلى فشل مازال متربعا في الحكم وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن شعوبنا العربية ينقصها الوعي وإن كان لا ينقصها الشجاعة.

وبعد أن تم توقيع المعاهدة قطعت جميع البلاد العربية علاقتها مع مصر إلا السودان وعمان ونقلوا مقر الجامعة العربية من مصر إلى تونس وأوقفوا عضوية مصر في الجامعة العربية وأوقفوا المعونات التي كانوا يدفعونها إلى مصر.

وعندما مرت السنون وجاء حسني مبارك الذي اتبع خطوات السادات عادت الدول العربية إلى مصر وعاد مقر الجامعة العربية إلى مكانه الطبيعي وهو القاهرة. بل وسارت الأردن على نفس الخطوات التي قطعتها مصر لتحقيق السلام بين الأردن واسرائيل وتبادلت السفراء. وما إن حلت ١٩٨٩ حتى أعادت الدول العربية جميعها العلاقات الدبلوماسية مع مصر. وما أن حلت ١٩٩٠ إلا وبدأت منظمة التحرير وسوريا محادثات سلام مع إسرائيل وأنشأت بعض الدول العربية علاقات مختلفة مع إسرائيل.

وبعد توقيع المعاهدة بدأ الجيش الإسرائيلي في الإنسحاب من غرب ووسط سيناء وفي ٢٥ مايو ١٩٧٩ تحت المرحلة الأولى من الانسحاب من العريش إلى رأس محمد وسلمت إلى مصر في ٢٥ يناير سنة ١٩٨٠ وتم المرحلة الثانية في أبريل ١٩٨٢ حيث خرجت القوات العسكرية الإسرائيلية من سيناء. وقد رفض المستوطنون الإسرائيليون في مايو ١٩٧٩ ترك مزرعة أقاموها في سيناء وسموها "بيوت سيناء" بجوار العريش وساند المستوطنين أعضاء "جوش أمنيوم" من الضفة الغربية لأنها لأول مرة تجلي إسرائيل مستوطنة أقامها اليهود في الأرض العربية واعتبروها وكأنها دليل

شؤم .. ولم تلجأ الحكومة الإسرائيلية القوة وإنما أغرتهم بتعويضات مالية كبيرة[1].

وبدأ تطبيع العلاقات مع اسرائيل ففي يونيو ويوليو وصل بعض السياح ورجال الأعمال المصريين إلى اسرائيل للمرة الأولى. وتم الاتفاق بين مصر واسرائيل على بيع ٢ مليون طن من البترول وجلت اسرائيل عن مواقع سانت كاترين شهرين قبل الميعاد. وزار بيجن ووايزمان مصر في أبريل ١٩٧٩ وفي أبريل ١٩٧٩ عبرت أول باخرة بضائع قناة السويس ومرت كذلك قوافل من سفن البضائع الاسرائيلية في ٢٩ مايو. وفي يوم ٢٥ مايو عادت العريش إلى مصر وبعد يومين تقابل السادات وبيجن وركبا الطائرة إلى (بئر شيبا) لافتتاح خط طيران مدني بين مصر واسرائيل والرئيس Yitzak Navon أعلن "لقد أعطيناك العريش فاعترض السادات وقال أنا لا يمكن أن أوافق أن يقول أحد أنا أعطيناك العريش لقد أخذنا العريش بالقتال وببذل الدم الغالي[2].

وفي فبراير ١٩٨٠ بعد شهر من تمام الانسحاب عن اسرائيل تبادلت مصر واسرائيل السفراء. وطالبت اسرائيل بسرعة التطبيع للعلاقات ولكن للمعارضة العربية والداخلية كانت مصر لا تريد السرعة في التطبيع وقد أرادت مصر أن تربط التطبيع بقيام الحكم الذاتي الفلسطيني في الأراضي المحتلة محاولة أن تخلق من الناحية العملية صلة بين المعاهدة والجلاء عن الأرض المحتلة وهددت اسرائيل إن عدم التطبيع قد يؤثر في المرحلة النهائية في الانسحاب ولكن كان هناك بعض الاتفاقيات الاقتصادية والمشاريع المشتركة وشراء بعض المواد الغذائية من اسرائيل.

ولم يكن بيجن وأنصاره يريدون أن يعطوا للعرب في غزة والضفة أي حكم ذاتي وبعد أن وقعوا المعاهدة عاد بيجن وأنصاره إلى ما يسمى(بالعزلة العقلية)

---

(1) Ban Suman 1989-1891.
(2) Ali

mental ghetts[1] وإلى أحلامه في إسرائيل الكبرى. وقد بدأت محادثات الحكم الذاتي في ١٩٧٩ وانتهت بالفشل التام في ١٩٨٢. وقد قطع السادات محادثات الحكم الذاتي في مايو ١٩٨٠ بعد أن طبقت اسرائيل قوانينها على القدس الشرقية والذي طالب السادات أن تكون من ضمن محادثات الحكم الذاتي وقد اجتمعت اسرائيل ومصر والولايات المتحدة في أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٠ لمناقشة مسألة الأرض المحتلة ولكن لم تتم أي نتائج لهذه الاجتماعات.

وإذا نظرنا إلى طبيعة الحكومة الاسرائيلية والذي يسيطر عليها حلم التوسع والتهام الأرض فإن هذا كان سيؤدي بنا إلى الاعتقاد أن محادثات الحكومة الذاتي كانت لابد أن تفشل. فمن البداية استبعدت اسرائيل منظمة التحرير الفلسطينية وسكان غزة والضفة من المحادثات ورفض الأردن الانضمام إلى المفاوضات. فقد كان مفهوم اسرائيل من الحكم الذاتي أن يستمر الاحتلال الاسرائيلي للأرض وتهمين السيطرة الاسرائيلية على الأرض والماء والدفاع والسياسة الخارجية وتبقى سياسة بناء المستوطنات بل إن بيجن زاد من نشاط بناء المستوطنات في أثناء المحادثات. وقد وضح أمام الأمريكان والمصريين أن إسرائيل غير جادة في مسألة الحكم الذاتي. فالعرب كانوا يريدون حكماً ذاتياً للأراضي المحتلة يشمل الأرض والسياسات مما يقودهم في النهاية إلى دولة فلسطين وأما وقد كانوا يريدون حكماً ذاتيا كغطاء للاحتلال الإسرائيلي الذي يملك كل خيوط السلطة وقد بدت نيات بيجن واضحة عندما عين وزير الداخلية يوسف بيرج لرأس وفد المفاوضات واستبعد ديان الذي انسحب عندما أخبر أنه ليس لديه أي سلطة واختيار وزير الداخلية الإسرائيلية كان دليلا على أن بيجن يعتبر الضفة الغربية وغزة هي مشكلة داخلية خاصة بإسرائيل وليست مشكلة دولية وفي يونيو استقال ديان ووايزمان من وفد المفاوضات

---

(1) Weizman *1981 - 383.*

الإسرائيلية[1] وبعد شهر استقالا من الوزارة الإسرائيلية.

وفي خلال صيف ١٩٧٩ بدأت اسرائيل في إنشاء مستوطنات جديدة وخططت لبناء مستوطنات في جنوب سيناء. وعندما انتخب الإسرائيليون حزب الليكود وأوصلوه للسلطة في مايو ١٩٧٧ كان هناك ٣٤ مستوطنة وكان بها حوالي ٤٠٠٠ مستوطن وبعد سنة أي في ١٩٧٨ أصبح عدد سكان المستوطنات ٧٥٠٠ وفي سنة ١٩٧٩ أصبحوا ١٠٠٠٠ وفي ١٩٨٠ أصبحوا ١٢٥٠٠ وفي ١٩٨١ أصبحوا ١٦٠٠٠ يعيشون في حوالي ٧٠ مستوطنة. ورسمت خطط حكومة الليكود تريد عدد سكان المستوطنات إلى أكثر من مائة ألف يهودي إذا ما حلت ١٩٨٣[2] وهذه السياسة في بناء المستوطنات قد عكست عمق شعور بيجن بأن هذه الأراضي جزء من إسرائيل كما أنه حاول بهذه السياسة إرضاء حركة جوش أمونيم وحركة إسرائيل الكبرى وكأنها تعويض عن ترك مستوطنات اسرائيل في سيناء. وقد قامت حركة السلام الآن بعدة احتجاجات ولكن لم يكن لها أي تأثير[3].

وبعد مقتل السادات كان هناك خوف في اسرائيل بعد أن انسحبت اسرائيل في المرحلة الأولى حتى العريش وبقي أن تنسحب من الجزء الباقي من اسرائيل وقد وضع هذا الحادث مصر تحت اختبار هل ستواصل احترام المعاهدة بعد أن مات مهندس السلام والاختيار كان ألا تخضع حكومة اسرائيل لضغوط اليمين المتعصب الذي يريد أن يبتلع سيناء وقد التزمت الحكومتان بالمعاهدة.

وقد ساعد الرأي العام بيجن في تنفيذ المعاهدة فقد أعادوا انتخابه في ١٩٨١ مع تفويضه في المضي قدما في تنفيذ المعاهدة وزاد هذا من قوة الليكود السياسية وكسب في هذه الانتخابات ٤٨ مقعدا وفاز حزب العمل المنافس له ٤٧ مقعدا وحيث

---

(1) Quandit 1984.

(2) *Tesotter, Mark. A History of the Israeli-Palistinian Conflict.* Bloomington: Indiana University Press, 1944.

(3) Quandit 1984.

أن حزب العمل كذلك قد أيد المعاهدة فقد أصبح لدى بيجن تفويض كامل في المضي قدما في الانسحاب من سيناء وحزب (تهيا) الذي كان ضد الانسحاب لـم يفـز إلا بثلاث مقاعد.

وبدأ ائتلاف بيجن الذي كان يتكون من الليكود وبعض الأحـزاب الدينيـة اليمينية الصغيرة فبدا أن حكومته الجديدة تضم عددا أكبر من المتشددين ففي حكومة كان هناك بعض المعتدلين كحزب داس وبادين وديان وو ايزمان فكانوا يقللون مـن معارضة المتشددين وأما في حكومته الجديدة فكان هناك شارون الذي أصبح وزيرا واسحق شامير الذي أصبح وزيرا للدفاع بعد استقالة موسى ديان في سـنة ١٩٨١ الذي ساند حركة وقـف الانـسحاب مـن سـيناء (Movement to Stop the withdrawal) والذي بدأت تعبر عن معارضها لمرحلة الانـسحاب الكامـل مـن سيناء.

تقابل السادات وبيجن في الاسكندرية سنة ١٩٨١ وتناقشا في دفـع عمليـة التطبيـــع ووافقا على اجراء محادثات الحكم الذاتي في خلال شهر. وبعـد ذلـك أغتيل السادات يوم ٦ أكتوبر في الاستعراض العسكري بمناسبة الانتصار في حرب ١٩٧٣.

وكان الأربعة الذين اغتالوا السادات ينتمون إلى جماعة الجهاد التي خرجت من عباءة الأخوان المسلمين والتي عارضت معاهدة كامب دافيد واعتبرت السادات فرعونا يحل قتله. وعندما تم ذلك شعر النظام أن قتل السادات هو مؤامرة كبـرى للاستيلاء على السلطة ولكن بقيت مصر هادئة ولم يحدث سوى حركـة عدوانيـة صغيرة في أسيوط تم إخمادها وانتقلت السلطة دستوريا إلى نائب الرئيس حـسني مبارك. واستمر الخوف في اسرائيل أن يبادر نائب الرئيس الـذي كـان بجـوار السادات ولكنه لم يمسه سوء أن يقوم بإلغاء المعاهدة ولكن يوم ١٠ أكتـوبر أثنـاء جنازة السادات وعد الرئيس الجديد بيجن أن بنود المعاهدة ستحترم وأكد ذلك عندما

شتركت الحكومة المصرية مع الحكومة الإسرائيلية التزامهما بمعاهدة كامب دافيد وأرسلت مصر خطابات رسمية للولايات المتحدة ولإسرائيل بهذا المعنى[١].

ولا أجد أجمل من أن أعيد ما كتبه أنيس منصور في كتابه الدين والدنيا "ثم انتهت محاكمة الذين اغتالوا الرئيس المؤمن الشجاع البطل محمد أنور السادات ولن تعرف مصر والأمة العربية عظمة هذا الرجل إلا بعد وقت طويل هل هذه عقوبة تفرضها الشعوب على نفسها فتجهل قيمة الأحياء وتزداد تجاهلا لاقدارهم بعد أن يذهبوا ثم تعود فتكشف أقدارهم العظيمة وتعذب نفسها بالندم على هذا الصدق ؟ ربما

وقد كان الخوف السائد في اسرائيل أنه بمجرد تمام انسحاب اسرائيل من سيناء أن تقوم مصر بالغاء المعاهدة وقامت اسرائيل بانكار الحكم الذاتي للفلسطينيين ورفض مبارك زيارة القدس وفي ١٩٨٢ بدأت الخلافات حول طابا. وكان هناك خلاف كذلك على الحدود الدولية لمصر التي كانت بين فلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني ومصر التي كانت محتلة بواسطة الانجليز وقد كانت هناك ١٤ نقطة على الحدود أما حطمت أو حركت وحتى يمكن تحديد الحدود وكانت أهم نقطة هي طابا وهي منطقة لا تزيد عن ميل مربع في شمال خليج العقبة وقد اتهمت مصر إسرائيل بأنها تعمدت تحطيم علامات الحدود[٢].

وكانت اسرائيل قد بنت فندقا على هذه البقعة الجميلة من أرض مصر وعرضت مصر ٥٦ مليونا من الدولارات. وعندما رفضت اسرائيل اعادة طابا إلى مصر رفضت مصر أن تتنازل عن شبر واحد من الأرض المصرية .. وقد اعترفت اسرائيل بهذا في ١٩٤٩ عندما وقعت مصر واسرائيل اتفاقية الهدنة .. وكذلك عندما جلت عن سيناء بعد أن انتهى العدوان الثلاثي .. فقد جلت اسرائيل عن سيناء بما

---

(1) Ali.
(2) Ali (266).

فيها طابا وأخذت اسرائيل تجادل أن الحدود التي حددتها انجلترا في انتدابها على فلسطين كانت تضم طابا وأن اسرائيل أخطأت عندما جلت عن طابا بعد حرب ١٩٤٩ ، ١٩٦٧ وجعلتها جزءاً من مصر.

وقد ألقي هذا الخلاف ظلالا على معاهدة كامب دافيد وعلى عملية السلام واقترحت مصر تحكيما دولياً ولكن اسرائيل رفضت وقررت عدم استكمال الجلاء عن سيناء حتى تحل المشكلة كما تراها اسرائيل. وقد عرضت مصر أن تنقسم المنطقة بين مصر واسرائيل وتختص اسرائيل بالجزء الشمالي الذي يقع فيها الفندق ورفضت اسرائيل(١).

وعلى كل حال لم تكن طابا تستحق أن تسبب الفشل في عملية السلام فاتفقا الطرفان على أن يتم الجلاء عن سيناء في ميعاده مع الاتجاه إلى التحكيم الدولي في مسألة طابا. واعتبرت منطقة طابا منطقة محايدة تحت السيطرة الاسرائيلية حتى يبت في أمر التحكيم. وقد خالفت مصر المعاهدة مخالفات بسيطة بزيادة عدد الجنود عن المتفق عليه زيادات بسيطة وانتهزها فرصة المعادون للمعاهدة في اسرائيل في أواخر مارس وأوائل أبريل ولكن مجلس الوزراء الإسرائيلي اجتمع يوم ١٩٨٢/٤/٢١ وصوتوا على اتمام الانسحاب في ميعاده وقد نشأت مشكلة لبيجن إذ أن المتشددين في صيف ١٩٨١ أثاروا زوابع كثيرة ونظموا مظاهرات ضد الانسحاب من المستوطنات في شمال سيناء. ومنذ ١٩٨١ بدأ أعضاء (جوش أمانيوم) ومستوطنو الضفة الغربية الانتقال إلى الشقق الخالية في مستعمرة باميت وفي مواقع أخرى في رفح. وقد دفعت الحكومة تعويضات كبيرة للمستوطنين تمكنهم من شراء منازل في اسرائيل ولكن بعض المتعصبين بقوا لأسباب سياسية.

وفي ٣ مارس أمرت الحكومة الجيش الإسرائيلي بإخلاء المستوطنات وقد تم

---

(1) Tamir, Avraham, (Heb) Peace – Mongering Soldier. Tel Aviv: Idanim / Yediot, 1988, 16-24.

الاخلاء بدون صعوبة ولكن المحتجين تجمعوا مرة أخرى في ٤/٢١ و ٤/٢٢ و ٤/٢٥ عندما توجه أكثر من عشرين ألف من الجيش الإسرائيلي لإجلاء ١٥٠٠ ممن أصروا على الاستمرار في المستوطنات. وقد استخدم الجيش مضخات المياه واستخدم المستوطنون الحجارة والعصى والزجاجات وقد هدد المجتمعون بالانتحار الجماعي ولكن في النهاية تم اخلاء المستوطنات بغير ضحايا أو جرحى.

وبالانسحاب من سيناء دمر الإسرائيليون المستوطنات واجتثوها من جذورها حتى تبدو وكأنها قد ألقيت عليها قنبلة ذرية. وقد عرضت مصر ٥٠ مليونا من الدولارات[1] ولكن إسرائيل رفضت. وتدمير المستوطنات كان بناء على قرار بيجن[2] ولم تأخذ عليه أصوات في مجلس الوزراء.

وقد قرر شارون وبيجن أن يتركوا الأرض محطمة وبها أنقاص ومخلفات المنازل التي هدمت حتى لا تتخذ كوسيلة للهجوم على اسرائيل إذا أرادت مصر خرق معاهدة كامب دافيد وبقاء قوات مصرية في رفح اعتبره الإسرائيليون تهديدا ضخما لاسرائيل وقال شارون لو أننا تركنا هذه المستوطنات لانتقل إليها مواطنون مصريون وأن هذا قد يؤدي إلى تصادم كما أنه خشي أن يعود المستوطنون الإسرائيليون لاحتلالها ويؤدي ذلك إلى خلق متاعب دبلوماسية لاسرائيل. وقد أراد بيجن وشارون أن يظهروا للعالم تضحيات إسرائيل من أجل السلام.

وكانت المستوطنات واجلاؤها سبباً في فتور العلاقة بين مصر وإسرائيل وظل اسحق شامير لا يوافق على التحكيم في الخلاف على طابا إلى أن هدد بيريز في ١٩٨٦ بالاستقالة وافق شامير على التحكيم. وتكونت المحكمة من عضو عن اسرائيل وعضو عن مصر وثلاثة من كبار القانونيين من فرنسا وسويسرا والسويد وأصدرت المحكمة قرارها في ٢٩ سبتمبر ١٩٨٨ وقد صدر

---

(1) Segal.
(2) Ali 66 (3) Ban Suman TOV.

قرار المحكمة في صالح مصر فسلمت اسرائيل طابا إلى مصر وبذلك تم الانسحاب الكامل من سيناء.

وأخيراً أعود إلى ما قاله أنيس منصور "ما يزال غربـان التـاريخ الـسياسي والعسكري يعتقدون أن الذي حدث في أكتوبر أما أن يكون تمثيليـة اشـترك فـي اعدادها السادات وجولدا مائير ولذلك لا يستحق السادات جائزة نوبل وإنما جـائزة الأوسكار ! أما الكومبارس من الموتى على المسرح في مصر واسـرائيل فـسوف ينهضون من قبورهم بعد أن أدوا أدوارهم بنجاح وإما أن تكون سطوا على خطـة سابقة وضعها الرئيس السابق جمال عبد الناصر. أي أن الرئيس عبد الناصـر قـد وضع خطتين في وقت واحد. خطة لهزيمة ساحقة في ١٩٦٧ وخطة لانتصار ساحق في ١٩٧٣. ولا أعرف كيف يوصف بأنه ناصر مصر في ١٩٧٣. ولا يوصف بأنه قاتل مصر في ١٩٦٧ ؟ وغير ذلك من خرافات التاريخ السياسي والعسكري وكما أن في مصر دائما هواه للسياسة فهناك هواه للتاريخ أيضاً. وتتأكد مأساة مصر بأنها في حاجة إلى عقول مفتوحة وليس إلى أفواه مفتوحة وجيوب أيضاً. ومن العجيـب أن تغتال مصر الرجل الذي حقق لها النصر على أنفسنا واسرائيل وعلى كل دعاة الهزيمة وأدعياء النبوة السياسية والعسكرية. وكانت انتصارات أكتوبر مفاجأة كبرى لاسرائيل وسيظل يطلقون عليها قولهم الخالد إلى أن تقوم الساعة هذا النصر هـو الزلزال.

كتب للمؤلف

مسرحية شعرية

سقوط فرعون ١٩٥٤

رواية

حتى لا يعود الظلام ١٩٩٨

نشرت مسلسلة بجريدة صوت السلام

شعر

حصاد السراب ٢٠٠٧

لحن الغربة ٢٠٠٨

قصائد نثرية

أنداء أطلال

أنات فارس مجروح

أغاريد الصبا

سياسة

السلطة السياسية فى الإسلام ١٩٩٠

باللغة الإنجليزية

استرداد سيناء ٢٠٠٨

حصاد قلم جزء ١

حصاد قلم جزء ٢ (٢٠٠١)

رحلة مع الشعر الحديث ١٩٥٤

ترجمة

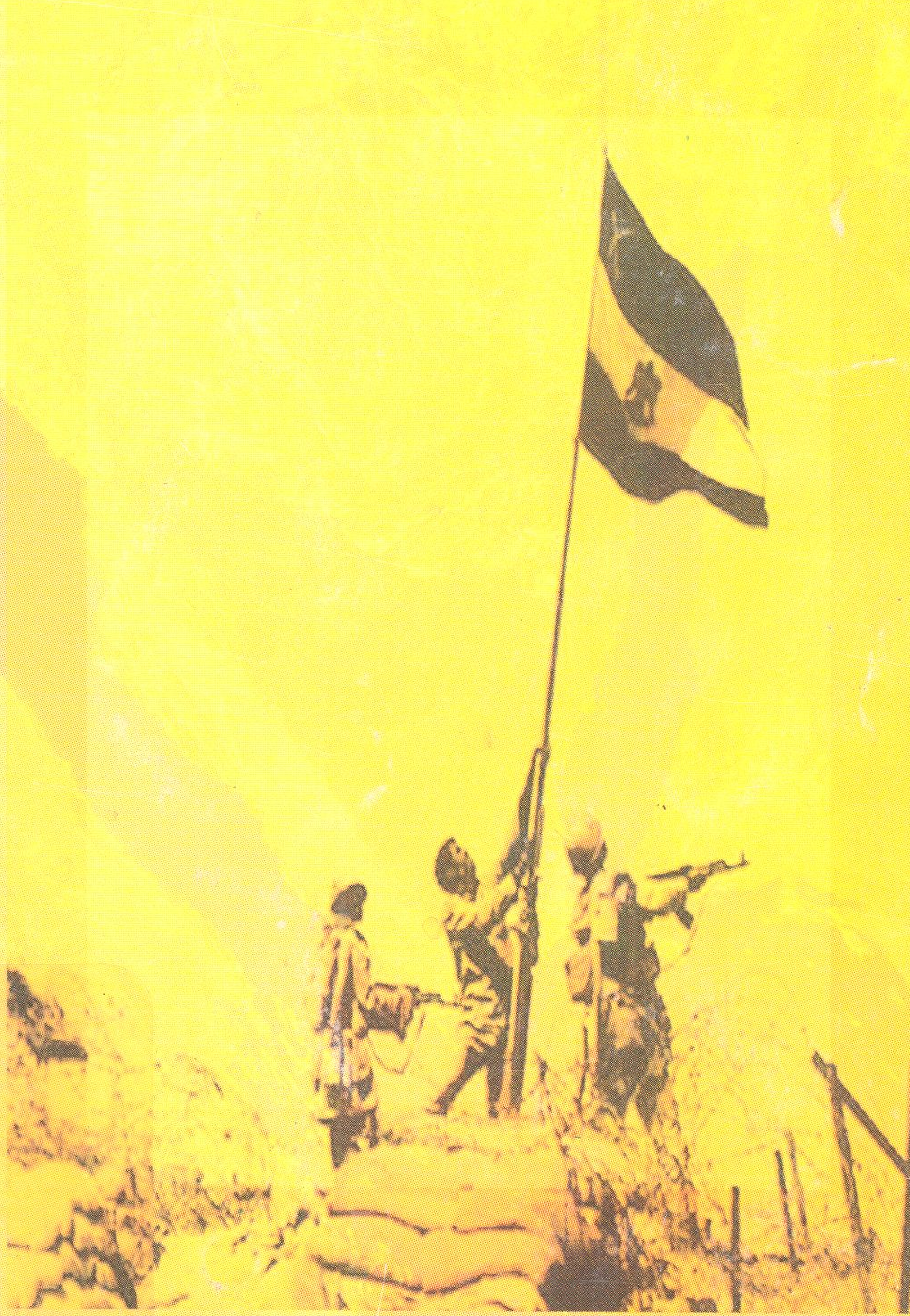
قصائد مختارة

للشاعر كفافى

ترجمة ذاتية

رحلة حياة

رقم الإيداع: ٥٥٤٧
الترقيم الدولي: ٤ - ١٥٦٣ - ١١ - ٩٧٧




مطبوعات
مكتبة مصر